

مادة لفتح الاسلاني

قائمة فتح بلاد فارس (ايران)

تأليف

اللواء الركن

محمود شيت خطاب

عضو المجتمع العلمي العراقي

الناشر

دار الفكتج - بيروت

قلاۃ فتح بلاد فارس

(ایران)

الطبعة الاولى
١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

”يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ
مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ؟ تَوَمَّنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتَجَاهِدُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ،
ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَأُخْرَى تَحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ
وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ، وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ .“

(الْقَارَأَتُ الْكَبِيرَةُ)

سُورَةُ الصَّف

الافتتاح

الى بطل الفتح الاسلامي الفاروق عمر بن الخطاب

أعز الله بك الاسلام وأظهره حين أسلمت ؛

وفرق بك بين الحق والباطل حين آمنتم ؛

وجعل الحق على لسانك وقلبك .

كان اسلامك فتحاً ، وهجرتك نصراً ، وإمارتك رحمة ،

وكان عهدك هو العهد الذهبي للفتح الاسلامي العظيم .

وهذه البلاد بعض ما فتح الله على يديك وأيدي قادتك ، فمن

أولى منك بإهداء هذا الكتاب عن قادتك إليك ؟ ؟

رضي الله عنك وأرضاك ، وجعلك قدوة حسنة

للمؤمنين في بلاد العرب وديار الاسلام .

محمد شينت خطاب

المُقَدِّمَةُ

إيران في عهد السَّاسَانِيِّينَ

« وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »

« قرآن الكريم »

مُسْتَهْل

استطاع العرب المسلمون في بضع سنين من انتقال الرسول القائد صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى ان يفتحوا ايران وما حولها من البلاد التي كانت تحت حكم الامبراطورية الساسانية ويحطموا عرش كسرى، وفي سنة ست عشرة هجرية (٦٣٧ م) كان سعد بن ابي وقاص الزهري رضي الله عنه يصلي بالمسلمين في ايوان كسرى بالمداين ويقرأ قوله تعالى : (كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوما آخرين) (١) .

فأي امبراطورية هذه التي استطاع العرب المسلمون القضاء عليها بعد ان بقيت تحكم عشرات القرون ؟

ذلك ما ستقراه وشيكا في هذه المقدمة الموجزة عن هذه الامبراطورية العظيمة .

وقد اعتمدت (٢) كتاب : « ايران في عهد الساسانيين » الذي ألفه آرثر كريستنسن استاذ الدراسات الايرانية في جامعة كوبنهاغن وعربيه الدكتور يحيى الخشاب وراجعه الدكتور عبد الوهاب عزام ، فهو احسن مرجع في موضوعه هذا حتى الآن (٣) .

كما اعتمدت غيره من مصادر التاريخ والجغرافية العربية لايضاح بعض ما جاء في هذا الكتاب من معلومات تاريخية وجغرافية ، وذلك لتكون هذه المقدمة مدخلا مناسباً لكتاب « قادة الفتح » الذين قادوا الجيش العربي الاسلامي في حروب هذه الامبراطورية التي قادت المشرق ردحا طويلا من الزمن سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعسكريا .

(١) الطبري (١٢٥/٣) وابن الاثير (١٩٩/٢)

(٢) يقال اعتمدته واعتمدت عليه

(٣) سألت كثيرا من المعنيين بتاريخ ايران القديم من العرب والاييرانيين عن احسن مرجع في تاريخ الساسانيين ، فابيدوا ان هذا الكتاب هو اهم واقوم كتاب حول الساسانيين .

قَبْلُ السَّاسَانِيِّينَ^(٤)

١ - النظام الاجتماعي والسياسي :

كوّن الإيرانيون منذ القدم مجموعة من الاسر الكبيرة يستند نظامها الى اربع وحدات : البيت ، القرية ، والقبيلة ، والاقليم ، وقد سمي الشعب (آريا) وهي الكلمة التي اشتقت منها كلمة : (ايران) الحديثة .

وقد توارى نظام الاسر جزئيا في مجتمع (ايران) الغربية بتأثير المدنية البابلية ، وكانت الدولة الاكمنية (هخامنشية) استمرارا للدولة الاشورية والبابلية والعلامية ، وكانت الاساليب الاكمنية هي اساليب الملوك البابليين والميديين (٥) مع ما ادخل عليها من الاصلاح بفضل البقورية المنظمة ، عبقرية كورش ودارا الاول .

ولكن التنظيم على اساس الاسر لم يمح نهائيا ، فبقي في بلاد الميديين كما عاش في فارس بالمعنى الاخص ، وكان في فارس الاكمنية سبع قبائل يجري في احداها الدم الملكي .

وكان في ايران الاكمنية ، عدا هذه الاسرات الكبيرة بحكم مولدها ، سلسلة من التابعين ، ففي آسيا الصغرى مثلا امارات قديمة حكم امراؤها تحت سيادة الملك الاعظم ، فقد جعل الملك الاعظم لنفسه اتباعا يمنحهم اقطاعات يتوارثونها مع امتيازات خاصة ، ولم تعد صلة الاسرات وثيقة بالقرى الفارسية التي نشأوا فيها فحسب ، بل تعدتها الى املاك كبيرة اخرى في شتى انحاء الدولة ، وقد اتيح لآناس من الاجانب ومن غير الاسرات الكبيرة من الفرس والميديين ، كالاغريق المنفيين ، ان يملكوا امارات يمنحها لهم الملك الاعظم ، فتمتعوا بامتيازات تتفاوت خطورة ، منها الاعفاء من الضريبة احيانا بحيث كان في مقدورهم ان يستحوذوا على الاموال التي يجبونها من رعاياهم ، وهذا هو مبدأ نظام الاقطاع في فارس .

ولم تترك التقاليد السياسية الاكمنية حينما تمكن (الاشكانيون) من

(٤) اكثر هذه المعلومات مقتبسة عن كتاب : ايران في عهد الساسانيين - تأليف كريستنسن ، ترجمة يحيى الخشاب - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة سنة ١٩٥٧ .

(٥) ميديا : اسم قديم يطلق على الجزء الشمالي الغربي من ايران ، وهو اقليم الميديين ، ويتفق في الوقت الحاضر مع مقاطعات آذربيجان واردلان والتمراق العجمي وبعض اجزاء كردستان ، ومعظم انحاء ميديا . يمثل هضبة مرتفعة يتراوح ارتفاعها بين ٣٠٠٠ - ٥٠٠٠ قدم .

الحكم، اذ انتقلت السيادة بقيام الاشكانيين من الغرب الى الاقاليم الشمالية التي كانت اكثر الجهات الايرانية احتفاظا بالطابع الايراني .

وهكذا كانت دولة الاشكانيين - رغم طابعها الاغريقي - اكثر ايرانية من الدولة الاكمنية ، وقد اتخذوا عاصمة لهم (الدامغان) (٦) مدة قرنين قبل ان يلجئهم تطور الزمن الى نقلها الى المدائن (٧) على ضفاف دجلة .

وقد عاد نظام الاسر سيرته الاولى بانتقال السيادة الى ايران ، فظلت اصالة النسب مرعية في الجماعة الايرانية عدة قرون ، بل ظلت مرعية حتى بعد سقوط الدولة الساسانية بين جماعة الزردشتيين ، ويذكر في الكتب البهلوية الرياضات الاربعة : رئيس البيت ، ورئيس القرية ، ورئيس القبيلة ، ورئيس الاقليم ؛ كما نجد هذا التقسيم في الكتب المانوية .

وكان لرؤساء القرى المكانة العظمى في الدولة ، فانهم كانوا كبار امراء الملك وكانوا ينشئون رعاياهم على الحرب ، ومعنى ذلك ان الفلاحين وعليهم يقع عبء الخدمة العسكرية ، كانوا خاضعين لضرب من الرق تحت سيطرة سادتهم الاقوياء .

ولم يكن العرش نفسه ايام الاشكانيين مماثلا لنظام الاقطاع من حيث الوراثة ، فقد كان الملك مقصورا على اسرتهم ، ولكن الوراثة لم تكن من الوالد لولده لازماً ، فان العظماء يختارون من يلي العرش ، فاذا اختلفوا تحاربت الاحزاب وانتخب كل حزب ملكا اشكانيا ، ويظهر ان لقب (ملك) لم يكن قاصرا على الحكام من البيت المالك ، بل ان الثماني عشرة ولاية المؤلفة منها الدولة تسمى بممالك ، ولذا فان تسمية المؤرخين العرب (٨) للعهد الذي بين الاسكندر وقيام الدولة الساسانية بعهد : ملوك الطوائف ، لم تكن مجانبية للصواب .

وقد ظهرت السلطة السياسية للامراء الكبار في مجلس الشورى الارستقراطي : (مجلس الشيوخ) الذي كان يحدد سلطة الملك ، وكان قواد الجيش والحكام من بين اعضاء هذا المجلس ، وكانت هناك طائفة اخرى شاركت في تصريف شؤون الحكم هم اهل الحكمة ورجال الدين ، ولكن لم يكن لهذه الطائفة تأثير كبير في سياسة الدولة ، بينما كان مجلس الشيوخ

(٦) دامغان : بلد كبير بين الري ونيسابور ، وهو قصبة قوس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٦/٤) والمسالك والممالك للاصطخري ص (١٢٤) وتقويم البلدان ص (٣٣٦) ومختصر كتاب البلدان ص (٣١٨) والمسالك والممالك لابن خردادبة ص (٢٤٤)

(٧) المدائن : هي مدينة سلمان بالك على دجلة في منطقة بغداد فيها قبر الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه : انظر ما جاء عنها في معجم البلدان (٤١٢/٧)

(٨) انظر الطبري (٤٧٦/١) وابن الاثير (١٠٠/١) واليعقوبي (١٢٨/١) وابن خلدون (١٦٧/٢)

قوة حقيقية في الدولة .

وإذا كانت الدولة الاشكانية لم تبلغ يوما ما كان للدولة الاكمينية من القوة والثبات ، الا انها كانت من حيث الشكل دولة استبدادية ، فلم تكن سلطة الملك محدودة بالقوانين ، وكان اذا اتاحت له الظروف القوة الكافية يحكم البلاد بكل ما لدى السلطان الشرقي من الاستبداد .
وكان الملك يخشى افراد أسرته خاصة ، ولم يكن العظماء ليجرؤوا على المخاطرة بمناواته من غير ان يعتمدوا على افراد الاسرة الاشكانية ممن يعارضونه .

والملك بعيد المنال عادة ، ومن المزايا التي احتفظ بها هي لبس التاج العالي وحق النوم على سرير من الذهب ، وكان للملك غابات تربي فيها الاساد والديبة والنمور خاصة لصيده ، وكان اذا ذهب للصيد احاطت به جماعة كبيرة من حملة الحراب والحرس ، وكان على من يقابل الملك ان يقدم له الهدايا ، وكانت خزينة الملك و خزينة الدولة شيئا واحدا ، وكانت الجزية التي تدفعها الدولة التابعة تنصب في خزينة الملك .

٢ - العقائد الدينية :

بني دين الاربيين القديم على عبادة قوى الطبيعة والعناصر والاجرام السماوية ، واضيف الى آلهة الطبيعة منذ زمان قديم آلهة تمثل قوى اخلاقية او آراء معنوية مجسمة .

وكان الاله مزدا (الحكيم) عند الايرانيين يتميز بالدعوة الى الاخلاق وال عمران ، وفي الوقت الذي دخل فيه الايرانيون العصر التاريخي ، كان مزدا الاله الاعلى للقبائل المستقرة والمتقدمة في الشرق والغرب .

والمزدية أقدم عهدا من الزردشتية ، وليس مزدا الها لقبيلة او لشعب بل هو اله العالم والناس جميعا ، وعلى هذا كانت الصلات بين الناس والقوى السماوية اكثر صفاء في الديانة المزدية منها في ديانات آسيا الصغرى الاخرى ، ويبدو باعث الاخلاق بصفاته التام في هذا الدين ، وبهذين الوصفين العموم والصفاء ، بدأ المذهب الايراني تأثيره على الافكار الدينية في الشرق الادنى .

وادعى (زردشت) النبوة نيا لمذهب مزدي معدل في الشرق في القرن (السابع ق.م) ولما بين الالهة من تفاوت نمت عنده فكرة الصراع بين الروحين اللذين وجدا منذ خلق العالم : روح الخير وهي نوع من تجلي مزدا وروح الشر .

ودين زردشت توحيد ناقص ، فهناك جماعة من الكائنات المقدسة ولكنها كلها تجليات لذات مزدا وهي في الوقت نفسه منفذة لارادته التي هي

الإرادة الإلهية الوحيدة .

فالثنائية ليست إلا في الظاهر، لأن المعركة بين الأصلين ستنتهي بالنصر النهائي لروح الخير ، وفي هذه المعركة يجد الإنسان رسالة عليه اداؤها فكانه بالإيمان الخالص وبالجهد في سبيل الحقيقة الدينية والأخلاق ، وأخيرا بالجد في الأعمال التي تؤدي الى غلبة قوى الحياة على قوى الموت، وبالمساعي المؤدية الى الحضارة وخاصة زرع الأرض، يقف بكل ذلك في صفاروح الخير .

والفكر الطيب والقول الطيب والعمل الطيب هي الاسس الثلاثة التي تنطوي عليها عبارة الأخلاق عند زردشت ، والجزء هو الجنة والعافية والخلود في مساكن « العليين » ، بينما العذاب الطويل في (مأوى الكذب) سيكون عقاب الأشرار .

وبجانب المحاكمة التي يقضيها الفرد بعد موته مباشرة ، نجد في (كاثات الاوستا) وهي العظات المنظومة التي تحوي او تمبر عن وعظ زردشت ، اشارات الى حساب عالمي عال يجريه الروح والنار ، أي روح مزدا وبلاء النار ، بلاء المعدن المذاب في آخر الزمان ، حين تنتهي المعركة الأخيرة بين قوى الروحين : الخير والشر ، بانتصار مزدا .

وقد ظلت الزردشتية مدة قرون كأنها غريبة في وسط المزدية الإيرانية القديمة ، وكان معظم ملوك الاشكانيين زردشتيين .

ومنذ طرد بختنصر اليهود ازداد عددهم في بابل والجزيرة حيث اشتغلوا بالزراعة والتجارة وبشئ الحرف ، وفي عهد الاشكانيين كثر عددهم بنوع خاص في بابل وفي المدائن ، وكذلك كان لليهود جماعات في ميديا وفارس ، وكان هؤلاء يهتمون دائما بدراسة الشريعة (شريعة موسى) والتاريخ .

وفي القرن الاول الميلادي انتشرت المسيحية عن طريق الشام وآسيا الصغرى ، فكان هناك جماعة في (أربل) ، وعلى كل حال فانه لم يكن للنصارى أي دور سياسي في عهد الاشكانيين .

وقد اتاح اختلاط الشعوب والاجناس في آسيا الوسطى ارضا صالحة لمزج المذنيات والديانات، فقد توحدت الفلسفة الاغريقية مع الديان الشرقية، ونتج عن ذلك تشابك كثير ومتنوع ، وكانت الآراء الإيرانية والسامية قد امتزجت في البيئة الارمينية منذ زمن طويل ، فالديانات الغامضة - ديانات شعوب آسيا الصغرى - قد ادخلت هناك عنصرا جديدا، والآراء الفلسفية اليونانية قد سرت الى هذا المزيج الذي أضيفت اليه نظريات كيمائية وسحرية والأمور المعنوية والقوى الطبيعية التي كانت تعد آلهة. قد ظهرت في اسماء اغريقية ، والاساطير الاغريقية والبابلية والإيرانية قد امتزجت

ايضا ، واختفت الصور الاسطورية الشرقية تحت اسماء آلهة يونانية ،
والتفرقة الدقيقة بين عالين احدهما خير الطبيعة والثاني خبثها ، دنيا النور
ودنيا الظلمات ، وما على الانسان من واجب خاص في حياته ، والجنة والنار
ويوم الحساب وبعث الدنيا والروح الكلية ، وما بين الانسان والقوى الملوكوتية
من ارتباط تام، كل هذه العلاقات المميزة للمزدية الايرانية دخلت في مجموعة
الافكار العامة في آسيا الصغرى .

أيام الساسانيين

١ - قيام الدولة الساسانية

سادت الفوضى اقليم فارس في اول القرن الثالث الميلادي واضمحلت
قوة الاشكانيين ، ويبدو ان كل بلد ذي اهمية كان له مليكه الخاص ، وكان
اهم هذه الامارات امارة مدينة (اصطخر) (٩) عاصمة ملوك فارس القدماء.
وعين (ساسان) وهو رجل من عائلة نبيلة متزوج من عائلة ملوك
(اصطخر) سادنا لبيت نار في (اصطخر) ، وقد استفاد ابنه (بابك) الذي
خلفه في وظيفته من صلته ببيت الملك فنصب واحدا من اولاده الصفار وهو
(اردشير) في الوظيفة العسكرية الكبرى على مدينة (دارابجرد) (١٠) ،
وابتداء من سنة (٢١٢م) او حوالي هذا التاريخ اصبح اردشير سيدا على
كثير من مدن هذا الاقليم وذلك بالقضاء على حكامها بينما ثار (بابك) على
قريبه ملك اصطخر (جوتجر) ودهمه في مقره وقتله وولي مكانه .

ومات (بابك) بعد قليل ، فارتقى ولده (سابور) عرش فارس ،
واشتعلت الحرب بينه وبين اخيه (اردشير) ، ولكن سابور توفي فجأة ، فمنح
اخوة (اردشير) الآخرون التاج له ولكنه قتلهم بعد ذلك خشية ان يخونوه .
وبعد ان اخمد (اردشير) ثورة في (دارابجرد) عمل على تثبيت
سلطانه بغزو اقليم (كرمان) (١١) المجاور ، فاسر ملكه ، كما غزا سواحل
الخليج العربي فسقط ملكه بسيف الفارزي .
واخيرا شبت الحرب بين (اردشير) وكبير ملوك الاشكانيين ، فقد امر

(٩) اصطخر : بلدة بفارس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٧٥/١) والمالك والممالك
للاصطخري ص (٦٨) وتقوم البلدان ص (٣٢٨) .
(١٠) دارا بجرد : ولاية بفارس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٤) وتقوم
البلدان ص (٣٣٠) والممالك والممالك للاصطخري ص (٧٦) .
(١١) كرمآن : ولاية مشهورة بين فارس ومكرآن ، انظر التفاصيل في معجم البلدان
(٢٤١/٧)

هذا الملك ملك (الاهواز) (١٢) ان يذهب لقتال (أردشير) وان يحمله مصفدا بالاغلال الى (المدائن) ، ولكن أردشير نفسه بعد ان هزم ملك (أصفهان) (١٣) اتجه لقتال ملك الاهواز فقبله في معركة حاسمة واستولى على ولايته ، ثم أخضع ولاية (ميسان) (١٤) التي كان يحكمها وقتذاك العرب الوافدون من (عمان) (١٥) سابقين في ذلك القبائل العربية التي وفدت واستقرت في (الحيرة) (١٦) غربي الفرات في نفس الوقت الذي اقامت به الدولة فيه الدولة الساسانية .

وأخيرا نشبت معركة بين جيش (أردشير) وجيش الاشكانيين بقيادة ملك الملوك الاشكاني نفسه الذي سقط في تلك المعركة قتيلًا بيد (أردشير) ، وبعد هذه المعركة التي حدثت في نيسان (ابريل) (٢٢٤ م) دخل أردشير المدائن دخول الظافر معتبرا نفسه وارث الاشكانيين .

وفي السنين التالية أخضع (بابل) و (ميديا) ومعهما (همدان) (١٧) ، وبعد أن حاصر المدينة الحصينة (الحضر) (١٨) هاجم (أذربيجان) (١٩) و (ارمينية) (٢٠) فلم يفلح في غزو هذا الاقليم أولا ولكنه تمكن منه أخيرا .

(١٢) الاهواز : جمع هوز وأصله خوز ، وكان اسمها أيام الفرس : خوزستان ، وهي سبع كور بين البصرة وفارس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٠/١) والممالك والملوك للاصطخري (٦٢ - ٦٥)

(١٣) اصفهان : وهي اسبهان ، مدينة عظيمة مشهورة من اعلام المدن وأعيانها ، واسبهان اسم الاقليم بأثره . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٦٩/١)

(١٤) ميسان : ولاية صغيرة عند مصب نهر دجلة في الخليج العربي ، وقد وردت ميسين في كتاب : ايران في عهد الساسانيين ص (٧٥) والصحيح : ميسان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٢٤/٨)

(١٥) عمان : اسم كورة عربية على ساحل الخليج العربي ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣١٥/٦)

(١٦) الحيرة : مدينة كانت على ثلاثة اميال من الكوفة على موضع يقال له النجف ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٦/٣) والممالك والملوك للاصطخري ص (٥٨) وتقويم البلدان ص (٢٩٨)

(١٧) همدان : مدينة كبيرة في ولاية الجبال من ايران ، انظر التفاصيل في الممالك والملوك للاصطخري (١١٧) ومعجم البلدان (٤٧١/٨)

(١٨) الحضر : اسم مدينة بأزاء تكريت في البرية بينها وبين الموصل والفرات . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٩٠/٣)

(١٩) أذربيجان : منطقة واسعة بين قهستان وارن ، انظر التفاصيل في آثار البلاد وأخبار العباد (٢٨٤) ومعجم البلدان (١٥٩/١) والممالك والملوك للاصطخري ص (١٠٨)

(٢٠) ارمينية : اسم صقع واسع من برذعة الى باب الابواب ، وإلى بلاد الروم . وقبل ، ارمينية الكبرى خلاط ونواحها وارمينية الصغرى تفليس ونواحها ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٠٣/١) والممالك والملوك للاصطخري ص (١٠٨) وتقويم البلدان ص (٣٨٧)

ومد سلطانه على الاقاليم الشرقية وذلك باخضاعه (سجستان) (٢١)
واقليم (خراسان) (٢٢) و (خوارزم) (٢٣) وعاصمته بلخ (٢٤)
ومن المحتمل ان يكون اردشير قد توج ملكا للملوك ايران (شاهنشاه)
بعد استيلائه على العاصمة (المدائن) بزمان قليل .

وكان للملوك الساسانيين الاول ولع طبيعي باقليم فارس الذي هو
مسقط رأسهم ، وقد أصبحت (اصطخر) المدينة المقدسة في التاريخ
الساساني وبذلك أعاد الفرس سلطانهم على شعوب ايران وقامت في الشرق
دولة جديدة سادت على قدم المساواة مع الامبراطورية الرومانية ، وكانت
المدينة الساسانية استمرارا لمدينة الاشكانيين ، وفي الوقت نفسه كانت
تجديدا وتكملة لها .

ولكن اقليم فارس وعاصمته (اصطخر) لم يعودا صالحين لاقامة
الشاهنشاه ، فقد صارت بلاد ما بين النهرين المركز الرئيسي للامبراطورية
الشرقية تبعا لضرورة التطور التاريخي ، وانتقل دور بابل السياسي الى
(المدائن) .

٢ - تنظيم الدولة

لم يكن تغير الاسرة الحاكمة حادثا سياسيا فحسب ، ولكنه يمتاز
بظهور روح جديدة في الدولة الايرانية . والطابعان المميزان لنظام الدولة
الساسانية هما : تركيز السلطان واتخاذ دين رسمي للدولة .

وقد لقيت احوال الحياة العامة والتنظيم الاداري للدولة الساسانية

(٢١) سجستان : ناحية كبيرة وولاية واسعة يحدها من الشرق مفازة بين مكران وارض
السند وشيء من عمل اللتان ومن الغرب خراسان وشيء من عمل الهند ومن الشمال ارض
الهند ومن الجنوب المفازة بين سجستان وفارس وكرمان ، انظر التفاصيل في المسالك والممالك
للإصطخري ص (١٣٩) ومعجم البلدان (٣٧/٥) وتقويم البلدان ص (٢٤٠) وآثار البلاد وأخبار
العباد ص (٢٠١) .

(٢٢) خراسان : بلاد واسعة أول حدودها من الشرق نواحي سجستان وبلد الهند ومن
الغرب مفازة الغزبية ونواحي جرجان ومن الشمال ما وراء النهر وشيء من بلد الترك ومن
الجنوب مفازة فارس وقومس ، انظر التفاصيل في المسالك والممالك للإصطخري ص (١٤٥)
ومعجم البلدان (٤٠٧/٢)

(٢٣) خوارزم : اسم اقليم يحده من الشمال والغرب الغزبية ومن الجنوب والشرق
خراسان وما وراء النهر ، انظر التفاصيل في المسالك والممالك للإصطخري (٦٨) ومعجم البلدان
(٤٧٤/٣)

(٢٤) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٦٣/٢)
والمسالك والممالك للإصطخري ص (١٥٤) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٣١)

تغيراً مختلفاً في القرون الأربعة التي دامت فيها الإمبراطورية التي أسسها (أردشير) ، ولكن الهيكل الاجتماعي والإداري الذي أنشأه أو أكمله مؤسس الأسرة الساسانية قد بقي حتى النهاية في الأمور الكبرى .

كانت هناك الطبقات الأربع الآتية أيام الساسانيين : طبقة رجال الدين أولاً ، وطبقة رجال الحرب ثانياً ، وطبقة كتّاب الدواوين ثالثاً ، وطبقة الشعب من الفلاحين والصناع أخيراً .

وقد قسمت كل طبقة إلى عدة أقسام ، فرجال الدين منهم الحكام والعباد والزهاد والسدنة والعلمون .

وتتكون طبقة المحاربين من الفرسان والرجالة ، ولكل من القسمين رتبته وموظفوه المختصون به .

وتنقسم طبقة الكتّاب إلى كتّاب الرسائل وكتّاب المحاسبات وكتّاب الإقضية والسجلات والشروط وكتّاب السر ويدخل فيهم الأطباء والمنجمون والشعراء .

وأخيراً فإن الشعب يشمل الزراعة والرعاة والتجار وسائر أرباب الحرف .

وكان لكل طبقة من هذه الطبقات رئيس .

وقد احتفظ الساسانيون بالتقسيم القديم للدولة ، التقسيم الذي يجعلها أربع إمارات ، ومنذ القرن الخامس سمي حكام الإمارات بالمرابذة ، وهؤلاء المرابذة الأربعة الكبار كانوا من طبقة الأسر المالكة ويحملون لقب : شاه ، وكان الشاهنشاه يستطيع عزل هؤلاء كلما رأى ذلك من مصلحة الدولة ، وكانوا ملزمين بالحضور إلى البلاط كل في نوبته ليقدموا حساباً عن أعمالهم .

وقد ورث الساسانيون نظام الأشكانيين الإقطاعي ، وليس لدينا معلومات محددة عن الامتيازات التي كان يتمتع بها أصحاب الإقطاعات ، ولا نعلم أكان لحكومة الملك بعض سلطان على المقاطعات التي تقع في حكمهم وهل كان لهؤلاء حصانة كاملة أو جزئية ، ولكن الذي نعلمه علم اليقين هو أن الرعايا كانوا ملزمين بأداء الخدمة العسكرية تحت رئاسة صاحب الإقطاع .

ونجد في أيام الساسانيين - اتباعاً للتقاليد القديمة - بعض المناصب العامة التي تورث ، منذ كان لبعض الأسر وظيفة تنويع الملك ، وكان بعضها يتوارث إدارة شؤون الحرب ، وثالثة تتولى الإدارات المدنية ، ورابعة يعهد إليها فض المنازعات بين المتخاصمين الراغبين في التحكيم ، وخامسة تتولى

قيادة الفرسان ، وسادسة تتولى جباية الضرائب ورعاية الكنوز الملكية ، وسابعة تتولى العناية بالأسلحة ونظام التعبئة الحربية .

أما الوظائف الوراثية الست الباقية ، فمنها ثلاث وظائف حربية وثلاث مدنية ، أما الوظائف الحربية فهي : رئاسة الشؤون العسكرية ورياسة الفرسان والقيام على الأهراء (الميرة والتموين) .

أما الوظائف المدنية فهي : رئاسة الشؤون المدنية والقيام على تحصيل الخراج ورئيس تفتيش الخزائن الملكية .

ومع ملاحظة أن الوظائف الوراثية كانت مهمة جدا ، إلا أنها لم تكن أعلى وظائف الدولة وأهمها ، فليس من المعقول أن تكون الوظائف الأولى في الدولة مثل وظائف رياسة الوزارة وقيادة الجيش وغيرها خاضعة لأن تنقل بالمراث من رجل الى آخر ، كذلك ليس معقولا ألا يكون للملك حق الخيار بين مستشاريه بل أن يكون له إذا أراد أن يتخلص من موظف كبير أن يقتله لكي يخلفه ابنه الأكبر .

والوظائف الوراثية في الدولة الساسانية كانت وظائف (شرف) تبين مكانة شاغليها ، وكانت قوة الأسر الكبيرة تستند كذلك على دخل أقطاعاتهم ثم على ما بينهم وبين رعاياهم في الإقطاع من صلة قوية ، وأخيرا يستمدون قوتهم من أنهم يستطيعون في سمر مقابلة (الشاهنشاه) ، فكان هذا يعطيهم بعض المزايا لكي يعيّنوا في أسمى وظائف الدولة .

وقد لبث أبناء البيوتات يتساندون زمنا طويلا بعد سقوط الدولة الساسانية . كتب ابن حوقل في القرن العاشر الميلادي (القرن الرابع الهجري) يقول : « وبفارس سئنة جميلة وعادة فيما بينهم كالفضيلة من تفضيل أهل البيوتات القديمة والتزام أهل النعم الأولى ، وفيها بيوت يتوارثون فيما بينهم أعمال الدواوين على قديم أيامهم الى يومنا هذا » . ويذكر المسعودي أيضا أهل البيوتات في فارس .

ونجد في تاريخ الساسانيين الذي روي بعضه في تاريخ الطبري ذكرا لاصطلاح العظماء والإشراف ، فكلمنا ذكر ارتقاء ملك جديد للعرش قيل : أن العظماء وأهل البيوتات اجتمعوا ليقدموا له فروض الولاء وليستمعوا الحديث الذي يتقدم به الى الشعب ، وأحيانا نجد الاصطلاح المركب : العظماء والإشراف ، والاصطلاح : أهل البيوتات والعظماء والإشراف ، وليس هناك أدنى شك في معرفة أي فريق من الناس يشار اليه بهذا التعبير : أنهم الضباط الكبار للدولة ، أنهم أعلى ممثلي الإدارة ، والعظماء يشملون الوزراء ورؤساء الإدارة .

ومن المحتمل أن نعد الفرسان وهم زهرة الجيش الساساني من طبقة
الاشراف ، والمفروض ان الفرسان (الاساورة) كانوا يعيشون اiban السلم من
ربيع اراضيهم ، فكانوا يزرعونها ويباشرون فلاحتها .

والى جانب هذا كانت طبقات النبلاء الذين هم في الدرجة الثانية وهم :
رؤساء العائلة ورؤساء القرية يستمدون قوتهم من الملكية الوراثية للادارة
المحلية ، وكان الدهاقين كمجلات لا غنى عنها في آلات الدولة قليلا ما يظهرون
في الحوادث التاريخية الخطرة ، ومع هذا كانت لهم قيمة لا تقدر من حيث
انهم أساس متين للادارة وبناء الدولة . والدهاقين هم الرؤساء وملاك
الاراضي والقرى ، ولكن في أغلب الاحوال لم تكن الاراضي المزروعة
التي تؤول الى الدهاقين بالميراث واسمة جدا ، وأحيانا
لم يكن الدهقان نفسه الا اول فلاحى الناحية ، فلم يكن اذا الدهقان
ما للسادة مالكي الاراضي من الارستقراطية الرفيعة ، بل كانوا يمثلون
الحكومة امام حراث الدولة ، وعلى هذا الاعتبار كانت وظيفة الدهاقين
الاصلية ان يستلموا الضرائب واليهم يعود الفضل - خاصة وان الدولة
القليلة الخصب - استطاعت بوجه عام ان تتحمل النفقات التي اقتضتها
المعيشة المترفة في بلاط الملك وان تقدر على الحروب التي تتطلب تكاليف
باهظة من غير أن تنوء بهذا العبء ، اذ كانوا يعرفون البلاد وسكانها معرفة
جيدة ؛ وبعد الفتح الاسلامي لم يستطع الفاتحون أن يستولوا على ما في
ايران من النقود التي جمعها ملوك الساسانيين دون أن يتحالفوا مع
الدهاقين .

٣ - الادارة المركزية

أ - رئيس الوزراء

كان كبير الوزراء رئيسا للادارة المركزية ، وكان مكلفا بادارة دفة الامور
في الدولة تحت رقابة الملك ، وكان في كثير من الامور يتصرف بما يرى ؛ وكان
يقوم مقام الملك حين يكون هذا في رحلة او في الحرب ، وكانت المفاوضات
الدبلوماسية من اختصاصه ، وكان يحصل على قيادة الجيش احيانا .

والخلاصة انه وهو مستشار رئيسي للملك كان يجمع في يديه كل ادارة
الدولة ، وكان يتدخل في كل شيء . ورئيس الوزراء الامثل كان الكامل في
ثقافته ، الممتاز في سلوكه ، المتقدم على اهل زمانه ، النبيل الطبع ، الحذر ،
الذي له من الحكمة العملية والنظرية ، القادر على التأثير على الملك الا اذا اتبع
الهوى .

وكانت سلطة رئيس الوزراء محدودة بثلاثة تحديدات : الاولى : أنه

لم يكن في سلطته أن يعين بنفسه خلفه أو من يقوم مقامه . والثانية ، لا يجوز له أن يطلب إقالته من الشعب لأنه يتصرف باسم الملك لا باسم الشعب . والثالثة ، لا يستطيع أن يعزل أو ينقل الموظفين الذين عينوا بناء على أمر ملكي من غير استئذان الملك .

لقد كان ملوك فارس بمجدون وزراءهم أكثر من أي ملك آخر ، وكانوا يقولون : « ان الوزير هو منظم أعمالنا وزينة دولتنا ، انه لساننا الذي نعبّر به وسلاحنا الذي اتاح لنا أن نضرب أعداءنا في البلاد البعيدة » .

ب - رجال الدين :

كان رجال الدين في الاصل قبيلة ميدية او بالاحرى كانوا طبقة خاصة بين الميديين ، وكان لهم الرياسة الروحية في الديانة المزدية غير الزردشتية ، وعندما اجتاحت الزردشتية الاقاليم الغربية : ميديا وفارس بمفناها الخاص اصبح هؤلاء هم السادة الروحانيين للدين الجديد ، وكان يطلق عليهم أيام الاشكانيين والساسانيين (المغان)

وقد استمر (المغان) يعدون انفسهم قبيلة ويعتبرون انفسهم طبقة من الناس نشأوا من قبيلة واحدة وجبلوا على خدمة الآلهة .

وقد سار رجال الدين في الدولة الساسانية مع نبلاء الاقطاع جنباً الى جنب ، وفي اثناء عهود الانحلال كان رجال هاتين الطبقتين : رجال الدين والنبلاء يتحدون ضد الملك ، ولكنهما ظلا دائماً طائفتين منفصلتين ، لكل منهما تطوراتهما الخاصة بها .

وكان الرؤساء الروحانيون يختارون دائماً من بين قبيلة المغان التي تزايدت على مر العصور ، وكان رجال الدين ينسبون انفسهم نسباً يرجع الى التاريخ الخرافي المجيد لايران ،

وقد اسبغت السلطة الروحية على السلطان الديني طابعها المقدس ، وكانت تدخل في الوقت نفسه في حياة كل فرد في كل أمر مهم ، فهي بهذا المعنى كانت تلازم الرجل من المهد الى اللحد ؛ فكان الجميع يجثؤون المغان وينظرون اليهم بكثير من التعظيم ، فالاشغال العامة منسقة وفق نصائحهم وارشادهم ، وهم يتولون بنوع خاص قضايا المتخاصمين فيقومون عليها بعناية تامة ثم يقضون فيها ، ولا يحل الفرس أي شيء أو يرونه عادلاً ما لم يقل رجال الدين بذلك ،

ولا يستند تأثير المغان الى سلطانهم الروحي والى حق القضاء الذي خولتهم الدولة ، والى سلطانهم في اثبات شهادات الميلاد وعقود الزواج

وغيرها ، والى قيامهم بالتطهير ورعاية القرابين فحسب ، ولكن تأثيرهم يستند أيضا الى أراضيهم التي يملكونها والى مواردهم الفزيرة التي يجنونها من الغرامات الدينية والعشور والهبات ، ومن ناحية أخرى كانوا يتمتعون باستقلال بعيد المدى - انهم كانوا يكوّنون دولة داخل الدولة تقريبا .

وفي أيام سابور الثاني ، كانت ميديا - وخاصة اذربيجان اقليم المغان ، وهناك كانت أراضيهم الخصبة ، وكانت لهم بيوت قروية لم تكن لها اسوار لحفظها ، وكانوا يعيشون وفقا لقوانينهم الخاصة ، وبالجمله كان كبار رؤساء هذه الطائفة يملكون عقارات كبيرة .

ورجال الدين الزردشتيون يكوّنون جماعة منظمة غاية التنظيم ولها درجات منسقة ، والمغان كانت الطبقة الكبيرة من رجال الدين الصغار ، وكان رؤساء المعابد يلقبون (مغان مع) والطبقة العليا من رجال الدين تشمل الموبادة ، وكانت الدولة كلها مقسمة الى مراكز دينية على راس كل منها (موبد) .

ورئيس الموبادة جميعا الذي هو عند الزردشتيين بمثابة (البابا) عند النصارى يدعى : موبدان موبد ، ولم يكن لهذا المنصب أهمية بالغة ، الا حين أصبح الدين الزدي دينا رسميا للدولة الساسانية .

وكان للموبدان موبد السلطة العليا في المسائل الدينية ، فاليه يرجع الفضل في المسائل النظرية في الاصول والفروع ، وهو الذي يفتي في المسائل العلمية وفي السياسة الروحية ، وهو الذي يعين ويعزل الموظفين الدينيين ، ومن ناحية أخرى كان الملك يعينه ، وهو يشترك في تكوين محاكم التفتيش وخاصة الاقاليم التي يشتد فيها العداء للدين ، وكان مستشارا للملك في جميع الاحوال التي تمس الدين ، وكان له تأثير قوي في جميع شؤون الدولة بوصفه الرائد الخلقى والمرشد والمسير الروحي للملك .

وكان الهراذة (٢٥) يديرون المراسيم الدينية في المعابد الدينية مما يتطلب معارف خاصة وتجربة عظيمة ، والدليل على ما كان يتمتع به الهراذة من الشرف ان أحدهم كان يحكم اقليم فارس اميرا دينيا في القرن السابع حين فتح العرب المسلمون هذا الاقليم .

والرئيس الاعلى للهراذة هو الهريذان هريذ ، وهو يظهر في بعض عصور العهد الساساني بين اعظم الشخصيات تاليا للموبدان موبد ، وكانت الوظائف القضائية من اختصاص الهريذان هريذ ، وهو رجل دين ومشرع يلجأ اليه

(٢٥) الهراذة : جمع هريذ وهو خادم النار ، أنظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ، نشر « فان فولتن » ص (٢١٦) - نقلا عن هامش : ايران في عهد الساسانيين ص (١٠٧)

الناس لحسم القضايا المشبهة فيها .

وكان لرجال الدين في علاقاتهم مع الجمهور ، وظائف متعددة ومتفاوتة :
اجراء احكام الطهارة ، والاعتراف ، والعفو ، والغفران ، والحكم بالفرامة بعد
الاقرار بالذنب ، واقامة المراسيم العادية في المواليد وفي وضع الحزام المقدس
والزواج والجنائز وسائر الاعياد المختلفة .

واذا عرفنا كيف ان الدين يتدخل في اقل امور الحياة اليومية شأننا
والى اي حد كان الفرد العادي معرضا ، ليلا ونهارا ، لان يقع في الائم او
التجاسة لأقل غفلة تبدو منه لفهمنا ان وظيفة رجال الدين لم تكن قط وظيفة
تشریف ، وان رجل الدين الذي لم يرث متقولا أو عقارا يستطيع بسهولة
ان يجني ثروة طائلة بفضل أعماله المختلفة .

وكان على الفرد ان يصلي للشمس أربع مرات اثناء النهار ، وعليه
ان يصلي للقمر والنار والماء ، وعليه ان يرتل الادعية قبل النوم وحين يضحو
واثناء الاستحمام والتمنطق بالحزام واثناء الاكل وحين يذهب الى الضرورة
واذا عطس واذا حلق شعر راسه او قلم اظافره وحين يضيء السراج وهكذا ،
ونار البيت لا يجوز ان تخبو ولا يجوز ان تقع الشمس على النار ، ولا يجوز
ان يقترب الماء والنار ، وآتية المعدن ينفي الا تصدا لان المصادن كانت
مقدسة ، والمراسيم الضرورية للتطهير من لس ميت او امراة حائض او
نفساء وخاصة اذا وضعت طفلا ميتا - كل هذه التكاليف كانت متبعة للغاية
وصعبة جدا .

ولم يكن تنفيذ مراسيم الحفلات الدينية كل ما على رجال الدين من
أعباء ، بل كان عليهم توجيه الشعب أخلاقيا ، وكانت لهم حكومة الأرواح ،
وكان التعليم الابتدائي والعالي بوجه عام في أيدي رجال الدين وهم يختصون
وحدهم بجميع فروع علوم الزمان ، وقد كان هناك آداب دينية وفقهية
منسقة للغاية ، عدا الكتب المقدسة وشروحها .

ج - المالية :

يلي (رئيس الزراعة) (٢٦) رئاسة الضريبة العقارية ، فان على الزراعة
يقع عبء الضريبة العقارية ، وبما ان الضريبة تفرض حسب الخصوبة وجودة
زراعة القرى او رداءتها ، فقد أصبح على رئيس الزراعة أن يسهر على زراعة
الأرض وربها وغير ذلك .

ورئيس الزراعة يلقب أيضا : رئيس الصنائع او رئيس كل من يمتهن

(٢٦) رئيس الزراعة : يطلق عليه - واستر بوشانسالار .

حرفة يدوية عبيدا او حراثين او تجارا ، فكان عليه في الجملة أن يكون وزير المالية ، وكانت هذه الوزارة تتضمن وزارات الزراعة والعمل والتجارة .

ومن بين كبار موظفي المالية ، ولاة الخراج ، ورئيس محاسبي البلاط أو القصر الذي يقيم به الملك ، ووالي الخراج الذي تتقاضاه الدولة ، ووالي خراج اذربيجان ، وحارس المسكوكات . وكانت المصادر الرئيسية للدخل في الدولة تتكون من ضريبتين : العقارية والشخصية ، وكانت الضريبة الشخصية تحدد مرة واحدة بمبلغ سنوي محدد .

وكانت الضريبة العقارية تجبى بنفس الطريقة ، فان التقدير يتم حسب ما تنتجه الارض من غلات ، وعلى كل قرية أن تدفع من السدس الى الثلث حسب خصوبة الارض .

ولكن توزيع وتحصيل الضرائب كثيرا ما كان سببا في الجور وسوء الحسيلة من ناحية الموظفين ، ولانه تبعاً لهذه الطريقة كانت تتفاوت كثيرا من سنة لأخرى ، فانه كان من غير الممكن عمل حساب تقريبي مقدما للحالة المالية واستخدام ما يجبي منها ؛ ومن ناحية أخرى كانت الرقابة على ذلك غاية في الصعوبة ، وكان ينتج عن كل ذلك غالبا أن تفاجئ الحرب الدولة فيعوزها المال ، وفي هذه الحالة كان ينبغي فرض ضرائب استثنائية ، وكان عبؤها الفادح يقع غالبا على الاقاليم الغريبة الغنية وخاصة العراق .

وكثيرا ما يشار الى اعفاء الزراع من الضرائب الباقية عليهم حسب النظام القديم ، وقد كان ذلك للملك الجديد وسيلة لتقريبه من الشعب .

ويضاف الى الضرائب المنظمة الهبات العادية والتي يحسب منها التحف التي تقدم للملك جبزا في عيدي النوروز والمهرجان . ومن أهم موارد الدخل ما تملكه الاملاك الخاصة (املاك الملك) وما كان للملك من حقوق على الموارد الاخرى ، وقد كان من بين هذه الحقوق - حقوقه في مناجم الذهب بأقليم فارس وارمينية ، وكانت غنائم الحرب موردا غير منظم من موارد الدخل .

وكذلك كان دخل الجمارك موردا من موارد الدخل .

ونفقات الدولة كانت تنصب غالبا على الحرب ومصاريف البلاط ورواتب الموظفين وعلى الابواب اللازمة لتسيير دولاب العمل العادي في الدولة ثم في الاشغال العامة لتيسير زراعة الارض وانشاء الجسور والمحافظة عليها وحفر الترع وهكذا ، ولو أن المتبع غالبا ان تفرض على اهل الجهة التي تستفيد من مشروع عام ضرائب استثنائية حتى يتيسر تنفيذه .

وكان الملك حين يعفي رعاياه من المتأخر عليهم من الضرائب يوزع احيانا

هبات مباشرة ، على الفقراء .

ان ما ينفق من الميزانية في سبيل الخير العام لم يكن كثيرا ، لان ملوك ايران من عادتهم ان يجمعوا في خزائهم أقصى ما يستطيعون من الاموال والنقائس .

وعند ارتقاء ملك جديد كانوا يذيبون النقود المتداولة ثم يعيدون سبكها باسم الملك الجديد ورسمة ، وكذلك تكتب الوثائق المحفوظة من جديد باسمه مع التغييرات التي لا غنى عن اجرائها .

د - الصناعة والتجارة والمواصلات :

كانت البلاد تنتج الذهب والفضة والبلور الصخري والجواهر النادرة والمواد الثمينة المختلفة ، وصناع ايران يجيدون نسيج السندس الحريري والاقمشة الصوفية والسجاد وغيرها .

وقد اعتاد الإيرانيون انشاء مستعمرات من اسرى الحرب لادخال فروع جديدة في الصناعة ولزراع الارض البور وللقيام بالاعمال الهندسية كالانشاء السدود .

وكانت التجارة البرية تتبع طرق القوافل القديمة .

اما عن المواصلات مع الامبراطورية الرومانية فقد كانت مدينة (نصيبين) مركزا هاما لها ، وكانت التجارة البحرية مهمة ، وقد اخذت السفن الفارسية تمر عبر باب البحار الشرقية كلها ، فبدت منافسة للاسطولين الروماني والحشي اول الامر ، ثم صارت قوة متفوقة بعد ذلك .

وكان الحرير اهم اصناف تجارة الترانزيت عند الفرس ، ولكن كان يحجز بفارس مقدار كبير جدا من الحرير الخام المستورد من الصين لينسج بها ، وكان الفرس يستطيعون دائما بيع منتجاتهم الحريرية للبلاد الغربية بالاسعار التي يحددها بأنفسهم .

وكان الصينيون يشترون ضمن البضائع الفارسية الكحل الإيراني المشهور ، وكانوا يدفعون فيه ثمنا باهظا ، كذلك كانت السجاجيد البابلية من البضائع المطلوبة ، وكان الفرس يصدرن للصين الاحجار الثمينة السورية - طبيعية وصناعية - والمرجان واللؤلؤ من البحر الاحمر والاقمشة المنسوجة في الشام ومصر والمواد المخدرة من آسيا الصغرى .

واما نظام البريد فقد كان مسخرا لمصالح الدولة لا لمصلحة الرعية ، فكان غرضه الاول ضمان مواصلات سريعة مريحة بين الحكومة المركزية

وإدارة الأقاليم ، فكانت الأشخاص والرسائل تسير في طرق معبدة ، وكانت المنازل (المحطات) مزودة حسب أهميتها بالموظفين والخيول ، وكان هناك سعاة للبريد يركبون الخيل وآخرون من العدائين ، وهؤلاء كانوا يستخدمون بنوع خاص في الأقاليم الإيرانية الخالصة ، حيث المسافات بين المحطات أقصر كثيرا جدا مما في البلاد السورية أو العربية ، التي كان يستخدم في جزء منها بريد الجمال .

هـ - الجيش :

كان الجيش خاضعا لقائد عام واحد ، ولكن سيطرة هذا القائد كانت أوسع من سيطرة قائد الجيش بالمعنى الحديث ، فقد كانت وظيفته تشتمل أعباء ثلاثة : وزارة الحرب ، وقيادة الجيش العليا ، والقيام بمفاوضات الصلح .

أما أنه كان يسيطر على تنظيم الجيش الإمبراطوري وتدبير أموره فلأنه عضو في الدائرة الصغيرة من مستشاري الملك ، وكانت أمور الحرب ترفع إليه بوصفه وزيرا ، ولكننا مع ذلك نذكر أن سلطة رئيس الوزراء لم تكن محدودة بالدقة ، فكان يستطيع دائما أن يتدخل في إدارة الجيش ، وأن الملك كان يتدخل في معظم الأوقات في المسائل الهامة المتعلقة بالحرب ، وكان أكثر ملوك الساسانيين شغوفين بالحرب واشتركوا فعلا في أعمالها .

وكان من مزايا القواد أن يدخلوا المعسكرات على صوت الطبل .

وكان هناك رئيس للحرس الملكي ، وكانت فرق من المشاة بأمرة رئيسهم تحت تصرف موظفي الأقاليم شرطاً أو جلادين وغير ذلك ، وكانت فرق الرماة بأمرة قائدها تلحق بالقرية في بعض أنحاء المملكة على الأقل ، وكان في البلاط جنود الحرس غالبا ملزمين بعمل الجلادين .

وكان هناك موظف كبير هو مؤدب الاساورة ، واجبه أن يعمل على تعليم أبناء المحاربين في المدن والرساتيق (٢٧) حمل السلاح وآدابه .

و - الكتاب وموظفو الإدارة المركزية :

إن الجاه الذي كان يتمتع به طبقة الكتاب في إيران واضح غاية الوضوح ، فإن الإيرانيين كانوا دائما يُعْتَبَرُونَ بالشكل ، فالوثائق الرسمية ومراسلات الأفراد ينبغي أن تصاغ صوغا أنيقا ، فتختلط بها نبد من أقوال الحكماء والحكم الخلقية والدينية والأشعار والألفاظ الرائقة لكي تكون الرسالة أو

(٢٧) الرستاق : كل موضع فيه مزادع وقرى ، انظر معجم البلدان (٣٧/١ - ٣٨)

الوثيقة قطعة جميلة ، كما ان الطريقة التي يصاغ بها الكتاب ويوجه يراعى فيها الفوارق بين رتبتي المرسل والمرسل اليه مراعاة دقيقة .

ويبدو الميل الى البلاغة الشكلية في الآداب البهلوية أو في احاديث العرش التي يبدأ بها كل ملك جديد ، كما يظهر ذلك أكثر وضوحا بين الهيئات المختلفة أيام الدولة الساسانية ، وبين الدولة وغيرها من الدول .

وكانت الكتابة صناعة مشتملة على قياسات خطابية وبلاغية ، ينتفع بها في المخاطبات بين الناس على سبيل المحاوراة والمشاورة والمخاصمة في المدح والذم ، والاحتياال والاستعطاف والاغراء وتكبير الاعمال وتفسير الامور ، والتصرف في وجوه الاعتذار والعتاب ، وفي احكام العلائق ، والتذكير بالسوابق ، وترتيب الكلام وتنظيمه في كل واقعة على الوجه الاول والمناهج الاخرى ، فينبغي ان يكون الكاتب كريما الاصل شريف العرض ، دقيق النظر ، عميق الفكر ، ناقب الراي ، وان ينال الحظ الاوفر والنصيب الاكبر من الادب وثمراته ، وينبغي ان يكون بعيدا من القياسات المنطقية غريبا عنها ، وان يعرف مراتب ابناء الزمان ومقادير اهل العصر ، والا يشغل بحطام الدنيا وزخارفها ، ولا يلتفت الى التحسين والتقبيح من الاغراض وأولي الغماض ولا يفتر بهم ، وينبغي بعد هذا ان يكون حسن الخط ، وكان اذكى الكتاب واحسنهم خطا يستخدمون في البلاط الملكي ، أما الآخرون فكانوا يرسلون الى الاقاليم .

كان الكتاب اذاً دبلوماسيين حقيقيين ، فقد كانوا يمثلون كل انواع الوثائق ويسيطرون على مراسلات الدولة ويصوغون جميع الاوامر الملكية ، وينظمون قوائم الضرائب وحسابات الدولة ، وكان عليهم في الكتابة للاعداد وخصوص الملك ان يقسطوا في كتابتهم ويراعوا الظروف التي يكتبون فيها ، فيطبعوا كتابتهم بالمسألة او التهديد والوعيد .

وكان رئيس كتاب الدولة في بعض الاحيان يعين من بين حاشية الملك ، وكان الملك يعهد اليه حسب الظروف بمهام دبلوماسية .

وكان كتاب الدولة كما عددهم الخوارزمي (٢٨) كما يلي : كاتب الاحكام - كاتب البلد للخراج - كاتب حساب دار الملك - كاتب الخزائن - كاتب الاصطبلات - كاتب حسابات النيران ، كاتب الاوقاف (٢٩) .

وكان في بلاط ملك ايران كاتب مختص بالشؤون العربية ، وكان يتخذ أيضا مترجما ، وكان يؤجر من عرب الحيرة .

(٢٨) نقلا عن كتاب : ايران في عهد الساسانيين ص (١٢٤)

(٢٩) كاتب الاوقاف : هو القائم على اعمال البر .

وكان هناك كاتب يعمل معلما لابناء الاسر الكبيرة باسم : معلم البلاط .
وهناك موظفون آخرون كانوا قوّاما على الاختام ورؤساء لديوان الاخبار ،
وكان لأمناء سجلات الملك مرتبة عالية كذلك .

وكان الوزراء والكتاب يعينون غالبا من طائفتين من العظماء ينسب
بعضهم عن بعض .

ز - ادارة الاقاليم :

ومن كبار موظفي الدولة حكام الاقاليم (المرازبة) ، وهم يقيمون
بأقاليمهم ، ومن الاقاليم ، ارمينية وفارس وكرمان وأصفهان وأذربيجان
وطبرستان (٣٠) وزرنج (٣١) والبحرين وهراة (٣٢) ومرو (٣٣) وسرخس (٣٤)
ونيسابور (٣٥) وطوس (٣٦)

وكانت مساحة بعض هذه الولايات صغيرة نسبيا ، وبالجملّة فانه يبدو
انه لم يكن للولايات ايام الساسانيين حدود ثابتة ، وكان الملك يرسل مرزبانا
الى احدى الولايات حيث يحتاج اليه فيها ، وكان الملك يجمع أو يقسم
الولايات حسب المصلحة ؛ ويبدو أن معظم المرازبة كان يقبل عليهم الطابع
المسكري على الطابع المدني ، فان الادارة المدنية في جزء كبير من الولايات
والنظام المركزي القوي في العهد الساساني كانت بأيدي موظفين مرؤوسين
فيما يخص الجهات الصغيرة (المدن والقرى) ، وفي أثناء الحرب كان المرازبة
يعملون قوادا في الجيش .

وكان المرازبة يختارون من بين النبلاء ، وكان لبعض المرازبة قصر في

-
- (٣٠) طبرستان : أكبر مدنها (آمل) وهي منطقة كثيرة المياه والثمار والانهار . انظر
التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري ص (١٢٤) ومعجم البلدان (١٧/٦)
(٣١) زرنج : مدينة هي قبة سجستان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٥/٤)
والممالك والممالك للاصطخري ص (١٢٩) .
(٣٢) هراة : مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان ، انظر التفاصيل في معجم
البلدان (٤٥/٨) والممالك والممالك للاصطخري ص (١٤٩) وتقويم البلدان ص (٤٥٤).
(٣٣) مرو : أشهر وأكبر مدن خراسان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٢/٨ - ٣٣)
والممالك والممالك للاصطخري ص (١٥٢) وتقويم البلدان (٤٥٤) .
(٣٤) سرخس : مدينة قديمة من نواحي خراسان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان
(٦٥/٥) وتقويم البلدان ص (٤٥٤) .
(٣٥) نيسابور : مدينة عظيمة من مدن خراسان ، انظر التفاصيل في آثار البلاد وأخبار
العباد ص (٤٧٣) ومعجم البلدان (٣٥٦/٨) .
(٣٦) طوس : مدينة بخراسان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧٠/٦) وتقويم البلدان
ص (٤٥٠)

العاصمة ، ومن التشريف الممتاز للمزبان أن يمنح عرشا من الفضة .
 وكانت الولايات مقسمة الى مديريات يرأسها وال له جماعة من
 الجند تحت تصرفه ، وكان هؤلاء الولاة مديرين للاملاك الملكية ولعلمهم كانوا
 يستمرون في مباشرة هذه الوظيفة حتى ولو كانوا حكاما عسكريين في الاقاليم
 التي توجد بها هذه الاملاك .
 اما التقسيم الى كور (جمع كورة) (٣٧) ، فكان تقسيما اداريا بحتا ،
 وكان على راس الكورة : رئيس الكورة ، والكورة تقسم الى قرى على راسها :
 رئيس قرية .

الزردشتية دين الدولة

اتحد الساسانيون منذ بداية عهدهم مع رجال الدين الزردشتيين ،
 وقد استمرت الصلات الوثيقة بين الدولة والدين طوال العهد الساساني .
 امر اردشير الاول بعد ان ولي عرش ايران بجمع النصوص المبعثرة من
 الاوستا (٣٨) الاشكانية ، وبكتابة نص واحد منها ، ثم اجيز هذا النص
 واعتبر كتابا مقدسا .
 ثم جاء سابور الاول ابن اردشير وخليفته ، فادخل في هذه المجموعة من
 الكتب المقدسة التي لا تتعلق بالدين والتي تبحث في الطب والنجوم وما
 وراء الطبيعة التي كانت موجودة في الهند واليونان وغيرها من البلاد .
 وقد امر سابور بوضع نسخة من الاوستا في بيت (آذرکشنسب) في
 (شيز) (٣٩) ، واضيفت اليها الزبادات الجديدة ، ولكن الخلافات الدينية
 ظلت مستمرة ، فأمر سابور الثاني لكي يضع حدا لهذه الخلافات بمقد مجمع
 مقدس يرأسه المؤبدان موبد الذي حدد نهائيا نص الاوستا وقسمها الى واحد
 وعشرين سورة على عدد كلمات الصلاة المقدسة تقع كل سورة في مائتي
 ورقة (٤٠)

والاوستا الساسانية التي لم يبق منها اليوم غير اقلها ، جمع لنصوص
 بهلوية ترجع الى القرن التاسع ، لم تكن قاصرة على النصوص الخاصة
 بالعبادات فحسب ، بل كانت في الوقت نفسه نوعا من دائرة معارف تحوي
 العلوم كلها ، فعلوم المبدأ والمعاد واساطير الاولين والنجوم وعلم التكوين

- (٣٧) الكورة : كل صقع يشتمل على عدة قرى ، ولا بد لتلك القرى من قصبة او مدينة
 او نهر يجمع اسمها ، ذلك اسم الكورة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦/١)
 (٣٨) الاوستا : الكتاب المقدس للزردشتيين
 (٣٩) شيز : اقليم باذربيجان
 (٤٠) فجر الاسلام (١٢٤/١ - ١٢٥)

والعلوم الطبيعية والتشريع والحكمة العملية للعهد الساساني ، كلها مقتبسة من الواحد والعشرين سورة التي تنقسم اليها الاوستا .

ومختصر الاوستا الموجود حاليا غير متناسب الاجزاء ، ففي بعضه وخاصة فيما يتناول المسائل الفقهية نجد بيانات مفصلة ، بينما اجزاء اخرى ولا سيما ما يتناول المبدأ والمعاد منها ملخصة في بضع كلمات ؛ كما يحتوي على مقطعات في الشعائر الدينية وفي قوانين المعابد الزردشتية .

وقد عامل المسلمون في الفتح الزردشتيين معاملة أهل الكتاب ، وعدّوا كتابهم كأنه كتاب منزل ، وجرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ذلك لما روي له الحديث الشريف ، « سنوا بهم سنة أهل الكتاب ، الخ » (٤١) ، وقد رأينا ان معظم الاوستا الساسانية كان موجودا الى القرن التاسع الميلادي في الترجمة البهلوية ، فلا شك ان الظروف المادية القاسية التي كان عليها المجوس في ذلك الوقت جعلت من الصعب عليهم الاستمرار في استنساخ هذه المجموعة الكبيرة من النصوص المقدسة ؛ ونفهم من ذلك أنهم تركوا الاجزاء المتعلقة بمسائل الفقه يطويها النسيان ذلك لانها قليلة الخطر لعدم وجود دولة مجوسية تطبق أحكام هذا الفقه .

فمن هو زردشت Zoroaster وما هي تعاليمه وفلسفته ؟
اشتهر الفرس - والجنس الآري عامة - بأنهم ميالون الى عبادة مظاهر الطبيعة ، فالسما الصافية والضوء والنار والهواء والماء ينزل من السماء ، جذبت أنظارهم وجعلتهم يعبدونها على أنها كائنات الهية ، حتى سمو الشمس : عين الله ، والضوء : ابن الله ، كما أن الظلمة والجذب ونحوهما كائنات الهية شريرة ملعونة .

ثم جاء بعد (زردشت) نبي الفرس ، فدعا الى تعاليم جديدة أسست على الديانة القديمة بعد اصلاحها .

وقد كان وجود (زردشت) نفسه موضع شك عند كثيرين وموضوع جدل بين النافين والمثبتين ، واختلف المثبتون في تاريخ وجوده على أقوال تتروّد بين سنة (٦٠٠) قبل الميلاد و (٦٠٠) قبل الميلاد ، وقد ألف الأستاذ (جاكسن Jackson) كتابا قيما في حياته (٤٢) كان له اثر كبير في ترجيح كفة المثبتين لوجوده ، وقد وصل في بحثه الى أن زردشت شخص تاريخي لا خرافي ، وأنه كان من قبيلة ميديا (في الجزء الغربي الشمالي من فارس) ، وقد ظهر أمره نحو منتصف القرن السابع قبل الميلاد ومات نحو

(٤١) فجر الاسلام (١ / ١٢٤ - ١٢٥)

(٤٢) اسمه : (Life of zoroaster)

سنة (٥٨٣) قبل الميلاد بعد أن عمر (٧٧) سنة ، وأن موطنه كان أذربيجان (٤٣) ، ولكن أول نجاح ناله كان في (بلخ) ، وأن دينه انتشر من بلخ الى فارس كلها .

لقد بنى الفرس قبل زردشت تعاليمهم على أساسين : الاول ، أن لهذا العالم قانونا يسير عليه ، وأن له ظواهر طبيعية ثابتة . والثاني ، أن هناك نزاعا وتصادما بين القوى المختلفة ، بين النور والظلمة ، والخصب والجذب . الخ ، فجاءت تعاليم زردشت مبنية على هذين الأساسين أيضا ، إلا أن مَنْ قبله كانوا يعبدون الأرواح الخيرة وهي كثيرة . فوجدوها زردشت في اله واحد هو : (أهورا مزدا) ، وكذلك فعل في قوى الشر فحصرها في شيء واحد سمي (ذروج أهرمن) ، وبذلك عنده قوتان فقط : قوة الخير وقوة الشر .

والمشهور من تعاليمه أنه يقول : أن للعالم أصليين أو الهين : أصل الخير وهو (أهورا) أو (أهورا مزدا) ، وأصل الشر وهو (أهرمن) (٤٤) ، وهما في نزاع دائم ؛ ولكل من هذين الأصليين قدرة الخلق . فاصل الخير هو النور وقد خلق كل ما هو حسن وخير ونافع ، فخلق النظام وخلق الحق وخلق النور وكتب الحراسة والديك ونحو ذلك من الحيوانات النافعة ، والواجب على المؤمن العناية بها . وأصل الشر هو الظلمة ، وقد خلق كل ما هو شر في العالم ، فخلق الحيوانات المفترسة والحيات والافاعي والحشرات والهوام ، وعلى المؤمن قتلها ، والحرب بين هذين الروحين سجال ، ولكن الفوز النهائي لروح الخير ، والناس في الحرب ينحازون الى الروحين ، فمنهم من ينصر (أهورا) ومنهم من ينصر (أهرمن) ، وليس الروحان يباشران الحرب لأنفسهما بل بمخلوقاتهما .

وكان الانسان موضع نزاع بين الروحين ، لانه مخلوق (مزدا) ، ولكنه خلقه حرّ الإرادة ، فكان في الامكان أن يخضع للقوى الشريرة ؛ والانسان في حياته تتجاذبه القوتان ، فان هو اعتنق ديننا حقا ، وعمل عملا صالحا ، وظهر بدنه ونفسه ، فقد أخزى روح الشر ونصر روح الخير واستحق الثواب من (مزدا) ، والا قوى روح الشر وأسخط عليه (مزدا) .

كذلك من أهم مبادئه ، أن أشرف عمل للانسان : الزراعة والعناية بالماشية ، فحبب الى الناس أن يزرعوا وأن يعيشوا مع ماشيتهم ، وأن يجتدوا ، ويعملوا ، حتى حرّم على أتباعه الصوم لانه يضعفهم عن العمل ، وهو

(٤٣) انظر الملل والنحل للشهرستاني (٧٧/٢ - ٨١)

(٤٤) يسمى أيضا اله الخير (يزدان) وفي ذلك يقول أبو العلاء المعري :

فقال اناس - باطل زعمهم فراقب الله ولا تزعمين
فكفر (يزدان) على غيرة فصيح من تفكيره أهرمن

يريدهم أقوياء عاملين .

وعلم أن الهواء والماء والنار والتراب عناصر طاهرة يجب ألا تنجس، وكان من مظاهر هذا تقديس النار واتخاذها رمزا ، وتحريم تنجيس الماء الجاري ، وتحريم دفن الموتى في الأرض ونحو ذلك (٤٥) .

ومع هذا فإن مكانة النار أعظم في الدين الزردشتي ، وتُميّز الأوستا بين خمسة أنواع من نار المعابد وهي أيضا النار التي ينتفع بها الناس عادة ، وهي النار التي توجد في جسد الإنسان والحيوان ، وهي النار التي توجد في النباتات ، وهي النار الكامنة في السحاب أي الصاعقة ، وهي النار التي تشتمل أمام (أهورا مزدا) في الجنة ، وقد اعتبر المجد الذي يصاحب الملوك الشرعيين الأربعين تجليا لهذه النار ، النار السماوية .

كان الزردشتيون يقدسون الماء إلى حد أنهم لا يفسلون به وجوههم ولا يلمسونه ، إلا أن يكون ذلك للشرب أو ريّ الزرع .

وللإنسان حيتان : حياة أولى ، وفيها قد أحصيت أعماله في كتاب ، وعندت سيئاته ديوانا عليه ، وفي الأيام الثلاثة التي تعقب الموت تحلق نفس الإنسان فوق جسده ، وتنعم أو تشقى تبعا لأعماله ، ومن أجل هذا تقام الشعائر الدينية في هذه الأيام أيناسا للنفس ؛ وعند الحساب تمر النفس على صراط ممدود على شفير جهنم ، وهو للمؤمن عريض سهل المجاز ، وللكافر أرق من الشعرة ؛ فمن آمن وعمل صالحا جاز الصراط بسلام ، ولقي (أهورا) فأحسن لقاءه وأنزله منزلا كريما ، وألا سقط في الجحيم وصار عبدا لأهرمن ، وإن تعادلت سيئاته وحسناته ذهبت الروح إلى الاعراف إلى يوم الفصل .

وقد غيب على الإنسان في حياته الدنيا ما أعد له بعد موته ، ولم يعلم الخير من الشر ، فكان من رحمة الله أن أرسل رسولا يهدي به الناس .

ويذكر زردشت أن يوم القيامة قريب ، وأن نهاية هذه الحياة ليست بعيدة ، وسيجمع (مزدا) قوته ، ويضرب اله الشر ضربة قاضية ، ويعذب به بالجحيم هو ومن أطاعه (٤٦) .

بجانب هذه التعاليم الدينية كانت لزردشت فلسفة فيما وراء المادة ، ولكن لم تكن بحوثه شاملة كالذي كان عند اليونان ، بل كانت بحوثا جزئية ، كذلك نرى له امتزاجا فيما وراء الطبيعة والدين والتوفيق بينهما .

(٤٥) فجر الاسلام (١٢٦/١٢٣/١)

(٤٦) فجر الاسلام (١٢٥/١ - ١٢٦)

فمن أبحاثه الفلسفية بحثه في النفس ، فالديانة الزردشتية ترى أن نفس الإنسان قد خلقها الله بعد أن لم تكن ، وتستطيع أن تنال الحياة الأبدية السعيدة إذا حاربت الشرور في العالم الأرضي ، وقد منحها الله حرية الإرادة ، فهي تستطيع أن تختار الخير أو الشر ، وللنفس الإنسانية قوى مختلفة : الضمير والوجدان ، والقوة الحيوية ، والقوة العقلية ، والقوة الروحية ، والقوة الواقية ... الخ .

فهل دين زردشت تنوي يرى أن العالم يحكمه الهان ، اله الخير واله الشر ، وأن لكل اله ذاتا مستقلة ؟؟ أو هو موحد يرى أن العالم يحكمه اله واحد ، وأن ما في العالم من خير وشر وما فيه من قوتين متنازعتين ليستنا المظهرين أو أثرين لاله واحد ؟؟

اختلف الباحثون في الإجابة على هذا السؤال ، فيرى كثيرون أنه تنوي كما يدل عليه ظاهر كلامه ، وقد ذهب إلى هذا الرأي بعض كتاب الفرنج ، ومنهم من يرى أنه موحد وإلى ذلك ذهب الشهرستاني في الملل والنحل والقلقشندي في صبح الأعشى وغيرهما . ويقول هوك (Haug) : أن زردشت كان من الناحية اللاهوتية موحدا ومن الناحية الفلسفية ثنويا « (٤٧) .

وكان للزردشتيين بيوت للنار يقيمون فيها شعائرتهم الدينية ، وقد رأينا أن جد (أردشير) الأول كان قيما على بيت نار في مدينة (اصطخر) وأن الأسرة الساسانية حافظت دائما على صلتها القرية بهذا البيت ، وكانت هناك معابد يختص كل منها باله ، ومن المحتمل - مع ذلك - أن تكون المعابد بصفة عامة مخصصة لعبادة آلهة الشريعة الزردشتية جميعا ، وأنها كانت من نوع واحد ، فكان مركز الخدمة المقدسة هو الهيكل الذي فيه النار المقدسة ، وكان لبيت النار عادة ثمانية أبواب وعدة أبهاء من ثمانية أركان ، ويمثل هذا النوع من المعابد في أيامنا هذه معبد نار (يزد) (٤٨) ، وقد حول إلى مسجد كبير منذ الفتح الإسلامي ؛ ويصف المسعودي خرائب بيت النار القديم في اصطخر ، وكان في أيامه مسجد سليمان : « وللفرس بيت نار باصطخر تعظمه الفرس ... وهو على نحو فراسخ من مدينة اصطخر ، وقد دخلته فرأيت بنيانا عجيبا وهيكلًا عظيمًا وأساطين صخر عجيبة في أعلاها صور من الصخر طريفة من الخيل وغيرها من الحيوانات عظيمة القدر والأشكال ، محيط بذلك حيزٌ وسور منيع من الحجر وفيه صور الأشخاص قد شكلت وأتقنت صورها ، يزعم من جاء هذا الموضع أنها صور الأنبياء » .

(٤٧) فجر الإسلام (١/١٢٧)

(٤٨) يزد : مدينة متوسطة بين نيسابور وشراف وأصبهان ممدودة من أعمال فارس ثم من

كورة اصطخر ، وهو اسم للناحية وقصبتها ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥٠٦/٨)

وباختلاف الدرجات في نظام الاسرة عند الإيرانيين القدامى وجدت درجات متفاوتة من النار فكان هناك : نار البيت ، ونار القبيلة ، ونار القرية ، ونار لكل كورة او اقليم ، وبينما نار البيت كانت منوطة برب البيت ، كان اثنان من الهرازمة على الاقل لازمين للقيام بخدمة نار القرية ، وكانت نار الكورة او الاقليم تتطلب هيئة من الهرازمة اكثر عددا يرأسها موبد .

وقد جاء في احدى سور الاوستا الساسانية تفاصيل عن طريقة عبادة النار مؤيدة بالقصص الدينية ، ففي المعبد حيث الهواء مغمم بالبخور يقف الهربذ ، وقد اخفى فمه برباط لكي لا تلوث انفاسه النار ، ليفذي النار بقطع من الخشب طهّرت تطهيرا دينيا ، مادا يده بحزمة الخشب المسوّى والمهيأ طبقا لمراسيم الدين ، مرتلا الادعية الدينية ، ويأخذ هرازمة المعبد بعد ذلك في نثر (الهوما) (٤٩) والاغصان المطهرة من نبات الهوما تدق في الهون بينما الهرازمة يرتلون الادعية او يتلون بعض آي الاوستا .

وفي معبد النار يرتل رجال الدين الادعية المقررة للاوقات الخمسة المحددة في النهار ، ثم يقومون بكل اعمال المذهب وهي تأخذ شكلا عليا رائعا في الاعياد السنوية الستة والتي تسير فصول السنة على اختلافها ، ولكن الطبقات من غير رجال الدين لم يكونوا مبعدين عن المعابد بل على العكس كان من الواجبات الدينية على كل فرد منهم ان يذهب ليرتل دعاء مجد النار ، ومن يذهب منهم ثلاث مرات ويرتل هذا الدعاء يظفر بالمال والسعادة الروحية . وقد كان منظر المعبد يبعث المؤمنين على الاستفراق ، وذلك بقاعاته المظلمة حيث تشتعل النار فوق المذبح والالات المعدنية تلمع ، وحيث الهرازمة يتلون الاوراد التي لا تنقطع بصوت مرتفع ولحن جميل حينما وبصوت منخفض الى حد التمتمة حينما آخر ، وهم يرددون الادعية والصلوات دائما في اوقاتها على قدر المرات المحدودة لكل حالة .

وبالجملة كانت هذه النار التي توقد في المعابد رمزا للوحدة الملكية والدينية ، رمز الملكية الساسانية التي قويت بتحالفها مع رجال الدين ، على خلاف الملكية الاشكانية التي كان لكل ملك مقاطعة فيها معبد خاص به .

وتعتبر الاعياد السنوية أيام الساسانيين (٥٠) اعيادا زراعية تتصل بأعمال المزارع ، ولما اعترف الدين الرسمي بهذه الاعياد صار الاحتفال بها ذا مراسيم دينية مع احتفالات مهيبة .

وتتألف السنة الزردشتية من اثني عشر شهرا ، وهذه الاشهر تحمل

(٤٩) نوع من النبات .

(٥٠) يعتبر كتاب البيروني : الآثار الباقية ، من المصادر الرئيسية لمعرفتها .

اسماء الالهة الرئيسيين ، وكل شهر يُعَدُّ ثلاثين يوما ، وكل يوم يحمل اسم
اله من آلهة الزردشتيين ، ويضاف الى هذه الايام الثلاثمائة والستين
خمس ايام اضافية او مسترقة توضع في نهاية الشهر الاخير من السنة .

ولكي تكون السنة الزردشتية مطابقة للسنة النجمية كانوا يضيفون
شهرًا في كل مائة وعشرين سنة ، وحينئذ كانت الايام الخمسة المسترقة
تضاف عقب هذا الشهر ، ولكنهم كانوا لاسباب شتى ، يضيفون شهرين
دفعًا واحدة لمدة (٢٤٠) سنة .

وكان النوروز اكبر الاعياد الشعبية كما هو اليوم في ايران ، وهو يوم
رأس السنة ، وكان الملوك يُسعدون رعاياهم في جميع الولايات في هذا اليوم
السعيد ، وكان من يشغل يستريح به ويحتفل بالعيد ، وكانت الضرائب
المجبية تقدم للملك في النوروز ، وفيه يعين او يستبدل حكام الاقاليم ، وتضرب
النقود الجديدة وتطهر بيوت النار ، ويستمر العيد ستة ايام متوالية ، وفي
هذه الايام يجلس ملوك الساسانيين للعامة ، ويقابلون العظماء وآل ساسان
في نظام حسن ويقدمون لهم الهدايا ، وفي اليوم السادس كان الملك يحتفل هو
نفسه بالعيد مع خاصته . والواقع ان اليوم الاول واليوم الاخير من
النوروز (اليوم السادس) كان يحتفل بهما احتفالًا يحوي كل المظاهر
الشعبية ، وكانوا يصحون مبكرين في اليوم الاول ويذهبون الى مجاري المياه
والقنوات للاستحمام ورش بعضهم بعضًا بالماء ، وكانوا يتبادلون هدايا
الحلوى ، وكانوا في الصباح قبل ان ينطق اجدهم بكلمة يأكلون السكر
ويلعقون العسل ثلاث مرات ويدلكون اجسادهم بالزيت ويتبخرون بثلاث
قطع من الشمع ليحفظوا انفسهم من الامراض والآفات .

اما عن اعياد السنة الاخرى ، فسنقتصر على الاشارة الى اهمها : في
كل شهر عيد اليوم المسمى باسمه الشهر ، وفيه يفتسل القرس ويطبخون
الحنطة والفواكه .

وكان هناك عيد النار ، وهو عيد النيران التي في دور الناس ، وفيه
يوقدون النيران العظيمة في بيوتهم ويكثرون من عبادة الله وحمده ،
ويجتمعون على الاكل والفرح ، ولكن يظهر ان هذا اليوم لم يكن عيدًا الا في
بعض ولايات ايران .

وكان المهرجان عيدًا كبيرًا جدًا ، وهو عيد ميترا (٥١) ، وكان في الازمنة

القديمة يوم رأس السنة وقد احتفظ بكل تقاليده ، وقد كان المهرجان كالنوروز احتفالاً بخلق الانسان والارض وغير ذلك من حوادث التاريخ الخرافي ، ومن رسوم الاكاسرة في هذا اليوم التتويج بالتاج الذي عليه صورة الشمس وعجلتها الدائرة عليها ، ومنه جرى الرسم بأن يقف في صحن دار الملك رجل شجاع وقت اسفار الصبح ويقول بأعلى صوته : « يا أيها الملائكة ! انزلوا الى الدنيا وامنعوا الشياطين والاشرار وادفعوهم عن الدنيا » ، ومن طعم يوم المهرجان شيئاً من الرمان وشمّ ماء الورد رفع عنه آفات كثيرة .

وفي اول آذار يحتفل بعيد الربيع .

وهناك عيد اليوم السعيد ، وكان الملك فيه ينزل عن السرير ويلبس الثياب البيض ويجلس على الفرش البيض في الصحراء ، ويرفض الحجة وهيبة الملك ، ويتفرغ للنظر في امور الدنيا وأهلها ، ومن احتاج ان يكلمه في شيء دنا منه رقيقاً كان او وضيعاً وخاطبه غير ممنوع من ذلك ، ويجالس الدهاقين والمزارعين ويواكلهم ويشاربهم ويقول : « انا اليوم كواحد منكم وانا اخوكم ، لان قوام الدنيا بالعمارة التي تجري على أيديكم ، وقوام العمارة بالملك ، ولا استغناء بأحدهما عن الآخر » (٥٢)

وهناك عيد يسمى بعيد الثوم ، وفيه يؤكل الثوم ويشرب الخمر ويطبخ النبات باللحوم التي يتحرز بها من الشيطان ، وبها يتداوون من العلل المنسوبة الى ارواح السوء .

وهناك عيد السقي ، وفيه يصب كل فرد الماء ، وهو عمل سحري يقصد به جلب المطر ، ويقال : ان هذا اليوم أصبح عيداً احتفالاً بنزول المطر بعد جذب طال أوانه .

وهناك عيد اسمه : عيد النساء ، وفيه يجود الرجال على النساء .
وهناك عيد اسمه : نوروز الانهار والمياه الجارية ، وفيه يطرحون الطيب والماء ورد وغير ذلك في المياه الجارية .

وهناك عيد اباداة الكائنات الشريرة ، وهو عيد ديني من اعظم الاعياد عند الايرانيين ، وفي هذا العيد يقتل عدد كبير من الزواحف والحشرات التي تعيش في الصحارى وتقدم الى المغان ، اثباتاً لتقوى القتالين .

وكانت قراءة الطالع من الاعمال التي يقوم بها (المغان) ، فكانوا يتحدثون عن الغيب وهم ينظرون الى النار المقدسة ، وكانوا يحصرون الطالع

بما لهم من معرفة بعلم النجوم ، ولكن مع ذلك كان هناك طريقة شعبية لمعرفة النجوم ، فالبيروني (٥٣) يذكر قائمة بأسماء ايام السعد والنحس ، كما انه يبين احكام الحية ورؤيتها في ايام الشهر : العلة والمرض ، موت او ذهاب شيء من اهل البيت ، منفعة ومعونة من اهل البلد ، ذكر ومخدمة ، سفر فيه منفعة كثيرة ، دخول على السلطان ، تزويج ونكاح ، مال بلا تعب ، وكانت ايام قران النجوم او تقابلها من ايام النحس .

تلك هي مجمل حياة زردشت وتعاليمه وفلسفته ومجمل العقيدة الزردشتية ومجمل طقوسها وبيوت عبادتها وتقويمها واعيادها كافية لاعطاء فكرة عن الحياة الدينية للساسانيين .

المانوية والمزدكية

١ - ماني والمانوية

توفي مؤسس الاسرة الساسانية سنة (٢٤١ م) ، ولم يتم الاحتفال الرسمي بتتويج خلفه سابور ، الا في سنة (٢٤٢ م) ، وكان اول خطبة دينية لماني حسب رواية ابن النديم ، في يوم تتويج سابور وذلك يوم الاحد اول نيسان ، فاذا استطعنا تصديق هذه الرواية فان اليوم العشرين من شهر مارس سنة (٢٤٢ م) شهد حادثين تاريخيين ؛ ولكن جاء في عبارة من كتاب (كفلايا (٥٤) : « ان ماني نفسه يحدثنا بأنه منذ ايام اردشير قام برحلة في بلاد الهند ليدعو الى مذهبه فيها ، وأنه قد عاد الى ايران حين سمع بوفاة اردشير وتولية سابور ، وأنه قابل سابور في (خوزستان) » (٥٥) .

كان ماني ايرانيا من اسرة عريقة ، وتقول الروايات : ان امه كانت من العائلة المالكة الاشكانية وكانت لا تزال تحكم ايران حين ولد ماني ، وليس بعيدا ان يكون ابوه (فاتك) من الاصل نفسه ، وقد هاجر (فاتك) هذا من بلدة (همذان) الى بابل حيث أقام في قرية وسط ولاية (ميسان) وفي هذه القرية ولد ماني سنة (٢١٥ م) او (٢١٦ م)

وقد نشأ الطفل الصغير ماني على مذهب (المفتسلة) (٥٦) ، ولكنه تعمق بعد ذلك في درس اديان زمانه : الزردشتية والمسيحية ... الخ ، فترك

(٥٣) البيروني ص (٢١٨)

(٥٤) كفلايا : كتاب يشمل تعاليم ماني التي جمعت بعد موته ، انظر كتاب : ايران في

عهد الساسانيين ص (١٨٨)

(٥٥) خوزستان : هي الاهواز ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٨٨/٣)

(٥٦) المفتسلة : احدى الفرق الدينية التي وجدت في الاقاليم الواقعة بين دجلة والفرات

مذهب (المفصلة) وزعم ماني انه (الفارقليط) الذي بشر به عيسى عليه السلام .

ويرى ماني انه كان في ميدا العالم كونان : أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأن الاول هو (العظيم الاول) أو الاله ، وهو يتجلى في خمسة أشياء هي بمنزلة الوسائط بين الخالق والخلق وبمثابة آقانيم الأب الخمسة : الحلم والعلم والعقل والغيب والفطنة ؛ وفي رواية شائعة في بلاد ما بين النهرين ، أن العناصر الشريرة الخمسة قد كونت العوالم الخمسة لاله الظلمات هي : الضباب والحريق والسموم والسّم والظلمة .

ولكن اله الظلمات هاجم النور بكل قواه حين رآه ، فنظم (العظيم الاول) دفاعه عن مملكته ، وذلك بخلقه أول المخلوقات ، فدعا (أم الحياة) أو (والدة الاحياء) ودعت هي بعد ذلك (الرجل القديم) ، و (العظيم الاول) و (أم الاحياء) و (الرجل القديم) يكونون التثليث الاول : الأب والام والولد ، وبعد هذا ولد (الرجل القديم) خمسة أبناء هم النسيم والريح والنور والماء والنار .

وحينما احاط (الرجل القديم) نفسه بالعناصر الخمسة كأنها جُنّة له ، نزل ليقابل اله الظلمات الذي تسليح بعناصره الخمسة ، وقد وجد (الرجل القديم) أن عدوه أشد منه قوة فتركه يزدد عناصره المنيرة ، فاختلطت العناصر الخمسة النورانية بعناصر الظلمات الخمسة فنتج عن ذلك عناصرنا الخمسة التي لها صفتا الطيبة والخبيث .

لقد أثرت الآراء المسيحية تأثيرا عظيما على مذهب ماني ، (فالعظيم الاول) و (الرجل القديم) و (أم الحياة) ، التثليث المانوي الاول ، كانوا يقدّسون كالأب والابن وروح القدس ، وفي النصوص المانوية عبارات مأخوذة عن الاناجيل المسيحية .

وكانت تعاليم ماني مزيجا من الديانة المسيحية والزرذشتية ، وهي كما يقول الاستاذ (برّون) : « أن تعدّ زردشتية منصرة اقرب من أن تعد نصرانية مزردشة » .

ومن ذلك يتضح أن خلاصة مذهبه ، أن العالم نشأ كما قال زردشت عن أصلين وهما : النور والظلمة ، وعن النور نشأ كل خير ، وعن الظلمة نشأ كل شر ، والنور لا يقدر على الشر ، والظلمة لا تقدر على الخير ، وما يصدر عن الإنسان من خير فمصدره اله الخير وما يصدر من شر فمصدره اله الشر ، فإن هو نظر نظرة رحمة فتلك النظرة من الخير والنور ، ومتى نظر نظرة قسوة فتلك النظرة من الشر والظلمة ؛ وكذلك جميع الحواس ، وقد امتزج الخير والشر في هذا العالم امتزاجا تاما .

وهو في هذا لا يخرج كثيرا عن تعاليم زردشت ، ولكن يخالفه بعد في امر جوهرى : هو ان زردشت كان يرى : أن هذا العالم الحاضر عالم خير ، لما فيه من مظاهر نصره الخير على الشر ، في حين ان ماني يرى ان نفس الامتزاج شر يجب الخلاص منه ، وزردشت يرى ان يعيش الانسان عيشة طبيعية فيتزوج وينسل ويعنى بزراعة ونسله وماشيتة ويقوى بدنه ولا يصوم ، وانه بهذه المعيشة ينصر اله الخير على اله الشر ، واما ماني فنزع منزعا آخر هو اشبه ما يكون بالرهينة .

فقد رأى ماني ان امتزاج النور بالظلمة في هذا العالم شر ، ومن أجل هذا حرّم النكاح حتى يستعجل الفناء ، ودعا الى الزهد وشرع الصيام سبعة ايام في كل شهر وفرض صلوات كثيرة يقوم الرجل فيقتسل بالماء ويستقبل الشمس قائما ، ثم يقوم ويسجد وهكذا ، اثنتي عشرة سجدة ، يقول في كل سجدة منها دعاء ، ونهى أصحابه عن ذبح الحيوان لما فيه من ايلام ، وافر بنوة عيسى وزردشت (٥٧)

اما الاخلاق المأثومة فقد وسعها سلسلة من القواعد ، وخاصة الخواتيم السبعة التي منها أربعة روحانية تتعلق بالمقائد وثلاثة تبحث في سلوك المؤمنين ، وهذه الثلاثة هي : خاتم الفم (الكف عن الكلام المؤدي الى الكفر أو الخبث) ، وخاتم اليد (الاحتراز من كل فعل أو تصرف يفسد النور) ، وخاتم القلب (تجنب الاستسلام للشهوات الجنسية المحرمة) .

وقد لقيت دعوة ماني نجاحا كبيرا منذ البداية ، لا في بابل وحدها بل بين الايرانيين ، وكان ماني ذا حظوة عند سابور ايام حكم اردشير الاول ، وقد نجح في ادخال اخوين لسابور في دعوته هما مهرشاه حاكم (ميسان) وفسروز .

وقد ذهب ماني الى الهند والصين داعيا لمذهبه في كل مكان ومؤلفا للكتب والرسائل التي يبعثها الى الرؤساء والجماعات في بابل وايران وبلاد المشرق ، واخيرا توفي سابور سنة (٢٧٢ م) وخلفه ابنه هرمزد الاول سنة (٢٧٣ م) فتجرا ماني وتحدى خصومه الموابدة ، وكان اثيرا عند هرمزد الاول .

ومات هرمزد ملك الفرس الذي اعتنق مذهب ماني وايداه ، فخلفه بهرام الاول : أخو هرمزد ، وهو ملك شهواني قليل النشاط ، فترك ماني تحت رحمة رجال الدين فجرت بين ماني والموبدان موبد (قاضي القضاة) مناظرة ، فقال الموبدان : « أنت الذي تقول بتحريم النكاح لتستعجل فناء العالم ؟ » ،

فقال ماني : « واجب أن يعان النور على خلاصه بقطع النسيب » . فقال الموبدان موبد : « فمن الحق الواجب أن يجعل لك هذا الخلاص الذي تدعو اليه وتعان على إبطال هذا الامتزاج المدموم » ، فبهت ماني (٥٨) وغلب على أمره فأدخل السجن حيث عذب عذابا مبينا مات على أثره ، وكان ذلك عام (٢٧٩ م) .

وقد ألف ماني كثيرا من الكتب والرسائل التي ضمنها مذهبه ، وادخل اصلاحا على الكتابة البهلوية بوصفه أحد كتابها ، وذلك بأن استبدل بالكتابة البهلوية التي كانت لفموضها قابلة لقراءات كثيرة مفلوطة - الالف بباء السريانية التي استطاع تطبيقها بفاية الدقة على اللهجتين الايرانيتين : (لهجتي الجنوب الغربي والشمال) ، وقد عبر عن الحروف البهلوية الصوتية بأقرب الحروف السريانية لها .

وكان ماني ماهرا في الخط والنقش ، وقد نقش صورا منفردة لابناء الظلمات ليبفضها الى الناس ، بينما صور ابناء النور صورا جذابة ليحبب جمالها الى الناس .

ومع الاضطهاد الذي لقيه المانويون في ايران من رجال الدين الزردشتيين ، فان هذا الدين الجديد قد عاش في صورة شبه سرية .

وقد وجد كثير من المانوية في بابل بنوع خاص لانها مهد هذا الدين ، وفي المدائن عاصمة الدولة ، ومن ناحية أخرى ادى الاضطهاد الى هجرة كثير منهم الى اقاليم الشرق والشمال حيث يقيم كثير من الايرانيين ، كما انتشرت المانوية في أوروبا الى فرنسا الجنوبية ، وقد ذكروا أن سانت اوغسطين ظل مانويا عهدا طويلا قبل ان يعتنق النصرانية .

فلماذا اضطهد بهرام المانوية ؟

ان الذي دعا بهرام لقتل ماني واصحابه هي الناحية العملية ، فقد كان زردشت يدعو الى العمل .

وكان في تعاليمه مؤيدا للقومية والنزعة الحربية ، مما يتفق وميول الايرانيين اذ ذاك ؛ وعلى العكس من ذلك تعاليم ماني ، فهي اميل الى الزهد والرغبة عن ملاذ الحياة واستعجال الفناء ، وهي بلا شك - في منتهى الخطورة لمملكة حربية كفارس ، ويؤيد هذا ما جاء في الآثار الباقية : « ان بهرام قال ، ان هذا خرج داعيا الى تخريب العالم فالواجب ان نبدا بتخريب نفسه قبل ان يتهدأ له شيء من مراده » .

٢ - مزدك والمزدكية

يستفاد من روايات المؤرخين العرب أن زردشت كان رجل دعوة فقط ، وأن مزدك كان رجل التنفيذ ، وقد استطاع هذا أن يقضي على شهرة سابقه .

أما شخصية مزدك فلا نعرف عنها الا قليلا جدا ، ويقول الدينوري : « أن أصله من (اصطخر) » ، أما صاحب «تبصرة العوام» فيرى أن مزدك ولد في مدينة (تبريز (٥٩) وقد ظهر مزدك حول سنة (٤٨٧ م) في فارس ، ويقول الطبري : « أنه من (نيسابور) » (٦٠) .

ومذهب مزدك كان طابعه اصلاح مذهب ماني ، وهو كالمناوية الاولى بدأ يناقش الصلة بين الاصلين القديمين : النور والظلمة ، وهو يختلف عن مذهب ماني لانه يقول ان الظلمة لا تعمل كما يعمل النور بالقصد والاختيار ، ولكنها تفعل على الخط والاتفاق ، وعلى هذا النحو يكون امتزاج النور بالظلمة - وهو الامتزاج الذي نشأت عنه الدنيا - غير ناتج بالقصد والاختيار كما قال ماني ولكنه كان على الاتفاق والخط ، وعلى ذلك فعملو النور اكثروا توكيدا في النظرية المزدكية منه في المناوية .

وقد قال ماني بوجود خمسة أركان للنور : الاثير والهواء والنور والماء والنار ، ولكن مزدك قال بثلاثة أركان : الماء والنار والتراب ، ولما اختلطت : النور والظلمة حدث عنها مدبر الخير ومدبر الشر ، فما كان من صفوها فهو من مدبر الخير ، وما كان من كدرها فهو من مدبر الشر ، ومدبر الخير هو اله النور (ملك النور) عند المناوية ؛ وقد صور مزدك معبوده وهو قاعد على كرسية في العالم الاعلى على هيئة قعود كسرى في العالم الاسفل ، وبين يديه اربع قوى : قوة التمييز والفهم والحفظ والسرور .

وقد نهى مزدك الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ، ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب عدم المساواة بين الرجال ، فقد أوجب ازالة هذا السبب ، وقد وجب في الجماعة المناوية على (الصديقين) ان يعيشوا بلا نساء ولا يملكوا من الغذاء غير قوت يوم واحد ومن الملابس غير ما يكفي سنة واحدة ، والمقروض ان قواعد مماثلة فرضت على الطبقة العليا في الفرقة المزدكية ، لاننا نجد فيها هذا الميل نحو الزهد ورياضة النفس ، ولكن رؤساء المزدكية قد ادركوا أن الرجال العاديين لا يستطيعون التخلص من حب اللذات المادية ،

(٥٩) تبريز : مدينة عابرة ذات أسوار محكمة وهي قصبة منطقة اذربيجان ، انظر التفاسيل في معجم البلدان (٣٦٢/٢) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٣٩)
(٦٠) نيسابور : مدينة بخلمية ، من الري اليها مائة وستون فرسخا ومنها الى سرخس اربعمائة فرسخا . انظر التفاسيل في معجم البلدان (٣٥٧/٨) وانظر فجر الاسلام (١/١٣٤)

أي الرغبة في تملك الاموال والنساء ، أو المرأة التي يحبونها ، إلا في اللحظة التي يستطيعون فيها اشباع هذه الحاجات بالاختيار ، وبهذه الفكرة ظهرت النظرية الاجتماعية للمزدكية : فان الله انما جعل الارزاق في الارض ليقسمها العباد بينهم بالتساوي بحيث لا يكون لاحدهم اكثر مما لغيره ، ولقد نتج عدم المساواة بالقوة فكل يريد اشباع رغباته على حساب اخيه ؛ والحقيقة ان من كان عنده فضلة من الاموال والنساء والامتعة فليس هو أولى بها من غيره ، فينبغي ان يأخذوا من الاغنياء للفقراء وان يردوا من الكثيرين على القليلين ، وذلك ليقموا المساواة البدائية ، وينبغي ان تكون الاموال والنساء شركة بين الناس كاشتراكهم في الماء والنار والكلا .

واكد مزدك ان ذلك من البر الذي يرضاه الله ويثيب عليه احسن الثواب ، وأنه لو لم يكن الذي أمرهم به وحثهم عليه من الدين لكان مكرومة في الفعل ورضاء في التفاوض .

وقد اصر المزدكية على وجوب القيام بأعمال الخير ، فانهم لم يحرموا القتل فحسب ، ولكنهم حرموا أيضا ادخال الآلام على النفوس ، ولهم مذهب في الضيافات يوصي بان لا يمنع الضيف من شيء يلتمسه كائنا ما كان .

واتصل مزدك بالملك (قباذ) ، وقد ذكر الثعالبي والفردوسي ، أن مزدك استطاع أثناء قحط ، أن يستدرج قباذ بالاسئلة الماكرة الى أن يعلن ان من منع رجلا من الطعام والشراب ينبغي أن يقتل به ، فخرج مزدك عند ذلك فقال للسوقة المتجمعين حول القصر : ان الملك قد اباح لكم ما في الاهراء من الغلات ، فابسطوا ايديكم ؛ واينما وجدتم شيئا فاستبيحوه . (٦١)

ونستطيع بدراسة عميقة لما في أيدينا من تاريخ المزدكية أن نكسب لانفسنا فكرة تقريبية عن هذه الحركة أثناء حكم قباذ المديد . كانت المزدكية في الاصل مذهبا دينيا ، ولم يكن لمظهر المذهب الاجتماعي الا شأن قليل فيه ، والقوانين التي أصدرها قباذ في المدة الاولى من حكمه ليحقق الى حد ما المثل الاعلى الديني للمزدكية ، كانت في الحقيقة قوانين ثورية . كانت المبادئ الشيوعية قد بدأت تتأصل في السوق ، وكانوا منذ اجيال في ضيق من ظلم الطبقات الممتازة ، وقد انتشرت هذه المبادئ بطيئة في أول الامر ، ثم لم تلبث أن اسرعت ، وظهرت أعمال لا تنطوي على الرحمة الدينية ولا تمثل فيها النزاهة عن الهوى ، واستفحل الاستيلاء ، وجزأ السوق للتكاثر ، فبدأوا العدوان ؛ ولا نبعد عن الصواب اذا قلنا ان العبارة الآتية من كتاب

(تنسر) تعبر عن هذا الحال (٦٢) « فإذا حجاب الحفاظ والادب قد ارتفع وظهر قوم لا يتحلون بشرف الفن او العمل ، لا ضياع لهم موروثة ولا حسب ولا نسب ولا حرفة ولا صناعة ، عاطلون مستعدون للغمز والشر وبث الكذب والافتراء ، بل هم من ذلك يحيون في رغد من العيش وسعة المال » .

وهكذا عم التطاول في كل مكان ، واقتحم الثوار قصور الاشراف ناهبين الاموال مفتصين الحرائر ، وكانوا يملكون هنا وهناك اراضي قد بارت لان السادة الجدد لا يعرفون الزراعة .

ونرى الى اي حد بلغت الفوضى حينذاك مما جاء في روايات المؤرخين العرب عن الوسائل التي اتخذها كسرى الاول (أنوشروان) من بعد لاصلاح ما نتج عن المفسد .

فقد بدأ كسرى اصلاحاته بالقضاء على الفوضى التي أحدثها اتساع مزدك ، فرد الاموال الى اهلها منقولة كانت او ثابتة ، وجعل من الاموال التي لا وارث لها رصيذا لاصلاح ما فسد . وأما من غلب على امره من النساء فكان ينظر لحالة كل منهن على حدة : فاذا كانت المرأة المفتتحة من طبقة الغاصب ، ولم تكن قد تزوجت من قبل او كان زوجها قد توفي عنها ، يؤخذ الغالب لها حتى يفرم لها مهرها ويرضى اهلها ، فاذا لم يكونا من اهل طبقة واحدة - فالطلاق واجب على رأي ، وفي رأي آخر يكون لها الخيار في ان تكون زوجة لغالبها او ان يطلقها ، وعلى الزوج ان يدفع لزوجه المهر وان يرضي اهلها على أية حال ، واذا كان للمرأة زوج وجب ردّها الى زوجها وألزم الغالب ان يدفع لها مهرا مساويا للمهر الذي دفعه زوجها الشرعي من قبل .

وامر بكل مولود اختلف فيه عنده ان يلحق بمن هو منهم اذا لم يعرف ابوه وان يعطى نصيبا من مال الرجل الذي ينسب اليه اذا قبله الرجل ، وامر بكل من كان اضر برجل في ماله او ركب احدا بمظلمة ان يؤخذ منه الحق ثم يعاقب الظالم بعد ذلك بقدر جرمه .

وامر بعيال اهل الاحساب الذين مات قيمهم فكتبوا له ، فانكح بناتهم الاكفاء وجعل جهازهم من بيت المال ، وانكح شبانهم من بيوتات الاشراف ، وساق عنهم واغناهم وامرهم بملازمة بابه ليستعان بهم في اعماله .

وامر بكري الانهار وحفر القنى واسلاف اصحاب العمارات وتقويتهم ، وامر باعادة كل جسر قطع او قنطرة كسرت او قرية خربت ، وان يرد ذلك

(٦٢) دار مستشرق من (٢١٥) و (٢١٩) ، مينوى ص (١٢) ، الترجمة العربية للكتاب

الى احسن ما كان عليه من الصلاح .

وأمر بالنظر فيما تهدم من المساكن والقرى حيثما عجز الملاك عن المحافظة عليها ، وعلى أدوات الري والزرع ، فأعان أهلها لاصلاح حالهم وامدهم بالمواشي ، وأعيد بناء القرى التي خربت وأقيمت الجسور الخشبية التي كسرت وبنيت الجسور الحجرية التي انهارت ، ثم أقيمت الحصون في الاماكن المعرضة للعدو .

لقد أخذت المزدكية فيما بعد تتخذ رويدا رويدا طابع نظرية اجتماعية ثورية وهي تنتشر في الطبقات الدنيا من المجتمع ، وقد بقي أساسها الديني وكان لها دائما أنصار بين الطبقات العالية ؛ وأخيرا أحست الجماعة المزدكية بالقوة الكافية لإنشاء المراتب الدينية ، فكانوا ينتخبون رئيسا يدعى : (المستشار) او (المعلم) ، وبقيت المزدكية فرقة سرية وعاشت على هذا النحو أيام الدولة الساسانية ، ثم عادت الى الظهور من جديد في العصور الإسلامية .

نرى من هذا أن تعاليم مزدك اشتراكية من أسبق الاشتراكيات في العالم ، ويقول الاستاذ نولدكه : « ان الذي يميز مزدك عن الاشتراكية الحديثة ما لتعاليمه من الصبغة الدينية » وقد كانت له تعاليم روحية أخرى ، فقد كان يعلم القناعة والزهد وحرمة الحيوان فلا يذبح .

وقد اعتنق مذهبه الآلاف من الناس ، ولكن قباز تكلل به أخيرا وبقومه ودبر لهم مذبة سنة (٥٢٣ م) كاد أن يستأصلهم بها .

مع هذا ظل قوم يتبعون مذهبه حتى الى ما بعد الاسلام ، وذكر الاصطخري وابن حوقل أن سكان بعض قرى (كرمان) كانوا يعتقدون المزدكية على عهد الدولة الاموية (٦٣) .

٣ - اثر الدين على الفرس

كان الفرس مبالين الى عبادة المظاهر الطبيعية ، فالسمااء الصافية والضوء والنار والهواء والماء ، جذبت انظارهم وجعلتهم يعبدونها على أنها كائنات الهية ، حتى سمو الشمس عين الله ، والضوء : ابن الله ، كما ان الظلمة والجذب ونحوهما كائنات الهية شريرة ملعونة .

عبدوا آلهة الخير وصلوا لها وسبحوا بحمدها وقدموا الضحايا والقرايين لها واستمدوا العون منها ، وراوا ان آلهة الخير في نزاع دائم مع

(٦٣) انظر فجر الاسلام (١/ ١٣٧ - ١٣٨)

آلهة الشر ، وأعمال الإنسان من صلاة وغيرها تعين الآلهة في منازلها. آلهة الشر ، وقد اتخذوا النار رمزا للضوء ، وبعبارة أخرى رمزا لآلهة الخير ، يشعلونها في معابدهم وينفخونها بامدادهم حتى تقوى على آلهة الشر وتنتصر عليها .

وجاء زردشت ، فدعا الى تعاليم جديدة أسست على الديانة القديمة بعد اصلاحها ، ثم جاء (ماني) وكانت تعاليمه مزيجا من الديانة النصرانية والزردشتية ، ثم جاء (مزدك) وكان يقول ايضا بالظلمة والنور وامتاز بتعاليمه الاشتراكية في المال والنساء ، وهكذا كانت الفرس تعيش موزعة بين (رمزية) ، زردشت الذي مهد للمجوسية و (عدمية) ماني الذي حرم الزواج استعجالا للفناء ، و (وجودية) مزدك الذي جعل الناس شركة في الاموال والنساء (٦٤)

ذلك بعض اثر الدين على الفرس : تفريق للصفوف وتبديد للقوى ، وتخطيط في الظلام ، ومضيعة للوقت والجهود ، بدون هدف ولا انسجام فكري .

الجيش

اتسعت دولة (أردشير) في ظل نظام عسكري متين ، وقد احس انه وارث (دارا) وان عليه ان يجدد الجهود التي بذلها الاشكانيون فكان نجاحهم فيها غير متكامل ، وذلك لكي يحيي الامبراطورية الشرقية التي قضى عليها الاسكندر ، وعلى هذا تجد اتجاهها نحو التوسع في السياسة الخارجية التي انتهجها أردشير وخلفاؤه الاوائل ؛ وكانت هذه السياسة متجهة أولا الى حماية الحدود في الشرق والشمال والغرب ، تلك الحدود التي كانت مهددة دائما ، فكان لزاما اعداد خطط دفاعية محكمة عنها .

وقد عدلت النظم الاقطاعية القديمة وفقا للاوضاع ومقتضيات الاحوال في نظام الدولة الساسانية العسكري ، فأدمجت طوائف الجند التي كانت تتبع صاحب الاقطاع في الجيش النظامي .

لقد كان اكبر الالقاب العسكرية وهو لقب (أرجيد) وراثيا في الاسرة المالكة وأن وظيفتين عسكريتين آخرين - وهما رئيس شؤون الجيش وقائد الفرسان ، كانتا كذلك وراثيتين في أسرتهين من الاسر الكبيرة ، وكان تحت امرة حكام المقاطعات التي على الحدود جنود مرتزقة في كل زمان ، وكانت تقيم دوما حاميات عسكرية في الاماكن الحصينة من الحدود .

وكانت نخبة الجيش - كما كانت في عهد الاشكانيين ، مؤلفة من الفرسان الدارعين ، الفرسان النبلاء ، وكان لهؤلاء (أسواران) المقام الاول في المارك ، وكان النصر يتوقف على قوتهم وشجاعتهم في كل شيء ، فقد كان الايرانيون يزجون في الحرب ضد الرومان بكتائب منظمة من الفرسان الدارعين في صفوف كثيفة كل الكثافة ، فكان يريق الدروع يعكس هيبة تبهر الابصار ، وكانت فرق الفرسان كأنها صيغت من حديد ، وقد غطي جسد كل منهم بالواح من الحديد ملتصقة به الى درجة تجعل مفاصل الدروع الحديدية الصلبة تتحرك في سر وفقا لحركة اعضاء الجسد ، كما كان للوجه قناع مدرع يحميه ، لذلك كان من المتعذر تصويب سهم الى الفارس ما لم يسدد نحو الفتحات الصغيرة قبالة العينين أو الى الثقبين الدقيقين أمام الانف اللذين كان الفارس يتنفس منهما ؛ وكان بعض الفرسان المسلحين بالحرايب يقفون بلا حراك حتى ليظن أنهم شدوا الى سلاسل من حديد وبجانهم يقف الرماة وقد مدوا اذرعهم ليشدوا الاقواس المرنة بحيث يلمس الوتر الجزء الايمن من صدورهم بينما السهم معلق في ايديهم اليسرى ، وكان السهم ينطلق بضغط محكم بالاصبع فيدوي في الفضاء ويصمي من يصيبه .

ومع ذلك لم يكن الايرانيون ذوي بأس في الوغى ، فهم لم يتعودوا النضال في جسارة الا أن يكونوا على مسافة بعيدة من اعدائهم ، واذا أحسوا أن فرقهم تتراجع يتقهقرون سراعا كالريح العاصف ، مطلقين سهامهم من خلفهم كي يخففوا من جراحة عدوهم وهو يطاردهم .

وكان لدى الساسانيين كما كان للاكمينيين - فرقة من الفرسان المختارين تسمى : (فرقة الخالدين) ، وهي تتكون كأنموذجها الاكميني ، من عشرة الاف فارس لهم رئيس خاص ، وأما الفرسان الفدائيون فهم فرقة أخرى ممتازة معروفة بالجرأة وتحدي الموت .

وكانت الفيلة تتخذ مكانها خلف الفرسان ، وكانت اصواتها ورائحتها ومناظرها المخيفة تلقي الذعر في خيل العدو ، وكان (الفيلة) يركبون وفي ايديهم اليمنى سكاكين طويلة المقابض ، فاذا ما دعر فيل - وكان هذا يحدث أحيانا - فانقلب يتخبط في صفوف الايرانيين يوقعهم ويدوسهم ، فان الفيال يبادر الى قتله بأن يغمد السكين في عظام رقبتة .

وأما مؤخرة الجيش ، فكانت مؤلفة من المشاة يقودهم رؤساؤهم ، وكان المشاة من اهل القرى ، وكانوا يتخذون جندا لحفظ النظام ، يذهبون للحرب من غير أن يشجعهم أحد بالاجر او بغيره من المثوبة : انهم كانوا جمهرة الحرائين الخاضعين للنظام العسكري ، وقد كانوا على الاقل مصفحين بدروع مستطيلة ومقوسة من الخيزران المتشابك المفطى بجلد غير مدبوغ ،

وكان المشاة جنودا غير ماهرين بوجه عام .

وكانت الفرق الاحتياطية (الرديف) التي تتكون من الشعوب المحاربة القاطنة في اطراف الدولة أكثر غناء من المشاة الحرائين ، وربما كان بعض هذه الشعوب مستقلا استقلالاً تاماً ، ولكنهم كونوا بالمال فرقا من الجنود المرتزقة ، وكانت هذه الفرق تحارب راكبة كالاساورة الايرانيين .

وكان تنظيم الفرق يتلخص بوجود فرق كبيرة وفرق وسطى وفرق صغيرة ، وكان للايرانيين رايات وشارات عسكرية ، فهناك راية من النسيج طويلة ورفيعة تشبه كثيرا (الرباط) وهي تخفق على عصا .

وفي احدى الصور نقش رستم ، يرى حامل الراية ممسكا بالقناة بيده وقد الصق بها عارض من الخشب تعلوه ثلاث كرات : واحدة على كل من طرفيه ، والثالثة فوق القناة مباشرة .

وكان لديهم علم ناري اللون ، ونجد في قول الفردوسي ، وصف علم ملكي عليه صورة الشمس بلون بنفسجي ومن فوقها قمر مذهب ، كما نجد علما محلى بصورة اسد امسك في مخالبه بدبوس وسيف ، وآخر اسود عليه صورة الذئب ، ورابعا عليه صورة النمر ، واعلاما اخرى مزينة بفزال أو خنزير بري أو نسر ملكي أو تين له سبعة رؤوس متقابلة ، ثم هناك علم عليه صورة الشمس وآخر عليه صورة حمار الوحش ، وعلم قد جعلت له اهداب قد صور عليه القمر بلون أرجواني ، وعلم عليه صورة ثور .

وكان العلم الساساني (درفش كاويان) يتكون من فوطة الحداد الذي كان في الازمنة القديمة الخرافية قد أثار الناس على الملك الظالم (الضحالك) ، ولكن الاوصاف الباقية من هذا العلم الملكي لا ترقى الا الى العصر الاخير من حكم الساسانيين .

وفي المعارك الكبيرة التي كان يديرها الملك نفسه ، كان يحمل له عرش كبير ، يوضع وسط الجيش ، ويلتف حول العرش خدام الملك وحاشيته وفرقة من الجند كان عليها أن تدافع عنه حتى الموت ؛ وقد رفعت الاعلام في اركان العرش ، وخلف هذه الاعلام يقف حرس من الرماة والرجل ؛ فاذا لم يكن الملك حاضرا وكان قائد الجيش هو الذي يتولى المعركة ، فانه يجلس على العرش ، ومن فوق عرش كهذا قاد رستم معركة القادسية ؛ وكانت معابد نار مستقلة توضع في خيمة خاصة ، لان الملك لا يحارب مطلقا من غير ان يصحبه رجال الدين (المغان) وبيوت النار .

وقد تعلم الساسانيون من الرومان فن الاستيلاء على القلاع ، فكانوا يستخدمون آلات الهدم والمجانيق والابراج المتحركة وآلات الحصار الاخرى

التي كانت تستعمل قديما ؛ وكانوا اذا حوصروا هم انفسهم يعلمون كيف يفسدون آلات عدوهم ، وذلك بايقاع آلات الهدم التي يستعملها عدوهم في الكمينات او يصب الرصاص المذاب او المواد الملتصبة عليها .

وكان الايرانيون يحرقون حقول القمح اذا توغل العدو في اراضيهم لكي يحرموه من الاستفادة منها للتموين ، وكانوا يفتحون السدود فيفرون الاراضي لوقف تقدم العدو .

وكان اسرى الحرب عامة يساقون وقد قيدت ايديهم خلف ظهورهم لبيعوا رقيقا او كانوا يرحلون الى الاماكن المهجورة من الدولة حيث يكو تون مستعمرات زراعية .

وقد اتخذ الايرانيون طريقة بديمة لاحصاء القتلى في الحرب ، فقبل نشوب القتال كان يجري استعراض امام الملك الجالس فوق عرشه وامام القائد الذي اسندت اليه ادارة دفة الحرب ، وكان الجنود يمرون الواحد تلو الآخر ، وكل منهم يرمي سهميا في اسفاط كبيرة وضعت هناك لهذا الغرض ، ثم تختم الاسفاط بالختم الملكي ، فاذا انتهت الحرب فتحت الاسفاط فيأتي الجند ويأخذ كل واحد منهم سهميا واحدا ، فالاسهم التي تبقى تنم عن عدد القتلى او الاسرى .

وهكذا يتسنى للملك ان يعرف هل اشترى القائد نصرا بثمن غال ؟؟

وفي زمن السلم كانت الاسلحة ومعدات الحرب تحفظ في المخازن وفي المخايء ، وقد كان على المسؤول عن ذلك ان يراعي كون كل شيء منظما ومعدا للتسليم في اقصر مدة ، فاذا انتهت الحرب اعيدت المعدات العسكرية الى مستودعاتها الخاصة بها .

وكانت الخيول موضع عناية خاصة ، وكان الطبيب البيطري ذا شأن ، وكانوا يجمعون له الاعشاب ليستخدمها في علاج الحيوانات ، ولم يكن الاستيلاء على خيول الشعب مباحا الا اذا أعلنت الحرب فعلا ولم تيسر لدى الجيش الخيل اللازمة لادامة الحرب .

اما عن تموين الجيش ، من اللحم واللبن والخبز ، فان هذه المواد كانت توزن وتوزع يوميا على المحاربين بالتساوي ؛ ويظهر أن الجنود والخيول كانوا يتناولون موادا تموينية اضافية في يوم المعركة اكثر مما يأخذونه اعتياديا .

وكانت هناك ملاحظات مدونة عن خطط الحرب وعن الاحوال التي يجب الاشتباك في المعركة والحالات التي يتفادى فيها النزال ؛ وكان يشترط في القائد أن تتوفر فيه المزايا الضرورية لادارة القتال والقدرة على وضع الخطط ،

والنظرة السليمة ، والالام بحالة جيشه ، ودقة سلوكه ، وعليه أن يعرف مزاياء وحدات جيشه وقابلية كل وحدة منها ، وعليه ألا يبدى غضبه يوم المعركة ، ولا يتخذ عملا يوقع الخوف في نفوس جنده ، ويجب أن يرتبط الجندي بأخيه بميثاق المحبة ، ويجب أن يطيع الجنود قائدهم طاعة عمياء . وعلى القائد أن يشجع جنده يوم المعركة حتى لا يبالوا بالموت وذلك بأن يذكرهم بواجبهم الديني الذي يحتم عليهم قتال الكفار ، وبالجزاء والاجر الذي سينالونه في الدنيا ، وبالذكر الطيب الذي سيكون لهم في الآخرة .

وكان الجيش يشار للقتال على قرع الطبل ، ويبدأ القتال بعد أن يصب الماء المقدس في أقرب مجرى ماء ، وبعد أن يرمى غصن مقدس على أنه السهم الاول .

وجرت العادة بأن القائد ينصح عدوه قبل المعركة بأن يخضع للشاهنشاه وأن يؤمن بدين زردشت ، وأن يدعو للحرب بالمبارزة بين رجل ورجل ، كل رجل له شجاعة في القتال .

وهناك تعاليم مدونة عن المكافآت التي تمنح للفرق المحاربة بعد الظفر ، ومعاملة العدو المنهزم ، والاسرى والرهائن ، وتخيير الشعب المفلوب بين الموت أو قبول الجنسية الايرانية ، ويحتمل أن يكون معنى ذلك الالتزام بخدمة ايران بالسلاح - اي الاندماج في جيشها - وكان سلاح الفارس يتكون من : تجافيف ودروع وجوشن وساقين وسيف ورمح وترس وحرز تلزمه منطقة وعمود وجعبة فيها قوسان بوتريهما وثلاثين نشابة ووترين مضفورين يعلقهما الفارس في مفر له ظهريا .

وكان السلاح الرئيسي : القوس والنشاب ، وهو السلاح القديم الذي كان الفرس يحسنون استعماله منذ أقدم العصور .

لقد كان الجيش الايراني مرتكزا على الحكم الاقطاعي ، فكان المرازبة والدهاقين يتولون قيادته ويتحكمون في الاراضي والعقارات الشاسعة للقيام باعاشة رجالهم ، ولم يكن للجيش الايراني هدف يوحد صفوفه ويسعى لتحقيقه غير الارتزاق ، كما كانت قيادته وراثية غالبا وكان قادته يعتمدون على حسبهم ونسبهم وحظوتهم لدى الاكاسرة لا على مواهبهم العسكرية وكفاءتهم في القتال (٦٥)

كما لم يكن الجنود الايرانيون على درجة عالية من الشجاعة والفداء ، كما أن الحروب التي دارت رحاها بين الفرس والرومان أضعفت قوى الجيشين على حد سواء .

(٦٥) أنظر : فادة فتح العراق والجزيرة س (١٥)

الملوك

الملوك الساسانيون هم من نسل (ساسان) الذي كان سادنا لبیت نار في (اصطخر) ، وقد استفاد ابنه (بابك) الذي خلفه في منصبه من صلاته ببيت البارزنجين فنصب واحدا من اولاده الصغار (أردشير) في الوظيفة العسكرية الكبرى على مدينة (دار ابجرد) .

وتطلع أردشير الى ارتقاء عرش ايران ، ولكن الملك اعتبر بابك وولده أردشير تائرين ، وقد مات بابك بعد ذلك بقليل ، فارتقى ولده الاكبر سابور عرش فارس .

واشتعلت الحرب بين سابور واخيه أردشير ، ولكن سابور توفي فجأة ، فعمل أردشير على تثبيت ملكه بغزوه (كرمان) وسواحل الخليج العربي و (اصفهان) و (ميسان) وقضى على آخر ملوك الاشكانيين (أردوان) في ٢٨ نيسان ٢٢٤ م ، فدخل (المدائن) دخول الظافر معتبرا نفسه وارث الاشكانيين ؛ فتوج رسميا ملكا للملك ايران (شاهنشاه) بعد استيلائه على العاصمة (المدائن) بزم من قليل ، فكان أردشير مؤسس الاسرة الساسانية المالكة .

لقد أشاد المؤرخون بجدارة (أردشير) الحربية وبقوة روحه وبآرائه السياسية السديدة ، فقد خلق اداة سياسية ودينية ظلت أكثر من اربعمائة سنة ، كما أنشأ المدن والمعابد وحفر الترع وغيرها من المنشآت ذات النفع العام ، وقد توفي سنة (٢٤١ م) .

وتولى الملك بعد أردشير ولده (سابور) فتوج رسميا سنة (٢٤٢ م) فظهر ماني في أيامه ، فتساهل مع المانوية ورحب بهم ؛ وقد قال ماني عن ذلك : « وقد مثلت في حضرة الملك سابور ، فأحاطني برعايته ثم أتاح لي أن اجوب مملكته وأن أعظ بكلام الحياة ، وقد أمضيت سنين عددا في حاشيته وسنين كثيرة في ايران ... الخ »

وتوفي سابور سنة (٢٧٢ م) فخلفه ابنه هرمزد الاول سنة (٢٧٣ م) ، ولا تكاد نعلم شيئا عن الحوادث السياسية في عهد هرمزد الاول (٢٧٢ - ٢٧٣) وبهرام الاول (٢٧٣ - ٢٧٦) ابني سابور الاول .

واستؤنفت الحرب ضد روما أيام بهرام الثاني (٢٧٦ - ٢٩٣) ابن بهرام الاول ، وتقدمت جيوش الامبراطور كاروس حتى بلغت المدائن ، ولكن الروم تراجعوا عنها لوفاة كبيرهم فجأة ؛ وفي سنة (٢٨٣) عقد صلح تملكت به روما ارمينية والجزيرة ، وقد كان لتنازل الملك عن هاتين الولايتين للعدو الذي

كانت قواه قد وهنت اسباب وجيئة ، ذلك لان ثورة خطيرة قد شبت في الشرق .

وبعد موت بهرام الثاني في سنة (٢٩٣) ولي العرش ابنه بهرام الثالث ، ولكن حكمه لم يدم غير أربعة شهور ، فقد ثار اكبر اعمامه (نرسي بن سابور الاول) وانتصر عليه .

ولم يكن نرسي موافقا في حربه ضد روما ، فاضطر ان يتنازل للرومان عن مقاطعة ارمينية الصغرى ، واستمر السلم الذي عقد بين ايران وروما ما يقرب من أربعين سنة . وتولى الحكم هرمزد الثاني ابن نرسي (٣٠٢ - ٣٠٩) الذي اشتهر بأنه ملك رقيق الحاشية ، عادل ، خاض معارك حامية الوطيس ضد الروم . ثم ولي العرش آذر - نرسي أحد أبناء هرمزد الثاني من زوجته الاولى ، ولكنه لم يكن محبوبا من العظماء ، فعزل بعد اشهر من حكمه وسلمت عينا أحد اخوته وسجن آخر اسمه هرمزد ، فتصب العظماء أحد أبناء هرمزد الثاني من زوجة أخرى ، الامير سابور الذي كان طفلا وقتذاك .

وقد حكم سابور الثاني سبعين سنة متواصلة (٣٠٩ او ٣١٠ - ٣٧٩) وحكمت امه يساعدها العظماء حين كان قاصرا ، فأبدى سابور وهو طفل اتجاهها عجيبا الى الاصلاح ، فقد كان ينام ذات مرة في القصر الملكي بالمداين ، فاستيقظ على ضجة كبيرة امام القصر ، فلما سأل عن اسباب هذا الصخب اجابوه ، بأنه ناجم عن تراحم القوم على جسر دجلة حيث يتقابل الناس في الذهاب والاياب ، فأمر الملك في الحال بتشيد جسر آخر بجانب الاول ، بحيث يكون أحد الجسرين للذهاب والاخر للاياب .

كان سابور الثاني ملكا عظيما جديرا بأن يخلف أردشير الاول وسابور الاول وبهرام الثاني ، وقد اطلق عليه الايرانيون لقب : (ذي الاكتاف) ، لانه كان ينقب اكتاف الاسرى .

واخيرا اعد العدة لحرب روما ، فتذرع بالمنازعات الداخلية في ارمينية ليبدأ الحرب التي اراد بها استرجاع البلاد التي فقدت بهزائم نرسي ، فاجتاح ارمينية بغير صعوبة ثم اصطدم بعد ذلك بالرومان في الجزيرة ، وقد نبئت (نصيبين) لهجمات الفرس المتوالية وظفر الرومان بمعركة (سنجار) (٦٦) ولكن هذا النصر تلتته هزائم عديدة ، فكسب الايرانيون - بعد الصلح بين

(٦٦) سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة ، بينها وبين الموصل ثلاث مراحل ، وهي على سفح جبل سنجار ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٤٤/٥) والمسالك والممالك للاصطخري ص (٥٣) وثار البلاد واخبار العباد ص (٣٩٣) وتقويم البلدان ص (٢٨٢) وانظر مختصر كتاب البلدان ص (١٣٦) .

الطرفين والذي استمر ثلاثين عاما - نصيبين وسنجار والمقاطعات المتنازع عليها في ارمينية .

وسابور الثاني بين الملوك الساسانيين الاول ، هو الملك الوحيد الذي تتيح لنا مصادرنا ان نتعرف مزاياه ، فقد كان مهيب المظهر جريئا ، ذا قامة مديدة يفرع حاشيته كلها طولاً بمقدار الرأس ، وكان مزهوا الى اقصى حد بقوته وعظمته ، سريع الغضب ، قاسيا ولم تكن الانسانية ومروءة الفروسية غريبتين على اخلاقه ، وكان قائدا عظيما ، ولم تحدث مذابح بدون جدوى في ايامه عند الاستيلاء على بلاد معادية غالبا ، وقد شيد عدة مدن كبيرة .

وخلف سابور اخوه اردشير الثاني (٢٧٩ - ٢٨٣) وسابور الثالث ابن سابور الثاني (٢٨٣ - ٣٨٨) وبهرام الرابع ابن سابور الثاني (٣٨٨ - ٣٩٩) ، وكانوا ملوكا ضعفاء استعاد عظماء الدولة في عهودهم ما فقدوه من الارض ايام سابور الاكبر ، وقد عزل العظماء الاول ، وذاق الآخرون الموت الزؤام .

وفي السنوات الاولى من حكم بهرام الرابع ، اقتسمت ايران وروما ملك ارمينية ، فدخل قسمها الشرقي - وهو اكبرها تحت حماية ايران ، وخضع القسم الغربي لحماية الرومان .

وتولى العرش يزديجرد الاول (٣٩٩ - ٤٢١) وكان ملكا مملوعا بالنشاط ميلا بطبعه الى الخير ، وفي ايامه ساد السلام بين الامبراطوريتين الساسانية والرومانية ، فامر باعادة بناء الكنائس المخربة واطلاق سراح المسجونين بسبب عقيدتهم من النصارى وسمح لرجال الدين المسيحي بالتجول في كل مكان بالدولة ، ولكنه غير سياسته مع النصارى في اواخر ايام حكمه لانهم عتوا وتحلوا الراي العام ، فلم يكن مفر من مقابلة الشر بمثله .

وترك يزديجرد الذي توفي سنة (٤٢١) من بعده ثلاثة ابناء : سابور ، وبهرام ، ونرسي ، وكان يزديجرد قد اقام ابنه سابور ملكا على قسم ارمينية الخاضع لايران ، وكان بهرام يقيم عند ملك الحيرة العربي التابع للملك الفارسي ويحتمل أن يكون نرسي ابن يزديجرد الثالث قاصرا عند وفاة ابيه .

وقد اراد الاشراف ورجال الدين انتهاز الفرصة لكي يوطدوا جاههم ، فتألفت جماعة من الاشراف لكي يبعدوا ابناء يزديجرد جميعا عن وراثة العرش ، فسارع سابور ملك ارمينية الى المدائن ليضمن العرش ، ولكن العظماء ، قتلوه ونصبوا اميرا اسمه : كسرى ، ملكا عليهم وهو من فرع بعيد من الاسرة الساسانية .

ولكن الامير بهرام لم ينتظر ان يهزم بغير معركة ، فتقدم نحو المدائن يساعده العرب ، فارتاع العظماء واهل البيوتات وبدأوا يفاوضون المنذر بن

النعمان ملك الحيرة وربيبه بهرام ، وعزل كسرى وولي بهرام العرش .

ولم يكن لاحد من ملوك الساسانيين - عدا اردشير الاول وكسرى انوشروان وكسرى پرويز - ما كان لبهرام الخامس من ميل قلوب الناس اليه ، فانه خفض الضرائب عن اصحابها عطفا منه على الناس اجمعين ، وكان مطبوعا على الجند والنشاط فدعا الناس الى التمتع بالحياة ، وكان يقول الشعر العربي ويتكلم بلسان اللغات ، وكان محبا للموسيقى فسوى بين الطبقتين من الندماء والمغنين ورفع من اطربه ، وقد توفي سنة (٤٣٨) او (٤٣٩) وكانت وفاته طبيعية في قول الفردوسي ولكن معظم المصادر العربية تجعل موته ضحية حبه للصيد .

ولم يكن يزدرجrd الثاني ابن بهرام وخليفته متحلياً بصفات ابيه الحميدة ، وقد حدثت حرب صغيرة ضد الروم في اول عهد يزدرجrd (٤٤٢) ، وانتهت من غير حوادث خطيرة الى صلح لم يبدل من جوهر الاوضاع السابقة .

ومات يزدرجrd ميتة طبيعية سنة (٤٥٧) فتوج من بعده ولده هرمزد الثالث ، ولكن اخاه الاصغر منه فيروز كان يتطلع الى العرش ، فجمع جيشا وهاجم هرمزد وكان في (الري) (٦٧) وبينما كان الاخوان يتقاتلان كانت امهما تحكم في المدائن ، فقتل هرمزد وانتصر اخوه فيروز .

وكان عهد فيروز (٤٥٩ - ٤٨٤) غير موفق ، فقد كان الدفاع عن الحدود الشمالية والشرقية يتطلب جهودا حربية ، وقد زاد على متاعب الحرب قحط طويل على اثر الجفاف ، فرفع فيروز عن الناس جزءا من الضرائب ونظم توزيع الفلال ، وقد قتل فيروز في احد حروبه سنة (٤٨٤) ولم يعثر على جثمانه .

وتولى بلاش اخو فيروز الملك ، فتحولت ايران في عهده الى دولة ذليلة بتبعيتها الى ملك الهياطلة ، وقد قضي على خير رجال الجيش ، ولم يكن لدى الملك من المال ما يدفع منه اجور الجند ، ومع ذلك كان مخلصا توفرت فيه اطياب النيات لاسعاد رعيته ، ويقال : انه كان لا يبلغه ان بيتا خرب وجلا اهله عنه الا عاقب صاحب القرية التي فيها ذلك البيت على تركه انعاشهم وسد فاقتهم حتى لا يضطروا على الجلاء عن اوطانهم .

ولكنه لم يكن الرجل الذي يجب ان يكون لاهياء الدولة ، فشاع التذمر

(٦٧) الري : مدينة مشهورة وهي قصبة بلاد الجبال ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٥٥/٤) والمسالك والممالك للأصطخري (١٢٢) وثمار البلاد وأخبار العباد ص (٣٧٥)

بين العظماء وعزل بلاش بعد حكم أربع سنوات وسملت عيناه .

وحل محله قباذ بن فيروز (٤٨٨) فأشعل غضب العظماء لصلاته بفرقة المزدكية الكافرة والبدع التي ترتبت على ذلك ، وقد باشر قباذ حكمه متبعا سبيل العنف ثم ادخل على النظام الاداري بدعا ، وكان مستعدا للتطويع بالنظام القائم ولقلب حياة الافراد قلبا ثوريا وللقضاء على الآداب القديمة ، وقد اتصل بمزدك ودخل في مذهبه وتصرف على هذا الاساس ، فأصدر قوانين تبيح النساء والاموال ، وقد تحالف مع المزدكية بقصد تحطيم قوة الاشراف ، فقامت ثورة في القصر اثارها بعض كبار رجال الدين الزردشتيين ، ونصب الثوار (جاماسب) اخا قباذ على العرش .

واجتمع الاشراف الذين كوّنوا مجلس شورى الملك تحت رئاسة جاماسب ليتداولوا في مصير قباذ ، فأشار بعضهم بأن الافضل قتل الملك المزعول ، ولكن الاكثرية رفضوا اقتراحه واشاروا برأي اقل غلوا ، فحبس قباذ .

ولكنه لم يلبث طويلا في سجنه ، فقد خلصه احد أصدقائه وهرب معه الى بلاط ملك الهياطلة او الخاقان ، فاستقبله استقبال صديق قديم وزوجه ابنته ، واخيرا امده صهره بجيش وتعهد قباذ باداء الجزية اذا نجح في استعادة عرشه ، وفي سنة (٤٩٨) او (٤٩٩) دخل قباذ مملكته بدون حرب تقريبا .

ولم تحدث المصادر جميعا عما جرى من حوادث ايام جاماسب ، فثورة الارمن والاضطرابات الاخرى التي بدأت من قبل ، قد استمرت ولم يتم كبجها الا بعد سقوط جاماسب ، وهذا الملك الذي اكتسب شهرة الملك الرحيم العادل لم يثبت انه نشيط عامل ، ولما لم يجد مدافعين عنه متحمسين آثر ان ينزل باختياره عن العرش لاختيه ، وعفا قباذ عن جاماسب ولم يقتله ، كما قبل اعتذار الاشراف الذين تأمروا عليه وعفا عنهم ، ولم يعاقب غير من كانت عداواتهم بالغة الخطر .

وقد عرف قباذ كيف يثبت سلطان الملك ، فقد أخضع اعداءه وشن حربا على الروم ، واما الارمن فقد أخضعوا وأقر قباذ بحقهم في حرية العقيدة على شرط ان يعاونوه مخلصين في الحرب ضد الروم ، فقبلوا كارهين .

وحوالي سنة (٥١٩) اثرت مسألة وراثته العرش ، وكان قباذ قد وُلد سلطانه حينذاك الى حد ان حاول اعادة النظام القديم الذي يخول للملك ان يختار خليفته ، ونجح في ذلك .

واختار قباذ ابنه كسرى انوشروان ، فعارض المزدكية (قباذ) في وراثته

العرش ، فدعا قباد الى مؤتمر ديني حضره كبير المزدكية مع رؤساء الفرقة ، واجتهد في دعوة جماعة كبيرة من المزدكية . وترأس قباد نفسه المجلس ، ولكن كسرى ولي العهد الذي رأى حقوقه مهددة ، عمل وسعه لانهاء هذا الامر بضربة قاضية يصوبها نحو هذه الفرقة ، وجيء بأقوى المناظرين من الموابلة كما حضر الموبدان موبذ واسقف نصارى ايران . وارتج على انصار المزدكية وغلبوا ، وفي هذه اللحظة انقض الجند الذين كانوا يحاصرونهم وانهالوا عليهم بأسلحتهم ، فقتل مزدك وعدد كبير من اصحابه كما استبيح دم المزدكية بعد ذلك وبدأت المذابح ، فلم يستطع اهل هذا المذهب وهم مشتتون لا رئيس لهم ، مقاومة اعدائهم الالءاء فقتلوا وصودرت املكهم واحرقت كتبهم الدينية .

وبعد هلاك المزدكية خطا قباد اول خطواته الى تحقيق برنامجيه في الاصلاح ، الذي انتهى نهاية طيبة في عهد خليفته ، ولعله قد اقترح وأعد في هذا البرنامج نظام الضرائب الذي اكسب كسرى المجد .

وفي سنة (٥٣١) أصيب قباد بالمرض ، فأملى وصيته الاخيرة بولاية كسرى من بعده ، وقد توفي بعد ذلك بقليل .

يعتبر ارتقاء كسرى الاول عرش ايران - وهو المعروف في التاريخ بلقب (انوشروان) - افتتاحاً لازهى عصر من عصور الدولة الساسانية ، فانه قد قضى على البدع التي اتت بها جماعة مزدك ، كما ساد في حكمه الامن في داخل البلاد ، ولكنه كان امنا جزئيا لقوم منهكين فقراء من كثرة ما لقوا من الفتن وسوء الحكم الذي عم جميع الطبقات .

لقد كان انوشروان عماد السلطات كلها ، فهو يحكم على النبلاء كما يحكم على افراد الشعب ، وكذلك خضع له رجال الدين .

وقد بدا اصلاحاته بالقضاء على الفوضى التي احدثها اتباع مزدك ، ففضى بحكمته وعدله على المظالم . وأعطى كل ذي حق حقه .

وانتج كسرى الاول لاصلاح نظام الضرائب ، فمسحت الأراضي المزروعة بدقة وحدد ما يدفع عنه المال منها ، ثم اتخذ هذا النظام وسيلة لتنظيم الضريبة العقارية من جديد : درهم واحد في السنة عن كل جريب (٦٨) من القمح او الشعير ، وثمانية دراهم في السنة عن كل جريب من الاعناب ، وسبعة

دراهم في السنة عن كل جريب برسيم ، وخمسة اسداس درهم في السنة عن كل جريب ارز ودرهم واحد عن كل اربع نخلات ايرانية او ست آرامية او ستة اصول من الزيتون .

واعفيت كل المحصولات الزراعية الاخرى من الضرائب ، كذلك اعفي النخل المتفرق الذي لا يكون حديقة واحدة ، والذي لا شك فيه ان هذا النظام كان مرضيا للشعب بصفة عامة ، كما انه امدّ الخزينة بدخل اوفر واكثر استقرارا .

وقد عدل انوشروان الضريبة الشخصية وفقا للقانون الذي اعدّه المختصون ، وفرضت هذه الضريبة على من يتفاوت عمرهم بين العشرين والخمسين من الرجال ، واستثنى منها اهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والهرابذة والكتاب ومن كان في خدمة الملك .

وقسم من فرضت عليهم الضريبة الى طبقات كثيرة حسب ثرائهم : فمنهم من كان يدفع اثني عشر درهما ، ومنهم من يدفع ثمانية ، ومنهم من يدفع ستة ، واكثر الشعب كانوا يدفعون اربعة دراهم .

واعفى من الضريبة العقارية من بارت زراعة قمحه او تلفت اشجاره وقت جباية الضريبة ، وكان على قضاة المراكز ، ان يرفضوا الى الحكومة المركزية بيانا بالاراضي المعفاة ليتسنى للحكومة اخبار الجباة عنها ، وقد اراد كسرى بهذه الرقابة ان يقضي على الظلم الذي كان يقع على الناس عادة من تعسف الجباة في استعمال حصتهم .

وادخل على النظام العسكري اصلاحات جديدة ، فقد كانت اسر النبلاء الفقيرة - حتى ذلك الوقت - هي التي تتكون منها نواة الجيش ، وكانوا مجبرين على القيام بالجندي بلا اجر ، بل كان عليهم ان ينفقوا على اسلحتهم ، ولكن كسرى تفقد الاساور (الفرسان) فمن لم يكن له منهم يسار قواه بالدواب والعدة واجرى لهم ما يقويهم من مال ، وكان المشاة من الحرائين الفقراء ، ولم يكن لهم في الحرب - في جميع العهود - شأن كبير ، منهم جماعة من الحرائين البؤساء يعملون في الجيش لهدم الاسوار وسلب القتلى ثم خدمة الجند من الفرسان .

وكان هناك طابع للاصلاح العسكري ايام انوشروان ، فقد حصن مدن الحدود واتخذ منها مسالح لها حاميات خاصة مؤلفة من مقاتلي الامم المغلوبة على امرها الاشداء .

واستتبع النظام العسكري الجديد تغييرا في القيادة العليا ، فألغى انوشروان وظيفة القائد العام لایران وكانت له الرئاسة على الجنود ، ففرق

كسرى سلطة هذا المنصب بين اربعة قادة ، منهم واحد للمشرق وخراسان وما والاها ، والثاني من العراق حتى حدود الدولة البيزنطية ، والثالث لليمن والرابع لاذربيجان وما والاها وهو بلاد الجزيرة .

لقد اجرى كسرى اصلاحات عظيمة في الجيش ، فجعل منه اداة عظيمة في الحرب وفي حفظ الامن .

وكان النزاع بين دولة الفساسنة وهي تابعة للروم وبين ملك الحيرة وهو تابع لملك ايران سببا في قيام الحرب بين الدولتين الكبيرتين ، وفي سنة (٥٤٠ م) استولى كسرى على (انطاكية) وخربها ، وبعد سلسلة من الحروب اعلنت الهدنة بين الطرفين سنة (٥٤٥ م) ، وبعد ذلك نشب القتال حين حاول كسرى اخضاع بعض نصارى القوقاز ، وكانت محاولة عقيمة بسبب تدخل الروم ، وعقد الصلح النهائي بين الدولتين سنة (٥٦٢ م) لمدة خمسين سنة .

ونجح كسرى بين سنتي (٥٦٣ - ٥٦٧ م) في اباداة دولة الهياطلة ، وكان نهر (جيحون) هو الحد بين ايران واراخي الخاقان التركي الذي اصبح عدوا شديدا للراس لا يقاس به ملك الهياطلة ، وظهرت في القوقاز قبائل الترك ايضا ، ولكي يدفع كسرى عن هذه الحدود هجماتهم ، جدد تحصينات قلعة باب الابواب (٦٩) (در بند) وقواها .

ومد كسرى نفوذه جنوبا على اليمن ، وقد تحالف احد قواد كسرى مع العرب وطرده الاحباش منها سنة (٥٧٠ م) .

لقد كان كسرى مثالا للملك العادل ، وقد طبقت القوانين في ايامه بدقة وعدالة .

وبلغت (المدائن) عاصمة الدولة في عهده اقصى اتساعها ، وكانت محاطة بأسوار حصينة عليها ابواب محكمة .

وقد بدأت النهضة الفلسفية والادبية في ايران ايام كسرى انوشروان ، وحالف رجال الدين الزردشتي لكي يخلص نهائيا من المزدكية ، ولا شك ان كسرى كان زردشتيا ، الا انه كان حر التفكير ، وكانت عقليته قابلة لبحث الاراء المختلفة في المسائل الدينية والطبيعية ، وقد منح النصارى حرية العقيدة .

(٦٩) باب الابواب : ويقال لها : الباب أيضا ، ميناء كبير على بحر الخزر وهي مدينة كبيرة محصنة ، انظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري ص (١٠٩ - ١١٠) ومعجم البلدان (٩/٢) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٥٠٦)

ان عهد كسرى الاول من امجد العهود الساسانية ، فقد بلغت ايران في ايامه مجدا فاق ما بلغته ايام الملوك العظام .

وخلف كسرى الاول على العرش هرمزد الرابع سنة (٥٧٩ م) ، فكان خير خلف لخير سلف .

وقد كان بوسعه ان يدعي لنفسه لقب : العادل ، ولعله كان اكثر استحقاقا له من كسرى ، فقد كان كثير العطف على الضعفاء والمظلومين شديدا على الاشراف والظالمين .

وقد عرضة تسامحه في امور الدين لحقد رجال الدين الزردشتي ، وحينما ولي العرش كانت مفاوضات السلم تدور بين بيزنطة وايران ، فعمل على اخفاؤها .

فتجددت الحرب سنة (٥٨١ م) على غير طائل .
واخيرا ثار عليه القائد (بهرام) الذي منى بالهزيمة امام الروم فانتزعه هرمزد بطريقة مهينة ، فانتشر التمرد في البلاد كلها ، ونجحت الثورة وخلع الملك وادخل السجن وسمت عيناه .

وتولى ابنه كسرى الثاني (برويز المظفر) العرش سنة (٥٩٠ م) ، ولكن القائد الثائر بهرام جوبين لم يكن مستعدا لمبايعة الملك ، فتجرا على المطالبة بالعرش فولى كسرى فرارا امام قوات بهرام المتفوقة ، ودخل بهرام مظفرا الى العاصمة ووضع التاج على مفرقيه رغم معارضة لفيث من العظماء ، ثم سك النقود باسمه بينما كان كسرى يعبر الحدود البيزنطية ويحتمي بالامبراطور موريس .

وكان عهد بهرام السادس سلسلة من الاضطرابات والمعارك ، فقد كان رجال الدين خصوما له وكذلك كان عدد كبير من العظماء الذين لم يريدوا المبايعة لمغتصب من طبقتهم انفسهم ، فدبرت فتنة ضد بهرام ، ولكن المؤامرة فشلت وقتل زعمائها .

وعمل الامبراطور موريس على مناصرة كسرى وامده بالعون العسكري ، وبعد معارك عنيفة هزمت قوات بهرام ، فلجأ آمنة الى بلاد الترك حيث قتل بعد زمن قليل .

وعاد كسرى الثاني الى عرشه ، فتغلب في الاخير على مؤامرات ودسائس داخلية ، ثم هاجم بيزنطية متذعرا بمقتل الامبراطور موريس سببا لهجومه ، ففزا آسيا الصغرى واستولى على الرها وانطاكية ودمشق وبيت المقدس حيث انتزع (الصليب) وبعث به الى المدائن ، ثم استولى على الاسكندرية

وأجزاء أخرى من مصر ، وفي ذلك الوقت حوالي سنة (٦١٥ م) بلغت قوة كسرى أوجها .

وقد أوقف هرقل آخر الأمر الزحف المظفر الذي قامت به جيوش الفرس ، فاستعاد آسيا الصغرى وتقدم طاردا جيوش كسرى في أرمينية وأذربيجان .

وبعد حكم دام سبعا وثلاثين سنة لقي كسرى الثاني المصير الذي أعده لأبيه من قبل ، فإنه بعد أن رفض عروض الصلح الذي قدمها هرقل عاد إلى قصره في المدائن ، ثم لم يلبث أن عبر دجلة ليقیم مع عشيقته (شيرين) في سلوقية ، وحينئذ ثار القواد الفرس وكانوا ساخطين على إصرار كسرى على مواصلة حرب لا أمل فيها . ومرض كسرى بالزحار فنقل إلى المدائن ليرتب وراثة العرش ، وكانت معه شيرين وولدها مردانشاه وشهريار ، وكانت نيته تثبيت مردانشاه على العرش . ولما علم قباز الملقب بشيروه وهو ابن كسرى ولعله أكبر الأمراء ، عزم على الدفاع عن حقوقه واستوثق من مساعدة القائد العام الجديد ، وانضم لشيروه عظماء آخرون .

وهكذا نصب شيروه نفسه ملكا ، وفي الصباح الباكر سمع كسرى الثاني الناس يصيحون فرحين : (قباز شاهنشاه) ، ففر كسرى وقد أخذ الهلع منه كل مأخذ واختبأ في حديقة القصر حيث عثر عليه فقتل غداة هذه الحوادث ، وأمر شيروه بأن تقطع أيدي أخوته وأرجلهم ثم قتلهم بعد ذلك .

وقد توفي قباز الثاني (شيروه) بعد أن حكم حوالي الستة أشهر مسموما أو قريسة لطاعون مروع اجتاح الدولة وأهلك الكثير من سكانها .

وتولى العرش ابن شيروه : أردشير الثالث ، وكان طفلا فنصب عليه الرئيس الأعلى (ماه آذر كشتب) رائدا فكان الوصي الحقيقي له ، وقد أبى (فرخان شهربراز) قائد كسرى برويز المشهور أن يخضع لأوامر واحد من أكفائه ، فاتفق مع هرقل ملك الروم وزحف بجيشه على المدائن فدخلها وقتل الملك الصغير الذي لم يكن قد حكم غير سنة ونصف ، ونصب شهربراز نفسه ملكا بالرغم من أنه لم يكن من الأسرة المالكة .

ولكن مؤامرة دبرت ضد الملك الجديد ، فقتل الفاصب وبويع كسرى الثالث ابن الأمير قباز أخى كسرى الثاني ملكا على القسم الشرقي من الدولة ، ولكن لم يلبث أن قتله حاكم خراسان .

وفي المدائن وضعوا التاج على رأس السيدة بوران بنت كسرى برويز ، فعقدت سلما نهائيا مع بيزنطة . وتوفيت بعد أن حكمت حوالي سنة وأربعة أشهر ، وكان الفرس قد ردوا قبيل محادثات الصلح الأخيرة ، الصليب الذي

كانوا قد اخذوه من بيت المقدس ، وقد كان الاحتفال بهذا الحادث سنة (٦٢٩ م) في بيت المقدس .

وتولى الملك فيروز الثاني لمدة قصيرة جدا ، ثم نصبت (آزر ميدخت) اخت بوران ملكة في المدائن ، ولم يلبث حكمها غير بضعة شهور حيث ثار عليها احد القادة وسمل عينيها .

وحوالي هذا الوقت نفسه بين سنتي (٦٣٠ م) و (٦٣٢ م) حكم هرمزد الخامس وكسرى الرابع ، ولا تعرف عنهما غير الاسم .

وفي مدة اربع سنوات تقريبا ولي عرش ايران عشرة ملوك على الاقل ، واخيرا عثر على امير من نسل كسرى برويز هو يزدجرد ابن الامير شهريار ، وكان يعيش مختفيا في اصطخر ، وقد بايعه عظماء اصطخر ملكا وسار اعوانه الى المدائن فاستولوا عليها بمساعدة رستم (٧٠) ، وهكذا اتحدت المملكة للمرة الاخيرة تحت حكم يزدجرد الثالث .

هذا هو حال ايران ، حين اغارت عليها جيوش العرب المسلمين يروح لا يقاوم .

وكان من اسباب انتصار العرب المسلمين على الفرس تسلط القادة العسكريين ومحاولاتهم اغتصاب العرش وتسلط حكام الولايات واعتبارهم ولاياتهم كأنها اقطاع وراثي ، فكانوا شبه مستقلين عن الدولة المركزية .

وفي سنة (٦٣٦ م) التقى الجيش الفارسي بقيادة رستم بجيش العرب المسلمين بقيادة سعد بن ابي وقاص الزهري في القادسية غير بعيد عن الحيرة ، واستمر القتال ثلاثة ايام وانتهى بهزيمة الفرس وقتل رستم . وتقدم العرب المسلمون نحو المدائن سنة (٦٣٧ م) ففتحوها ودخل سعد بن ابي وقاص مظفرا في العاصمة المهجورة وعسكر بجيشه امام طاق كسرى .

وحاول الملك محاولة اخيرة فجمع جيشا من جميع اجزاء المملكة ووضع على راسه قائدا مسنا اسمه (بيروزان) ، فاشتبك بالعرب المسلمين سنة (٦٤٢ م) في موقعة نهاوند التي كانت معركة حامية الوطيس والتي انتهت بهزيمة الفرس ، فلم يبق بعد ذلك جيش للملك .

وترك الملك الدفاع عن المملكة للمرازمة او الى الولاة المحليين ، وقد ابلى بعض هؤلاء مثل الهرمزان في الاهواز حسنا في مقاومة العرب المسلمين ، ولكن بغير جدوى .

(٧٠) هو قائد الفرس في معركة القادسية

وفتحت همذان والري واذربيجان وارمينية ، وتراجع يزدرجرد الى اصفهان حيث اقام ومن حوله عدد كبير من النبلاء . وبعد دخول العرب المسلمين اصفهان آوى يزدرجرد الى اصفخر ثم هرب منها بعد فتحها وفتح فارس كله وهو الاقليم الذي نشأت فيه الاسرة الساسانية .

ولجأ يزدرجرد اخيراً الى خراسان ، وعاش حاول استنهاض همم الولاة المحليين لحمل السلاح وكان قد طلب سنة (٦٣٨ م) عون امبراطور الصين . وسار من نيسابور الى طوس ، فلم يرد حاكمها ان يأويه ورده برفق ، فاتجه الى (مرو) آخر الامر لعله يجد مأوى ، ولكنه هرب منها خوفاً من اسره في ظلام الليل وقد اتشح بثوب مطرز بالذهب ، وبعد ان سار حينا على غير هدى احس بالتعب فدخل طاحونة وسأل الطحان ان يأويه سواد الليل ، فلم يعرف الطحان ضيفه ، ولكن ما عليه من فاخر الثياب اثار طمعه ، فقتله وهو يغط في النوم (٧١) .

وبذلك انقضى ملك العجم بعد عشرين سنة مضت من ملك يزدرجرد في سنة احدى وثلاثين للهجرة (٦٥١ م)

فما هي حقوق الملك وما هي واجباته ؟

نستطيع ان نقول : انها خلاصة للنظرية الدينية في السلطة الملكية ايام الساسانيين ، وقد عدلت هذه النظرية تعديلا طفيفا بحكم التطور ايام كسرى الاول ، ولكنها ليست دينية دائما .

وصفات الملك وواجباته هي : ١ - الصفات والواجبات التي تتصل بالدين ، ٢ - العقل السليم ، ٣ - الخلق القويم ، ٤ - القدرة على العفو ، ٥ - حب الرعية ، ٦ - القدرة على تهيئة الراحة للرعية ، ٧ - السرور ، ٨ - التذكر دائما بان السلطة فانية ، ٩ - تقدير الإكفاء برفع درجاتهم ، ١٠ - تنبيه الغافلين ، ١١ - حسن السلوك مع رؤساء الاقاليم ، ١٢ - اصدار الاوامر العادلة ، ١٣ - مراعاة عقد اجتماعات عامة في حضرته ، ١٤ - الكرم ، ١٥ - طرح الحرص ، ١٦ - تأمين الناس من الخوف ، ١٧ - مكافأة الطيبين بجعلهم مع رجال البلاط او برفع درجاتهم ، ١٨ - العناية بتعيين المديرين في الدولة ، ١٩ - طاعة الله طاعة تامة .

ومن خلال هذه الصفات والاوامر ، نستطيع ان نتبين بوضوح النظرية الدينية في الدولة ونرى الى اي حد كانت هذه النظرية تعتمد على الطابع

(٧١) انظر تفاصيل روايات مقتله في الطبري (٣٤٢/٣ - ٣٤٨) وابن الاثير (٤٥/٢ - ٤٧) وتاريخ أبي الفدا (١٦٨/١) وابن خلدون (١٣٦/٢)

الديني للدولة على اساس الاستبداد . وقد قام دستور الدولة الساسانية قولا وفعلا الذي يلطفه (جزاء) العزل أو القتل ، وفي هذا حد من سلطة الملك، حد لا يستند الى نصوص في دستور مسطور ولكن يستند الى الروح الديني والخلقي في الدولة ، وكان عجز الملك يتجلى بطرق مختلفة منها ضرورة اتباع نصائح كبار رجال الدين وتوجيههم ، وكانت نظرية عزل الملك سلاحا قويا في ايدي الموابذة ، واذا كثر المرشحون للملك وكان يشد أزر كل واحد منهم حزب النبلاء ، كان رأي كبير الموابذة فاصلا في تعيين الملك الذي يرضاه ، فانه يمثل القوة الروحانية وفي شخصه يتجسد ايمان الامة وشعورها الديني .

وكان الملوك الساسانيون الاول يعيّنون خلفاءهم ، ولكن ولاية العهد لم تكن مرتبطة بقواعد محددة ، والعادة أن ينصب الملك احد ابنائه لولاية عهده، ولكنه اذا اراد يستطيع ان يعين فردا آخر من بيته .

وفي المدة التي ضعف فيها سلطان الملك ، استطاع ملوك مثل بهرام الخامس ويزدجرد الثاني ان يسروا في حكمهم بلباقة ، فقد اظهر هذان الملكان للناس التقوى وتركوا امور الدولة للعظماء يسرونها ، وفي هذه المدة لم يكن الملك يختار ولي عهده ، بل جرى العمل في الواقع على اختيار الملك من بين افراد اسرة الساسانيين ، وقد اعطي حق انتخاب الملك لرؤساء رجال الدين والجيش والكتّاب ، وفي حالة اختلافهم الى كبير الموابذة وحده .

ويجري انتخاب الملك بالطريقة الآتية : كان الملك يكتب بيده ثلاث وصايا يودع الاولى للموبدان موبد (قاضي القضاة) والثانية كبير الكتّاب ، والثالثة كبير رجال الجيش ، ولم تكن هذه الوصية لتحوي غير نظرات عامة وآراء في اخلاق المرشحين المختلفين واستعدادهم وحاجات الدولة ، فهي لا تتضمن توصية محدودة ، ولو كان الامر كذلك لما كان هناك حاجة للمداولة واختيار واحد من اولئك الثلاثة الكبار ، وحينما يموت الشاهنشاه يدعى الموبدان موبد ومعه الرجلان الآخران ، ثم يجتمعون للمداولة ويفضون الرسائل ويتشاورون في اختيار احد أبناء الملك ، فاذا اتفق رأي الموبدان موبد مع رأي الآخرين ، يداع الرأي على الناس ، اما اذا كان اختلاف لم يدع شيء في الخارج ، ولا يعلم احد شيئا عن الوثائق المكتوبة او عن رأي الموبدان موبد الى ان يدعو هذا الى مجلس سري فيه الهرابذة وعلماء الدين والزهاد، فيصلثون ، ويقف الاتقياء من خلفهم يقولون : آمين ، ويسجدون ويرفون ايديهم وهم خاشعون ، وينتهي هذا بصلاة المساء ، ويؤمن الحاضرون بما أوحى الله الى قلب الموبد الكبير ، وفي تلك الليلة يحضرون الى القاعة الكبرى في القصر ، يأخذ كبار الضباط مكانهم ، ثم يدخل كبير الموابذة مصحوبا بالهرابذة والعظماء والوزراء الى مجلس امراء البيت المالك فيصطفون جميعا امام الامراء ويقولون : لقد تشاورنا امام الاله الاعلى ، فأرشدنا والهمنا

وهذان الى الخير ، ثم يصيح كبير الموبدة عاليا : « ان الملائكة قد ارتضوا فلان ابن فلان ملكا ، فبايعوه ايها الناس ، وانها لبشرى لنا » ، وحينئذ يرفعون هذا الامير ويجلسونه على العرش ويضعون التاج على رأسه ، ثم يمسكون يده ويقولون له : « اتقبل من الله دين زردشت الذي قواه كشتاسب بن لهراسب والذي احياه اردشير بن بابك ؟ » ، فيجيب الامير بالايجاب ويقول : « سأعمل لخير ريعتي ان شاء الله » ، ويمكث رجال القصر والحرس معه ، وتعود الجماعات الاخرى الى اعمالها وشؤونها .

وهكذا كان انتخاب الملك متوقفا في نهاية الامر على الموبدان موبد ، الذي كان يحتفظ ، من ناحية اخرى ، بالمهمة العظيمة وهي تنصيب الملك ، وهذا ما يبين بجلاء مركز رجال الدين الزردشتيين ومكانة كبيرهم .

وكان للمدالة حرمة عظيمة في ايران القديمة ، وهناك دلائل كثيرة على ان الملوك منذ عهد الاكمنيين ، كانوا يراعون بدقة التوجيه الصحيح من القضاة وعدل القضاة ، وكان اسم القاضي ايام الساسانيين ايضا له حرمة تامة ، وكان القضاة يختارون من بين ذوي التجارب والعدل من الرجال ، الذين لا يحتاجون الى المشاورة .

وكان الملوك يجلسون للعامة مرتين في السنة ، يوما في النوروز ويوما في المهرجان ، ولا يحجب عن الملك احد في هذين اليومين لا صغير ولا كبير ولا جاهل ولا شريف ، وكان الملك يأمر بالنداء قبل جلوسه بايام ليتأهب الناس لذلك ، فيهيئ الرجل القصة ويهيئ الآخر الحجة في مظلمته ، ثم يأمر الملك الموبد ان يوكل رجلا من ثقات اصحابه فيقفوا بباب العامة ، فلا يمنع احد من الدخول على الملك ، وينادي مناديه : « بان من حبس رجلا عن رفع مظلمته فقد عصى الله وخالف سنة الملك ، ومن عصى الله فقد اذن بحرب منه ومن الملك » ، ثم يؤذن للناس بالدخول وتؤخذ رقاعهم فينظر فيها ، فان كان فيها شيء يتظلم فيه من الملك بديء به اولا ، فيخبر الملك الموبد الكبير ورأس سدة الناس ، ثم يقوم مع خصومه حتى يجثو بين يدي الموبد ، فيقول له : « انه ما من ذنب اعظم عند الله من ذنب الملوك ، وانما خولها الله تعالى رعاياها لتدفع عنهم الظلم وتذب عن بيضة الملك جور الجائرين وظلم الظالمين ، فاذا كان الملك هو الظالم الجائر ، فحق لمن دونه هدم بيوت النيران وسلب ما في النواويس من الاكفان ، ومجلسي هذا منك وانا عبد ذليل ، يشبه مجلسك من الله غدا ، فان آثرت الله آثرك ، وان آثرت الملك عذبك » . فيقول له الموبد : « ان الله اذا اراد سعادة عباده اختار لهم خير اهل ارضه ، فاذا اراد ان يعرفهم قدره عنده اجرى على لسانه ما اجرى على لسانك » ، ثم ينظر في امره وامر خصمه بالحق والعدل ، فان صبح على الملك شيء اخذه به ، والا حبس من ادعى عليه باطلا وتكل به ونودي عليه : « هذا جزاء

من اراد شين الملك وقدح في المملكة . فاذا فرغ الملك من مظلله في نفسه ، قام فحمد الله ومجده طويلا ، ثم وضع التاج على رأسه وجلس على سرير الملك ، واخذ ينظر في شكاوى الناس .

وكان الملك اعتياديا في ايام السلم يدير دولته من ايوانه في المدائن ، وهناك كان يقيم الملك محاطا بحاشيته العظيمة ، وكانت الادارة العامة للدولة تستقر في المكاتب (الدواوين) التي كان يسودها نظام احكم تحديده ، وكانت للملك اختام عدة : خاتم للسرا وخاتم للرسل ، وخاتم للتخليد يختم به السجلات والاقطاعات وما اشبه ذلك من كتب التشريف ، وخاتم للخراج ، وكان هناك دواوين للحرب والبريد والنقود والمقاييس والمكاييل وللأملاك الملكية الخاصة .

وكانت الاوامر الملكية والمعاهدات ووثائق الدولة الاخرى تختم بخاتم الملك ، وكان خاتما نقش عليه صورة خنزير بري ، فاذا تضمنت الوثيقة التزاما قبل دولة اخرى ، مستقلة كانت او تابعة ليران ، فانها تشفع بكيس من الملح وتختم بخاتم الملك ، وذلك علامة للمعهد الذي لا ينقض .

وكان يحيط بالملك كثير من رجال الحاشية الممتازين المقربين ، فكان هناك رئيس الديوان الملكي ، ورئيس التشريفات ، والموكل بالحجاب . وكان هناك نظام القصر ورؤساء المخازن والسقاة والذواقون ورئيس اصحاب المائدة والحجاب والقوام على الصقور ورئيس الاصطبلات وكبير البوابين وغيرهم ، وكان يحيط بالملك حرس عديد قوي مهمته الدفاع عن الملك والقيام بحراسته ، وكان رئيسهم يتمتع بأوسع جاه في البلاط ، وكان هذا الحرس في آخر عهد الساسانيين مؤلفا من النبلاء . وحين يمتطي الملك حصانه يقف الحرس صفين عليهم الدروع والبيض والترسة والسيوف وبأيديهم السلاح ، فاذا حاذاهم الملك وضع كل رجل ترسه على قربوس سرجه (مقدم السرج) ثم وضع جبهته عليه كهيئة السجود .

وكانت هناك طوائف اخرى ذات شأن كبير في الدولة الساسانية لما كان لرجالها من تأثير شخصي على الملك ، وهؤلاء هم : اولاء المنجمون ورئيسهم ، وكانوا من طبقة الكتاب ، والكهان ، وكان الملوك الساسانيون يستشيرونهم كما كان يفعل أسلافهم ، وكان رجال الدين انفسهم يمارسون قراءة الفيب ، وكان هناك اطباء البلاط وشعراء البلاط ، واما الخصيان فكانوا من ذوي الخطر ولعلمهم لم يدخلوا في زمرة النبلاء قط .

وكانت الجلسات الملكية العامة في بهو الاستقبال الملكي بالايوان ، وفي تلك الايام كانت الجماهير تندفق امام البوابة العظيمة التي هي باب بهو الاستقبال ، ولا تلبث القاعة الكبيرة ان تفيض بالوافدين ، وكانت ارض القاعة

مفروشة بالسجاجيد العظيمة ، كما كانت تعلق السجاجيد على الجدران ، والجدران العارية كانت عليها لوحات من الفسيفساء أعدت بأمر كبرى الأول ، وكان العرش موضوعا في أقصى القاعة خلف الستارة وقد احاط به الضباط العظام والنبلاء ، وكانوا يقفون على بعد من الستارة وفقا لسنن المراسيم ، وكان هناك حاجز بين رجال البلاط والعظماء وبين جمهرة الشعب ، وقبالة ترتفع الستارة ويظهر الشاهنشاه وقد جلس فوق عرشه على وسادة من الديباج المذهب ، وكان يرتدي ثوبا ثميناً موشى بالذهب ، وكان التاج موشى بالذهب والفضة ومطعماً بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ ، معلقاً بسلسلة من الذهب في رأس طاق مجلسه ، ذلك لأن عنقه كانت لا تحمل تاجه إنما يستر بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك ، ثم يدخل رأسه في التاج ، وهو يزن واحداً وتسعين ونصف كيلوغرام . ومنظر هذا الإيوان الفخم البديع ينفذ إليه ضوء أخاذ من خلال الخمسين ومائة كوة التي في القبة والتي يبلغ قطر كل واحدة منها من اثني عشر إلى خمس عشرة سنتمتراً ، هذا المنظر الفخم كان يدهش من يراه لأول مرة ، فيركع لهيبته ، وعندما يفادر الملك القاعة بعد انتهاء المجلس ، يبقى التاج معلقاً ، فيلف بسترار من الديباج حتى لا يتسرب إليه التراب .

وكان منظر الملك وقد تزين بحليه كلها عظيماً رائعاً ، وكان على من يمثل في الحضرة الملكية أن يسجد حسب التقليد القديم .

وكان ضابط كبير من حرس الباب ، يرفع إلى الملك اسم من يريد أن يتكلم معه ، فإذا أذن الملك بذلك دخل الرجل وهو يجذب من كمه منديلاً أبيض نقياً يغطي به فمه لمنع أنفاسه من تلويث الأشياء المقدسة ويستخدم ذلك في هذه الحالة لوقاية جلال الملك ، فإذا احتاط الداخل هذا الاحتياط اقترب ثم ألقى بنفسه على الأرض أمام الملك ، ويبقى على هذه الهيئة إلى أن يأمره الملك بالوقوف ، فإذا دعاه الملك للكلام بدأ حديثه ببعض الجمل المناسبة التي تعبر عن دعائه للملك ، وكانت الصيغة الشائعة أن يقول : « خلدك الله » أو : « حقق الله رغباتك » ... وهكذا .

وكان الملوك الساسانيون يلقبون : (انتم الكائنات الأولية) أو (قدسيتم) ، ويقال للملك : الإنسان الأول ، فكان المخاطب له لا يذكر اسمه ، وكان من المحرم أن يدعو الناس إذا كان الملك يصلي ويقول : آمين ، لأن الملك الطيب له امتياز ، وأوجب أن يصلي لرعيته الطيبة ، ولكن الشعب الطيب لا يصلي للملك الطيب ، لأن دعاء الملك الصالح أقرب إلى الله .

ومن ناحية أخرى كانت الفوارق بين الملك والرعية ظاهرة بطرق مختلفة ، فقد كانت ملوك العجم تمنع أن يشاركها الرعية في الحجامة والفصد وشرب الدواء يوم تفعل ذلك .

وأما نظام المراسيم أو الآداب الصارم الدقيق الذي كان يسود البلاط الساساني ، فلدينا معلومات ذكرها الجاحظ في كتابه : التاج ، في مناسباتها ، فيصف طبقات خاصته الثلاث : الأولى الاساورة وابناء الملوك ، وكان مجلس هذه الطبقة من الملك على عشرة اذرع من الستارة ، ثم الطبقة الثانية وكان مجلسها من هذه الطبقة على عشرة اذرع وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من اهل الشرف والعلم ، ثم الطبقة الثالثة وكان مجلسهم على عشرة اذرع من الثانية وهم المضحكون واهل الهزل والبطالة ، ولم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الاصل ولا وضعفه ولا ناقص الجوارح ، ولا فاحش الطول والقصر ولا مصاب بأفة ولا مرمى بابنة ولا مجهول الابوين ولا ابن صناعة دنيئة كابن حائك او حجام .

وكانت ملوك الفرس تحتجب عن الندماء بستارة ، والستارة من الملك على عشرة اذرع ، وهي من الطبقة الاولى على مثل هذا القدر ، فيبين الملك وبين اول طبقة عشرون ذراعا .

وأذا هم الملك بالمسير في نزهة او لبعض اموره ، فان الاساورة ، وخاصة الملك ، يعرضون دوابهم على راحة دواب الملك وصاحب دوابه ، لانه لا ينبغي ان يكون حصان احدهم بليدا او كثير النفور او العثار او الجماح فيكون على الملك من ذلك بعض ما يكره ، ولا يحاذي حصان احدهم حصان الملك وان اراد ذلك منعه راكمه ، ويجب الا يبول او يروث او يشغب ، ولذا كان على الاساورة الا يطعموا دوابهم في اليوم السابق على الخروج مع الملك ، فمسايرة الملك في رحلة كان واجبا ثقيلًا وشرقا غير مستماع عند المعظماء ، وكذلك لم يكن الملك يثابر على مساورة احد من بطانته بعينه لما كان يعلم من طيرتهم من ذلك وكراحتهم له .

وكان حرمة مجلس الملك ، اذا غاب كحرمة اذا حضر ، وكان للملوك عيون على مجالسها اذا غابت عنها ، فمن حضرها فكان في كلامه واشارته وقلة حركته وحسن الفاظه وادبه - حتى انفاسه - على مثل ما يكون اذا حضر الملك سمي ذا وجه ، ومن خالف اخلاقه وشيمه وظهر منه خلاف ما يظهر بحضرة الملك سمي : ذا وجهين ، وكان عند الملك منقوصا متصنعا .

وقد احتاط الملوك الساسانيون لانفسهم خشية الاعتداء عليهم ، فلم يكن احد يعرف ابن ينامون ، اما اردشير بن بابك وسابور وبهرام ويزدجرد وبرويز وكسرى انو شروان فكان يفرش للملك منهم اربعون فراشا في اربعين موضعا ليس فيها فراش الا ومن رآه من بعيد على الانفراد فانه لا يشك انه فراش الملك خاصة وانه نائم فيه ، ولعله لا يكون على احد منها ، بل لعله ينام على مجلس رقيق وربما توسد ذراعه فنام .

ولم يكن لأحد الحق في أن يدخل غرفة الملك الخاصة ، حتى ابن الملك كان عليه أن يستأذن قبل أن يدخل .

وعلى الملك أن يكون جوادا لرعاياه ، وعلى حاشيته خاصة ، فإن جود الملك هو مظهر عظمة المملكة ويبقى له ذكرى طيبة من بعده .
وكان الملك الساساني يقدر للرجل من خاصته وبطانته تقديرا وسطا بين الاسراف والاقتصاد في مؤونته كلها وحوائجه خاصها وعامها ، فإذا كان التقدير على الجهة التي وصفنا عشرة آلاف درهم في الشهر وكانت للرجل ضيعة فإنه لا يخصم منه في نظير هذه الضيعة التي افادها من صلات الملك ، وأمر أن يدفع إليه في ثلاثين ليلة عشرة آلاف درهم لضيوفه ونفقاته وحوائجه بحيث لا يحتاج الى طلب المال من الملك .

وكان الملك إذا زار وزيرا من وزرائه أو عظيما من عظمائه (للتعظيم لا لفيرة) ، أرّخت الفرس تلك الزيارة وخرجت بذلك التاريخ كتبهم الى الآفاق والاطراف ، وكانت السنة أن من زاره الملك للتعظيم أن توغر ضياعه (تعفى من الضرائب) وتوسم خيله ودوابه لثلاث سنين ولا تمتعن ، ويأتيه خليفة صاحب الشرطة كل يوم مع ثلاثمائة راكب ومائة راجل ، يكونون ببابه حتى غروب الشمس ، فإن ركب كانت الرحالة مشاة امامه والفرسان من خلفه ، وكان عليه أن يقدم الهدايا للملك ومنها حصان سريع معد أحسن اعداد سرجه مذهب يضعه تحت تصرف الملك أثناء اقامته ، وكان هذا يأخذه معه في عودته ، والشرف الذي يسبقه الملك على مضيفه يؤدي الى مزايا دائمة له : فلا يحبس أحد من عامته وخاصته لجناية جناها ، ولا يحكم على أحد من عبيده بحكم ، وإن وجب على أحد من بطانته حد وجه به اليه ليرى فيه رأيه ، ويؤخر عليه وظيفة ما عليه من خراج أرضه حتى يكون هو الحامل له ، وتقدم هداياه في النوروز والمهرجان على كل هدية ، وتعرض على الملك ويكون أول من يأذن له الحاجب ، ويكون من الملك إذا ركب عن يمينه منزويا ، وتكون مرتبته إذا قعد عن يمينه ، وإذا خرج من دار المملكة لم يقعد بعده أحد .

وكان العظماء يقدمون الهدايا للملك في عيدي النوروز والمهرجان ، والسنة في ذلك عندهم أن يهدي الرجل ما يحب من ملكه إذا كان من الطبقة العالية ، فإن كان يحب مسكا أهدي له مسكا لا غير ، وإن كان يحب عنبرا أهدي عنبرا ، وإن كان صاحب بزة ولبسة أهدي كسوة وثيابا ، وإن كان الرجل من الشجعان والفرسان فالسنة أن يهدي فرسا أو رمحا أو سيفا ، وإن كان راميا فالسنة أن يهدي ثيابا ، وإن كان من اصحاب الاموال فالسنة أن يهدي ذهباً أو فضة ، وإن كان من عمال الملك وكانت عليه بقايا ديون للسنة الماضية جمعها وجعلها في بدر من حرير صيني وشريحات فضة

وخيوط ابرسم وخواتيم عنبر ثم وجهها هدية الى الملك ، وكان يهدي الشاعر الشمر والخطيب الخطبة ، والنديم التحفة والطرفة والباكورة من الخضراوات .

وعلى خاصة نساء الملك وجواريه ان يهدين الى الملك ما يؤثرنه ويفضلنه كما قدمنا في الرجال، غير انه يجب على المرأة من نساء الملك، ان كانت عندها جارية تعلم ان الملك يهواها ويسر بها ، ان تهديها اليه باكمل حالاتها وافضل زينتها واحسن هيئتها ، فاذا فعلت ذلك فمن حقها على الملك ان يقدمها على نسائه ويخصها بالمنزلة ويزيدها في الكرامة ويعلم انها قد آثرتة على نفسها وبذلت له ما تجود النفس به وخصته بما ليس في وسع النساء - الا القليل منهن - الجود به .

ومن حق البطانة والخاصة على الملك في هذه الهدايا ان تعرض عليه وتقوم قيمة عدل ، وقد وكل بذلك رجل يرعى هذا وما أشبهه ويتمهده ، فاذا أصابت صاحب الهدية نائبة من مصيبة يصاب بها او اضطر الى المال لظرف قاهر ، نظر الى ماله في الديوان فرده الملك مضاعفا ليستعين به على نائبته ، واذا كان المهدي قد قدم هدية رمزية ليست لها قيمة مادية كان يكون قد قدم تفاحة او اترجة ، فانه اذا نزلت به مصيبة او اضطر الى المال ردت اليه التفاحة مثلا ولكن ملؤها الدنانير المنظومة ، وكان من تقدمت له هدية صغرت ام كبرت ، قلت ام كثرت ، ثم لم تخرج من الملك صلة عند نائبة تنوبه او حق يلزمه ، فعليه ان يأتي ديوان الملك ويذكر بنفسه والا يففل عن احياء السنة ولزوم الشريعة ، فان اغفل ذلك عن عمد فمن سنة الملك ان يحرمه ارزاقه لستة اشهر وأن يدفعها الى عدوه ان كان له ، اذ انه انى شيئا فيه شين على الملك وضعة في المملكة ، وكان بعض الملوك الساسانيين يأمرهم باخراج ما في خزائهم في المهرجان والنوروز من الكسى فتفرق على بطانة الملك وخاصته ، ثم على بطانة البطانة ، ثم على سائر الناس على مراتبهم ، وكانوا يقولون : ان الملك يستغني عن كسوة الصيف في الشتاء وعن كسوة الشتاء في الصيف .

واكبر النياشين الملكية (الاوسمة) هو عصابة محلاة باللالء ، وقد حرم على الناس ان يلبسوا خواتيم الذهب والاحزمة والاقراط وغير ذلك الا من انعم عليه الملك بها ، واذا ادى أحد الافراد للدولة او للملك خدمة تستحق التخليد ، فان اسمه ينقش على الآثار الملكية .

وكان من علامات التمييز منح الالقاب ، فكان الافراد الذين استحقوا الاكبار من المملكة او الملك كانوا يمنحون علاوة على الاراضي الواسعة لقب (الخير) ، وكانت هناك مجموعة كبيرة من الالقاب المختلفة في ايام الساسانيين .

وكانت الالقاب والالطاف الملكية ووظائف البلاط او الدولة اكثر المسائل استعمالا لمكافأة الاحسان ، كما انها استخدمت وسيلة تبذل ليرجع الى دينه من اعتنق النصرانية من الزردشتيين . وحين يمنح الملك التاج لاحد ، فهذا يمنحه الحق في أن يتخذ لنفسه مكانا على المائدة الملكية . وأن يشارك في مجلس الملك ، وقد منح هرمزد الرابع الملك العربي النعمان الثالث تاجا يساوي ستين ألف درهم ، وكان هذا اكثر من منحة عادية ، فهو يشبه ما يسمى « الوسام » في العصور الحديثة .

وكان من بين تقاليد بلاط انوشروان ان يوضع على يمين العرش كرسي من الذهب وكرسيان آخران من الذهب عن يساره ووراءه ، فأحد هذه الكراسي الثلاثة كان خاصا بملك الصين ، والثاني لملك الروم والثالث لملك الخزر ، بحيث انهم اذا اتوا الى بلاط كسرى جلسوا على هذه الكراسي ، وهذه الكراسي الثلاثة توضع طول السنة ، فلم تكن لترفع ولا يجرؤ احد على الجلوس عليها ، وكان امام العرش كرسي من ذهب يجلس عليه رئيس الوزراء ومن تحته كرسي الموبدان موبد ومن تحته كرسي حجتز للمرازمة والعظماء ، وكان لكل كرسي خاص بحيث لا يتنازعون على الاماكن ، وكان كسرى اذا غضب على احدهم اقصى كرسيه عن المجلس .

وحينما تكون البلاد ساهمة لأمر قد حزبها تلقى الموائد الملكية ويقتصر على مائدة لطيفة تقرب من الملك ويحضرها الموبدان موبد ورئيس الوزراء ورأس الاساورة ، فلا يوضع عليها الا الخبز والملح والخل والبقل فيأخذ منه شيئا هو ومن معه ، ثم يأتيه الخباز بنوع من البيض المضروب مع اللحم والخضر يلف بالخبز في طبق فيأكل منه لقمة ، ثم ترفع المائدة ويتشاعل بتدبير حربه وتجهيز عساكره ، ولكن عندما تأتي الاخبار مبشرة بالنصر يأمر الملك ان يتخذ له طعام مثل طعامه الاول ويأمر الخاصة والعامة بالحضور ، ويقوم الخطباء اولا بالتهنئة له والتحميد لله تعالى بالفتح عليه والنصر له ، ثم يقوم الموبد فيتكلم ثم الوزراء بنحو من كلام الخطباء ... ثم يمد الناس ايديهم الى الاطعمة على مراتبهم ، فاذا فرغوا بسط للعامة ظهر الايوان وللخاصة في صحنه بحضرة الملك ، ويقعد صاحب الشرطة للعامة كفعود الملك للخاصة ، وكانوا لا يتكلمون وهم يأكلون ، فاذا اراد احدهم شيئا اشار بما يريد ، ثم يدعى بالمغنيين واصحاب الملاهي .

واذا علم احدهم ان الملك غاضب عليه ، فعليه الا يلجأ الى احد المعابد والا يهرب ، بل عليه ان يذهب فيجلس على كرسي ذي ثلاثة ارجل من حديد امام القصر ، وان ينتظر حتى يقضي الملك في امره ، وقبل هذا ، لا يجرؤ احد على حمايته ، وكان القتل يوقع في ساحة مكشوفة بالقصر ، فهناك تقطع الرقاب او الايدي او الارجل من المجرمين او ممن استحقوا سخط الملك .

وكان على الملك ان يتفاضى عن تافه الجرائم .

وكان في بلاط الملك كل حين ، مبعوثون من البلاد الاجنبية النائية ، وكان السفراء الاجانب يكرمون كل الاكرام ، وكان اذا قدم سفير ارسل قائد الحدود تقريره في الحال ، فيسرع حكام الاقاليم التي سيمر بها السفير الى اتخاذ التدابير لاعداد المنازل اللائقة به ، فاذا علم حاكم الاقليم بمهمة السفير فانه يبلغ الامر الى الملك فيرسل هذا جماعة لاستقباله ومصاحبته الى القصر الملكي حيث يستقبله الملك في حفل عام وهو جالس على العرش وحوله عظماء الدولة ، ثم يسأل عن اسمه وعن رحلته ثم عن رسالته وعن حالة بلاده ومملكه وجيشه ، ثم يصحبه الملك الى قصره بكل مظاهر الابهة الواجبة للسفير ، ثم يدعو الى مائدته ، ثم يصحبه الى الصيد ، واخيرا يسرحه بما يليق بمقام السفير من الحفاوة ، بعد ان يهديه خلة .

واما الدبلوماسية الايرانية ، فكان الملك لا يحتاط في اختيار سفرائه ، فكان يختبر رسوله اختبارا طويلا قبل ان يفوض اليه القيام برسالة : كان الملك يوجهه الى بعض خاصته ثم يرسل عيناه عليه يحضر رسالته ويكتب كلامه ، فاذا رجع الرسول بالرسالة جاء العين بما كتب من الفاظه واجوبته ، فقابل بها الملك الفاظ الرسول ، فان اتفقت او انفقت معانيها عرف الملك صحة عقله وصدق لهجته ، ثم جعله الملك رسولا الى عدوه وجعل عليه ايضا عينا يحفظ الفاظه ويكتبها ، ثم يرفمها الى الملك ، فاذا نجح في هذه التجربة ايضا جعله رسوله الى ملوك الامم ووثق به .

هؤلاء هم ملوك الساسانيين ، وتلك هي مجمل تقاليدهم واسلوب حكمهم وطريقة تصريفهم للامور .

الشعب

كل الايرانيين تقريبا في مظهرهم الخارجي مشوقو القوام سمر البشرة او لونهم اذكن ، نظراتهم حادة وحواجبهم مقوسة كنصف دائرة ومقرونة ، لحاهم جميلة ، وشعورهم طويلة شعشاء ، وهم شكاكون حذرون الى اقصى حد ، وقد يجتازون احيانا ، وهم في بلاد العدو ، البساتين والحدائق فلا يمسون منها ثمرة خوف السم او السحر ، وهم يحرسون على الا يقعوا في عيب ، فقل ان ترى فارسيا يبول واقفا او يتعد ليتغوط ، وهم يتركون ثيابهم الخارجية مفتوحة من الامام والجانبين بحيث انها تخفق مع الهواء ، ويستعملون الاحجار الكريمة وخاصة اللؤلؤ ، وتراهم دائما قد تمنطقوا

بالسيوف حتى في الولائم والاعياد ، وهم يكثرون من لفو الكلام ويتحدثون سقطا ، وهم صلفون قساة ، غتاة متوعدون مقبلين كانوا او مدبرين ماكرون ، منكرون ، يمشون الهوينى بخطى متبخترة لعلها توصف بالتخنث مع انهم امهر محاربي العالم ، والحق ان مهارتهم ترجع للفن لا للشجاعة ، وهم دهاء في الحرب خاصة اذا كانوا بعيد من خصمهم ، وهم يدعون حق الموت والحياة على عبيدهم وطفام الناس ، ولم يكن يجرؤ خادم ممن يخدمونهم او يقفون على موائدهم ان يفتح فاه لينطق بكلمة او ليبصق ، ميالون للعشق والقليل بينهم من يقنع بسراريه الكثرات .

هذا هو وصف جماعة الاشراف الايرانيين ، وهم على العموم يقضون حياتهم في نشاط ، قسمة عادلة بين ممارسة السلاح للحرب او الصيد وبين اللذات المائعة ، ولم يفرض عليهم الدين الزردشتي عدو الزهد ايا كان اي قيد ، ولكن حياة الجد في وضح النهار قد خففت الى حد ما من اثر اللذات التي تضعفهم ، وكانت فيهم عيوب كثيرة ولكنهم يتحلون بصفة لا نجدها غالبا في الشعوب القديمة هي : التأدب وروح الفروسية ، وهذه الصفة ملحوظة في ايران منذ بدء العصور التاريخية .

والمعلومات التي لدينا عن التعلم في ايران قليلة ، ولكن يظهر ان الحرائين كانوا غالبا اميين ، واما الدهاقين فكانوا في جميع العهود مثقفين الى حد ما ، واما التجار فكان كثير منهم يستطيع القراءة والكتابة وفهم الحساب ، وعدا ذلك فثقافة افراد الشعب الادبية كانت ضئيلة جدا ، فقد كانوا لا يعنون بالتعليم كثيرا ولكنهم يهتمون بأعمالهم .

وليس من شك ، في أن التعليم الاولي وجزءا من التعليم العالي على الاقل ، كانا محصورين في رجال الدين ، وكان طابعهما دينيا ظاهرا ، أما تعليم اطفال وشباب طبقات المجتمع العالية فكانوا يتلقون جزءا من تعليمهم مع أمراء البيت المالك في القصر تحت اشراف معلم الاساورة ، وكانوا يتعلمون القراءة والكتابة والحساب ورمي القرص والشطرنج وركوب الخيل والصيد ، ومما لا يحتاج الى بيان ان النبلاء الشبان كانوا يتلقون فن الحرب قبل كل شيء . وفي الخامسة عشرة يكتمل التعليم الجسماني والذهني ، فيجب على الشاب في هذا السن ان يعرف اصول الدين وان يعرف تاريخ الرجال وواجباتهم ، وفي العشرين يمتحنه الحكماء والهرابذة ، ويصف خادم صغير في بلاط كسرى الاول تفاصيل التعليم الذي تلقاه ، ففي السن المعينة الحق بالمدرسة حيث حفظ عن ظهر قلب كالهربذ ، الاجزاء الرئيسية من الاوستا مع شروحها ، ثم في التعليم المتوسط اهتم بدراسة الادب والتاريخ والفصاحة والفروسية ورمي السهام وتسديد الرمح وأعمال البلطة ، ثم

عرف الموسيقى والفناء وعلم النجوم واتقن الشطرنج وأنواع الألعاب الأخرى، وأخيرا تعلم فن أعداد أنواع المأكولات وفن اللبس .

أما تعليم البنات ، فالأغلب أنه كان يقتصر على التعليم المنزلي ، ولكن نساء الطبقات العالية كنّ يلقين أحيانا درسا عميقا في العلوم .

أما العلوم فقد كان اليونان والرومان أساتذة للإيرانيين ، وكان هناك أناس انصرفوا انصرافا تاما الى الدراسات العلمية ، وقد كانت الأوستا الساسانية هي المصدر الرئيسي لكل العلوم ، وكان العلماء من رجال الدين .

أما عن الطب ، فقد كانت هناك قواعد لأجور الأطباء التي كان للطبيب أن يطلبها: آلات طبية وملابس جميلة وخيل سريعة الجري ، أما الأحمور النقدية فقد حدد ما يدفعه رب البيت العادي ورئيس القرية ورئيس الكورة ورئيس الأقليم ثم ما يستطيع الطبيب أن يطلبه من الفقراء ، وكان أجر الطبيب يختلف حسب ما قام به إذا كان قد عالج الجسد كله أو عضوا منه ، وكان على الطبيب أن يعالج المريض باخلاص وفي حزم وحذر ، ويرتسب الطبيب جريمة إذا تباطأ أو تردد في زيارة مريض . وكان هناك نوع من الإجازة للأطباء ، ولكن كان من المتعذر أن تجد دائما الطبيب الحائز لهذه الإجازة ، ويجوز أن يستعين الرجل بطبيب أجنبي إذا استحال الالتجاء الى الطبيب الإيراني ، ولكن من الجرم أن يستعين الرجل بالطبيب الأجنبي مع وجود إيراني ، ولكن ملوك الساسانيين كانوا يستخدمون غالبا الأطباء من الروم أو السريان النصارى .

وكان هناك أطباء عيون وأطباء بيطريون ، وهناك عادة كانت جارية في إيران وهي الإبقاء على مجرم حكم عليه بالإعدام ليستفيد الطب بأجراء التجارب عليه .

والطب نوعان : طب الصحة الروحية وطب الصحة الجسمانية ، وهناك أطباء يمارسون علاج الروح وآخرون صناعتهم علاج الجسد ، ولكن يبدو أن العناية بالناحية الروحية كانت تدخل في ممارسة الطب بالمعنى الأخص الى حد ما .

وأصول الطب الإيراني زردشتية كلها بنيت على تقاليد الأوستا ، ولكن أثر الطب الأغريقي يظهر في كل ناحية . وهناك ثلاث طرق للعلاج كما يقول الطب البقراطي ، فما لا تنجح فيه الأدوية يشفى بالحديد (أي بالجراحة) ، وما لا ينجح فيه الحديد يشفى بالكي (النار) ، وأما المرض الذي لا يمكن علاجه بالكي فإنه مستعص لا علاج له .

والطبيب الحاذق هو الذي يُعنى عناية فائقة بمرضاه ، والذي يطلع كثيرا ، وعليه أن يعرف أعضاء الجسد والمفاصل وأن يعرف الأدوية ، وأن

يكون رقيق الحاشية ، حلو الحديث ، صبوراً مع المرضى .

وطبيب الروح الماهر الذي يتبع رجال الدين ، وطبيب الجسد الماهر ، يجب أن يثبتا كفاءتهما ، وعلى طبيب الجسم أن يكون قد عالج كافراً حتى يجوز له أن يمارس مهنته في تطبيب المؤمنين ، فإذا عالج ثلاثة أشخاص فماتوا فإنه يحرم نهائياً من ممارسة مهنته . والطبيب ملزم بعيادة المريض كل يوم طوال المدة اللازمة للعلاج ، وله في نظير ذلك أن يقدم له غذاء فاخر وحضان سريع ومسكن أنيق في موقع عامر ، ولكن عليه ألا يسرف في حب المال . ومن ناحيتي الاخلاق والدين كان هناك عدة أصناف من الاطباء وخيرهم من يمارس مهنته بالشفقة الدينية المحضة ويأتي بعده من يتوسط بين الرحمة التي يقول بها الدين وحب المال ، ولكنه يكون أميل الى الرحمة ، ثم يأتي من يؤثر المال ، وهكذا .

كان رجال الدين الزردشتيون شديدي التعصب ، ولكن مثار تعصبهم كان لأسباب سياسية خاصة ، ولم يكن الدين الزردشتي دين دعاية ، فلم يكن رؤساؤه مملوئين بالحماس لبث سعادة الارواح في العالم كافة ، ولكنهم ادعوا السيادة المطلقة في داخل حدود الدولة ، وكانوا لا يطمنون كثيراً الى من يدينون بدين آخر ، وخاصة اذا انضموا الى دين دولة أجنبية قوية ، وكان في ايران جماعة من يهود ولكنهم لم يكونوا خطراً على سلطة رجال الدين الزردشتيين ، كما انتشرت النصرانية على نطاق ضيق في كل مكان من ايران . وكانت وظيفة الوسيط او الحكم - وربما كانت بين النبلاء وحدهم - من الوظائف السبع الوراثية في الاسر الممتازة ، ولكن ما بين الدين والاخلاق والقانون من الارتباط الوثيق الذي هو من طبيعة الدين الفارسي ، استلزم ان تكون السلطة القضائية بالمعنى الصحيح في يد رجال الدين ، وكانت العلوم كلها منحصرة فيهم ، وكان الرئيس الاعلى للقضاة هو (قاضي الدولة) ، وكان احد القضاة الروحانيين يقوم على القضاء في كورة ، وكان عليه بوجه عام ان يراقب سير العدالة حتى في سلوك السلطات المدنية العليا في الاقليم ، وكان لزاماً ان يكون لكل قرية مرجع قضائي أدنى ، كان هو الدهقان او قاض خاص يعين بالقرية . وكان هناك قضاة صالح درسوا القانون عشر سنوات وأحدى عشر سنة او اثنتي عشرة أو ثلاث عشرة أو أربع عشرة أو خمس عشرة سنة ، والظاهر ان احكامهم وفتاواهم كانت تتفاوت في درجاتها ، وقد نيط القضاء العسكري بقاض خاص ، والمفروض ان كثيراً من الموظفين القضائيين الذين يلقبون بألقاب خاصة كانوا من الموابذة او الهرايدة ، وكان الهرايدة يصدرن احكاماً قضائية بوصفهم قضاة .

وكانت مصادر القانون ، الاوستامع الشروح ، ومجموع فتاوى الفقهاء الدينيين الطيبين ، ولم يكن هناك مجموعة قانونية بالمعنى الصحيح ، ولكن

يظهر من مختصر اجزاء الاوستا الساسانية ان اجزاء كثيرة قد تناولت المسائل القانونية .

وكانت الكلمة العليا في الدعاوى المدنية للموبدان موبد ، ويسري ذلك ايضا على القضايا - الجنائية ، فان قرار الموبد الكبير اقوى من اليمين ... ان قراره لا يخطئ .

وقد حدد القانون مدة لاستدعاء الشهود كما حددت القواعد مدة المرافعات كلها ، وهناك قيود محددة لثروة المتخاصمين الذين يحاولون اطالة المرافعات او عرقلة سير القضايا ، كما كان من الممكن التظلم من القاضي الذي يقدم ، لمصلحته الخاصة ، قضية مشكوكا فيها على انها ثابتة ، او قضية ثابتة على انها مشكوك فيها .

وقد كان للابتهاال شأن كبير في الفصل حين الشك في ادانة المتهم او براءته ، وكانت طريقة الابتهاال تتفاوت في خطورتها ، وكانوا يفرقون بين (الابتهاال الحار) و (الابتهاال البارد) ، فالابتهاال الحار كان يتم مثلا باختراق المتهم النار ، وهناك قواعد معينة لوصف الخشب الذي يتخذ للوقود ، وكان الابتهاال يجري في احتفالات دينية ، واما الابتهاال البارد فانه يكون بأفنان مقدسة ، وهناك نوع آخر قديم جدا من الابتهاال يصحب اداء اليمين ، قوامه شرب الماء المختلط بالكبريت ، ومع ذلك فمن المحتمل ان يكون استخدام الماء الكبريتي في حالة اداء اليمين امام الساسانيين امرا صوريا ، وكان هناك موظف من رجال العدالة مهمته الاشراف على صحة الابتهاال .

ونظرية العقاب تبرز بين ثلاثة انواع من الجرائم التي يعاقب عليها القانون : الجرائم في حق الله حينما يرتد رجل عن الدين او يحدث البدع في الشريعة ، والجرائم في حق الملك حين يعصي الفرد او يخون او يفسد ، والجرائم بين الافراد حين يظلم بعضهم بعضا ؛ وكان عقاب النوعين الاوليين من الجرائم ، اي جرائم الكفر والعصيان والجنائية والهرب من الجيش - الموت ، وذلك في القرون الاولى من العهد الساساني . واما جرائم الافراد : السرقة وقطع الطريق وهتك العرض والظلم وغير ذلك ، فكان يعاقب عليها بعقوبات بدنية شديدة او بالموت . وقد كان قانون العقوبات صارما جدا حينذاك : ان القوانين بالغة الصرامة عند الفرس ، والقوانين الزاجرة للجاحدين او الهاربين من الجيش كانت قاسية بوجه خاص ، والقوانين الخاصة بالجرائم الاخرى كانت فاحشة ، فربما تجر جريمة فرد الهلاك على اقاربه جميعا .

وقد تضمن القانون قواعد الاتهام واقامة الدعوى في قضايا السرقة وقطع الطريق والاضرار المختلفة والقتل وهتك العرض والتهديد بالاغتصاب

والسجن بدون حق ، والخرمان من الزاد ، والتخفيض الجائر لأجور العمال ، والأضرار برجل السحر وغيرها ، وقد تناول أيضا مسائل قانونية أخرى مثل حدود مسؤولية الطفل والتحرير على قتل أجنبي وغير ذلك ..

فمثلا ، ان السارق الذي يضبط متلبسا كان يساق الى القاضي وقد علّق ما سرقة برقبته ، وكان يلقي به في السجن مكبلا بالحديد ، وكان عدد السلاسل يختلف باختلاف خطورة الجريمة ؛ وأعضاء الجسد التي تم بها الاتم كان يضيق عليها الوثاق أكثر من غيرها ، وواضح ان هذه السلاسل لم تكن ضمانا من الهروب فحسب ، بل كان لها صفة رمزية أيضا ، وكان قاضي التحقيق يتوسل اذا اقتضى الامر في اسئلته بالمحبة المصطنعة والالفاظ الخداعة كي يحمل المجرم على الاعتراف ، وكان من يخون شركاءه في الجريمة فيعترف عليهم يكافأ ، وكان مخفي الاشياء المسروقة يعاقب بمثل عقوبة السارق .

ومن المشكوك فيه ان يكون القانون الإيراني قد اتخذ السجن الى امد عقوبة ، ولكن من الممكن ان يمتد الحبس الاحتياطي الى ما شاء الله ، وكان المجرمون يحبسون في مكان قدر خاصة ، حيث يطلق عليهم عدد من الحيوانات المؤذية تعين لكل حالة ، ومن ناحية أخرى استخدم السجن وسيلة لآبادة أفراد الطبقة الرفيعة لخطرهم على الدولة او تأمينا للملك ، آبادة بغير جلبه .

وهناك عقوبة مشهورة جدا ، يعاقب بها خاصة الامراء الثائرون ، وهي سمل العيون بآبرة محمأة او بصب الزيت المغلي في مآقي الفريسة ، وكان الإعدام ينفذ عادة بالسيف ، أما بعض الجرائم مثل خيانة الوطن أو الخروج على الدين فكان يعاقب عليها بالصلب .

وكانت أشد أنواع التعذيب فظاعة (التسع موتات) ، وها هو تفصيلها: فان الجلاد يقطع أولا أصابع اليدين ، ثم أصابع القدمين ، ثم يقطع اليدين حتى الرسغين ، ثم القدمين حتى الكعبين ، ثم الذراعين حتى المرفقين ، ثم الساقين حتى الركبتين ، ثم الاذنين فالأنف ، ثم يختم بالرأس ، وكانت جثث القتلى تترك للحيوانات المفترسة .

وكانت قائمة عظماء الدولة مؤلفة من كبير الوزراء والموبدان موبد (كبير الموابذة) وهو القائم بأمور الدين وقاضي القضاة وهو رئيس الموابذة ، والهرايدة هربد (كبير الهرايدة وهم رجال الدين) ، وكبير الكتاب وقائد الجيش ، وأصحاب تدبير الملك : كل واحد منهم قد أفرد بتدبير جزء من أجزاء المملكة ، فكل واحد منهم صاحب ربع منها ، ولكل واحد منهم مرزبان وهو خليفته ، وصاحب الخراج .

وكانت ملابس الايرانيين مصنوعة من الجلود أو الصوف أو اللباد أو الحرير ذي الصور .

وكان الحراثون يصفقون شعورهم ويسرون عراة الرأس ، وكانت طبقة النبلاء تعيش عيشة وادعة هادئة ، وكانت طبقة النبلاء الاقل شأنًا تقضي وقتها في اراضيها وتهتم بالاعباء الادارية في جهاتها .

لقد كانت الحالة الاجتماعية ورزايا المعيشة العامة في الجملة اخف وطأة ايام كسرى الاول مما كانت عليه في العهود السابقة ، ولكن ها هي صورة لهذا العهد كما ذكرها (برزويه) في تاريخ حياته : «... فانا نرى الزمان مدبرا بكل مكان حتى كان الفضل قد ودّع ، وأصبح مفقودا ما كان عزيزا فقدّه ، موجودا ما هو ضار لمن ظفر به ، وكان الخير أصبح ذابلا والشر نضيرا ، وكان الغني اقبل ضاحكا وأدبر الرشد باكيا ، وكان العدل أصبح غابرا ، وأصبح الجور غالبا ، وكان العلم أصبح مستورا ، وأصبح الجهل منشورا ، وكان اللؤم أصبح آمرا ، وأصبح الكرم موطوءا ، وكان الودّ أصبح مقطوعا ، وأصبح الحقد موصولا ، وكان الكرامة قد سلبت من الصالحين وتوخى بها الاشرار ، وكان الغدر أصبح مستيقظا ، وأصبح الوفاء نائما ، وكأنما الكذب أصبح غضا والصدق قاحلا ، وكان الحق ولى عاثرا وأصبح العدوان قد جرى سبيله ... والانصاف بائسا والباطل مستعليا ، والمظلوم بالخسف مقرا والظالم لنفسه فيه مستطيلا ، والحرص فاغرا فاه يتلقف من كل جهة ما قرب منه وما بعد عنه ، والرضا مجهودا مفقودا ، والاشرار يسامون السماء والابرار يريدون بطن الارض ، وأصبحت المروءة مقدوفا بها من أعلى شرف الى أسفل مهواة ، والدناءة مكرمة ، والرفعة مجفوة ، والسلطان متقلبا من اهل الفضل الى اهل النقص ، والدنيا جذلة مسرورة تقول : قد غيبت الحسنات وأظهرت السيئات » .

لقد عاش رجل الشارع كما عاش قرونا طويلة في الجهل والظلم ، وكانت روح القبيلة والهوة التي تفصل بين الطبقات والحالة التمسعة التي كان عليها الشعب من الامور الملموسة الاعتيادية : القوي يظلم الضعيف ، وطبقات الشعب ترتكب كثيرا من القسوة والوحشية فيما بينها !..

الخلاصة

كيف كانت الامبراطورية الساسانية قبيل الفتح العربي الاسلامي وفي
اثنايه ؟

ان الجواب على هذا السؤال يلقي ضوءا على الظروف الراهنة التي
جابهها القادة الفاتحون ، ويقدم صورة واضحة لحالة تلك الامبراطورية من
النواحي السياسية والاجتماعية والعسكرية في ايام الفتح الاسلامي .

كانت عوامل الفساد والاضطراب قد استفحلت في القرن السادس
الميلادي واشتد اثرها في ارجاء تلك الامبراطورية التاريخية التي قادت جزءا
كبيرا من ارجاء المشرق قرونا طويلة عسكريا واقتصاديا وفكريا .

كان البلاط الفارسي مضطربا تنتشر في جوفه دسائس الطامعين
بالعرش ، وكان الملك يخشى افراد أسرته خاصة ؛ اذ اتخذ بعضهم الفدر
سلاحا لتولي الملك ، فابتذل عرش الملك بالقتل والاعتصاب ، وضعف الولاء
له في نفوس قادة الجيوش وحكام المناطق والعظماء والنبل .

وكرت مذاهب الشعب وتبلبلت عقائد الناس ، وانحلت العصبية
القومية وانهارت القوى المعنوية وتدهور مثلهم الاعلى الى حيث لا يعدو
متع الحياة .

وكان الفرس من الناحية الدينية موزعين بين (رمزية) زردشت و
(عدمية) ماني و (وجودية) مزدك !

وانتشر الظلم وشاع الجهل وتفشى المرض والفقر بين عامة افراد
الشعب الذي كان يعيش تحت وطأة نظام طبقي اقطاعي قاس .

وكانت خيرات البلاد محتكرة لفئة قليلة من الاقطاعيين واصحاب
البيوتات والنبل والاساورة بينما يعاني باقي الشعب كل انواع المذلة
والحرمان .

ارسل سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه المغيرة بن شعبة الثقفي الى
رستم قائد الفرس قبيل معركة القادسية ، فاقبل المغيرة حتى جلس مع
(رستم) على سريره ، فوثب عليه رجال رستم وانزلوه ، فقال لهم : « قد
كانت تبلغنا عنكم الاحلام ، ولا ارى قوما اسفهم منكم ! انا معشر العرب لا
نستعبد بعضنا بعضا ، فظننت انكم تؤاسون قومكم كما نتواسى ، فكان
احسن من الذي صنعتكم ان تخبروني ان بعضكم ارباب بعض !!! » ، فقال

عامة الناس : « صدق والله العربي » ، وقال رؤساؤهم : « والله لقد رمى بكلام لا زال عبيدنا ينزعون اليه » (٧٢)

فما اصدق قول المفيرة : « ان بعضكم ارباب بعض » !

وكان الجيش الفارسي مرتكزا على الحكم الاقطاعي ، فكان المرازبة والدهاقين يتولون قيادة الجيش ويتحكمون في الاراضي والعقارات الشاسعة ، ولم يكن لجيش فارسي هدف يوحد صفوفه ويسعى لتحقيقه غير الارتقاء ؛ كما كانت قيادته وراثية وقادته يعتمدون على حسبهم ونسبهم وحظوتهم لدى الملوك لا على مواهبهم العسكرية وكفاءتهم القيادية (٧٣) ، وكانت معنويات الجيش متردية وتدريبه ضعيفا وضبطه قليلا واخلاصه لقضية بلاده معدوما .

لقد كانت علل الفناء قد اصطلحت على بنية الامبراطورية الساسانية قبيل الاسلام وايام الفتح الاسلامي .

ولكن الاسباب التي قضت على الفرس بالهزيمة امام العرب المسلمين - كائنة ما كانت - ليست هي الاسباب التي قضت للمسلمين بقيام دولة وانتشار عقيدة ، لان استحقاق اناس للزوال لا ينشئ لغيرهم حق الظهور والبقضاء .

كذلك لم يكن انتصار العرب على الفرس لانهم عرب وكفى ، فقد كان هناك عرب كثيرون في العراق يدينون للفرس بالطاعة وينظرون اليهم نظرة الاكبار والمهابة ، وكان القادرون منهم على القتال اوفر من مقاتلة المسلمين عددا وامضى سلاحا واقرب الى ساحات القتال من اولئك النازحين اليها من الجزيرة العربية .

وقد كان هناك عرب كثيرون انهزموا امام العرب المسلمين ، وهم كذلك اوفر عددا وسلاحا واغنى بالخييل والابل والاموال .

فهي نصره عقيدة لامراء ! ولكن القول بانتصار العقيدة هنا لا يفني عن كل قول .

فالواقع ان الذين انتصروا بالعقيدة كانوا رجالا اولي خبرة وقدرة يؤمنون بها ويعرفون كيف يتغلبون بها على اعدائهم .

انها عقيدة منشئة يدود عنها حماة قادرون . (٧٤)

(٧٢) الطبري (٣٦/٣) وابن الاثير (١٧٩/٢) ، وانظر قادة فتح العراق والجزيرة

ص (٣٩٤)

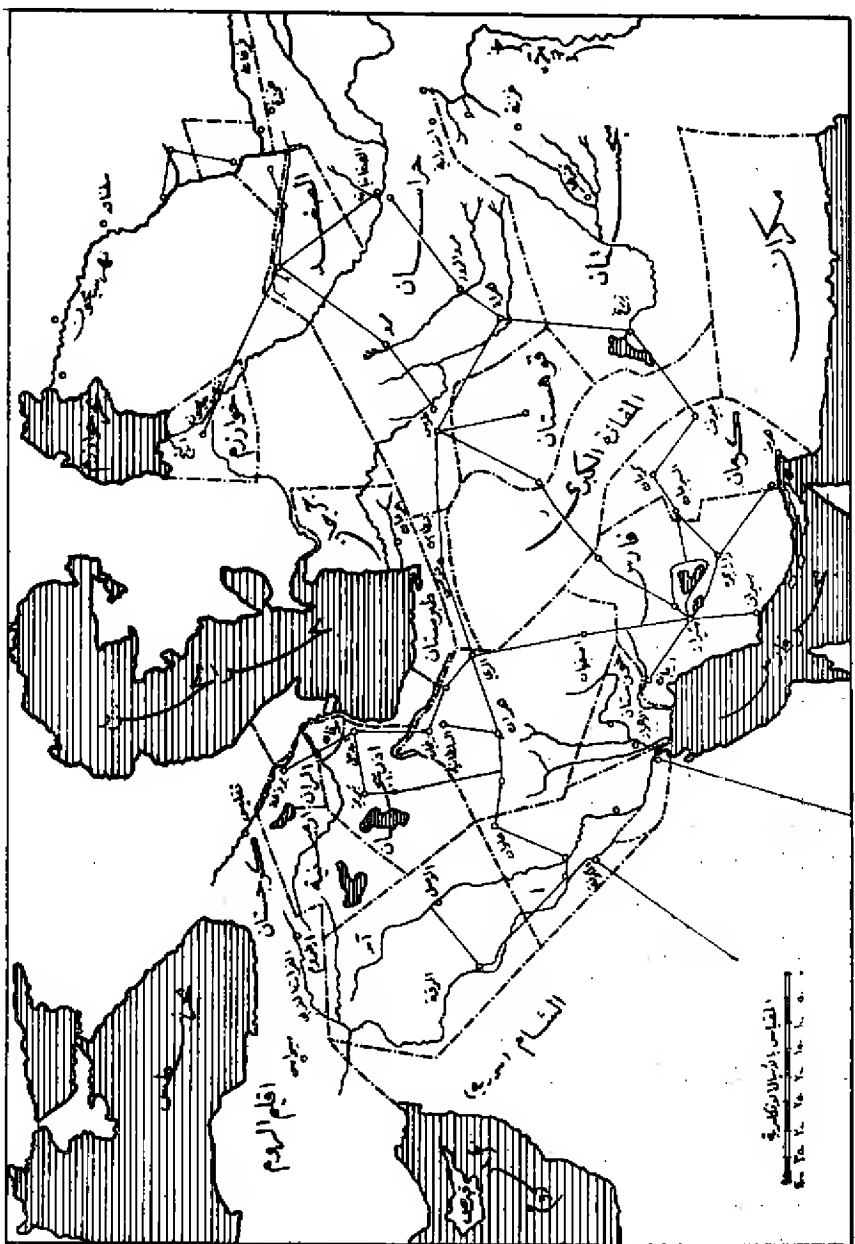
(٧٣) كان قادة المسلمين يقاتلون في الصفوف الامامية لرجالهم دائما ، وكانوا يبارزون

(٧٤) عبقرية خالد ص (١٢٦ - ١٢٨) وانظر قادة فتح العراق والجزيرة ص (١٨ - ١٩)

وستقرأ في هذا الكتاب وشيكا عن القادة القادرين الذين زادوا عن عقيدتهم وحملوا رايات العرب المسلمين شرقا وغربا ، هؤلاء القادة الذين يندر أمثالهم في كل أطوار التاريخ لكل الشعوب في العالم .

والحمد لله الذي يسر لي اخراج هذا الكتاب الى حيز الوجود ، وأدعوه ان يأخذ بيدي ل اخراج الاجزاء الباقية من كتاب : قادة الفتح الاسلامي ، حتى استكمل بين طياته قصة حياة كل قائد فاتح ضم بلدا الى الدولة الاسلامية .

وصلى الله على سيد القادات وقائد السادات النبي العربي محمد بن عبدالله ، ورضي الله عن قاداته الميامين ، خريجي مدرسته ، ومعتنقي مبادئه ، وحاملي راياته : قادة الفتح الاسلامي .



اقاليم آسية الجنوبية الغربية

قائمة فتح بلاد الفرس

في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الترتيب	المقام	البلاد التي فتحها	الإقليم	التاريخ		الملحوظات
				هـ	م	
١	القعقاع بن عمرو التميمي	١- حُلُوان ٢- هَمْدَان	الجبل	١٦	٦٣٧	١- فتحوا بقراته الضيقة ٢- انظر ترجمته في كتاب: قادة فتح العراق والحيرة (٣٠١ - ٣٢٤)
٢	جربير بن عبد الله الجلي	١- حُلُوان ٢- قَرْمِيسِين ٣- هَمْدَان	الجبل	١٦	٦٣٧	١- فتحوا بقراته الضيقة ٢- انظر ترجمته في كتاب: قادة فتح العراق والحيرة (٣٢٤ - ٣٣٩)
٣	ضرار بن الخطاب الفهري	ماسَبْدَان	الجبل	١٦	٦٣٧	
٤	حرملة بن مَرْيَطة التميمي	١- مَنَازِرُ ٢- نَهْر تَيْرِي	الأهواز	١٧	٦٣٨	
٥	سُلَاحِي بن القَيْن التميمي	١- مَنَازِرُ ٢- نَهْر تَيْرِي	الأهواز	١٧	٦٣٨	
٦	العلاء بن الحضرمي	أول من هاجم فارس		١٧	٦٣٨	فاتح البحرين وجزيرة دارين، وأول من لحقهم فارس
٧	حُرْقُوص بن زهير السعدي	سوق الأهواز	الأهواز	١٧	٦٣٨	
٨	جزء بن معاوية التميمي	دُورَق	الأهواز	١٧	٦٣٨	
٩	النعمان بن مُقَرَّن المُرَني	١- رَام مُرُز ٢- نَهَاوَنَد	١- الأهواز ٢- الجبل	١٧ ٢١	٦٣٨ ٦٤١	
١٠	أبوسبرة بن أيُّرُهم العامري	١- تُسْتَرُ ٢- السُّوسِ ٣- مُجْدَيْبَابُور	الأهواز	١٧	٦٣٨	

التقليد	المساعد	البلاد التي فتحها	الأقليم	التاريخ		الملاحظات
				هـ	م	
١١	زُرُّ . بن عبد الله الفقيهي	جند يسابور	الأهواز	١٧	٦٣٨	
١٢	الربيع بن زياد الحارثي	١- بيروذ ٢- مناذر	الأهواز	١٧	٦٣٨	
١٣	سكامة بن قيس الاشجعي	جياك الأهواز	الأهواز	٢٣	٦٤٣	
١٤	أبوموسى الاشعري	الأهواز	الأهواز	١٧	٦٣٨	
١٥	حذيفة بن اليمان العبسي	١- ماه ٢- الدينور	أجبيل	٢١	٦٤١	
١٦	المغيرة بن شعبه الثقفي	أرجان	فارس	٢٢	٦٤٢	أنظر ترجمته في كتاب: قادة فتح العراق والجزيرة (٢٨٧ - - ٤١١)
١٧	السائب بن الأقرع الثقفي	١- مهران قنق ٢- الصيمرة	أجبيل	٢١	٦٤١	
١٨	نعيم بن مقرن المزني	١- همدان ٢- الري	أجبيل	٢١ الى ٢٢	٦٤١ الى ٦٤٢	
١٩	عبد الله بن عبد الله بن غنجان الأنصاري	أصبهان	أجبيل	٢١	٦٤١	أنظر ترجمته في كتاب: قادة فتح العراق والجزيرة (٤٤٤ - - ٤٤٨)
٢٠	البكر بن عازب الأنصاري	١- أبيجد ٢- قزوين ٣- جيلان ٤- زنجان	أجبيل	٢٢	٦٤٢	

التسلسل	القائد	البلاد التي فتحها	الإقليم	التاريخ		الملحوظات
				هـ	م	
٢١	سُوَيْد بن مُقَرَّن المزني	١- قُومِس ٢- بِنطَام ٣- مُزَيجَان ٤- طبرستان ٥- جبل جيلان	طبرستان	٢٢	٦٤٢	
٢٢	بُكَيْر بن عَبْدِ اللَّهِ الليثي	١- أَدْرَبِيحَان ٢- مُوقَان	أَدْرَبِيحَان	٢٣	٦٤٢	
٢٣	عُتْبَةَ بن قُرَيْش السَّامِي	أَدْرَبِيحَان	أَدْرَبِيحَان	٢٣	٦٤٢	أنظر ترجمته في كتاب: قادة فتح العراق والجزيرة (٤١٥ - ٤٢٢)
٢٤	سُرَاقَةُ بن عمرو وذو النور	باب الأبواب	أَدْرَبِيحَان	٢٣	٦٤٢	
٢٥	الأخنف بن قيس التميمي	خُرَاسَان	خُرَاسَان	٢٢	٦٤٢	
٢٦	مَجَاشِع بن مَسْعُود السَّامِي	١- أَرْدَشِير خُرَه ٢- سابور	فارس	٢٣	٦٤٣	
٢٧	عُثْمَان بن أَبِي العاص الثقفي	١- إِمُصْطَخَر ٢- بلاد فارس	فارس	٢٣	٦٤٣	
٢٨	أَحْمَد بن أَبِي العاص الثقفي	١- جزيرة بُزْكَوَان ٢- نَتُوج	١- بحر عُثْمَان ٢- فارس	٢٣	٦٤٣	
٢٩	سَارِيَّة بن زُنَيْم الكِنَانِي	١- قَسَا ٢- دَاوَا بِجَرْد	فارس	٢٣	٦٤٣	
٣٠	سُهَيْل بن عَدِي الْخَزَرَجِي	كِرْمَان	كِرْمَان	٢٣	٦٤٣	أنظر ترجمته في كتاب: قادة فتح العراق والجزيرة (٤٣٦ - ٤٤١)

التسلسل	التأريخ	البلد التي فتحها	الإقليم	التاريخ		الملحوظات
				هـ	م	
٣١	عاصم بن عمرو التميمي	سجستان	سجستان	٢٣	٦٤٣	
٣٢	أحمد بن عمير التغلبي	مكردان	مكردان	٢٣	٦٤٣	

ملحوظة : ١ - اعتمدنا ما جاء في الطبري وابن الأثير في توقيت سني الفتح .

٢ - اعتمدنا ما جاء في تقسيم البلاد المفتوحة على الأقاليم على :

أ - معجم البلدان

ب - أحسن التقاسيم

ج - تقويم البلدان

د - المسالك والممالك للاصطخري

هـ - المسالك والممالك لابن خرداذبة

٣ - اعتمدنا أطلس التاريخ الاسلامي لتوقيت التاريخ الميلادي بالنسبة

للتاريخ الهجري .

قادة فتح الجبل

- ١ - القعقاع بن عمرو التميمي *
- ٢ - جرير بن عبدالله البجلي **
- ٣ - ضرار بن الخطاب الفهري
- ٤ - النعمان بن مقرن المزني
- ٥ - حذيفة بن اليمان العبسي
- ٦ - السائب بن الاقرع الثقفي
- ٧ - نعيم بن مقرن المزني
- ٨ - عبدالله بن عبدالله بن عتبان ***
- ٩ - البراء بن عازب الانصاري

* انظر كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة ص (٣٠١ - ٣٢٣)
** انظر كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة ص (٣٢٤ - ٣٣٩)
*** انظر كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة ص (٤٤٢ - ٤٤٨)

ضرار بن الخطاب القرشي الفهري

فتاح ماسبدان^(١) في إسدان

نسبه وأيامه في الجاهلية

هو ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر القرشي الفهري (٢)

كان أبوه الخطاب بن مرداس رئيس بني فهر في زمانه ، وكان يأخذ المرباع لقومه ؛ وكان ضرار بن الخطاب يوم الفجار على بني محارب بن فهر ، وكان من فرسان قريش وشجعانهم وشعرائهم المطبوعين المجودين ، حتى قالوا : ضرار بن الخطاب فارس قريش وشاعرهم (٣) .

قاتل المسلمين أشد القتال (٤) : قاتلهم يوم (بدر) قتالا مريباً ورثى قتلى قريش في (بدر) رثاء حاراً (٥) ، وقاتلهم يوم (أحد) فلحق عمر بن الخطاب وجعل يضربه بمرض الرمح ويقول : « أنج يا ابن الخطاب لا أقتلك » ، فكان عمر بن الخطاب يعرفها له بعد إسلامه (٦) ؛ وهذا يدل على حبه لعمر ابن الخطاب وتقديره له على الرغم من اختلافهما بالعقيدة ، ولولا ذلك لقتله كما قتل غيره من المسلمين ؛ فقد اختلف الأوس والخزرج فيمن كان أشجع يوم (أحد) ، فمر بهم ضرار فقالوا : هذا شهدا وهو عالم بها ، فسأله عن ذلك فقال : « لا أدري ما أوسكم من خزرجكم ، ولكني زوّجت منكم يوم (أحد) أحد عشر رجلاً من الحور العين (٧) » .

(١) ماسبدان : مدن عدة منها : أريوجان ، وهي مدينة حنة في الصحراء بين الجبال ، ومدينة الرذ والسيروان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٣/٧) ، وهي منطقة واسعة أطلق عليها اسم مدينة ماسبدان ، وهي مدينة مشهورة بقرب السيروان كثيرة الشجر . انظر آثار البلاد وأخبار العباد ص (٢٦٠) وقد وزد اسمها في هذا المصدر : ماسبدان بالبدال بدلا عن الدال . وهي تقع في وسط الطريق بين حلوان وجنديسابور .

(٢) الاستيعاب (٧٤٨/٢) وأسد الغابة (٤٠/٣) مع اختلاف في الإصابة (٢٧٠/٣) .
(٣) الاستيعاب (٧٤٨/٢) وأسد الغابة (٤٠/٣) . والمرباع : الربع : والمشار : العشر .
ويأخذ المرباع لقومه ، أي يأخذ لهم ربع أموال بعض الناس دلالة على عزته .

(٤) الإصابة (٢٧٠/٣)

(٥) سيرة ابن هشام (٣٧٧/٢)

(٦) سيرة ابن هشام (٢٥/٢)

(٧) أسد الغابة (٤٠/٣) والاستيعاب (٧٤٩/٢)

وقاتل المسلمين يوم (الخندق) ، فكان أحد الاربعة الذين وثبوا الخندق (٨) ، وكان أحد قادة قريش يوم (الخندق) يهاجم مواضع المسلمين بين حين وآخر ويجعل خيله فيها ويناش أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقدم رمايه فيرمون (٩) . قال ضرار يوما لأبي بكر الصديق : « نحن خير لقريش منكم : ادخلناهم الجنة وانتم ادخلتموهم النار » (١٠) ؛ يريد : انه قتل المسلمين فدخلوا الجنة ، وقتل المسلمون الكفار من قريش فادخلوهم النار .

والحق أنه كان شديد العداوة للدين الحنيف ، فكان عنيفا في خصومته له ولعنتقيه ، ولولا ان الاسلام يجب ما قبله لكان حسابه عند الله عسيرا .

اسلامه

أسلم ضرار يوم فتح مكة (١١) فحسن اسلامه ، فلما التحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى وارتدت العرب ، ثبت ضرار وأهل مكة على الاسلام ، فكان أهل مكة من الدعامات القوية التي دافعت عن حياض الاسلام .

جهاده

شهد ضرار يوم (اليمامة) تحت راية خالد بن الوليد (١٢) ؛ فلما انتهت حروب الردة توجه خالد الى العراق وكان ضرار مع قوات خالد ، فشهد كل معارك العراق التي خاضها خالد هناك (١٣) ، وكان هو الذي حاصر قصر (القرئين) في فتح الحيرة (١٤) . وتحرك ضرار مع خالد الى

(٨) أسد الغابة (٤٠/٣) والاستيعاب (٧٤٨/٢) وفي طبقات ابن سعد (٦٨/٢) ان الذين عبروا الخندق كانوا خمسة رجال لا أربعة وهم : عكرمة بن أبي جهل ، وهبيرة بن أبي وهب ، ويحيى بن عبدود ونوفل بن عبدالله وضرار بن الخطاب .

(٩) طبقات ابن سعد (٦٧/٢)

(١٠) الاصابة (٢٧٠/٣) ، والاستيعاب (٧٤٩/٤)

(١١) طبقات ابن سعد (٤٥٤/٥) والاستيعاب (٧٤٨/٢)

(١٢) الاصابة (٢٧٠/٣) وفي طبقات ابن سعد (٥٤/٥) : انه خرج الى اليمامة فقتل بها شهيدا . وهذا خطأ ، والذي قتل يوم اليمامة هو ضرار بن الأزور . انظر ابن الاثير (١٤٠/٢) والاستيعاب (٧٤٨/٢) ، كما استشهد يوم اليمامة زيد بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب . انظر الطبري (٥١١/٢) وطبقات ابن سعد (٣٧٦/٣) والاصابة (٢٧/٣) واسد الغابة (٢٢٨/٢) والاستيعاب (٥٥٠/٢)

(١٣) الطبري (٥٦٥/٢)

(١٤) ابن الاثير (١٤٩/٢)

أرض الشام بعد نقله إليها من العراق ، فقد كان ضرار من جملة من اختاره خالد ليعاونه في مهمته الجديدة (١٥) ، فشهد تحت لواء خالد كافة معاركه في طريقه من العراق الى أرض الشام ، كما شهد معه معركة (اليرموك) الحاسمة ، وشهد مع أبي عبيدة بن الجراح فتح الشام (١٦)

وعاد ضرار الى العراق مع هاشم بن عتبة الزهري فشهد (القادسية) وفي هذه المعركة غنم ضرار علم الفرس الأكبر ، فعوض منه ثلاثين ألفاً ، وكانت قيمته ألف ألف ومائتي ألف (١٧) !

وشهد ضرار فتح (المدائن) (١٨) القديمة عنى الضفة الغربية من النهر ، فلما رأى ضرار من المدائن القديمة أيوان كسرى في الضفة المقابلة من النهر ، نادى بأعلى صوته : « الله أكبر ! هذا أبيض كسرى ... هذا ما وعد الله ورسوله » ، وكبر ضرار وكبر الناس معه (١٩) .

وشهد ضرار تحت لواء هاشم بن عتبة الزهري معركة (جلولاء) ، فلما رجع هاشم منتصرا من (جلولاء) الى (المدائن) بلغ سعد بن أبي وقاص ، أن الهرمزان قد جمع جمعا من القوات الفارسية في سهل (ماسبذان) ، فكتب بذلك الى عمر بن الخطاب ، فكتب عمر : « ابعت اليه ضرار بن الخطاب في جند ، واجعل على مقدمته الهذيل الاسدي وعلى مجنبيه عبد الله بن وهب الراسبي خليف (بجيلة) والمضارب بن فلان العجلي » (٢٠) ؛ فخرج ضرار بمن معه حتى انتهى الى سهل (ماسبذان) والتقى بالفرس . وأسرع المسلمون في الهجوم على الفرس وأخذ ضرار قائدهم أسيرا ، فانهزم عنه جيشه وتفرقوا في الجبال المحيطة بالمنطقة ، فدعاهم ضرار فاستجابوا له . واقام ضرار بماسبذان حتى تحول سعد بن أبي وقاص من المدائن الى الكوفة ، فأرسل الى ضرار فنزل الكوفة واستخلف على (ماسبذان) (٢١)؛

(١٥) الطبري (٦٠٥/٢)

(١٦) أسد الغابة (٤٠/٣) وذكر ابن الأثير في (١٦٠/٢) : أنه استشهد في معركة (اجنادين)

مع أن ابن الأثير نفسه في (٢٠٣/٢) ذكر : أنه فتح ماسبذان !

(١٧) ابن الأثير (١٨٦/٢)

(١٨) أسد الغابة (٢٧٠/٢)

(١٩) ابن الأثير (١٩٧/٢)

(٢٠) الطبري (١٤٢/٣)

(٢١) ابن الأثير (٢٠٣/٢) ومسجم البلدان (٣٦٤/٧) .

وقد كان فتح ماسيدان بعد فتح (حلوان) (٢٢) .

الشاعر

كان ضرار من شعراء قریش المطبوعين المجودين (٢٣) ولم يكن في قریش أشعر منه (٢٤) . كان عبد الرحمن بن عوف في طريقه الى مكة ، فقال لرجل : « غننا ! » ، فقال عمر بن الخطاب : « ان كنت أخذنا فعليك بشعر ضرار بن الخطاب (٢٥) » ، مما يدل على إعجاب الناس ، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب بشعر ضرار التين .

وشعره الذي بين أيدينا كثير لا مجال لذكره هنا ، وسنورد بعض ما قاله في الجاهلية وفي اسلامه وفي فتوحاته كنماذج فقط لشعره الرائع . فمن شعره في الجاهلية ، قوله في مدح أم غيلان التي أراد قومها قتل ولدها غيلان فقامت دوله وخلصته من القتل (٢٦)

جزى الله عنا أم غيلان صالحا	ونسوتها اذ هن شعث عواطل (٢٧)
فهن دفعن الموت بعد اقترابه	وقد برزت للثائرين القاتل
دعت دعوة (دوسا) فتالت شعابها	بغز وأدتها الشراج القوابل (٢٨)
وعمرها جزاه الله خيرا فما ونى	وما بردت منه لدي المفاصل (٢٩)
فخرت سيفي شيم قتت بنصله	وعن أي نفس بعد نفسي اقاتل (٣٠)

(٢٢) حلوان : هناك حلوان العراق ، وهي مدينة عامرة ليس في ارض العراق بعد البصرة والكوفة وبغداد وواسط وسامرا والحيرة مدينة أكبر منها ، وهي بقرب الجبل (الجبل الواقع على حدود العراق - إيران حاليا) وليس بالعراق مدينة قرب الجبل غيرها . انظر المسالك والممالك ص (٦١) . وحلوان بلاد الجبال (في إيران حاليا) ، فهي مدينة في سفح الجبل المطل على العراق . انظر المسالك والممالك ص (١١٨) . وانظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٢٢/٣) . اقول : وحلوان العراق اليوم أطلال دوارس تقع بين جلولاء وخانقين .

(٢٣) أسد الغاية (٢/٣)

(٢٤) الإصابة (٢/٣)

(٢٥) الإصابة (٢/٣)

(٢٦) سيرة ابن هشام (٢/٢٤) . وانظر القصة كاملة في الإصابة (٢/٢٧٠) . وانظر نماذج من شعره قبل اسلامه في سيرة ابن هشام (١/٤٨) و (٢/٥٩) و (٢/٣٧٧) و (٢/٣٩٧) و (٢/١٠٢) و (٢/١١٢) و (٣/١٥٠) و (٣/٢٧٥) . (٢٧) الشعث : جمع شعناء ، وهن المتغيرات الشعور . والمواطل : جمع غاطلة ، وهي التي لا حلي لها .

(٢٨) دوس : اسم قبيلة عربية . والشعاب : جمع شعب . والنراج : جمع شرجة ، وهي مسيل الماء من الحرة الى السهل . والقوابل : التي تقابل بعضها بعضا .

(٢٩) ونى : برد وفتن .

(٣٠) نصل السيف : حده .

وقال يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفتح : (٣١)

يا نبي الهدى اليك لجا	حي قريش وانت خير لجا
حين ضاقت عليهم سعة الار	ض وعاداهم اله السماء
والتقت حلقتا البطان على القو	م ونودوا بالصيلم الصلعا
ان سعدا يريد قاصمة الظهر	باهل الحجون والبطحاء

وقال في أسر قائد الفرس في معركة (ماسبدان) : (٣٢)

ويوم حبسنا قوم (آذين) جنده	وقطراته عند اختلاف العوامل
وزررد وآذيناً وفهداً وجمعهم	غداة الوغى بالرهفات الصواقل
فجاعوا الينا بعد غيب لقائنا	بماسبدان بعد تلك الزلازل

لقد كان ضرار شاعرا فحلا ، لا تقل شهرة شعره عن شهرة فتوحاته .

الانسنان

لا نعلم شيئا عن اعمال ضرار العامة بعد الفتح ، فقد سكبت عنه التاريخ سكوتا مطبقا بعد أن كان ملء السمع والبصر شاعرا وفارسا وفاتحا .

لقد كان في الجاهلية رئيسا لقومه ، ورث الرئاسة عن أبيه ، ولكنه كان اهلا لها ، فقد كان شاعر قريش كلها دون منازع تفخر به بين العرب ، وكان شجاعا يحمي الذمار كريما مضيافا وفيما شهما غيورا .

وكان في جاهليته عنيفا في عدوانه للمسلمين : حاربهم بلسانه وسيفه حربا لا هوادة فيها ، ولكنه بعد اسلامه سخر لسانه وسيفه لحماية الاسلام ولنشره في البلاد .

وقد اختلف المؤرخون في موعد موته ، فذكر بعضهم أنه قتل في اليمامة شهيدا (٣٣) ، وهذا غير صحيح بالطبع ، لانه عاش وشهد المعارك التي ذكرناها جنديا وقائدا في عهد عمر بن الخطاب ، وقد قال عمر لام جميل التي حمت ضرارا من القتل في أيام الجاهلية ، وقد أمته وهي ترى أنه إخوان ضرار : « اني لست بأخيه الا في الاسلام ، وهو غاز وعرفت منك (٣٤) عليه » (٣٥)

(٣١) أسد الغابة (٤٠/٣) والاصابة (٢٧٠/٣) والاستيعاب (١٧٤٨/٢) وتام القصيدة في ترجمة سعد بن عباد . انظر الاستيعاب (٥٩٨/٢)

(٣٢) معجم البلدان (٣٦٤/٧)

(٣٣) الاصابة (٢٧٠/٣) وطبقات ابن سعد (٤٥٤/٥)

(٣٤) المنة : يريد بها يدها عنده ونعمتها عليه .

(٣٥) سيرة ابن هشام (٢٥/٢)

وذكر بعضهم انه قتل شهيدا في معركة (اجنادين) (٣٦) ، وهذا غير صحيح ايضا ، لان هذه المعركة كانت في سنة ثلاث عشرة للهجرة (٣٧) ، وفي رواية اخرى : انها كانت في سنة خمس عشرة للهجرة (٣٨) ؛ بينما شهد ضرار معارك كثيرة كانت بعد هذين التاريخين كما اسلفنا - يكفي ان نذكر : انه كان قائد المسلمين يوم فتح (ماسبذان) التي كانت سنة ست عشرة للهجرة (٣٩) .

والثابت انه كان حيا سنة سبع عشرة للهجرة (٦٣٨ م) ، اذ ان سعد ابن ابي وقاص استدعاه فنزل الكوفة ، وكان قبل ذلك واليا على (ماسبذان) (٤٠) ، ثم انقطعت اخباره بعد هذا التاريخ . والظاهر انه توفي حوالي سنة سبع عشرة للهجرة او بعدها بقليل ، اذ انه شهد حرب الفجار التي كانت بعد عام الفيل (٤١) بعشرين سنة ، وعام الفيل كان سنة (٥٧٠ م) لان النبي صلى الله عليه وسلم ولد في عام الفيل ، وقد كان ضرار في حرب الفجار قائدا لعشيرته ، ومعنى ذلك انه كان كبير السن ، يوم الفجار لا يقل عمره عن العشرين عاما ، فليس من المعقول ان يطول عمر ضرار اكثر من حوالي سنة سبع عشرة للهجرة ، لذلك أرجح انه توفي حوالي سنة سبع عشرة للهجرة (٦٣٨ م)

القائد :

كان ضرار من فرسان قریش وشجعانهم (٤٢) ، وابرز ما في قيادته شجاعته الفائقة التي تستهين بالاعطال .

وكان في شجاعته واقدامه مثالا رائعا لرجاله ، يشير نخوتهم ببطولته الشخصية النادرة وبشعره الحماسي المتين ؛ وقد ظهر اثر لسانه وسيفه واضحا عندما قاد جيشا من المسلمين لفتح منطقة (ماسبذان) ، اذ لم يكف يعرف موضع القطعات الفارسية الا وانقض عليهم بسرعة خاطفة وانقض هو بنفسه على قائد الفرس فأخذه أسيرا ، فانهارت مقاومة الفرس سريعا وتركوا ساحة المعركة هاربين !

(٣٦) ابن الاثير (١٦٠/٢) وقد اعتمد ذلك الزركلي صاحب الاعلام ، فذكر في (٣١٠/٢) الطبعة الثانية : انه استشهد في اجنادين .

(٣٧) ابن الاثير (١٦٠/٢)

(٣٨) ابن الاثير (١٩٣/٢) والطبري (١٠١/٢)

(٣٩) الطبري (١٤٢/٢) وابن الاثير (٢٠٢/٢)

(٤٠) الطبري (١٤٣/٢)

(٤١) ابن الاثير (٢١٤/١)

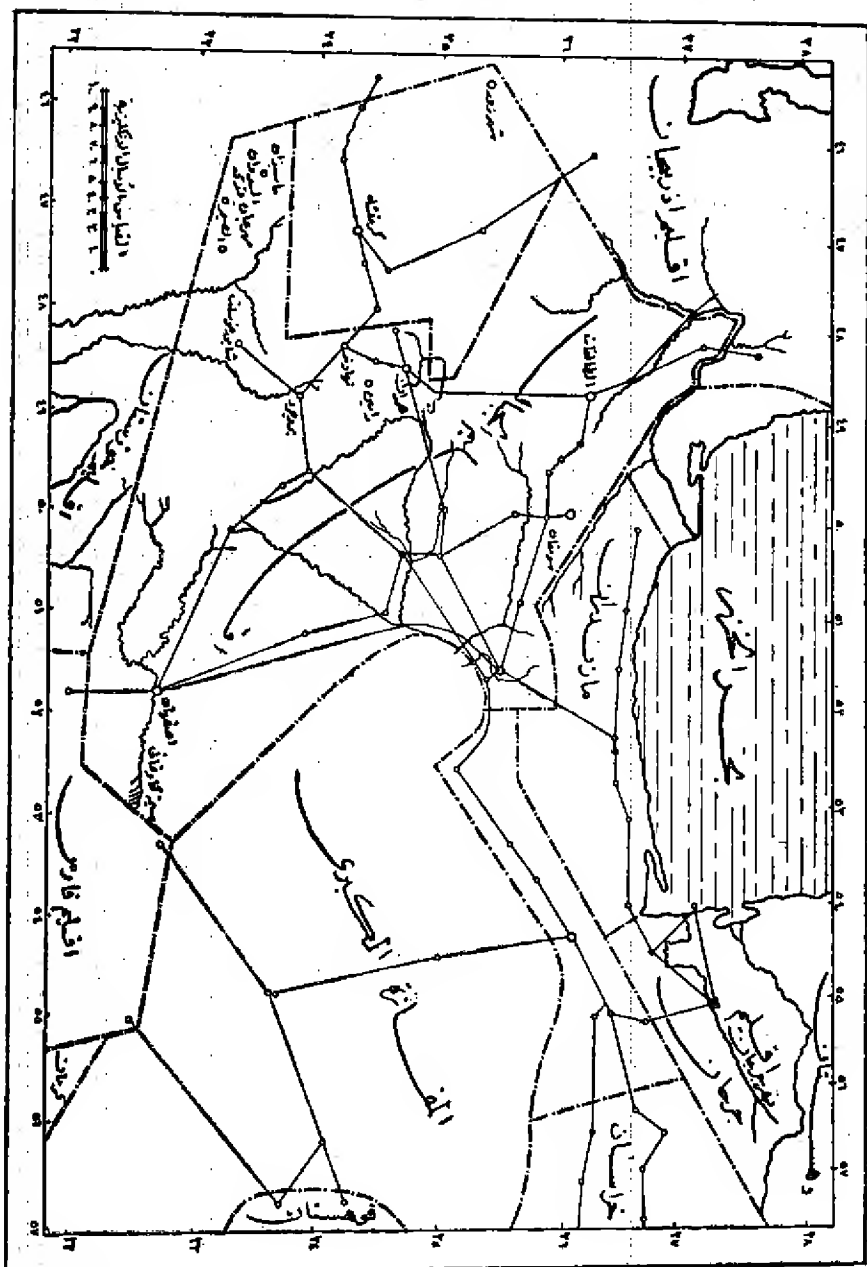
(٤٢) اسد الغابة (٤٠/٢) والاستيعاب (٧٤٨/٢)

ان مفتاح مزايا قيادة ضرار هو شجاعته النادرة ، وكان قد مارس الحروب في الجاهلية والاسلام مدة طويلة ، فأصبحت خبرته في مكابدة العدو ومعرفته أسهل الطرق للقضاء عليه مع ذكائه اللامع، كل ذلك من العوامل البارزة لقابليته على اعداد الخطط العسكرية الصحيحة الدقيقة واعطاء القرارات السريعة السليمة ؛ كما أنه كان يطبق في معاركه بمقدرة فائقة مبدأ (المباغتة) أهم مبادئ الحرب على الاطلاق .

وكان بالإضافة الى كل ذلك ، ذا ارادة قوية وشخصية نافذة ، يسبق النظر ويحسب لكل شيء حسابه ، يثق برجاله ويحبهم ويشقون به ويحبونه ، يتحمل المسؤولية الكاملة بلا خوف ولا تردد ، له ماضٍ في البطولات مشرف ناصع .

ضرار في التاريخ

يفخر الشعراء بضرار شاعرا مجيدا ، ويفخر الفرسان بضرار فارسا مفوارا . ويفخر الأبطال بضرار بطلا مقداما ؛ أما القادة فيفخرون به قائدا فاتحا ضم الى ربوع بلاد المسلمين منطقة واسعة لا تزال تدين بالاسلام . رضي الله عن الشاعر الفارس ، البطل الفاتح ضرار بن الخطاب القرشي الفهري .



اقليم الجبال وجيلان مع اقاليم مازندران وقومس وجرجان

النعمان بن مقرن المزني

فتاح رام هرمز^(١) وشهيد معركة فتح الفتوح

« هذا أميركم قد أقر الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة »

(معقل بن مقرن المزني)

بيت مقرن :

« ان للإيمان بيوتا وللنفاق بيوتا ، وان من بيوت الايمان بيت ابن مقرن » . ذلك ما كان يقوله الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود عن بيت مقرن المزني .

لقد كان ابناء مقرن عشرة اخوة (٢) : سنان (٣) وسويد (٤) وعبدالله (٥) وعبد الرحمن (٦) وعقيل (٧) ومعقل (٨) والنعمان ونعيم (٩) ومرضي (١٠).

(١) رام هرمز : ومعنى رام بالفارسية : المراد والمقصود ، وهرمز أحد الاكاسرة ، فكان هذه اللفظة مركبة معناها : مقصود هرمز او مراد هرمز . وهي مدينة مشهورة بنواحي خوزستان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢١/٤) والمسالك والممالك ص (٦٤) .

(٢) في الاصابة (١٢٦/٦) ان ابناء مقرن سبعة اخوة ، والصحيح هو انهم عشرة اخوة كما ذكرنا اعلاه ، وقد استدرك في الاصابة ذلك في (١٢٦/٦) ، انظر الطبري (٥٦٤/٢) .

(٣) سنان بن مقرن المزني : أحد الاخوة ، له صحبة ، وله ذكر في المغازي . انظر الاصابة (١٣٥/٢) والاستيعاب (٦٥٩/٢)

(٤) سويد بن مقرن المزني : أحد قادة الفتح الاسلامي ، سترد ترجمته التفصيلية .

(٥) عبدالله بن مقرن المزني : أحد الاخوة ، له صحبة ، وكان على ميرة ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين خرج من المدينة لقتال المرتدين في ضواحيها ، وله ذكر في المغازي .

انظر الاصابة (١٢٣/٤) واسد الغابة (٢٦٦/٣) .

(٦) عبد الرحمن بن مقرن المزني : أحد الاخوة ، له صحبة ، ويقال كان اسمه : عبد عمرو فغيره النبي صلى الله عليه وسلم . انظر الاصابة (١٨٣/٤) .

(٧) عقيل بن مقرن المزني : أحد الاخوة ، له صحبة ، انظر الاصابة (٢٥٥/٤) واسد

الغابة (٤٢٤/٣) والاستيعاب (١٠٧٩/٣) .

(٨) معقل بن مقرن المزني : أحد الاخوة ، له صحبة ، وقد نزل الكوفة . انظر الاصابة

(١٢٦/٦) واسد الغابة (٤٩٨/٤) والاستيعاب (١٤٣٢/٣) .

(٩) نعيم بن مقرن المزني : أحد قادة الفتح الاسلامي ، سترد ترجمته التفصيلية .

(١٠) مرضي بن مقرن المزني : أحد الاخوة ، له صحبة ، وكان يحسن الكتابة فقد كتب

وثيقة الصلح مع أهل الباب . انظر الاصابة (٨١/٦) .

وضرار (١١) ، وهم من مزينة مضر (١٢) ، كلهم صحب الرسول صلى الله عليه وسلم وليس ذلك لأحد من العرب غيرهم ؛ نزلت فيهم الآية الكريمة : « ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر .. الآية » (١٣) ، وكانوا من جلة الصحابة (١٤) .

اسلامه :

قدم النعمان مع اخوته على رأس أربعمئة فارس من (مزينة) (١٥) على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا وذلك في رجب من السنة الخامسة للهجرة (١٦) وشهدوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم غزوة (الخنديق) (١٧) وغزواته الأخرى بعد اسلامهم ، وكان مع النعمان لواء مزينة في غزوة فتح مكة (١٨) ، وقد شهد تلك الغزوة من مزينة الف وثلاثة نفر (١٩) أي عشر قوات المسلمين في غزوة الفتح .

وثبت النعمان كما ثبتت مزينة على الاسلام بعد التحاق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، بينما ارتدت العرب اما عامة واما خاصة في كل قبيلة ، ونجم النفاق وأصبح المسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشائية لفقدهم نبيهم (٢٠) ، فكان لثبات مزينة والقبائل الأخرى القيمة بين مكة والطائف اثر في القضاء على المرتدين في تلك المناطق بصورة خاصة وفي المناطق العربية الأخرى بصورة عامة .

لقد كان النعمان قائد مزينة ورئيسها ، فلا بد ان يكون له الاثر الجاسم في اقدامها على الاسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وتمسكها به بعد وفاته ، وجهادها في حياته وبعد وفاته لاعلاء كلمة الله .

-
- (١١) ضرار بن مقرن المزني : اجد الاخوة ، امره خالد حين حصار الحيرة، وله صحبة . انظر الاصابة (٢٧١/٣) واسد الغابة (٤١/٣) والطبري (٥٦٤/٢) .
- (١٢) المعارف ص (٧٥) .
- (١٣) الاصابة (١٢٦/٦) .
- (١٤) الاصابة (٢٤٩/٦) .
- (١٥) اسد الغابة (٣٠/٥) .
- (١٦) طبقات ابن سعد (٢٩١/١) .
- (١٧) طبقات ابن سعد (٢٠/٦) .
- (١٨) الاصابة (٢٤٦/٦) .
- (١٩) سيرة ابن هشام (٤٢/٤) .
- (٢٠) الطبري (٤٦١/٢) .

جهاده :

أ - في حرب الردة :

بعثت عبس وذبيان ومن انضم اليهم من بني كنانة ومن غطفان وفزارة جموعاً منها أقامت على مقربة من المدينة المنورة ، وأرسل رؤساء هذه القبائل وفوداً منهم إلى المدينة يفادون أبا بكر : يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ! ، فكان جواب أبي بكر : « والله لو منعوني عقلاً لجاهدتهم عليه » (٢١) .

وعادت تلك الوفود إلى قبائلها بعد أن اطلعت على نقاط الضعف في المدينة : مدخلها ومخارجها وقلة المدافعين عنها ؛ فأنذر أبو بكر أهل المدينة بالخطر ، وحشد المقاتلين بعدة القتال في المسجد لرد العدوان الخارجي ، ووضع الحراس في مداخل المدينة لمراقبة الغزاة ليلاً ونهاراً .

وزحف مانعو الزكاة ليلاً بعد ثلاثة أيام من عودة وفودهم ، فأحس الحراس المقيمون في مداخل المدينة بالخطر ، فأنذروا أبا بكر ، فخرج على رأس القوات التي حشدتها في المسجد لصد هجوم المرتدين ؛ فكان استحضار المسلمين الكامل وهجومهم الفوري على الغزاة مباغتة كاملة لهم لم يكونوا يتوقعونها ، إذ لم يدر بخواطر هذه القبائل أن سيقاومهم أحد بعد الذي عرفوا من أمر المدينة وأهلها ، لذلك انسحبت هذه القبائل فطاردهم المسلمون حتى بلغوا (ذا حسا) (٢٢) ، وكانت القبائل قد تركت فيها مدداً من الرجال أعدوا أنحاء (٢٣) قد نفخوها وربطوها بالحبال وضربوها بأرجلهم في وجوه الأبل التي امتطأها المسلمون ، فنفرت براكبيها وعادت بهم إلى المدينة !

وظن القوم بالمسلمين الوهن ، ولكن أبا بكر بات ليله يتهياً ، فعبئ الناس ثم خرج في الثلث الأخير من الليل ، وعلى يمينته النعمان وعلى يسارته أخوه عبدالله بن مقرن وعلى الساقة أخوه سويد بن مقرن ، فما طلع الفجر إلا وهم والعدو في صعيد واحد ، فما سمعوا للمسلمين همساً ولا حساً حتى وضعوا فيهم السيوف قبل شروق الشمس ، فلم تشرق الشمس حتى انهزم

(٢١) ابن الأثير (١/٢) (١٣١) .

(٢٢) ذو الحسا : واد بارض الشربة من ديار عبس وغطفان . انظر معجم البلدان

(٢٣) (٢٧٥/٣) .

(٢٣) أنحاء : جمع نحى ، وهي أوعية من جلود .

المشركون ، فطاردهم أبو بكر حتى نزل بـ (ذي القصة) (٢٤) حيث وضع فيها حامية من المسلمين بقيادة النعمان وعاد الى المدينة (٢٥) .

وبعد عودة بعث أسامة بن زيد الى المدينة ، خرج أبو بكر بنفسه لقتال المرتدين من قبائل عبس وبني بكر وذبيان في منطقة (الريدة) (٢٦) ، وكان على ميمته النعمان ايضاً ، فهزم العدو وعاد الى المدينة بعد ان طهر شمال وشمال شرقي المدينة من المرتدين (٢٧) .

لقد كان النعمان واخوته من ابرز الرجال الذين اعانوا أبا بكر على محاربة المرتدين وإعادة الهدوء والنظام والوحدة الى ربوع شبه الجزيرة العربية .

ب - في القادسية :

كان النعمان مع سعد بن أبي وقاص في القادسية ، وقد رأى ان يرسله على رأس وفد (٢٨) الى كسرى (يزدجرد) ، وأمرهم ان يدعوهم الى الاسلام ، فان أبى فالجزية ، والا فالمناجزة .

وبلغ الوفد (المدائن) عاصمة كسرى ، فسألهم الملك : « ما جاء بكم ، وما دعاكم لفزونا والولوع ببلادنا ؟! أمن أجل اننا تشاغلنا عنكم اجترأتسم علينا ؟ » ، وأجابه النعمان ذاكرًا له كيف بعث الله رسوله ، وما جاء به من عند الله من خير ، ودعاه الى الاسلام قائلاً : « ثم أمرنا - أي الرسول صلى الله عليه وسلم - ان نبدأ بمن يلينا من الامم فندعوهم الى الانصاف ، فنحن ندعوكم الى ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله ، فان أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه : الجزاء ! فان أبيتم فالمناجزة ، فان أجبتكم الى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله واقمناكم عليه ان تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم ، وان اتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم ، والا قاتلناكم » (٢٩) .

(٢٤) ذو القصة : موضع على بريد من المدينة (على مرحلة) تلقاء نجد . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١١٤/٧) .

(٢٥) الطبري (٤٧٨/٢) .

(٢٦) الريدة : الريدة لغة هي الشدة ، وهي من قرى المدينة على ثلاثة اميال قريبة من ذات غرق . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٢١/٤) .

(٢٧) الطبري : (٤٧٩/٢) .

(٢٨) الطبري (١٧/٣) وكان بين الوفد : فرات بن حبان والاشعث بن قيس وعمرو بن معدى كرب والمغيرة بن شعبة والمغنى بن حارثة النسيباني اخو المنثى . وانظر ابن الانسير (١٧٥/٢)

(٢٩) الطبري (١٧/٣) وابن الاثير (١٧٦/٢) .

كبر على كسرى أن يسمع مثل هذا الكلام ، فأجاب الوفد جواباً يفريهم بما عنده من مال والبسة وطعام ، وبعد أخذ وردّ ، غضب كسرى غضباً شديداً ، فخطب الوفد قائلاً : « لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ! لا شيء لكم عندي » (٣٠)

لقد ترك الوفد أثراً معنوياً سيئاً في نفس كسرى ورجاله ، قال كسرى بعد مفارقة الوفد يخاطب رستم قائد الفرس : « ما كنت أرى أن في العرب مثل هؤلاء ! ما أنتم بأحسن جواباً منهم ، ولقد صدقني القوم . لقد وعدوا أمراً ليدركنه أو ليموتن عليه » (٣١) .

ولما نشب القتال في القادسية ، أبلى النعمان فيها بلاء الإبطال ، فلما نصر الله المسلمين على الفرس ، أرسله سعد إلى عمر بن الخطاب بشيراً بفتح القادسية (٣٢) .

٣ - الفاتح :

أ - في الأهواز :

استقر (يزدجرد) بمدينة (مرو) بعد خروجه من (المدائن) وانتقاله من مدينة إلى أخرى ، وكان يعمل على إثارة أهل فارس للدفاع عن بلادهم ولاسترجاع ما خسروه من بلاد .

واثمرت محاولاته في توحيد جهود الفرس وأهل الأهواز في سبيل صد عدوهم المشترك ، فأخبر قادة المسلمين في منطقة الأهواز عمر بن الخطاب باجتماع كلمة أتباع كسرى على قتال المسلمين ، فما كان من عمر إلا أن كتب إلى سعد بن أبي وقاص : « ابعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً مع النعمان بن مقرن وعجل ، فليزلوا بأزاء الهرمزان ويتحققوا أمره » (٣٣) .

وتحرك النعمان بأهل الكوفة إلى الأهواز على البغال يجنبون الخيل ، فلما وصلها بادر إلى مهاجمة جيش (الهرمزان) في (رام هرمز) فهزم الفرس وفتح المدينة . ولجأ الهرمزان إلى مدينة (تستر) ، فسار النعمان بقوات الكوفة إليه ، وسارت قوات البصرة إلى (تستر) أيضاً ، وأمدتهم عمر

(٣٠) الطبري (١٩/٣) .

(٣١) ابن الأثير (١٧٦/٢) .

(٣٢) أسد الغابة (٣١/٥) والاصابة (٢٤٦/٤) . أما الطبري في (٧٠/٣) فيذكر أن الشر

بفتح القادسية كان سعد بن عُميلة .

(٣٣) ابن الأثير (٣١١/٢) .

ابن الخطاب بأبي موسى الأشعري وجعله على أهل البصرة ، وجعل أبا سبرة بن أبي رهم قائدا عاما على الجميع ، فاستولى عليها بعد حصار دام أكثر من شهر ، أما الهرمزان فالتجأ الى قلعة المدينة وتحصن بها ، ولكنه سلم نفسه للمسلمين على أن يقرر مصيره عمر بن الخطاب بنفسه .

وخرج أبو سبرة لمطاردة المنهزمين الى مدينة (السوس) ونزل عليها ومعه النعمان وأبو موسى الأشعري ، وبقي النعمان محاصرا (السوس) حتى جاء أمر عمر بالحركة الى (نهاوند) ، ولكنه قبل حركته اليها استطاع قائد خيله اقتحام مدينة السوس فدخلها المسلمون عنوة (٣٤) .

ب - في نهاوند (٣٥)

كان ما أصاب الهرمزان حافزا لامراء الفرس الذين خافوا أن يصيبهم ما أصابه - أن يوحّدوا كلمتهم لدفع الغزاة عن بلادهم ، فكتبوا الى (يزدجرد) ليكون على رأس وحدتهم ، وليعمل من جانبه على دعمهم ، فكتب بدوره الى الامصار يشجع أهل فارس ويحثهم على التكاتف والتضامن والثبات ، فبعث كل أمير من جنده الى (نهاوند) حتى بلغ عددهم مائة وخمسين الفا اجتمعوا بأمرة (الفيرزان) (٣٦) .

وأخبر سعد بن أبي وقاص عمر بهذا الحشد الفارسي العظيم ، فقرر عمر أن يسير بنفسه لمعالجة هذا الخطر الداهم ، ولكن أصحاب الشورى وعلى رأسهم علي بن أبي طالب نصحوه أن يبقى في المدينة ويرسل قائدا يعتمد عليه ليفرق شمل القوات الفارسية (٣٧) .

قال عمر : « أشيروا عليّ برجل أوليّه ذلك الثغر وليكن عراقيسا » ، فقالوا : أنت أعلم بجندك وقد وفدوا عليك ! فقال : « والله لأولين أمرهم رجلا يكون أول الاسنة اذا لقيها غدا ... هو النعمان بن مقرن » ، فقالوا : هو لها ! (٣٨) .

(٣٤) الطبري (١٨٠/٣ - ١٨٧) وابن الأثير (٢١١/٢ - ٢١٤) . أما البلاذري في ص (٣٧٣) فيذكر أن أبا موسى الأشعري هو الذي فتح (سسر) و (السوس) .
(٣٥) نهاوند : مدينة عظيمة في قبة همدان ، بينهما ثلاثة أيام . انظر معجم البلدان (٣٢٩/٨) والمسالك والممالك ص (١١٨) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٧١) .

(٣٦) ابن الأثير (٣/٣) .

(٣٧) الطبري (٢١٢/٣) .

(٣٨) ابن الأثير (٣/٢) .

وكان سعد بن أبي وقاص قد ولّى النعمان على (كسكر) (٣٩) ، فكره النعمان منصبه هذا وكتب الى عمر يسأله ان يعزله ، لانه لا يريد ان يكون (جابياً) بل يريد ان يكون (غازياً) ، فكتب اليه عمر : « بسم الله الرحمن الرحيم . من عبدالله عمر أمير المؤمنين الى النعمان بن مقرن . سلام عليك . فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو . اما بعد فانه قد بلغني ان جموعاً من الاعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند ، فاذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله وبعون الله ونصر الله بمن معك من المسلمين ، ولا توطئهم وعرأ فتؤذيهم ، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم ، ولا تدخلهم غيضة (٤٠) . فان رجلاً من المسلمين أحب اليّ من مائة ألف دينار ، والسلام عليك » (٤١) .

وكتب عمر الى والي الكوفة يأمره ان يستنفر ثلثي الناس ويبقى ثلثهم (٤٢) وكتب في اليوم نفسه الى أبي موسى الأشعري : « ان سر بأهل البصرة » ، وكانت مثابة اجتماع النعمان بهذه القوة مدينة (ماه) (٤٣) ، وكتب الى كافة قادة القوات : « اذا التقيتم فأمركم النعمان بن مقرن الزني » (٤٤) ، كما كتب الى امراء الاجناد في الاهواز : ان يشاغلوا أهل فارس عن اخوانهم ، وأراد عمر بذلك ان يقطع الامدادات الفارسية عن أهل نهاوند من جهة ويشاغل القوات الفارسية في جبهات متعددة ليضعفها اولاً وليضرب ضربته الحاسمة في نهاوند بعد اكمال تحشد قوات المسلمين فيها ثانياً .

وأرسل النعمان جماعات استطلاعية لمعرفة أخبار الفرس ، فوصل طليحة بن خويلد الاسدي نهاوند ، فلما رجع أخبر النعمان بعدم وجود قوات فارسية معادية في طريقه الى نهاوند ، عند ذلك تحرك النعمان بقواته حتى نزل منزلاً قريباً من حصون أعدائه : على ميمنته الأشعث بن قيس الكندي وعلى ميسرته المفيرة بن شعبة (٤٥) .

(٣٩) كسكر : كورة كبيرة واسعة قصبتها مدينة واسط التي بين الكوفة والبصرة وكانت قصبتها قبل أن يمسر الحجاج واسطاً خسرو سابور ، ويقال أن حدكورة كسكر من الجانب الشرقي في آخر سقي النهر وان الى أن تصب دجلة في البحر - كله من كسكر ، فتدخل فيه على هذا البصرة ونواحيها . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٥١/٧) .

(٤٠) القبضة : الأجمة ، وهي مفيض ماء يجتمع فيه الشجر ، والجمع غياض وأغياض .

(٤١) الطبري (٢٥٣/٣) وانظر الطبري (٢١٣/٣) حول رسالة النعمان الى عمر يطلب

فيها عزله عن كسكر . ومن أراد تفاصيل الروايات حول تولية عمر النعمان بإرجع البلاذري من (٣٠٠ - ٣٠١) ومروج الذهب على هامش ابن الأثير (١٣٦/٥) .

(٤٢) البلاذري ص (٣٠٠) .

(٤٣) ماه : هي ماه دينار وهي مدينة نهاوند . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٥/٧)

(٤٤) الطبري (٢٠٦/٣) .

(٤٥) البلاذري ص (٣٠٢) .

ونشب القتال حول المدينة ، وكان القتال سجالا بين العرب والفرس يومين كاملين ، فخاف المسلمون أن يطول امد القتال ، فاجتمع أهل الرأي منهم وذهبوا الى النعمان فقال لهم : « قد ترون المشركين وأعتصامهم بالجصون من الخنادق والمدائن ، وأنهم لا يخرجون الا اذا شاءوا ولا يقدر المسلمون على انقاضهم وانبعاثهم قبل مشيئتهم ، وقد ترون الذي فيه المسلمون من التضايق ، فما الرأي الذي به نستخرجهم الى المناجزة وترك التطويل ؟ » (٤٦) .

وأشار بعضهم بتضييق الحصار ، وأشار بعضهم بمهاجمة المدافعين في حصونهم ، وقال طليحة : « أرى أن تبعث خيلا لينشبوا القتال ، فاذا اختلطوا بهم رجعوا الينا استطرادا ، فانا لم نستطرد لهم في طول ما قاتلناهم ، فاذا رأوا ذلك طمعوا وخرجوا فقاتلناهم حتى يقضي الله فيهم وفيما ما أحب » (٤٧) ، فأرسل النعمان القعقاع بن عمرو التميمي على رأس الخيل فأنشب القتال ، فلما خرجوا من خنادقهم وحصونهم تراجع أمامهم ، فظن الاعاجم أن انسحاب العرب كان نتيجة لضعفهم فقاموا بمطاردة العرب المنسحبين !

كان المسلمون على تعبيتهم ، وقد أمر النعمان جيشه أن يشبوا في اماكنهم ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم وأقبل الفرس عليهم يرمونهم حتى افشوا فيهم الجراح .

وانتظر النعمان حتى تم خروج قوات الفرس من حصونهم . . . ثم ركب فرسه وسار في الناس ووقف على كل راية يذكرهم ويحرضهم ويمنيهم الظفر ، ثم قال لهم : اني مكبر ثلاثا ، فاذا كبرت التكبير الاولى فليتها من لم يكن تهيأ ، فاذا كبرت الثانية فليشد عليه سلاحه وليتأهب للنهوض ، فاذا كبرت الثالثة فاني حامل أن شاء الله فاحملوا معي . . . اللهم أعز دينك وانصر عبادك واجعل النعمان اول شهيد اليوم على اعزاز دينك ونصر عبادك » (٤٨) . . . وهكذا استدرج النعمان اعداءه الى حرب في العراء خارج حصونهم وخنادقهم ، حتى اذا سنحت له الفرصة حمل وحمل معه الناس ، فاقتتلوا بالسيوف قتالا شديدا ، مما جعل ساحة المعركة مملوءة بالدماء والاشلاء ، فزلق فرس النعمان في الدماء (٤٩) وصرع ، وقيل : بل أصابه سهم في خاضرته فقتله (٥٠) ، فسجّاه أخوه تميم بثوبه وأخذ اللواء من يده ودفعه

(٤٦) ابن الاثير (٤/٣)

(٤٧) ابن الاثير (٤/٣)

(٤٨) الطبري (٢١٧/٣)

(٤٩) الطبري (٢١٧/٣)

(٥٠) ابن الاثير (٥/٣)

الى حذيفة بن اليمان حسب وصية النعمان ، واخفى نعيم استشهاد أخيه
عن الناس حتى لا تنهار معنوياتهم فلما اظلم الليل انهزم الفرس .

وطاردهم المسلمون ، فلم ينج منهم الا الشريد ، حتى وصل المسلمون
في مطاردتهم الى (همدان) حيث استأمنهم أميرها !

وجعل المسلمون يسألون عن أميرهم النعمان ، فقال لهم أخوه مَعْقِل:
« هذا أميركم قد أقرّ الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة » .

ودخل المسلمون نهاوند فاتحين بعد هزيمة الفرس ، وبذلك انتهت
معركة نهاوند الحاسمة التي اطلق عليها المسلمون بحق اسم : فتح
الفتوح (٥١) .

وكان عمر بن الخطاب بالمدينة يتسقط انباء المسلمين لا يكاد يذوق النوم
الا غزرا ، فلما جاءه رسول المسلمين من نهاوند سأله عمر : « ما وراءك ؟ » ،
قال : « البشري والفتح » ، وسأل عمر : « وما فعل النعمان ؟ » ، فقال :
« زلت فرسه في دماء القوم فصرع فاستشهد » ، قال عمر وقد أفزع النبأ
وهزه : « انا لله وانا اليه راجعون ! » ولم يتمالك نفسه أن بكى حتى
نشج كأنما أصيب بأعز انسان لديه .

وقال الرسول لعمر : « يا أمير المؤمنين ! ما أصيب بعده - يقصد
النعمان - رجل تعرف وجهه » ، فقال عمر : « أولئك المستضعفون من المسلمين ،
ولكن الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وانسابهم ! وما يصنع أولئك
بمعرفة عمر ؟ » (٥٢) .

الانسان :

كان النعمان من رؤساء مزينة ، فقد قدم على النبي صلى الله عليه
وسلم على رأس أربعمائة فارس من مزينة ، وكان صاحب لواء مزينة في غزوة
فتح مكة ، وكان موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم في حياته وموضع ثقة
خلفائه من بعده حتى استشهد في نهاوند سنة احدى وعشرين للهجرة (٥٣)
(٦٤٢ م) وقبره هناك بموضع يقال له : (أسفيدبان) (٥٤)

(٥١) الطبري (٢١٩/٣) .

(٥٢) ابن الاثير (٦/٣) والخراج ص (٤١)

(٥٣) طبقات ابن سعد (١٩/٦) والمعارف ص (١٨٢) .

(٥٤) اسفيدبان : قرية من قرى أصبهان . انظر معجم البلدان (٢٣١/١) وانظر المعارف

ص (٢٩٩) حول وجود قبر النعمان هناك .

لقد كان النعمان مؤمنا حقا ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ستة أحاديث (٥٥) ، وقد ثبت على إسلامه بعد النبي صلى الله عليه وسلم فكان ثباته هذا من العوامل المؤثرة على مزيّنة في ثباتها على الإسلام ومقاومتها المرتدين حتى عاد العرب إلى الإسلام .

وكان محبا للناس محبوبا منهم ، دمث الاخلاق حسن السيرة كريما وفيما ، سكن البصرة ثم تحول إلى الكوفة (٥٦) واستقر أخيرا في ثرى نهاوند شهيدا .

القائد :

كان النعمان جنديا بمعنى الكلمة ، يفضل دائما أن يكون (غازيا) في الصفوف الأولى الامامية في ساحات القتال على أن يكون (واليا) في المدن العامرة متنعما في المنازل والقصور . كان يحب الجهاد لا يبالي أن يكون جنديا بسيطا بين أخوانه المجاهدين أو قائداً من القادة ، إذ كل ما كان يتوق إليه هو مجابهة الأعداء ومصاولتهم لاعلاء كلمة الله .

وكان فارسا مقداما لا يعرف التردد والفرار ، مكثا غير متسرع الا لانتهاز فرصة سانحة ، ومن الواضح من سير أعماله أنه كان يقدر الموقف العسكري بكل دقة ويعد كافة متطلبات المعركة قبل الاقدام على زج رجاله في المعركة .

وكان دائما في الصفوف الامامية بين جنوده ليضرب لهم مثلا شخصيا يحتذى به في الشجاعة والاقدام .

وكان يمتاز بمحاولته الحصول على أخبار عدوه قبل الحركة وفي أثنائها وقبل نشوب القتال وفي أثنائه ، وكان لا يتحرك الا على تعبئة كاملة حتى يحول دون مباغتة العدو لقواته وإيقاع الخسائر بهم دون مبرر .

وكان كثير الاستشارة لذوي الرأي من رجاله ، فلا يقدم على عمل قبل أن يأخذ آراءهم ويستمع إلى مناقشتهم حتى يتوصل إلى الفكرة المفقولة فيعمل بها ، ذلك لانه كان يحرص على مصير كل جندي من جنوده أكثر مما يحرص هو على مصيره !!

لقد كان مثالا للقائد الذي يضحي بنفسه في سبيل مصلحة رجاله . قال أخوه معقل بن مقرن المزني : « أثبت النعمان وبه رمق ، ففسلت وجهه

(٥٥) أسماء الصحابة الرواة - لابن حزم - ملحق بجوامع السيرة ص (٢٨٨) .

(٥٦) الإصابة (٢٤٦/٦) .

من اداة (٥٧) ماء كانت معي ، فقال : من انت ؟ قلت : معقل ! قال : ما صنع المسلمون ؟ قلت : ابشر بفتح الله ونصره ، قال : الحمد لله .. اكتبوا الى عمر « (٥٨) ...

هذا هو القائد ! لم يفكر بنفسه حتى في ساعة احتضاره بل فكر بالمصلحة العامة للمسلمين ، فلما اطمأن الى أنها بخير ، أسلم روحه قرير البال مرتاح الضمير ... هذا هو القائد !!

النعمان في التاريخ :

يذكر التاريخ للنعمان جهاده تحت لواء الرسول القائد ، وموقفه الرائع في حروب أهل الردة ، وجهاده المشرف تحت لواء خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص وبلاءه المجيد في حروب خوزستان ، وأخيرا توج نهاية حياته بفتح نهاوند (٥٩) من أعظم وأكبر مدن فارس حينذاك .. وتوج حياته بنهاية مشرفة هي أكبر من فتح نهاوند ومن كل فتح ... بالشهادة .
لقد كانت معركة نهاوند من معارك الفتح الاسلامي الحاسمة ، فكما أن معركة القادسية فتحت ابواب العراق العربي للمسلمين ، فان معركة (نهاوند) فتحت ابواب فارس للمسلمين ، فلا عجب اذا اطلق عليها المؤرخون اسم : فتح الفتوح .

لقد ربح النعمان معركة نهاوند ولكنه خسر نفسه، لذلك خلده التاريخ، ولو انه خسر هذه المعركة من أجل الحفاظ على نفسه لأهمله التاريخ ، فما أحرانا أن نتعلم هذا الدرس من هذا القائد العظيم ..

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، الشهيد البطل النعمان بن مقرن المزني .

(٥٧) اداة : المطهرة جمعها : الاداوى بوزن المطايا ، وفي البلاذري ص (٣٠١) وردت هذه الكلمة : ادوات خطأ بدلا عن اداة .

(٥٨) البلاذري (٣٠١) .

(٥٩) في الاصابة (٢٤٦/٦) يذكر انه فتح أصبهان ، والصحيح ان فتح أصبهان جرى بعد معركة نهاوند . راجع الطبري (٢٢٢/٣) وابن الاثير (٨/٣) والبلاذري ص (٣٠٨) .

حذيفة بن اليمان العبسي

فاتح مآه^(١) والدينور^(٢)

وصاحب رسول الله ﷺ

ان شئت كنت من المهاجرين
وان شئت كنت من الانصار
(محمد رسول الله)

أهله :

هو حذيفة بن حنبل (٣) بن جابر بن ربيعة بن فروة بن مازن بن
قطيعة بن عبيس المعروف باليمان العبسي (٤) حليف بني عبد الاشهل من
الانصار (٥) ويكنى : ابا عبدالله (٦) .

استشهد والده حنبل بن جابر في غزوة (أحد) ، وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما خرج الى (أحد) ، رفع حنبل بن جابر والد حذيفة وثابت
ابن وقش (٧) الى الاكام مع النساء والصبيان - وكانوا شيخين كبيرين ،
فقال أحدهما للآخر : « لا أبالك ! ما ننتظر ؟! انا نحن هامة (٨) اليوم او غد » ،
فلحقا بالمسلمين ليرزقا الشهادة ؛ فلما دخلا في الناس قتل المشركون ثابت
ابن وقش الانصاري والتقت أسياف المسلمين على حنبل والد حذيفة، فنادى

(١) مآه : هي مدينة نهاوند ، وانما سميت بذلك ، لان حذيفة بن اليمان لما نازلها صالح
أميرها الذي أسره المسلمون على الخراج والجزية وأمن أهلها على أموالهم وأنفسهم وذرائعهم ،
وكان اسم ذلك الأمير : دينار . فسميت نهاوند يومئذ : مآه دينار . انظر التفاصيل في معجم
البلدان (٣٧٥/٧) .

(٢) الدينور : مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين . بين الدينور وهمدان بنيت
وعشرين فرسخا ، ومن الدينور الى شمرزور أربع مراحل ؛ والدينور بمقدار ثلثي همدان .
انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٨٨/٤) والمسالك والممالك ص (١١٧) .

(٣) وفي طبقات ابن سعد (١٥/٦) : حنبل بالتصغير ، وكذلك في فتح الباري بشرح
البخاري (٩٩/٧)

(٤) الاصابة (١٢/٢) وأسد الغابة (٣٩٠/١)

(٥) سيرة ابن هشام (١٢٥/٢)

(٦) طبقات ابن سعد (١٥/٦) والاستيعاب (٣٢٤/١)

(٧) ثابت بن وقش الانصاري : قتل يوم (أحد) شهيدا وقتل ولده عمرو بن ثابت
وعمر بن ثابت يومئذ شهيدين . انظر التفاصيل في الاصابة (٢٠٤/١) والاستيعاب (٢٠٤/١)
وأسد الغابة (٢٢٤/١) .

(٨) هامة : جثة هامة .

حذيفة : « أبي ... أبي ... » فقتلوه وهم لا يعرفونه ، فقال حذيفة : « يغفر الله لكم » وتصدق بديته على المسلمين (٩) ؛ فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٠) . وكان أبوه قد أصاب دما فحالف بني عبد الأشهل ، فسماه قومه : اليمان ، لكونه حالف اليمانية (١١) .

وأمه امرأة من الانصار من الاوس من بني عبد الأشهل ، واسمها الرباب بنت كعب بن عدي بن عبد الأشهل (١٢) ، تزوجها والد حذيفة فولدت له حذيفة بالمدينة المنورة (١٣) .

وأخوه صفوان شهد (أحدا) ولم يشهد (بدرا) ، وأخته : ليلى بنت اليمان أم سلمة بن ثابت بن وقش ، وأخته الثانية فاطمة بنت اليمان (١٤) . وكان لحذيفة ولدان : صفوان وسعيد قتلا (بصفين) وكانا قد بايعا علي بن أبي طالب بوصية أبيهما إياهما بذلك (١٥) .

مع النبي :

أسلم من بني عيس أول من أسلم منهم عشرة ، عاشرهم اليمان والد حذيفة (١٦) ، فنشأ حذيفة في بيت إسلامي دفع حب الإسلام والاخلاص له أباه الشيخ الى الشهادة - وهو شيخ طاعن في السن سقط عنه فرض الجهاد . وقد كان اسلام حذيفة مبكرا ، فهاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فخيرته بين الهجرة والنصرة ، فاختر النصر (١٧) اذ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان شئت كنت من المهاجرين ، وان شئت كنت من الانصار » ، فقال حذيفة : « من الانصار » ، فقال : « فانت منهم » (١٨) ، فكان حذيفة يقول : « خيرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الهجرة والنصرة ، فاخترت النصر (١٩) » ، ذلك لانه كان حليفا لبني عبد الأشهل

-
- (٩) انظر قصة والد حذيفة في فتح الباري بشرح البخاري (٩٩/٧) وجوامع البيرة ص (١٦٤) والاصابة (٢٠٤/١) .
 (١٠) سيرة ابن هشام (٣٧/٣) والاصابة (١٤/٢) .
 (١١) الاصابة (٣٣٢/١) .
 (١٢) الاستيعاب (٣٣٤/١) والبلاندي ص (٣٠٣) .
 (١٣) الاصابة (٣٢/١) .
 (١٤) المعارف ص (٢٦٣) .
 (١٥) الاستيعاب (٣٣٥/١) .
 (١٦) المعارف ص (٢٦٣) .
 (١٧) أسد الغابة (٣٩٠/١) والاستيعاب (٣٣٥/١) .
 (١٨) المعارف ص (٢٦٣) .
 (١٩) الاستيعاب (٣٣٥/١) .

من الانصار ، فأثر أن يبقى مع الانصار حلفائه .

وعلى الرغم من قدم اسلام حذيفة ، الا أنه لم يشهد (بدر) ، وكان سبب ذلك ما ذكره حذيفة فقال : « ما منعني أن أشهد (بدر) الا أنني خرجت أنا وأبي ، فأخذنا كفر قريش ، فقالوا : انكم تريدون محمداً ! فقلنا : ما نريده ! فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن الى المدينة ولا نقاتل معه ؛ فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرناه ، فقال : « انصرفا » (٢٠) . وقال حذيفة للنبي صلى الله عليه وسلم : « هل نقاتل أم لا ؟ » ، فقال : « بل نفي لهم ونستعين بالله عليهم » (٢١) . ولكنه شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم (أحدا) وما بعدها من المشاهد (٢٢) . وكان له موقف مشهود يوم (الخندق) .

قال حذيفة ذاكرا قصته يوم (الخندق) : « لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى رسول الله عليه وسلم هويئاً (٢٣) من الليل ، ثم التفت إلينا ، فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ، ثم يرجع ؟ فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد ؛ فلما لم يبق أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني ، فقال : يا حذيفة ! اذهب فادخل في القوم فانظر ما يصنعون ، ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا . . فذهبت ، فدخلت في القوم ، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل : لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء ، فقام أبو سفيان ، فقال : يا معشر قريش ! لينظر امرؤ من جلسه ! فأخذت يد الرجل الذي كان الى جتبي ، فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان . ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ! انكم والله ما أصبحتم بدار مقام . لقد هلك الكراع والخف (٢٤) وأخلفتنا بنو (قريظة) (٢٥) وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون : ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار . ولا يستمسك لنا بناء ؛ فارتحلوا فاني مرتحل » (٢٦) .

(٢٠) الإصابة (١٣/٢) .

(٢١) أسد الغابة (١/٣٩١) .

(٢٢) طبقات ابن سعد (١٥/٦) .

(٢٣) هويأ من الليل : أي جزءا منه وقطعة منه .

(٢٤) الكراع : الخيل . والخف : الأبل .

(٢٥) بنو قريظة : من يهود المدينة الذين خانوا الله ورسوله يوم (الخندق) وكانوا

قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يكونوا مع المسلمين فأصبحوا مع الاحزاب . انظر

طبقات ابن سعد (٦٧/٢) .

(٢٦) سيرة ابن هشام (٢٥٠/٢) وطبقات ابن سعد (٦٩/٢) .

لقد بعثه النبي صلى الله عليه وسلم عينا ، فأتاه بخبر رحيلهم (٢٧) ، وكان الواجب الذي أنجزه حذيفة دليلا على ذكائه الخارق وشجاعته النادرة وحسن تصرفه في معالجة الأمور .

وكان حذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين لا يعلمهم أحد غيره (٢٨) ، وقد أولاه النبي صلى الله عليه وسلم ثقته الكاملة ، وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة عامله على (دبا) (٢٩) ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى (المدينة) قد آخى بين حذيفة وعمار بن ياسر (٣٠) .

جهاده :

١ - شهد حذيفة (القادسية) تحت لواء سعد بن أبي وقاص (٣١) وشهد معه معارك الفتح الأخرى الى معركة فتح (المدائن) ، كما شهد فتح (الجزيرة) (٣٢) ونزل (نصيبين) (٣٣) .

٢ - وشهد حذيفة معركة (نهاوند) (٣٤) الحاسمة بقيادة النعمان بن مقرن المزني الذي كان في جيشه وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٣٥) ، وكان حذيفة على رأس أهل الكوفة في هذا الجيش (٣٦) . وفي معركة (نهاوند) هذه قاد حذيفة إحدى مجنبتى المسلمين (٣٧) ، فلما استشهد النعمان بن مقرن في عنفوان هذه المعركة أخذ الراية حذيفة (٣٨)

- (٢٧) جوامع السيرة لابن حزم ص (١٩١) .
 (٢٨) أسد الغابة (٣٩١/١) والاستيعاب (٣٥/١) وفتح الباري بشرح البخاري (٧٢/٧) .
 (٢٩) دبا : سوق من أسواق العرب بعثان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٠/٤) وانظر ما جاء حول تولى حذيفة (دبا) في طبقات ابن سعد (٥٢٧/٥) .
 (٣٠) سيرة ابن هشام (١٢٥/٢) وجوامع السيرة ص (٩٦) .
 (٣١) الطبري (١٦/٣) .
 (٣٢) الجزيرة : هي التي بين دجلة والفرات وتشتمل على ديار مضر وديار ببيعة . سميت الجزيرة ، لأنها بين دجلة والفرات ، وهي صحبة الهواء جيدة الربيع والنماء واسعة الخيرات ، بها مدن جليظة وحصون وقلاع كثيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٦/٣) وانظر حدودها بالتفصيل في المسالك والممالك ص (٥٠) .
 (٣٣) نصيبين : مدينة كبيرة عامرة في بلاد الجزيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٩٢/٨) والمسالك والممالك ص (٥٢) .
 (٣٤) نهاوند : مدينة عظيمة في قبة همدان ، بينهما ثلاثة أيام . انظر معجم البلدان (٣٢٩/٨) والمسالك والممالك ص (١١٨) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٧١) .
 (٣٥) الطبري (٢٠٣/٣) .
 (٣٦) الطبري (٢١٣/٣) وابن الأثير (٣/٣) .
 (٣٧) ابن الأثير (٤/٣) .
 (٣٨) الطبري (٢١٧/٣) .

حسب أوامر عمر بن الخطاب الذي كتب الى النعمان : « ان أصبت فالامير حذيفة ... الخ » (٣٩) ، فقد المعركة الى الليل حيث انهزم الفرس وفتح المسلمون مدينة (نهاوند) (٤٠) .

٣ - وطارد تعيم بن مقرن المزني والقعقاع بن عمرو التميمي فلول المنهزمين من الفرس حتى وصلوا الى (همدان) (٤١) ، فلما رأى قائدها إلا فائدة ترجى من المقاومة استأمنهم على الجزية ، فراسلوا حذيفة فأجابهم الى ما طلبوا (٤٢) .

٤ - وفتح حذيفة (الدينور) و(الري) (٤٣) ، كما فتح (أذربيجان) (٤٤) اذ كان قائدا عاما على أهل البصرة والكوفة فأرسل قاداته لفتح هذه البلاد ، ففتح (الدينور) ابو موسى الاشعري (٤٥) ، وفتح (الري) نعيم بن مقرن المزني (٤٦) ، وفتح (أذربيجان) عتبة بن فرقد السلمي وبكير بن عبد الله الليثي (٤٧) ، ثم عاد حذيفة الى الكوفة (٤٨) حيث ولاه عمر بن الخطاب على ما سقت (دجلة) (٤٩) .

٥ - وفي أيام عثمان بن عفان ، تولى حذيفة قيادة أهل (الكوفة) في معارك (ارمينية) ، ففزا تلك المناطق ثلاث غزوات وكان مشتبكا بالعدو في الغزوة الثالثة حين ترامت اليه أنباء مقتل عثمان (٥٠) ، وكان حذيفة قد شهد معارك (باب الابواب) (٥١) مددا لعبد الرحمن بن ربيعة الباهلي (٥٢) .

(٣٩) البلاذري ص (٣٠٠) .

(٤٠) الطبري (٢١٩/٣) .

(٤١) همدان : مدينة مشهورة من مدن الجبال ، وكانت أكبر مدينة بأرض الجبال . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٧١/٨) وآثار البلاد واخبار العباد (٤٨٣) والمسالك والمسالك ص (١١٧) .

(٤٢) ابن الاثير (٦/٣) .

(٤٣) الري : مدينة مشهورة وهي قصبة بلاد الجبال . انظر التفاصيل في معجم البلدان

(٣٥٥/٤) . وانظر ما جاء حول هذا الفتح في الاستيعاب (٣٣٥/١) .

(٤٤) البلاذري ص (٣٢١) .

(٤٥) ابن الاثير (٦/٣) .

(٤٦) ابن الاثير (٩/٣) والطبري (٣٥٣/٣) .

(٤٧) ابن الاثير (١٠/٣ - ١١) .

(٤٨) الطبري (٢٢٩/٣) .

(٤٩) الطبري (٢٢٣/٣) .

(٥٠) الطبري (٣٥٣/٣) .

(٥١) باب الابواب : ميناء كبير على بحر الخزر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٩/٢)

(٥٢) ابن الاثير (٤٣/٣) .

الإنسان :

كان حذيفة من كبار الصحابة (٥٣) ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مائتي حديث وخمسة وعشرين حديثا (٥٤) ، وقد تفقه في الدين فكان من أعلام أصحاب الفتيا من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم (٥٥) .

وكان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين لم يعلمهم أحد غيره . وكان عمر بن الخطاب يسأله عن المنافقين ، وقد سأله مرة : « أفي عمالي أحد من المنافقين ؟ » ، فقال : « نعم ! واحد » ، فقال عمر : « من هو ؟ » قال : « لا أذكره ! » قال حذيفة : « فعزله » فكانما دل عليه . وكان عمر إذا مات ميت يسأل عن حذيفة ، فان حضر الصلاة صلى عليه عمر ، وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر (٥٦) .

قال عمر يوما لأصحابه : « تمنوا ! » فتمنوا ملء البيت الذي كانوا فيه مالا وجواهر ينفقونها في سبيل الله ، فقال عمر : « ولكني أتمنى رجالا مثل أبي عبيدة ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان ، فاستعملهم في طاعة الله عز وجل » . وبعث عمر مالا إلى أبي عبيدة وقال : « انظروا ما يصنع » ، فقسمه أبو عبيدة ، ثم بعث بمال إلى حذيفة فقسمه أيضا ، فقال عمر : « قد قلت لكم ! » وكان عمر إذا استعمل عاملا كتب عهده : « قد بعثت فلانا ، وأمرته بكذا . . الخ » ، فلما استعمل حذيفة على (المدائن) ، كتب في عهده : « أن اسمعوا له وأطيعوا ، وأعطوه ما سألكم » ، فلما قدم (المدائن) استقبله الدهاقين فقرأ على الناس عهده هذا ، فقال الدهاقين : « سلنا ما شئت ! » قال : « أسألكم طعاما آكله وعلف حماري ما دمت فيكم ! » ، فأقام فيهم مدة ، ثم كتب إليه عمر ليقدم عليه ، فبلغ عمر قدومه فكمن له على الطريق ، فراه عمر على الحال التي خرج من عنده عليها ، مما جعل عمر يأتبه ويلتزمه ويقول له : « أنت أخي وأنا أخوك » (٥٧) .

كل ذلك يدل على مبلغ ثقة النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده بحذيفة ومبلغ ثقة الناس به : لأمانيته التي لا يرقى إليها الشك ، ولعمق تدينه وشدة استقامته .

(٥٣) الإصابة (٢٣٢/١) والاستيعاب (٢٣٤/١) .

(٥٤) أسماء الصحابة الرواة - ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٢٧٧) .

(٥٥) أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم - ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٣١٩) .

(٥٦) أسد الغابة (٣٩٠/١) وانظر الاستيعاب (٢٣٥/١) .

(٥٧) أسد الغابة (٣٩٠/١) .

لقد كان كريما مضيافا شهما غيوراً صادقاً وفيها صابراً محتسباً ، لا يريد من الدنيا أكثر مما يوصله الى رضا الله تعالى . وكان له اثر في حث أبي بكر الصديق على جمع القرآن ، فقد كان عبدالله بن مسعود يقرأ القرآن في مسجد الكوفة ، فجاء حذيفة فقال : « يقول أهل الكوفة : قراءة عبدالله ابن مسعود ، ويقول أهل البصرة : قراءة أبي موسى الأشعري ! والله لئن قدمت على أمير المؤمنين لأمرنه أن يفرقها ! » ، ولما سأله عبدالله بن مسعود : « هل قلت هذا الكلام ؟ » ، أجابه حذيفة : « أجل كرهت أن يقال : « قراءة فلان وفلان ، فيختلفون كما اختلف أهل الكتاب » (٥٨) .

ولما رجع حذيفة من جهاده في بلاد فارس ، قال لسعيد بن العاص أمير الكوفة : « لقد رأيت في سفرتي هذه أمراً ، لئن ترك الناس ليختلفن في القرآن ثم لا يقومون عليه أبداً : رأيت أناساً من أهل (حمص) يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم . وأنهم أخذوا القرآن على المقداد ، ورأيت أهل (دمشق) يقولون : أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم ، ورأيت أهل (الكوفة) يقولون مثل ذلك وأن قراءتهم على ابن مسعود ، وأهل (البصرة) يقولون مثل ذلك وأنهم قرأوا على أبي موسى ويسمون مصحفه : لباب القلوب ! » . وقد أخبر حذيفة الناس بذلك وحذرهم ما يخاف ، فوافقه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير من التابعين ، وقال له أصحاب ابن مسعود : ما تنكر ؟! السنا نقرؤه على قراءة ابن مسعود ؟! فضضب حذيفة ومن وافقه وقالوا : « إنما أنتم أعراب فاسكتوا فانكم على خطأ » . وقال حذيفة : « والله لئن عشت لأتبن أمير المؤمنين ولاشيرن عليه أن يحول بين الناس وبين ذلك » .. ثم سار حذيفة الى عثمان بن عفان ، فأخبره بالذي رأى ، وقال : « أنا النذير العريان ، فأدركوا الأمة ! » ، فجمع عثمان الصحابة وأخبرهم الخبر ، فأعظموه ورأوا جميعاً ما رأى حذيفة ، فجمع عثمان القرآن (٥٩) .

لقد كان لحذيفة تفكير منظم بنّاء ، لا يقتصر على النواحي الدينية فحسب ، بل يشمل النواحي الدنيوية المهمة ، فعندما فتحت (المدائن) وجد حذيفة أن طقسها أثر على صحة العرب أبناء الصحراء لوخومة جوها ، فبادر لأخبار عمر ، فكتب حذيفة الى عمر : « ان العرب قد رقت بطونها وجفت أعضاؤها ، وتضررت ألوانها » ، فكتب عمر الى سعد بن أبي وقاص : « أرسل سلمان الفارسي وحذيفة رائدين ، فليرتادا منزلاً برياً بحرياً ليس بيني وبينكم

(٥٨) كتاب المصاحف لأبي داود ، مشار اليه في كتاب : الصديق أبو بكر للدكتور هيكل

ص (٣٣٩) .

(٥٩) ابن الأثير (٢ / ٢٠٤) .

فيه بحر ولا جسر » ، فأرسلهما سعد ، فاختارا موضع الكوفة (٦٠) .

لقد كان حذيفة مخلصا غاية الاخلاص للنبي صلى الله عليه وسلم في حياته ولبيادته بعد التحاقه بالرفيق الاعلى ، وكان مخلصا غاية الاخلاص لخلفائه من بعده . قال عن عمر بعد استشهاده : « انما مثل الاسلام ايام عمر مثل امر مقبل لم يزل في اقبال ، فلما قتل ادبر فلم يزل في ادبار » (٦١) . وقال عن عثمان لما علم بقتله : « اللهم العن قتلته وشتائم ، اللهم انا كنا نعتابه ويعاتبنا ، فاتخذوا ذلك سُلما الى الفتنة . اللهم لا تمتهم الا بالسيف » (٦٢)

وقد أمر ولديه : صفوان وسعيد أن يبایعا عليا ، فقتلا بمعركة (صفين) (٦٣) أما هو فقد مات سنة ست وثلاثين للهجرة (٦٥٦ م) بالمدائن ، وكان موته بعد أن أتى نعي عثمان بن عفان الى (الكوفة) فلم يدرك حذيفة معركة (الجمل) (٦٤) ، وقبره اليوم موجود في مسجد سلمان الفارسي بالمدائن (٦٥) الى جانب قبر سلمان وله عقب بالمدائن (٦٦) ، وكان آخر ما نطق به عندما حضرته الوفاة : « هذه آخر ساعة من الدنيا ، اللهم انك تعلم اني احبك ، فبارك لي في لقائك » (٦٧)

ولعل خير ما نختم به تصوير جوانبه الانسانية ، هو ما يشير به الى عمق تفكيره وشدة ورعه ، وانه رجل دولة يعرف حق المعرفة قيمة الحكم والحكام واثار الحكم الصالح والحكام الصالحين على الناس ؛ فقد سئل مرة : اي الفتن اشد ؟ قال : « ان يعرض عليك الخير والشر ، فلا تندي ايها تركب » . وقال : « لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها ! » (٦٨)

انها حكم تنطبق على كل زمان ومكان ، ذلك لأن قائلها نسيج وحده في مزاياد الانسانية وفي قوله وعمله على حد سواء .

-
- (٦٠) ابن الاثير (٢٠٤/٢) .
 - (٦١) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص (١٧٦) .
 - (٦٢) ابن الاثير (٥١/٣) .
 - (٦٣) الاستيعاب (٢٣٥/١) .
 - (٦٤) أسد الغابة (٣٩٢/١) والاصابة (٣٢٢/١) وابن الاثير (١١٤/٣) والاستيعاب (٣٣٥/١) والمعارف (٢٦٣) .
 - (٦٥) اسمها اليوم : سلمان باك .
 - (٦٦) طبقات ابن سعد (١٥/٦) .
 - (٦٧) أسد الغابة (٣٩٢/١) .
 - (٦٨) الاستيعاب (٢٣٥/١) .

القائد :

كان حذيفة كاتم سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته ، وبتعبير آخر ، كان ضابط استخبارات الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته ، اختاره دون غيره من بين أصحابه ، لتمتعه بمزايا الكتمان الشديد فلا يفشي سره لأحد ، وبحضور البديهة ، فلا يرتبك عند الشدائد ، وبتقديره العميق لأهمية صيانة المعلومات فلا يفشي نياته لبشر ، وبالدكاء الخارق وبموهبة حب الاستطلاع .

هذه المزايا كلها ، هي مزايا ضابط الاستخبارات المثالي ، وقد كان لها اثر في حياته كلها : كلما وجد (خبرا) يؤثر في مصير الاسلام والمسلمين (أخبر) به المسؤولين فوراً ، وقد رايت كيف أخبر عمر بن الخطاب عندما وجد وخومة الجو تؤثر على صحة العرب ، فكان حذيفة عاملاً من عوامل بناء الكوفة والبصرة ، وقد رايت كيف أخبر ابا بكر الصديق وعثمان بن عفان عن اختلاف المسلمين في قراءات القرآن ، فجمع عثمان المسلمين على مصحف واحد .

وهذه المزايا بالذات برزت في قيادة حذيفة ، فلم يورط جيوشه في معارك دون أن يتبين موطئ قدمه - وذلك بالحصول على المعلومات عن العدو وعن طبيعة الارض ، وبذلك كانت خطته العسكرية مبنية دائماً على معلومات دقيقة صحيحة ، وكانت نتائجها دائماً في صالح المسلمين .

لقد كان صحيح القرار سريعه ، يثق برجاله ويثقون به ويبادلونه حباً بحب وتقديراً بتقدير ، وكان قوي الشخصية نافذ الإرادة ، يعرف الناس حق المعرفة فيعامل كل واحد منهم بما يستحق ، وكان ذا نفسية لا تتبدل في حالتي النصر والاندحار ، له ماض ناصع مجيد .

حذيفة في التاريخ

يذكر التاريخ لحذيفة كثيراً من المفاخر : يذكر له اخلاصه النادر للدعوة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم دفعه الى تخري المعلومات عن المنافقين الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الفدر به ، فكان لجهوده اثر في احباط مكرهم واطهار نياتهم الخبيثة للعيان .

ويذكر له اخباره الخلفاء بما يراه ضارا بالمسلمين مادياً او معنوياً ، فكان له اثر في توجيه عمر بن الخطاب الى بناء الكوفة والبصرة ، وفي توجيه همة عثمان بن عفان لجمع القرآن الكريم .

ويذكر له جهاده الطويل في سبيل الله وفتح مناطق واسعة من بلاد فارس ونشر الاسلام في ربوعها ، ولا تزال رايات الاسلام ترفرف فوق أمصارها حتى اليوم .

ولكن أهم جهوده في نظري ، هو حث عثمان الى جمع القرآن الكريم ، مما نرى آثاره في عقيدتنا ، وستبقى هذه الآثار حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، المحدث الفقيه ، القائد الفاتح ، كاتم سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حذيفة بن اليمان العبسي .

السائب بن الأقرع الثقفي

فاتح مَهْرَجَان قُدُق^(١) وَالصَّيْمَرَة^(٢) من إيران

« لم يكن للعرب امرء ولا أسيب أشد عقلاً
من السائب بن الأقرع »

(عبدالله بن عباس)

اسلامه :

أدرك السائب بن الأقرع الثقفي (٣) النبي صلى الله عليه وسلم ومسح برأسه (٤) ، فقد دخلت به أمه مليكة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام فمسح رأسه ودعا له (٥) ، فهو صحابي جليل أذ لم يكونوا يؤمرون في الفتوح إلا الصحابة (٦) ، ولكن ابن سعد عدّه من الطبقة الأولى من التابعين من أهل البصرة (٧) ، وذلك لأنه كان صغيراً أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، أما أكثر مؤرخي الصحابة فقد جعلوه من الصحابة ، وهو الصحيح .

لقد نال السائب شرف الصّحبة ولكنه لم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد لصغر سنه .

جهاده :

١ - قبل الفتح :

كتب عمر بن الخطاب إلى النعمان بن مقرن المزني ودفع كتابه إلى

-
- (١) مَهْرَجَان قُدُق : كورة حسنة واسعة ذات مدن وقرى قرب الصَّيْمَرَة من نواحي الجبال عن يمين القاصد من حلوان العراق إلى حمّذان في تلك الجبال . انظر معجم البلدان (٢٠٩/٨) .
- (٢) الصَّيْمَرَة : مدينة بمَهْرَجَان قُدُق ، وهي بلد بين ديار الجبل وديار خوزستان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٠٦/٥) والمسالك والممالك ص (١١٨)
- (٣) هو السائب بن الأقرع بن عوف بن جابر بن سفيان بن سالم بن مالك بن حطيظ بن جشم الثقفي . انظر الاصابة (٥٨/٣) فهو من بني مالك من ثقيف . انظر المعارف ص (٩١)
- (٤) الاستيعاب (٥٦٩/٢) وذكر اخبار اصبهان (٧٥/١)
- (٥) الاصابة (٥٨/٣) وأسد الغابة (٢٤٩/٢)
- (٦) الاصابة (٣٠٩/١) و(١٩٤/٢)
- (٧) طبقات ابن سعد (١٠٢/٧)

السائب ، فسار بكتاب عمر الى النعمان (٨) ، وجعل عمر السائب امينا على الفيء وقال له : « ان فتح الله عليكم فاقسم ما افاء الله عليهم بينهم ، ولا تبخدعني ولا ترفع الي باطلا ، وان تكب القوم فلا تريني ولا اريك (٩) » .

وانتصر المسلمون على الفرس في (نهاوند) ، فدفع حذيفة بن اليمان الذي تولى قيادة المسلمين بعد استشهاد النعمان بن مقرن الزني ، الاسلاب والفنائم الى السائب الذي عيئنه عمر على الاقباض ، فوزعها السائب على الفاتحين ونفل ذوي النجدات واعطى من ارضهم من الجند ليحفظوا ظهر المقاتلين حتى لا يؤتوا من خلفهم ، كما اعطى من كان ردءا للمسلمين ومنسوبا اليهم مثل الذي اعطى لاهل المعركة ، ومع ذلك بلغ نفل الفارس ستة آلاف ونفل الراجل الفين (١٠) .

وكان كسرى قد استودع صاحب المعبد الذي به بيت النار جواهر ، فاقبل صاحب بيت النار مستامنا لنفسه ولاهله واهل بيته على ان يدل السائب على تلك الكنوز ، فاخرج الملح سفيطين مملوءين جوهرا ثمينا لا يقوّم من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت ، فرأى المسلمون ان يجعلوا هذين السفيطين لعمر خاصة ، فاحتملها السائب الى عمر (١١) .

وانطلق السائب بالاخماس وبالسفيطين ، حتى اذا دخل المدينة المنورة ادخل خمس الفيء الى المسجد ، فأمر عمر بعض الرجال بالمبيت فيه ليقسمه بين المسلمين متى أصبح .

وقام عمر فدخل منزله ، فاتبعه السائب واخبره خبر السفيطين وما فيهما من جواهر لا تقوّم ، وذكر له ان اهل الغزاة جعلوهما لامير المؤمنين خاصة . قال السائب : « فأخبرته خبر السفيطين ، فقال : ادخلهما بيت المال حتى ننظر في شأنهما والحق بجندك ، فأدخلتهما بيت المال وخرجت سريعا الى الكوفة . وبات عمر تلك الليلة التي خرجت فيها ، فلما اصبح بعث في اثرى رسولا ، فوالله ما ادركني حتى دخلت الكوفة وانخت بعيري واناخ بعيره على عرقوبي بعيري ، فقال : الحق بأمر المؤمنين ، فقد بعثني في طلبك فلم اقدر عليك الا الآن . قلت : ويلك ! ماذا ولماذا ؟ قال : لا ادري والله . فركبت معه حتى قدمت على عمر ، فلما رأني قال : ما لي ولابن ام السائب ، بل ما لابن ام السائب وما لي ! قلت : وما ذلك يا امير المؤمنين ؟ قال :

(٨) الاصابة (٣/٥٨)

(٩) الطبري (٣/٢١٣) وانظر ذكر اخبار اصيهان (١/٧٥)

(١٠) ابن الاثير (٢/٦) والطبري (٣/٢١٨)

(١١) الطبري (٢/٢٠٤) والطبري (٣/٢١٨)

ويحك ! والله ما هو الا ان نمت في الليلة التي خرجت فيها ، فباتت ملائكة ربي تسحبني الى ذينك السفطين يشتعلان نارا يقولون : لنكوينك بهما ، فأقول : اني سأقسمهما بين المسلمين ... فخذهما عني لا ابا لك والحق بهما فبعهما في أعطية المسلمين وأرزاقهم . فخرجت بهما حتى وضعتهما في مسجد الكوفة وغشيتي التجار ، فابتاعهما مني عمرو بن حريث الخزومي بألفي ألف ، ثم خرج بهما الى ارض الاعاجم فباعهما بأربعة آلاف ألف ، فما زال أكثر اهل الكوفة مالا بعد (١٢) .

وفي رواية ان السائب قال عن قصة هذين السفطين : « ... وذكرت له شأن السفطين ، فقال : اذهب بهما فبعهما ثم اقسم ثمنهما بين المسلمين (١٣) . » وهذه الرواية أقرب الى خلق عمر بالذات ، اذ لم يكن ليأخذ السفطين او حتى ليفكر لحظة واحدة في اخذهما لنفسه ومثله يزدهما فوراً ليباعا ويقسم ثمنهما على المسلمين .

٢ - الفاتح :

انصرف ابو موسى الأشعري من (نهاوند) وقد كان سار بنفسه اليها على بعث اهل البصرة مددا للنعمان بن مقرن المزني ، فشهد السائب معه فتوح (الدينور) (١٤) ، و (الشيروان) (١٥) ، ثم بعث ابو موسى صهره على ابنته السائب الى (الصيخرة) مدينة (مهرجان قذق) (١٦) ففتحها صلحاً على حقن الدماء وترك السباء والصفح عن الصفراء والبيضاء وعلى اداء الجزية وخراج الارض ، كما فتح جميع كور (مهرجان قذق) ، واثبت الروايات ان ابا موسى وجه السائب من الاهواز لفتح هذه المنطقة (١٧) .

وسار السائب الى (أصبهان) فشهد فتحها تحت لواء عبد الله بن عبد الله بن عتبان الانصاري ، فلما انجز عبد الله واجبه في فتح منطقة (أصبهان) أمره عمر ان يسير حتى يقدم على سهيل بن عدي ويتعاونوا على

(١٢) الطبري (٢٠٥/٣) وابن الاثير (٦/٣)

(١٣) البلاذري ص (٣٠٢) وانظر الطبري (٢٢٠/٣)

(١٤) الدينور : مدينة من أعمال الجبل قرب ترميسين كثيرة النمار والزروع . راجع

التفاصيل في معجم البلدان (١٨٨/٤)

(١٥) شيروان : كورة في الجبل وهي كورة (ماسبذان) . راجع التفاصيل في معجم

البلدان (١٩٦/٥)

(١٦) مهرجان قذق : اجاءت في البلاذري ص (٣٠٤) بلنظ : مهرجان قذق ، والمصحح

ما ذكرناه اعلاه . انظر معجم البلدان (٢٠٩/٨)

(١٧) البلاذري ص (٣٠٤) وانظر ابن الاثير (٦/٣) وجمل فتوح الاسلام ، لابن خزم ، ملحق

بجوامع السيرة ص (٣٤٦)

قتال مَنْ بكرمان على ان يستخلف السائب على (أصبهان) (١٨) ، فبقي السائب عاملا لعمر عليها (١٩) .

الانسان :

بقي السائب على (أصبهان) ، ثم ولاه عمر (المدائن) (٢٠) ، ثم تولى أصبهان ثانية في أيام عثمان بن عفان وبقي عليها حتى قتل عثمان (٢١) ومات السائب بها (٢٢) .

كان السائب كاتباً حاسباً (٢٣) أميناً عاقلاً ، قال عبد الله بن عباس يذكر عقل السائب : « لم يكن للعرب أمر ولا أشيب أشد عقلاً من السائب ابن الأقرع (٢٤) » .

ولم يذكر التاريخ شيئاً عن أعماله بعد عثمان ، والظاهر انه توفي بعيد مقتل عثمان ، اذ لم يرد له ذكر في حروب الفتنة الكبرى بين علي بن أبي طالب ومعاوية ، كما ان قول ابن عباس الأنف الذكر يشعر بأنه جاء بمعرض الرئاء وأنه كان محبوباً من ابن عباس ، وهذا يدل على انه لو عاش بعد عثمان طويلاً لما تخلّى عنه علي بن أبي طالب ولولاه إمارة او قيادة ولكان له ذكر مدوي كأمثاله في التاريخ نظراً لمزاياه العالية .

لقد روى السائب عن عمر بن الخطاب ، وكان قليل الحديث (٢٥) ، وهو ابن عم عثمان بن أبي العاص (٢٦) ، وقد سكن الكوفة فاعتبره بعضهم كوفياً (٢٧) ، وسكن البصرة ايضاً فاعتبره بعضهم بصرياً (٢٨) . وله عقب بأصبهان (٢٩) .

انه كان نموذجاً حياً لسجاياء العربي وخلق المسلم ، وكان نموذجاً فريداً للاداري القوي الامين الناجح .

-
- (١٨) الطبري (٢٢٤/٣) وابن الاثير (٧/٣)
(١٩) الاصابة (٥٨/٣) وأسد الغابة (٢٤٩/٢) وانظر ذكر اخبار اصبهان (٧٥/١)
(٢٠) الاستيعاب (٥٦٩/٢) وأسد الغابة (٢٤٩/٢)
(٢١) ابن الاثير (٧٣/٣) والطبري (٣٧١/٣) وانظر أسد الغابة (٢٤٩/٢)
(٢٢) ذكر اخبار اصبهان (٧٥/١) والاصابة (٥٨/٤)
(٢٣) الطبري (٢٠٤/٣) وابن الاثير (٥/٣)
(٢٤) الاصابة (٥٨/٤)
(٢٥) طبقات ابن سعد (١٠٢/٧)
(٢٦) أسد الغابة (٢٤٩/٢)
(٢٧) الاستيعاب (٥٦٩/٢)
(٢٨) طبقات ابن سعد (٢٤٩/٢)
(٢٩) ذكر اخبار اصبهان (٧٥/١)

القائد :

عقلية السائب المتزنة وتجربته الطويلة في الحرب وانتماؤه الى ثقيف أشجع القبائل العربية قبل الاسلام ، كل ذلك جعله قديرا على تولي مناصب القيادة بجدارة وكفاءة ، ذلك لأن هذه العوامل تجعله قادرا على إعطاء القرارات الصحيحة السريعة واعداد الخطط العسكرية الناجحة وتنفيذها بدقة ومرونة .

وقابليته العسكرية هذه بالإضافة الى امانته المطلقة وماضيه المجيد وخلقه الرفيع تجعله موضع ثقة رجاله وحبه .

لقد كان قوي الشخصية والارادة ، يحب رجاله ويحبونه ويثق بهم ويشقون به ، يعرف نفسياتهم وقابلياتهم ، لا ينهار عند الشدائد ولا يطفى عند النصر .

وكان قائدا عقائديا يعمل لهدف واضح هو اعلاء كلمة الله وحماية حرية نشر الاسلام ، وكان يقاتل بعقله وسيفه على حد سواء .

السائب في التاريخ :

يذكر التاريخ للسائب جهاده الطويل في الفتح ، فقد كان الساعد الايمن لأبي موسى الأشعري في كافة فتوحاته ، وقد فتح هو بدوره بلادا شاسعة كانت ولا تزال تدين بالاسلام .

ويذكر له قابليته الإدارية الممتازة ، تلك القابلية التي جعلته يوطد اركان الفتح الاسلامي في منطقة اصبهان .

رضي الله عن القائد الفاتح ، الاداري الحازم ، الصحابي الجليل السائب بن الأقرع الثقفي .

نعيم بن مقرن المزني

فتاح منطقتي همدان^(١) والري^(٢)

اسلامه :

قدم تعينم بن مقرن المزني مع اخوته ومنهم النعمان بن مقرن المزني على رأس اربعمائة فارس من (مزينة) (٣) على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم واسلموا وذلك في رجب من السنة الخامسة للهجرة (٤) ، فشهدوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم غزوة (الخندق) (٥) وغزواته الاخرى بعد اسلامهم ؛ وبذلك نال تعينم شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهاده :

١ - قبل الفتح :

ثبت نعيم كما ثبتت مزينة على الاسلام بعد التحاق النبي صلى الله وسلم بالرفيق الأعلى ، فقاتل تحت لواء أبي بكر الصديق مانعي الزكاة من الأعراب عندما هاجموا المدينة ، كما قاتل تحت لواء خالد بن الوليد في العراق وتحت لواء سعد بن أبي وقاص في القادسية وفي معاركه الأخرى ، فأبلى في كل ذلك أعظم البلاء .

وكانت أخبار بلائه في الجهاد تصل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فكتب الى عبدالله بن عبد الله بن عتبان والي الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص : « استنفر من أهل الكوفة مع النعمان كذا وكذا ، فاني قد كتبت اليه بالتوجه من الاهواز الى (ماه) فليوافوه بها ، وليسر بها الى (نهاوند) ، وقد أمرت

(١) همدان : مدينة مشهورة من مدن الجبال ، وكانت أكبر مدينة بارض الجبال . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٧١/٨) وآثار البلاد وأخبار العباد من (٤٨٣) والمسالك والممالك للاصطخري ص (١١٧)

(٢) الري : مدينة مشهورة وهي قصبة بلاد الجبال . انظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري ص (١٢٢) ومعجم البلدان (٣٥٥/٤) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٧٥)

(٣) أسد الغابة (٣٠/٥)

(٤) طبقات ابن سعد (٢٩١/١)

(٥) طبقات ابن سعد (٢٠/٦)

عليهم حذيفة بن اليمان ، فان حدث بحذيفة حدث فعلى الناس نعيم بن مقرن » (٦) .

وعندما تحرك النعمان بن مقرن بقواته الى نهاوند ، كان نعيم على مقدمته (٧) ، ولما نشب القتال في (نهاوند) قاتل نعيم تحت لواء اخيه النعمان قتال الأبطال ، فلما استشهد النعمان تناول نعيم الراية من يد اخيه قبل ان تقع وسجى النعمان بثوب واتى حذيفة بن اليمان بالراية فدفعها اليه (٨) وكتم خبر استشهاد اخيه النعمان حتى لا يؤثر على معنويات رجاله في اخرج اوقات القتال .

وأقبل الليل وانتشر الظلام ، فانهزم الفرس وعلى رأسهم قائدهم (الفيرزان) يطلب النجاة لنفسه ، فرآه نعيم ، فدفع القعقاع بن عمرو التميمي في أثره ، فأدركه القعقاع في ضواحي (همدان) وقتله هناك (٩) .
وانتصر المسلمون على الفرس في (نهاوند) ففتحت أبوابها لهم ، فكان هذا النصر أحسن سلوى لقلب نعيم عن استشهاد اخيه النعمان .

٢ - الفاتح :

طارد نعيم والقعقاع بن عمرو التميمي فلول المنهزمين من الفرس حتى وصلوا (همدان) ، فلما رأى قائدها إلاّ فائدة ترجى من المقاومة ، استأمنهم على الجزية ، فراسلوا حذيفة فأجابهم الى ما طلبوا (١٠) .

أ - في همدان :

اعاد الفرس تحشيد قواتهم في منطقة (الري) ، فشجع ذلك أهل (همدان) وتفقوا الصلح الذي عقده مع المسلمين .

وبلغت عمر بن الخطاب أنباء انتفاض الفرس في (همدان) ، فأمر نعيم ابن مقرن أن يسير إليها وأن يدخلها عنوة عقاباً لأهلها حتى لا يعودوا لمثلها أبداً . قال عمر في كتاب تولية القيادة لنعيم : « فان فتح الله على يديك

(٦) الطبري (٢١٣/٣) ، أما في معجم البلدان (٣٢٩/٨) فقد جاء عن تسلسل القادة بعد النعمان ، أن عمر قال للنعمان : « ان أصبت فالأمير حذيفة بن اليمان ثم جرير بن عبدالله ثم المغيرة بن شعبه ثم الأشعث بن قيس » .

(٧) ابن الأثير (٤/٢)

(٨) الطبري (٢١٧/٣)

(٩) الطبري (٢١٨/٣)

(١٠) ابن الأثير (٦/٣)

همذان فالى ما وراء ذلك في وجهك ذلك الى خراسان» (١١) .

وسمع اهل (همذان) اسم نعيم وعرفوا سيره اليهم ، فسقط في ايديهم وتولاهم العرب ، وزاد جزعهم حين علموا باستيلاء نعيم على ما حول (همذان) من البلاد ، فلما انتهى اليهم نعيم وحاصر مدينتهم بعثوا اليه يطلبون الصلح ، فصالحهم وقبل منهم الجزية على المنعة (١٢) .

ب - في واج رود :

وبينما كان نعيم في (همذان) على رأس اثني عشر الف جندي ، سمع بمكاتبة الديلم واهل (الري) واهل (آذربيجان) وحركة قواتهم الى (واج رود) (١٣) : تحرك الديلم وعلى رأسهم أميرهم (موتا) ، وتحرك اهل (الري) وعليهم (الزيني) (١٤) أبو الفرخان ، وتحرك اهل (آذربيجان) بقيادة (اسفنديار) أخو رستم ، فاستخلف نعيم على همذان وخرج بجيشه لمواجهة تحشد القوات الفارسية في (واج رود) ، فلما وصلها نزل بقواته قبالة قوات الفرس وحلفائهم التي لم تمهل المسلمين أول ما نزلوا الميدان أن هاجمتهم هجوما شديدا . واشتد القتال بين الطرفين ، وكانت وقعة عظيمة تعدل (نهاوند) ولم تكن دونها (١٥) ، وصمد المسلمون صمودا عنيدا جعل أعداءهم يفرون مع حلول الظلام (١٦) .

وكان نعيم قد أخبر عمر عن اجتماع عدد ضخم من الفرس وحلفائهم لقتاله ، فاهتم عمر بذلك اهتماما بالغا ؛ ولكن لم يفجأ الا البريد بالبشارة مع عروة بن زيد الخيل ؛ فقد كان عمر متلهفا لسماع اخبار المسلمين وهو أشد ما يكون أشفاقا عليهم ، وانه لذلك اذ قدم عليه عروة بن زيد الخيل وكان قدم عليه من قبل نبأ كارثة معركة (الجسر) حيث قتل أبو عبيد الثقفي وانهزم المسلمون ، فلما رآه عمر قال : « بشير ؟ » ؛ وأجاب الرجل : « بل عروة ! » ، فقال عمر : « أنا لله وأنا اليه راجعون ! » ؛ عند ذاك فطن عروة فقال : « بل أحمد الله فقد نصرنا وأظهرنا » ، وحديثه بما كان (١٧) .

(١١) الطبري (٢٢٢/٣)

(١٢) الطبري (٢٢٩/٣)

(١٣) واج رود : موضع بين همذان وقزوین . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٠/٨)

(١٤) الاسم الفارسي (الزبدي) او (الزبدي) ، ومؤرخو العرب يطلقون عليه اسم

(الزيني) . انظر الفاروق عمر للدكتور هیکل (٤٠/٢)

(١٥) الطبري (٢٣٠/٣)

(١٦) في رواية أن الذي فتح (واج رود) هو جرير بن عبدالله البجلي . انظر ابن الاثير

(٩/٣٠) والبلاذري ص (٣٠٦)

(١٧) الطبري (٢٣٠/٣) والفاروق عمر للدكتور هیکل (٤٠/٢)

ج - في الري

بقي نعيم في منطقة (همدان) حتى عاد عروة يحمل من عمر كتابا الى نعيم فيه : « أما بعد . فاستخلف على (همدان) وسر حتى تقدم الري وتلقى جمعهم ، ثم أقم بها فانها اوسط تلك البلاد وأجمعها لما تريد » (١٨) .

وسار نعيم بجيشه الى الري ، وفي ضواحي المدينة استقبله (الزينبي) أبو الفرخان مسالما وخالفه على (سياوخس) بن مهران ملك الري الذي كان قد أساء بعد معركة (واج روذ) لقاء الزينبي وعثفه على ارتداده أمام المسلمين وعزله عن عمله ؛ كما أن الزينبي كان قد رأى حسن معاملته المسلمين وتسامحهم .

ونزل المسلمون في سفح جبل الري ، فلقبهم حمايتها الكثيرون من اهل المدينة ومن حلفائهم الذين استنفرهم ملكها عندما تسمع بحركة قوات المسلمين اليه ؛ ولكن المعركة لم تنته آخر النهار الى ظفر قوات نعيم ، فلما كان الليل قال الزينبي لنعيم : « ان القوم كثير وأنت في قلة ، فابعث معي خيلا ادخل بهم مدينتهم من مدخل لا يشعرون به ، وناهدهم أنت فانهم اذا خرجوا اليك لم يشبتوا لك » (١٩) ، فبعث معه نعيم خيلا عليهم المنذر بن عمرو المزني (٢٠) فادخلهم الزينبي المدينة دون أن يشعر بهم أحد .

وبات نعيم يشاغل جنود الري ، فلما كان الفجر ظهرت خيول المسلمين بالمدينة وعلت أصواتهم بالتكبير ، فأصبح الفرس مطوقين من داخل المدينة وخارجها .

وانهزمت القوات الفارسية ، فطاردهم المسلمون مطاردة شديدة ، ودخل نعيم المدينة فاتحاً ، فأفاء الله على المسلمين بالري نحو فيء المدائن (٢١) .

وصالح نعيم الزينبي على اهل الري ونصّبهُ مكان ملكها الذي انهزم ولم يقف له أحد على أثر ، فخرّب نعيم مدينة الري وأمر ببناء مدينة جديدة بجوار اطلال المدينة القديمة (٢٢) .

لقد كانت الري العاصمة الكبرى للمنطقة الشمالية من فارس ، وكان بها المعابد القائمة حول بيوت النار - مما جعل نفوس كثير من الناس تهوى

(١٨) الطبري (٢٣٠/٣)

(١٩) ابن الاثير (٩/٣)

(٢٠) هو المنذر بن عمرو بن النعمان بن مقرن المزني . انظر الاصابة (٢١/٥)

(٢١) الطبري (٢٣١/٣)

(٢٢) الطبري (٢٣١/٣)

الى زيارتها في المواسم الدينية ، كما انها كانت ملتقى تجارة واسعة تجلب اليها من الشرق ومن الغرب ، لذلك كان نصر المسلمين في الري نصرا حاسما جعل المدن والاقاليم القريبة منها تسرع للصلح واداء الجزية : فتح سويد بن مقرن اخو نعيم (قومس) (٢٣) سلما ، وصالح نعيم اهل (دنباوند) (٢٤) ، وفتح الري وتسليم هاتين المدينتين الكبيرتين لم يبق بين المسلمين وبين شواطئ بحر قزوين من ارض فارس غير جرجان وطبرستان واذربيجان ، وقد سلمت جرجان وطبرستان لسويد بن مقرن صلحا ، كما فتح المسلمون اذربيجان بعد مناوشات لا ترقى الى درجة الحرب .

الانسان :

كان نعيم كأخوته من آل مقرن المزني عقائديا مخلصا غاية الاخلاص لعقيدته ، بذل أقصى جهوده المادية والمعنوية لتثبيت هذه العقيدة واعلاء شأنها بين الناس .

كان عربيا في شهامته ونخوته وكرمه وحرصه على كرامته ، وكان مسلما في خلقه الكريم ووفائه وتواضعه الجم وحب لغيره ما يحبه لنفسه وايناره نفسه على رجاله بالمخاطر والاهوال .

وكان فصيحاً بليغاً شاعرا . قال في فتح واج رود : (٢٥)

فلما اثناني أن (موتا) ورهطه	بني باسل جروا جنود (٢٦) الاعاجم
نهضت اليهم بالجنود مساميا	لامنع منهم ذمتي بالقواصم
فجئنا اليهم بالحديد كأننا	جبال تراعى من فروع القلاصم (٢٧)
فلما لقيناهم بها مستفيضة	وقد جعلوا يسمون فعل المساهم
صلمناهم في واج رود بجمعنا	غداة رميناهم باحدى الغظائم
فما صبروا في حومة الموت ساعة	لحد الرماح والسيوف الصوارم
كانهم عند انبثاث جموعهم	جدار تشظى لبنه للهودام

(٢٣) قومس : كورة كبيرة واسعة تشتمل على قرى ومدن ومزارع ، وهي في ذيل جبال طبرستان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٨٥/٧)

(٢٤) دنباوند : جبل من نواحي الري . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨٩/٤) . ويتنص صلح دنباوند على : « الا يغار على ارضهم والا يدخل عليهم بغير اذنهم ما وقوا بغيرهم ، على أن يدفعوا جزية مقدارها مائتا الف درهم كل عام » . انظر الطبري (٢٣٢/٣)

(٢٥) انظر الطبري (٢٣٠/٢ - ٢٣١) ومعجم البلدان (٣٧٠/٨)

(٢٦) في معجم البلدان (٣٧٠/٨) ورد : خيول بدلا عن جنود .

(٢٧) قلاصم : الجبال .

اصبنا بها (موتا) ومن لف جمعه
تبعناهم حتى اووا في شعابهم
وقبها نهاب قسمه غير غانم
نقتلهم قتل الكلاب الجواجم (٢٨)
ضئين (٢٩) اصابها فروج المخارم (٣٠)

سكن البصرة اولاً ثم انتقل الى الكوفة ، فلما انجز واجبه في الفتح عاد الى الكوفة حتى وافاه الاجل فيها .

لقد كان من جلة الصحابة ومن وجوه مزينة ، وكان عمر بن الخطاب يعرف لنعيم واخيه النعمان موضعهما (٣١) .

القائد :

كان نعيم جندياً يهوى حياة الجندي غازياً ويفضل حياة الجهاد على حياة الدعة والهدوء والياً .

ولم يكن يحرص على تولي القيادة ، بل تولاها لكفاءته ومزاياه ، خاصة وان عمر بن الخطاب كان لا يولي احدا قيادة الرجال الا اذا كانت له مزايا خاصة ترشحه لمثل هذا المنصب الرفيع . . فقد اثنار عليه عثمان بن عفان مرة بتولية رجل من المسلمين قيادة جيش من جيوشهم فاجاب عمر : « ابن انت من رجل شجاع ضروب بالسيف رام بالنبل ، ولكن اخشى الا يكون له معرفة بتدبير الحرب » (٣٢) .

لقد كان نعيم جندياً ممتازاً وقائداً ممتازاً .

كان جندياً ممتازاً ، لانه كان جندياً عقائدياً ذا عقيدة راسخة ومعنويات عالية وضبط قوي وتدريب راق على الفروسية واستعمال السيف والرمح والنبل .

وكان قائداً ممتازاً ، لانه كان يتمتع بموهبة فذة لاعطاء القرارات السريعة الصحيحة في اخرج الظروف ، يتحلى بشجاعة شخصية نادرة وارادة قوية ثابتة . ويحمل نفسية لا تتبدل في حالتي النصر والاندحار ، كما كان يتمتع بمزية سبق النظر ومعرفة نفسيات وقابليات رجاله ، كما كان

(٢٨) الجواجم : السابة

(٢٩) ضئين : جمع ضان

(٣٠) مخارم : جمع مخرم . وهو الابرق

(٣١) الاستيعاب (١٥٠٩/٤)

(٣٢) مروج الذهب على هامش تاريخ ابن الاثير (١١٧/٥)

يثق بجنوده وينفقون به ويحبهم ويحبونه ، كما كانت له شخصية قوية نافذة وقابلية بدنية جيدة تعينه على تحمل مشاق التنقل والقتال .

وكان ذا ماضٍ ناصع مجيد ، فهو الصحابي المجاهد الجليل الذي عمل كل حياته لخدمة عقيدته ، وكأنه نسي نفسه فلم يحسب لها أي حساب .

وعند تطبيق أعماله العسكرية على مبادئ الحرب ، يتضح لنا بجلاء حرصه الشديد على (اختيار مقصده وأدامته) . كل معاركه (تعرضية) ، يتحين الفرص (لمباغتة) أعدائه في الوقت والمكان المناسبين بالأسلوب المناسب ، ويحرص على إنجاز (تحشيد قواته) كما يحرص على (أمنها) ويبدل قصارى جهده من أجل (تعاونها) كقوة موحدة في المعركة الدائرة ومع قوات المسلمين الأخرى في الجبهات الأخرى ، كما كان يعمل على (ادامة معنويات) جيشه ويؤمن لقواته كافة (أمورها الإدارية) .

نعيم في التاريخ :

يذكر التاريخ لنعيم جهاده تحت لواء الرسول القائد ، وموقفه المشرف في حروب أهل الردة ، وبلاءه في معارك فتح العراق وفي معركة نهاوند ، وفتح همدان والري ودنباوند .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، نعيم بن مقرن المزني .

البراء بن عازب الأوسي الأنصاري

فتح أنجب " وقزوين " وجيلان " وزنجان "

اسلامه :

أسلم أبو عمرو البراء بن عازب الأوسي الأنصاري (٥) قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فقد ذكر البراء : « ما قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قرأت : سبح اسم ربك الأعلى ، في سور من المفصل » (٦) . وقد أسلم البراء وهو صغير السن ، إذ رده الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة (أخذ) لصفر سنة (٧) وأجازه يوم (الخنديق) وهو ابن خمس عشرة سنة (٨) ؛ ومعنى ذلك أنه أسلم قبل أن يبلغ العاشرة من عمره ، لأنه أسلم قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كما ذكرنا ، ولأن غزوة الخندق كانت في السنة الخامسة للهجرة (٩) .
لقد أسلم البراء منذ نعومة أظفاره ، فشب على الإسلام وعاش في بيت إسلامي ، إذ كان أبوه صحابيا (١٠) ، فنشأ من أول نشأته ذا عقيدة عريفا

-
- (١) أبهر : مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمدان من نواحي الجبل . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٩٦/١) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٢٨٧)
(٢) قزوين : مدينة مشهورة بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخا ، وإلى أبهر اثنا عشر فرسخا . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧٩/٧) والمالك والممالك ص (١١٨) : و ص (١٢٤) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٣٤)
(٣) جيلان : اسم لبلاد كثيرة بين قزوين وبحر الخزر صعبة المالك لكثرة ما بها من الجبال والوهاد . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٩٤/٣) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٥٣)
(٤) زنجان : بلد كبير مشهور من نواحي الجبال تقع بينها وبين أذربيجان ، وهي قريبة من أبهر وقزوين . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٠٧/٤) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٨٣)
(٥) أسد الغابة (١٧١/١) ويكنى أبا عماره أيضا . انظر الاصابة (١٤٧/٧) والمارف ص (٣٢٦)
(٦) طبقات ابن سعد (٣٦٨/٤)
(٧) جوامع السيرة لابن حزم ص (١٥٩) وسيرة ابن هشام (١١/٣)
(٨) طبقات ابن سعد (٣٦٨/٤)
(٩) سيرة ابن هشام (٢٢٩/٣) ، وبذلك جزم غيره من أهل المغازي والمؤرخين . ولكن في صحيح البخاري ورد : أنها حدثت سنة أربع للهجرة . انظر التفاصيل في : فتح الباري بشرح البخاري (٣٠٢/٧)
(١٠) الاصابة (٣/٤)

في عقيدته ، لهذا حاول ان يبذل نفسه رخيصة في سبيل الله منذ كان صغيرا لا يتحمل اعباء الجهاد ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرده كل مرة : رده يوم (بدر) ، قال البراء : « استصفرنني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وابن عمر ، فردنا يوم بدر » (١١) ، ورده يوم (أحد) كما ذكرنا ، ولكنه قاتل تحت لواء النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة غزوة (١٢) ابتداء من غزوة الخندق (١٣) ، فأبلى في تلك الغزوات أعظم البلاء .

جهاده :

١ - كان للبراء نصيب في مقاتلة المرتدين يناسب إيمانه الراسخ بعقيدته ؛ فلما انتهت صفحة حروب الردة وابتدأت صفحة الفتح الإسلامي ، تدفقت سيول المجاهدين الى العراق وأرض الشام ؛ والظاهر أن البراء كان مع مجاهدي العراق لأنه فتح بعض بلاد فارس وهي من فتوحات مجاهدي أرض العراق كما نعلم .

٢ - شهد البراء فتح (تسنتر) (١٤) مع أبي موسى الأشعري (١٥) ، وأول ما ورد ذكر البراء قائدا ، هو قيادته لمعارك تمبوية (١٦) في فتح (دستبي الرازي) (١٧)

ولما تولى المفيرة بن شعبة الكوفة ، ولي البراء (قزوين) وأمره أن يسير إليها ، فان فتحها الله عليه غزا الديلم منها وانما كان مفزاهم من قبل من (دستبي) ؛ فسار البراء ومعه حنظلة بن زيد الخيل أخو عروة بن زيد الخيل حتى أتى (أبهر) وكانت محصنة ، فحاصرها وقتله أهلها ، ولكنهم طلبوا الأمان بعد ذلك ، فصالحهم البراء (١٨) ودخلها المسلمون .

ثم غزا البراء أهل حصن (قزوين) ، فلما بلغهم قصد المسلمين لهم ،

(١١) طبقات ابن سعد (٣٦٧/٤)

(١٢) طبقات ابن سعد (٣٦٨/٤)

(١٣) الصحيح أن البراء لم يشهد غزوة (أحد) كما جاء في الإصابة (١٤٧/١) ، إذ كان هو وابن عمر وأسامة بن زيد في عمر واحد ، ولم يشهد عبدالله يوم (أحد) . انظر الإصابة (١٠٧/٤) كما لم يشهد أسامة . انظر جوامع السيرة لابن حزم ص (١٥٩) وانظر طبقات ابن سعد (٣٦٨/٤) حول شهود البراء غزوة الخندق .

(١٤) تسنتر : أعظم مدينة بخوستان وهو تعريب : شوشتر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٨٦/٢)

(١٥) الإصابة (١٤٧/١)

(١٦) البلاذري ص (٣١٤)

(١٧) دستبي الرازي : كورة كبيرة كانت مقسمة بين الري وهمدان ، فقسم منها يسمى : (دستبي الرازي) وهو يقارب التسعين قرية ، وقسم منها يسمى : (دستبي همدان) وهو عدة ترى . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٥٨/٤)

(١٨) البلاذري ص (٣١٧)

طلبوا من حلفائهم الديلم معاونتهم فوعدوهم خيرا ولكنهم لم يبروا بوعدهم ، فلما رأى أهل (قزوين) ذلك طلبوا الصلح ، فصالحهم البراء ودخلها المسلمون أيضا (١٩) ، وفي ذلك يقول أحد رجال البراء : (٢٠)

قد علم الديلم اذ تحارب حين أتى في جيشه ابن عازب
بأن ظن المشركين كاذب فكم قطعنا في دجى الفياهب
من جبل وعرو ومن سباسب (٢١)

اذ كانت المنطقة جبلية وعرة لم يألف العرب مثلها من قبل ، لأنهم من سكان السهول والصحاري ، ومع ذلك استولوا عليها .

وغزا البراء الديلم حتى أدوا له الاتاة ، وغزا منطقة (جيلان) وفتح (زنجان) عنوة (٢٢) .

الإنسان :

كان البراء في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم يرى الإبل (٢٣) عندما لا يكون مشغولا بالجهاد ، وقد سكن الكوفة وابتنى بها دارا (٢٤) وذلك أيام عمر بن الخطاب وله بها عقب (٢٥) ؛ وقد شهد مع علي بن أبي طالب معركة (الجمل) و(صفين) وقتال الخوارج (٢٦) ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة وخمسة أحاديث (٢٧) . وروى عن أبيه عازب وعن الصديق أبي بكر والفاروق عمر وغيرهم من أكابر الصحابة (٢٨) ، كما كان من أصحاب الفتيا من الصحابة (٢٩) .

(١٩) البلاذري ص (٢١٧) وأثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٣٥)

(٢٠) البلاذري ص (٢١٨)

(٢١) الدجى : الظلمة . والفياهب : جمع غيب وهو الظلام الدامس . والسياب :

جمع سبب ، وهي المفازة .

(٢٢) البلاذري ص (٢١٨) ومعجم البلدان (٤٠٧/٤) وجوامع السيرة لابن حزم ص (٣٤٦) . وفي جوامع السيرة أيضا ص (٣٤٦) ورد : فتح الري وقومس جيش بعثهم حذيفة بن اليمان عليهم البراء بن عازب .. انتهى ، وهذا يخالف ما ذكره الطبري في (٢٣١/٢ - ٣٢٢) . وقد أخذنا بما أورده الطبري لأن أكثر المؤرخين يؤيدونه ولأنه أقرب إلى المنطق وتسلل حوادث الفتح .

(٢٣) الإصابة (١٤٧/١)

(٢٤) أسد الغابة (١٧٢/١)

(٢٥) طبقات ابن سعد (١٧/٦)

(٢٦) الإصابة (١٤٧/١)

(٢٧) الصحابة الرواة - ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٢٧٦)

(٢٨) الإصابة (١٤٧/١)

(٢٩) أصحاب الفتيا من الصحابة - ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٢٢١)

لقد كان البراء متين العقيدة قوي الايمان ، كريما مضيافا شهما غيورا صادقا وفيما ، وقد عاش لعقيدته ومات مخلصا لها ، ولا نعلم أنه اثرى بعد الفتوح من الغنائم او على حساب المصلحة العامة ؛ فكانت سيرته مثالا للمؤمن الحق الذي عاش لغيره لا لنفسه ولعقيدته لا لبطنه .

وكان عمره يوم الخندق خمس عشرة سنة (٣٠) ، لذلك ولد سنة عشر قبل الهجرة (٦١٣م) وتوفي في الكوفة ايام مصعب بن الزبير (٣١) ، وقيل : بل توفي في المدينة المنورة (٣٢) سنة اثنتين وسبعين للهجرة (٣٣) (٦٩١م) . وفي رواية أنه مات سنة احدى وسبعين للهجرة في الكوفة (٣٤) . ومن الواضح ان وفاته كانت سنة احدى وسبعين للهجرة لا سنة اثنتين وسبعين للهجرة ، لانه توفي في زمن مصعب بن الزبير كما اجمع على ذلك كتاب سيرته والمؤرخون له ، بينما قتل مصعب سنة احدى وسبعين للهجرة (٣٥) ، وهذا يجعلنا نرجح ان وفاته كانت سنة احدى وسبعين للهجرة قبيل مقتل مصعب ، وكان عمر البراء حين توفاه الله احدى وثمانين سنة قمرية ، وقد توفي وهو مكفوف البصر (٣٦) .

القائد :

تولى البراء منصب القيادة وهو في ريعان شبابه ، وانجز فتح البلدان التي فتحتها وهو دون الثلاثين من عمره !

لقد كانت طبيعة الحرب التي خاضها البراء تحتاج الى قائد حنكته التجارب وعركته السنون - خاصة وأن العدو الذي يقاومه متفوق تفوقا عدديا ساحقا على المسلمين ، كما أن طبيعة الأرض التي يدافع عنها ذلك العدو جبلية وعرة تساعد المدافع على الدفاع المديد ، كما أن العرب يصعب عليهم القتال في الاراضي الجبلية - وهم أبناء الصحراء ، كما أنهم يعتمدون الى حد بعيد في حربيهم على سرعة الحركة والحرب الخاطفة التي تعتمد على الفرسان ، والجبال تحدد من استخدام الخيل وتضيّق نطاق الافادة منها - كل هذا جعل مهمة البراء صعبة للغاية ، ولكنه اثبت عمليا أنه اهل لاجتياز كل هذه العقبات لما كان يتحلى به من قابليات ممتازة .

(٣٠) طبقات ابن سعد (٣٦٨/٤)

(٣١) طبقات ابن سعد (٣٦٨/٤)

(٣٢) طبقات ابن سعد (١٧/٦)

(٣٣) الاصابة (١٤٦/١)

(٣٤) ابن الاثير (١٣٢/٤)

(٣٥) (٩/٥)

(٣٦) المعارف ص (٥٨٧)

ان البراء بذكائه القطري وعقليته المتزنة كان قديرا على اصدار القرارات السريعة الصحيحة ، كما أنه كان يتحلى بالشجاعة الفائقة والاقدام العنيد ، له ارادة قوية ثابتة لا تززعها المخاطر والأهوال ، وله نفسية رصينة لا تبدل في حالتي النصر والهزيمة ، يتمتع بقابلية سبق النظر ، يثق برجاله ويحبهم ويثقون به ويحبونه ويثق بقابلياته وينصر الله له ثقة لا مزيد عليها ، له شخصية رصينة قوية وقابلية بدنية ممتازة وماض ناصع مجيد .

تلك هي مزايا قيادته التي أهلتها لتولي منصب القيادة وهو في ريعان الشباب ، وهي مزايا كفيلة لرفع من يتمتع بها الى المناصب القيادية في كل زمان ومكان .

البراء في التاريخ

يفخر المحدثون حين يذكر البراء المحدث الذي روى عددا كبيرا من احاديث النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن الشيخين : ابي بكر وعمر ، وعن كبار صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ، فأضاف بأحاديثه الكثيرة الصحيحة ثروة لا تنضب الى مصادر الدين الحنيف .

ويفخر الفقهاء حين يذكر البراء الفقيه الذي كان يفتي الناس بأمور دينهم على هدى وبصيرة يوم كان كبار الصحابة على قيد الحياة .

اما العسكريون فيفخرون به حين يذكر البراء القائد الفاتح الذي صاحب النصر راياته في كل معاركه ، فحقق معجزات عسكرية خالدة بقوات قليلة في وقت قليل بخسائر لا تكاد تذكر الى جانب البلاد الشاسعة التي فتحها .

ان التاريخ يذكر للبراء مفاخر كثيرة ، كل واحدة منها تكفي لتخليده ، ويكفي أن نعيد الى الذاكرة (ابهر وقزوين وجيئلان وزنجان) لنذكر العلماء الافذاذ ورجال الفكر النادرين الذين امتدت تلك البلاد بهم العالم الاسلامي منذ فتحها البراء حتى اليوم ؛ ولنذكر الثروة الضخمة من الثقافة الاسلامية التي خدموا بها المسلمين والحضارة الانسانية .

لقد كان البراء أمة في رجل ..

رضي الله عن راعي الابل ، المحدث الفقيه ، القائد الفاتح ، البراء بن عازب الاوسي الانصاري .

قَادَةُ فَتَحِ الْأَهْوَازِ

- ١ - حرملة بن مريطة التميمي
- ٢ - سلمى بن القين التميمي
- ٣ - حرقوص بن زهير السعدي
- ٤ - جزء بن معاوية التميمي
- ٥ - النعمان بن مقرن الزني *
- ٦ - أبو سبرة بن أبي رهم العامري
- ٧ - ذر بن عبد الله الفقيمي
- ٨ - الربيع بن زياد الحارثي
- ٩ - سلمى بن قيس الأشجعي
- ١٠ - أبو موسى الأشعري

* انظر : قادة فتح الجبل في هذا الكتاب .

حَرَمَلَةُ بْنُ مُرَيْطَةَ التَّمِيمِي

فَتَاحُ مَنَازِرٍ^(١) وَنَحْضَرِ تَيْرِي^(٢)

الصحابي :

كان حَرَمَلَةُ بْنُ مُرَيْطَةَ التَّمِيمِي (٣) من الصحابة (٤) المهاجرين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) ، ولكننا لا نعرف متى أسلم وهل قاتل تحت لواء الرسول القائد أم لا .

لقد حاز حرملة على شرف الصحبة والهجرة الى النبي صلى الله عليه وسلم (٦) ولم يسجل له التاريخ جهادا تحت راية النبي القائد صلوات الله وتسليمه عليه .

جهاده :

١ - كان حرملة من المجاهدين الاولين في ميدان قتال العراق، فقد كان في العراق قبل أن يقدم خالد بن الوليد المخزومي عليه ، فلما فرغ خالد من امر حرب الردة ولاه ابو بكر قيادة جيوش المسلمين في العراق (٧) ، وكتب الى المشي بن حارثة الشيباني (٨) وحرملة ومذعور بن عدي (٩) وسلمى بن القين التميمي أن يلحقوا بخالد في (الأبلّة) (١٠) وكان معهم ثمانية آلاف من ربيعة

-
- (١) مناذر : هما بلدتان بنواحي الاهواز : مناذر الكبرى ومناذر الصغرى . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/١٦٠) .
- (٢) نهر تيرى : تيرى بلد بنواحي الاهواز ، والنهر باسم هذا البلد حفره اردشير الاصغر ابن بابك . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٤٤٠) و(٨/٣٢٨) .
- (٣) هو من بني العدوية من بني حنظلة . انظر الطبري (٢/١٧١) وابن الاثير (٢/٢١٠) .
- (٤) اسد الغابة (١/٣٩٨) والاصابة (٢/٢) .
- (٥) الطبري (٢/١٧١) وابن الاثير (٢/٢١٠) .
- (٦) اسد الغابة (١/٣٩٨) والاصابة (٢/٢) .
- (٧) الطبري (٢/٥٥١) .
- (٨) انظر مرجعته في قادة فتح العراق والجزيرة (٢٥ - ٤٤) .
- (٩) مذعور بن عدي العجلي : وقد على النبي صلى الله عليه وسلم وله صحبة . شهد فتوح العراق وكان على كردوس في اليرموك . وقد على ابي بكر الصديق رضي الله عنه . انظر الاصابة (٦/٧٦) واسد الغابة (٤/٣٤٢) .
- (١٠) الأبلّة : مدينة كانت مرقا السفن القادمة من الصين . انظر الطبري (٣/٩٣) . وهي واقعة جنوب البصرة القديمة بمسافة خمسة عشر ميلا وجنوب مدينة ابي الخصيب بنحو ميلين . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٨٩) .

ومضر الى الفين كانوا مع خالد ، فقدم العراق في عشرة آلاف (١١) .
وشهد حرملة معارك العراق تحت لواء خالد وابي عبيد بن مسعود
الثقفي (١٢) وسعد بن ابي وقاص (١٣) وعتبة بن غزوان (١٤) .

٢ - وفي سنة سبع عشرة هجرية كان (الهرمزان) يفر على اهل
(ميسان) (١٥) و (دستميسان) (١٦) من متآذر ونهر تيرى ، فاستمد
عتبة بن غزوان سعد بن ابي وقاص ، فأمدته بنعيم بن مقرن المزني ونعيم بن
مسعود (١٧) وامرهما ان يأتيا اهل (ميسان) و (دستميسان) حتى يكونا
بينهم وبين نهر تيرى ، ووجه عتبة بن غزوان سلمى بن القين وحرملة ، فنزلا
على حدود (ميسان) و (دستميسان) بينهم وبين متآذر ، ودعوا بني العم من
قومهم ، فخرج اليهم غالب الوائلي وكليب بن وائل الكلبي فتركا نعيما واتيا
سلمى وحرملة وقالوا : « انما من العشيرة وليس لكما منزل ، فاذا كان يوم
كذا وكذا فانهدوا للهرمزان ، فان احدنا يثور بمتآذر والاخر بنهر تيرى ،
فنقتل المقاتلة ثم يكون وجهنا اليكم ، فليس دون الهرمزان شيء ان شاء الله » ،
ورجعا وقد استجابا واستجاب قومهما بنو العم بن مالك (١٨) ، وكانوا
ينزلون الاهواز قبل الاسلام ، فاهل البلاد يأمنونهم . فلما كانت تلك الليلة
- ليلة الموعد بين سلمى وحرملة وغالب وكليب ، وكان الهرمزان يومئذ بين
نهر تيرى وبين (دلت) (١٩) ، خرج حرملة وسلمى صبيحتهما في تعبئة
وانهضا نعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود ، فالتقوا هم والهرمزان بين
(دلت) ونهر (تيرى) ، وسلمى بن القين على اهل البصرة ونعيم بن مقرن على

- (١١) الطبري (٥٥٤/٢) وابن الاثير (١٤٧/٢) .
(١٢) انظر ترجمته في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة (٢١٢ - ٢٢٠) .
(١٣) انظر ترجمته في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة (٢٢١ - ٢٦٨) .
(١٤) انظر ترجمته في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٧٧ - ٣٨٦) .
(١٥) ميسان : كورة واسعة كثيرة القرى والتخيل بين البصرة ومدينة واسط . انظر
التفاصيل في معجم البلدان (٢٢٤/٨) .
(١٦) دستميسان : كورة جليلة بين واسط والبصرة والاهواز ، وهي الى الاهواز اقرب .
وقيل : دستميسان كورة قصبتها الابل . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥٩/٤) .
(١٧) نعيم بن مسعود : هو نعيم بن مسعود الطففاني الانجي ، اسلم في غزوة الخندق ،
وهو الذي اوقع الخلف بين قريظة وغطفان وقريش يوم الخندق وخذل بعضهم عن بعض ، فلما
اسلم استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في ان يخذل الكفار ، فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم : « خذل ما استطعت » ، فان الحرب خدعة .
مات نعيم في خلافة عثمان ، وقيل : قتل يوم الجمل . انظر التفاصيل في أسد الغابة
(٢٢-٢٣) والاصابة (٢٤٩/٦) وطبقات ابن سعد (٢٧٧-٢٧٩) والاستيعاب (١٥٠٨-١٥٠٩) .
(١٨) مالك بن زيد مائة بن تميم . انظر الطبري (١٧١/٣) .
(١٩) دلت : موضع في الاهواز . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦٨/٤) وتسمى ايضا :
دلوث . وقد وردت في ابن الاثير (٢١٠/٢) باسم : دلب ، وهذا تصحيف .

اهل الكوفة ، فاقتتلوا واتاهم المدد من قبل غالب و كليب .

وعلم الهرمزان بأن (مناذر) ونهر تيرى قد اخذتا ، فانهارت معنوياته ومعنويات جنوده ، فانهزم واياهم ، فقتل المسلمون منهم ما شاءوا واصابوا منهم ما شاءوا ، وطاردوهم حتى وقفوا على شاطئ (دجيل) (٢٠) واخذوا ما دونه وعسكروا بحيال (سوق الاهواز) (٢١) ، وقد عبر الهرمزان جسر سوق الاهواز واقام بها ، وصار (دجيل) بين الهرمزان وبين المسلمين .

ورأى الهرمزان ما لا طاقة له به ، فطلب الصلح . وكتب حرملة وسلمى الى عتبة بن غزوان يستأمرونه فيه ، وكان به الهرمزان ، فأجاب عتبة الى ذلك على الاهواز كلها ، و (مهران قذق) (٢٢) ما خلا نهر تيرى ومناذر وما غلبوا عليه من (سوق الاهواز) ، فانه لا يرد عليهم ، وجعل سلمى على مناذر مسلحة (٢٣) وامرها الى غالب ، وجعل حرملة على نهر تيرى وامرها الى كليب ، فكان حرملة وسلمى على مسالح البصرة (٢٤) .

٣ - وبينما كان المسلمون على ذلك من ذمتهم مع الهرمزان ، وقع بين الهرمزان وكليب وغالب على حدود الارضين اختلاف وادعاء ، فحضر سلمى وحرملة لينظرا فيما بينهم ، فوجدا غالبا وكليبا محقين والهرمزان مبطلا ، فحالاً بينه وبينهما ، فكفر الهرمزان ومنع ما قبله وابستعان بالاكراذ فكثف جنده .

وكتب سلمى وحرملة وغالب وكليب عن بغي الهرمزان وظلمه وكفره الى عتبة بن غزوان ، فكتب بذلك الى عمر ، فكتب عمر اليه بامر به بقصد الهرمزان وامدهم عمر بحرقوص بن زهير السعدي ، وامره على القتال وعلى ما غلب عليه .

وسار المسلمون الى (سوق الاهواز) حيث كان الهرمزان وجيشه ، فأرسلوا الى الهرمزان : « اما ان تعبروا الينا واما ان نعبركم » ، فقال : « اعبروا الينا » ، فعبروا من فوق الجسر فاقتتلوا فوق الجسر مما يلي سوق

(٢٠) دجيل : نهر بالاهواز . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤١/٤ - ٤٢) .

(٢١) سوق الاهواز : اسم مدينة في الاهواز . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٣٨٠/١) و (١٧٦/٥) .

(٢٢) مهران قذق : كورة حسنة واسعة ذات مدن وقرى قرب الصيمرة من نواحي الجبال على يمين القاصد من حلوان العراق الى همدان في تلك الجبال . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢١٠/٨) . وقد ورد هذا الاسم في الطبري (١٧٢/٢) وابن الاثير (٢١٠/٢) : مهران قذق ، وهذا تصحيف .

(٢٣) مسلحة : جميعها مسالح ، وهي الجماعة المسلحون المدون للقتال . ويطلق عليها في الاصطلاحات العسكرية الحديثة : حامية .

(٢٤) الطبري (١٧١/٢ - ١٧٢) وابن الاثير (٢١٠/٢) .

الاهواز ، حتى هزم الهرمزان ، وفتح حرقوص سوق الاهواز .ومعه سلمى وحرملة (٢٥) .

٤ - وشهد حرملة تحت ااية النعمان بن مقرن المزني فتح (تستر) (٢٦) فقد كان اهل البصرة وعليهم حرقوص بن زهير وسلمى بن القين وحرملة وجزء بن معاوية في (سوق الاهواز) ، فساروا الى (تستر) وبها الهرمزان وجنود من اهل فارس والجبـال والاهواز ، وبعد قتال عنيف فتحت (تستر) ابوابها للمسلمين (٢٧) .

٥ - وقبل معركة (نهاوند) (٢٨) استنفر عمر الناس مع النعمان بن مقرن المزني وندبهم ، فخرجوا الى نهاوند . وتقدم عمر الى الجند الذين كانوا بـ (الاهواز) ليشغلوا جيوش الفرس عن المسلمين ، فأقام حرملة والقادة الآخرون بتخوم (اصبهان) وفارس وقطعوا امداد فارس عن اهل (نهاوند) (٢٩) ، وبذلك خففوا ضغط القوات الفارسية عن المسلمين في معركة نهاوند الحاسمة فيسروا النصر للمسلمين .

الانسان :

كان حرملة من صالحى الصحابة (٣٠) ، وقد سكت التاريخ عن اعماله العامة الاخرى ، فلا نعرف شيئا عنها ، ولا تعلم اين استقر بعد الفتح واين توفي ومتى .

لقد كان صحابيا جليلا ، تقيا نقيا ، ورعا امينا ، وفيما سخيا ، بارا مأمون النقيبة .

ولا نعلم انه اثرى من الفتح ، فعاش فقيرا ومات فقيرا ، وكان كل رأس ماله جهاده في سبيل الله وخدمة الاسلام واهدافه السامية .

القائد :

كان حرملة وابن عمه سلمى يقودان اربعة آلاف من بنى عمهم تميم والرباب (٣١) سارا بهم من نصر الى نصر في اكثر معارك فتح العراق وفي فتح

(٢٥) الطبري (١٧٣/٣ - ١٧٤) وابن الاثير (٢/٢١٠ - ٢١١) .

(٢٦) تستر : اعظم مدينة بالاهواز ، وهي تعريب شوشتر . انظر التفاصيل في معجم

البلدان (٣٨٦/٢) والمسالك والممالك (٦٤) وآثار البلاد واخبار العباد (١٧٠) .

(٢٧) انظر التفاصيل في الطبري (١٧٩/٣ - ١٨٥) وابن الاثير (٢/٢١١ - ٢١٣) .

(٢٨) نهاوند : مدينة عظيمة في قبة همدان ، بينهما ثلاثة ايام . انظر التفاصيل في معجم

البلدان (٣٢٩/٨) والمسالك والممالك (١١٨) وآثار البلاد واخبار العباد (٤٧١) .

(٢٩) ابن الاثير (٣/٣) والطبري (٢/٢١٣) .

(٣٠) اسد الغابة (١/٣٩٨) .

(٣١) اسد الغابة (١/٣٩٨) والاصابة (٢/٢) .

الاهواز ، وبقياء مع رجالهما مجاهدين تارة ومرابطين اخرى مسالحي للمسلمين
في (منادر) ومنطقة نهر (تيرى) وبالقرب من اصبهان .

ومن دراسة معارك حرملة يتضح انه كان قائدا ممتازا ، يتمتع بمزايا
قيادية فذة .

لقد باغت هو وزملاؤه القادة (الهرمزان) بخطته الموقوتة الدقيقة لفتح
(منادر) ونهر تيرى ، تلك الخطة التي باغت بها الجيش الفارسي بمكان لا
يتوقعه وبزمان لا يتوقعه وبأسلوب لا يتوقعه ايضا ، وبذلك باغت عدوه
بالمكان والزمان والاسلوب في آن واحد ، وهذا هو أعلى مراتب المباغتة اهم
مبادئ الحرب على الاطلاق ...

كما انه كان قائدا (تمريضا) ، فلم يدافع مطلقا ، وكان يهتم بمبدأ
(الأمن) فلم يستطع العدو ان يباغت رجاله ابدا .

اما معركة (تستر) قتالا وحصارا ، فتدل على شدة ضبطه وسيطرته
على رجاله وتميزه بالحذر واليقظة وصبره على الحرب .

كما ان مشاغله القوات الفارسية في منطقة شاسعة قبيل معركة نهاوند
الحاسمة ، دليل على قابليته القيادية الممتازة بحيث استطاع مشاغلة قوات
معادية جسيمة بقوات قليلة نسبيا .

لقد كانت له قابلية على اعطاء القرارات السريعة الصحيحة ، شجاعا
مقدما ذا ارادة قوية نافذة وشخصية رصينة مهيمنة ، يتحمل المسؤولية
بلا تهاون ولا تردد ولا خوف ، يعرف مبادئ الحرب ويطبقها بحكمة ودراسة ،
يسبق النظر ويعرف نفسيات مرؤوسيه وقابلياتهم ، يثق برجاله ويشقون به
ويحبهم ويحبونه ، له قابلية بدنية ظاهرة وماض ناصع مجيد ...

لقد كان حرملة بدون شك قائدا ممتازا .

حرملة في التاريخ :

يذكر التاريخ لحرملة فتحه مناطق شاسعة من ارض الاهواز كانت ولا
تزال عربية .

ويذكر له نشره الاسلام في ربوعها .

ويذكر له ، انه قضى حياته كلها بعد الاسلام مجاهدا في سبيل عقيدته .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، الفارس المقاتل ، القائد الفاتح ،
حرملة بن مريطة التميمي ...

سلمى بن القين التميمي (١)

فتاح مناذر ونهر تيرى

الصحابي :

كان سلمى بن القين التميمي صحابيا (٢) من المهاجرين (٣) ، ولكننا لا نعرف متى أسلم وهل له جهاد تحت لواء الرسول القائد أم لا .
لقد نال سلمى شرف الصحبة والهجرة الى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسجل له التاريخ جهادا تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم .

جهاده :

١ - كان سلمى من السابقين الاولين للجهاد في ميدان العراق ، فقد كان في العراق قبل ان يقدم خالد بن الوليد عليه ، وحين فرغ خالد من حرب الردة ولآه ابو بكر الصديق رضي الله عنه قيادة المجاهدين في العراق ، وكتب الى المنثى بن حارثة الشيباني ومذعور بن عدي العجلي وحرملة بن مريطة التميمي وسلمى ان يلحقوا بخالد في (الأبله) ، وكان معهم ثمانية آلاف من ربيعة ومضر الى الفين كانوا مع خالد ، فقدم خالد العراق للحرب في عشرة آلاف (٤) .

وشهد سلمى معارك العراق قبل خالد وتحت لواء خالد وابي عبيد بن مسعود الثقفي وسعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان وغيرهم (٥) .

٢ - وفي سنة سبع عشرة هجرية كان (الهرمزان) يغير على اهل (مينسان) و (دستمينسان) من (مناذر) و (نهر تيرى) ، فاستمد عتبة بن

(١) هو سلمى بن القين بن عمير بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . انظر جهمرة انساب العرب (٢٢٨ - ٢٢٩) . وفي الاصابة (١٢١/٣) : انه سلمى بن القين بن عمرو بن بكر بن مالك بن حنظلة . وفي اسد الغابة (٣٤٣/٢) : انه سلمى بن القين ابن عمرو بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة .

(٢) جهمرة انساب العرب (٢٢٩) والاصابة (١٢١/٣) واسد الغابة (٣٤٣/٢) .

(٣) اسد الغابة (٣٤٣/٢) .

(٤) الطبري (٥٥٤/٢) وابن الاثير (١٤٧/٢) .

(٥) انظر الشروح عن الاعلام والامكن والمصادر في ترجمة حرملة بن مريطة التميمي ، ان كان جهادهما مشتركا ، لذلك لم نرممرا لاعادة ما اوردنا في ترجمة حرملة من شروح حول ذلك

غزوان سعد بن أبي وقاص ، فأمده بنعيم بن مقرن المزني ونعيم بن مسعود ، وأمرهما أن يأتيا أعلى (ميسان) و (دستميسان) حتى يكونا بينهما وبين نهر (تيرى) ، ووجه عتبة بن غزوان سلمى وحرملة بن مريطة ، فنزلا على حدود (ميسان) و (دستميسان) بينهما وبين (مناذر) ، ودعوا بني العم من قومهم ، فخرج اليهم غالب الوائلي وكليب بن وائل الكلبي ، فتركنا نعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود وأتيا سلمى وحرملة وقالوا : « انتما من العشيرة » ، وليس لكما منزل ، فإذا كان يوم كذا وكذا ، فانهذوا للهرمان ، فان احذنا يشور بمناذر والآخر بنهر تيرى ، فنقتل المقاتلة ، ثم يكون وجهنا اليكم ، فليس دون الهرمان شيء ان شاء الله » ، ورجعا وقد استجابا واستجاب قومهما بنو العم بن مالك بن زيد مائة بن تميم ، وكانوا ينزلون الاهواز قبل الاسلام ، فأهل البلاد يامنونهم . فلما كانت تلك الليلة - ليلة الموعد - بين سلمى وحرملة وغالب وكليب ، وكان (الهرمان) يومئذ بين نهر تيرى وبين (ذلك) ، خرج حرملة وسلمى صبيحتهما في تعبئة وانهضا نعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود ، فالتقوا هم والهرمان بين (ذلك) ونهر تيرى ، وسلمى على أهل البصرة ونعيم بن مقرن على أهل الكوفة ، فاقتتلوا واتاهم المدد من قبل غالب وكليب .

وعلم الهرمان بأن (مناذر) ونهر تيرى قد اخذنا ، فانهارت معنوياته ومعنويات رجاله فانهزموا ، فقتل المسلمون منهم ما شاءوا واصابوا منهم ما شاءوا ، وطاردوهم حتى وقفوا على شاطئ (دجيل) واخذوا من الاهواز ما دونه ، وعسكروا بجبال (سوق الاهواز) وقد عبر الهرمان جسر سوق الاهواز واقام بها ، وصار (دجيل) بين الهرمان وبين المسلمين .

ورأى الهرمان ما لا طاقة له به ، فطلب الصلح ، فكتب حرملة وسلمى الى عتبة بن غزوان يستأمرونه في الصلح وكتبه الهرمان ايضا ، فأجاب عتبة الى ذلك على الاهواز كلها و (مهرجان قذق) ما خلا نهر تيرى ومناذر وما غلبوا عليه من سوق الاهواز فانه لا يرد عليهم ، وجعل سلمى على مناذر مسلحة وأمرها الى غالب ، وجعل حرملة على نهر تيرى مسلحة وأمرها الى كليب ، فكان سلمى وحرملة على مسالحي البصرة (٦) .

وكتب عتبة بن غزوان بذلك الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ووفد وفدا ، منهم سلمى ، وأمره أن يستخلف على عمله حرملة (٧) .

٣ - وبينما كان المسلمون على ذلك من ذمتهم مع الهرمان ، وقع بين

(٦) الطبري (٣/ ١٧١ - ١٧٢) وابن الأثير (٢/ ٢١٠) .

(٧) الطبري (٣/ ١٧٢) .

الهرمزان وكليب وغالب على حدود الارضين اختلاف وادعاء ، فحضر سلمى وحرملة لينظرا فيما بينهم ، فواجدا غالبا وكليبا منحقين والهرمزان مبطلا ، فحالا بينه وبينهما ، فكفر الهرمزان ومنع ما قبله واستعان بالاكراد فكثف جنده .

وكتب سلمى وحرملة وغالب وكليب عن بغي الهرمزان وكفره وظلمه الى عتبة بن غزوان ، فكتب عتبة بذلك الى عمر ، فكتب عمر يأمره بقصد الهرمزان وامدهم عمر بحرقوص بن زهير السعدي ، وامره على القتال وعلى ما غلب عليه .

وسار المسلمون الى (سوق الاهواز) حيث كان الهرمزان ، فأرسلوا اليه : « أما أن تعبروا الينا ، وأما أن نعبى اليكم » ، فقال : « اعبروا الينا » فعبروا من فوق الجسر واقتتلوا فوق الجسر مما يلي سوق الاهواز ، حتى هزم الهرمزان ، ففتح حرقوص سوق الاهواز ومعه سلمى وحرملة (٨) .

٤ - وشهد سلمى تحت راية النعمان بن مقرن المزني فتح (تستر) ، فقد كان اهل البصرة وعليهم حرقوص بن زهير وسلمى وحرملة بن مريطة وجزء بن معاوية في سوق الاهواز ، فساروا جميعا الى (تستر) وبها الهرمزان وجنود من اهل فارس والجيال والاهواز ، وبعد قتال شديد فتحت (تستر) ابوابها للمسلمين (٩) .

٥ - وقبل معركة (نهاوند) الحاسمة ، ندب عمر الناس الى النعمان ابن مقرن المزني ، فخرجوا الى نهاوند . وتقدم عمر الى الجند الذين كانوا بالاهواز ليشغلوا جيوش الفرس عن المسلمين ، فأقام سلمى وزملاؤه القادة الآخرون بتخوم (اصبهان) وفارس ، وقطعوا امداد فارس عن اهل نهاوند (١٠) ، وبذلك حالوا دون تعاون قوات الفرس كافة في معركة واحدة تحت قيادة واحدة ، مما حرمها من أن تكون قوة ضاربة تهدد سلامة المسلمين ، وهذا ينصر الميمن للمسلمين على الفرس .

الانسان :

كان سلمى من الصحابة المهاجرين ، وقد سكنت المؤرخون عن تفاصيل سيرته ، فلا نعرف شيئا عن اعماله العامة بعد الفتح ، كما لا نعلم أين استقر وأين توفي ومتى .

(٨) الطبري (١٧٣/٣ - ١٧٤) وابن الاثير (٢١٠/٢ - ٢١١) .

(٩) انظر التفاصيل في الطبري (١٧٩/٣ - ١٨٥) وابن الاثير (٢١١/٢ - ٢١٣) .

(١٠) ابن الاثير (٣/٢) والطبري (٢١٣/٣) .

انه صحابي جليل ، تقي نقي ، ورع صالح ، كريم سخي ، امين وفي ، عاش حياته مجاهدا ومات مغمورا فقيرا ... كل ماله جهاده في سبيل الله .

القائد :

كان سلمى وابن عمه حرملة يقودان اربعة آلاف رجل من تميم والرباب (١١) سارا بهم من نصر الى نصر ، لم تتراجع لهم راية ولم يتقهقر لهم لواء ..

وبقيا مع رجالهما مجاهدين تارة ومرابطين اخرى مسالحين للمسلمين في (مناذر) ونهر تيرى وبالقرب من اصبهان .

ومن دراسة معارك سلمى نتبين بوضوح انه كان قائدا ممتازا يتمتع بمزايا قيادية نادرة .

لقد باغت هو وزملاؤه القادة (الهرمزان) بخططهم الموقوتة الدقيقة التي اعدوها لفتح مناذر ونهر تيرى ، تلك الخطة التي باغتوا بها الجيش الفارسي بمكان وزمان واسلوب لا يتوقعونه ، وبذلك باغتوا عدوهم بالمكان والزمان والاسلوب في آن واحد ، وهذا هو اعلى مراتب المباغتة التي هي اهم مبادئ الحرب على الاطلاق ...

فقد يستطيع القائد ان يباغت خصمه بالمكان ، وقد يستطيع ان يباغت بالزمان ، وقد يستطيع ان يباغته بالاسلوب ، اما ان يستطيع مباغتته بكل ذلك مرة واحدة وفي وقت واحد ، فذلك نادر جدا في تاريخ الحروب .

وهو قائد (تعرضي) لم يدافع مطلقا ، وكان يهتم بمبدأ (الامن) لذلك لم يستطع عدوه مباغتة رجاله ابدا .

وتدل معركة (تستر) بما كان فيها من قتال وحصار ، على ان سلمى كان شديد الضبط قوي السيطرة ، يتحلى بالحذر واليقظة والصبر على احوال الحروب .

وتدل مشاغله القوات الفارسية في منطقة شاسعة قبل معركة نهاوند وفي اثنائها ، على قابليته القيادية الفذة وسرعة خاطره ودقة قراراته وتشبثه بمبدأ (قابلية الحركة) او (المرونة) كما يطلق على هذا المبدأ في الوقت الحاضر ، فنجح بكل ذلك هو وزملاؤه القادة في مشاغلة عدد ضخم من قوات الفرس بقوات قليلة نسبيا .

(١١) اسد الغابة (٣٩٨/١) والاصابة (٢/٢) .

انه كان قائدا ميمون النقيبة ، كامل العقل ، طويل التجربة ، مكثا ، بصيرا بتدبير الحروب ومواضعها ومواضع الفرص والحيل والمكايدة ، حسن التعبئة ، يدخل الامن على قواته ويعمل على رفع معنوياتهم مع طلب السلامة لنفسه واصحابه من العدو ، حسن السيرة عفيفا صارما متيقظا شجاعا مقداما سخيا (١٢) ..

لقد كان سلمى بدون شك قائدا ممتازا .

سلمى في التاريخ :

يذكر التاريخ لسلمى جهاده الطويل في سبيل نشر الاسلام واعلاء كلمة الحق .

ويذكر له فتحه مناطق كبيرة من ارض الاهواز كانت ولا تزال عربية مسلمة .

ويذكر له ، انه قضى حياته كلها مجاهدا من اجل التوحيد وموحدا من اجل الجهاد .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، الفارس البطل ، التقى النقي ، القوي الامين ، القائد الفاتح ، سلمى بن القين التميمي .

(١٢) انظر صفات القائد المثالية في مختصر سياسة الحروب للهروي (١٧) .

حرقوص بن زهير التميمي السعدي^(١)

فتاح سوق الأهواز^(٢)

الصحابي :

كان حرقوص بن زهير التميمي السعدي من الصحابة (٣) ، شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم (حنين) (٤) ، ولكننا لا نعرف بالضبط موعد اسلامه . لذلك نال حرقوص شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهاده :

بذل حرقوص جهودا جبارة في معارك الفتح لفتت اليه الانظار وجعلته موضع ثقة عمر بن الخطاب ، فقد كان هناك عهد بين المسلمين من جهة وبين (الهرمزان) من جهة اخرى ، فوقع اختلاف بين الهرمزان وغالب الوائلي وكليب بن وائل (٥) في حدود الارضين ، فحضر سلمى بن القين (٦) وحرملة ابن مريظة (٧) وكانا من المهاجرين ، فوجدا غالبا وكليبا محقين والهرمزان مبطلا ، فحالاً بينهما وبينه ، فكفر الهرمزان ونكث عهده واستعان بالاكراد وحشد قواته ، فكتب سلمى ومن معه الى عتبة بن غزوان امير البصرة

(١) في اسد الغابة (١٤٠/٢) : ان (ذا الخويصرة التميمي) هو حرقوص بن زهير . وكذلك في الاصابة (١٧٥/٢) .

(٢) سوق الأهواز اسم مدينة في الأهواز (في خوزستان) . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٠/١) و (١٧٦/٥) .

(٣) الطبري (١٧٤/٣) وابن الاثير (٢١١/٢) وأسد الغابة (٣٩٦/١) والاصابة (٣٣٥/١)

(٤) أسد الغابة (١٤٠/٢) والاصابة (١٧٥/٢)

(٥) لم أجد لغالب الوائلي وكليب بن وائل ترجمة في الاصابة ولا في أسد الغابة ولا في الاستيعاب .

(٦) سلمى بن القين التميمي : صحابي جليل . انظر التفاصيل في الاصابة (١٢١/٣) وانظر ترجمته في هذا الكتاب .

(٧) حرملة بن مريظة التميمي : له صحبة وهجرة الى النبي صلى الله عليه وسلم . سيرته عتبة بن غزوان الى ميسان مع سلمى بن القين على رأس اربعة آلاف من تميم والرباب . انظر الاصابة (٢/٢) وانظر ترجمته في هذا الكتاب .

حينذاك ، وهذا كتب بدوره الى عمر بن الخطاب ، فأمره عمر بقتال الهرمزان وأمدّهم بحرقوص وأمرّه على القتال وعلى ما غلب عليه .

وسار المسلمون يريدون (الهرمزان) ، فالتقوا بقواته في موضع جسر (سوق الاهواز) ، فأرسلوا اليهم : اما ان تعبروا الينا او نعبر اليكم ، فقال الهرمزان : « اعبروا الينا » ، فعبر المسلمون على الجسر ، ونشب القتال في ضواحي (سوق الاهواز) فانهمزم (الهرمزان) الى (رامهرمز) (٨) وتحصّن فيها . اما حرقوص فقد فتح (سوق الاهواز) (٩) فأقام بها وخضعت له منطقتها الى (تستر) (١٠) فوضع حرقوص عليها الجزية وكتب بالفتح الى عمر بن الخطاب وارسل اليه الاخماس (١١) .

وكان عمر بن الخطاب قد عهد الى حرقوص : ان فتح الله عليهم ، ان يتبع الهرمزان بقوات من المسلمين عليهم جزء بن معاوية ، فبعث حرقوص جزءا في اثر الهرمزان ، فطارده حتى فتح مدينة (دوزق) (١٢) وهي مدينة (سرق) وفرض على اهلها الجزية ، فكتب حرقوص بالفتح الى عمر بن الخطاب وعتبة بن غزوان ، فكتب عمر الى حرقوص يأمره بالمقام فيما غلب عليه حتى يأمره بأمره ، فعمّر جزء بن معاوية البلاد وشق الانهار فأحيا الموات (١٣) .

وراسلهم الهرمزان طالبا الصلح ، فكتب حرقوص الى عمر ، فأجاب عمر الى ذلك على ان يكون ما أخذه المسلمون بأيديهم ، وهكذا تصالح الطرفان ، فنزل حرقوص جبل الاهواز ، وكان يشق على الناس الاتصال به لوعورة الجبل وصعوبة تسلقه ، فلما بلغ عمر ذلك كتب اليه : « بلغني انك نزلت منزلا كئودا لا تؤتى فيه الا على مشقة ، فأسهل ولا تشق على مسلم ولا معاهد » (١٤) .

-
- (٨) رامهرمز : ومعنى رام بالفارسية : المراد والمقصود . وهرمز : احد الاكاسرة . فكان هذه اللفظة مركبة معناها : مقصود هرمز أو مراد هرمز . وهي مدينة مشهورة بنواحي خوزستان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢١١/٤) ، والمسالك والممالك ص (٦٤)
- (٩) اسد الغابة (٢٩٦/١) والاصابة (٣٣٥/١)
- (١٠) تستر : اعظم مدينة بخوزستان ، وهي تعريب : شوستر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٦/٢) ، والمسالك والممالك ص (٦٤) واثار البلاد واخبار العباد ص (١٧٠)
- (١١) الطبري (١٧٤/٣) وابن الاثير (٢١٢/٢)
- (١٢) دوزق : هي مدينة سرق ، وهي بلد بخوزستان وقصبة اكورة سرق ، ويقال لها دوزق الفرس ، فيها كثير من المعادن . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٠٠/٤) و (٧٢/٥)
- (١٣) الطبري (١٧٥/٣) وابن الاثير (٢١١/٢)
- (١٤) الطبري (٣٣/٢)

وبقي المسلمون في الاهواز : في ايديهم ما فتحوه ، وفي ايدي اهله ما صولحوا عليه منها يؤدون الخراج ولا يدخل عليهم ولهم الذمة والمنعة، وكان عميد الصلح في تلك المنطقة هو الهرمزان . وقد قال عمر : « حسبنا لاهل البصرة سوادهم والاهواز . وددت ان بيننا وبين فارس جيلا من نار : لا يصلون الينا منه ، ولا نصل اليهم ! » ، وقال مثل هذا القول لاهل الكوفة ايضا (١٥) .

ولكن كسرى (يزدجرد) لم يزل وهو (بمر و) (١٦) يثير اهل فارس، فكتب اهل فارس ، فكتب هؤلاء اهل الاهواز وتعاقدوا على النصره، فجاءت الاخبار حرقوصا وجزءا وحرملة بن مريطة التميمي وسلمى بن القين التميمي، فكتبوا الى عمر بن الخطاب بالخبر ، فكتب عمر الى سعد بن ابي وقاص في الكوفة : « ابعث الى الاهواز جيشا كثيفا مع النعمان بن مقرن وعجل ، فلينزلوا ازاء الهرمزان ويتحققوا امره » ، وكتب الى ابي موسى الاشعري في البصرة مثل ذلك ، فهزم النعمان قوات الهرمزان وفتح (رامهرمز). وسار الهرمزان الى (تستر) وسار المسلمون اليها ايضا ، ففتحها المسلمون بعد قتال طويل وخسائر فادحة واسروا الهرمزان وارسلوه الى عمر بن الخطاب (١٧) .

الانسان :

كان حرقوص شاعرا ، وقد قال يصف فتح (سوق الاهواز) (١٨) :

غلبنا الهرمزان على بلادها في كل ناحية ذخائر
سواء برآهم والبحر فيها اذا صارت نواحيها (١٩) بواكر
لها بحر يعج بجانبيه جعافر لا يزال لها زواخر

وهو شعر فارس يصف أعماله العسكرية .

لقد كان حرقوص صريحا غاية الصراحة ، يقول ما يعتقدونه دون تردد ولا خوف او وجل ، وليس شرطا ان يكون مصيبا فيما يقوله او مخطئا . على كل حال ، هو يقول ما يعتقدونه . كان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم

(١٥) الطبري (١٧٦/٢)

(١٦) مرو : أشهر مدن خراسان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٣/٨)

(١٧) ابن الاثير (٢١٢/٢)

(١٨) الطبري (١٧٤/٢)

(١٩) النواجب : جمع نجيب ، وهو الكريم من الابل .

(٢٠) جعافر : جمع جعفر ، وهو النهر الصغير .

غنائم هوازن يوم (حنين) ، فجاءه حرقوص فقال : « أعدل يا رسول الله » ، فقال : « ويحك ، ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ » (٢١) ، فأراد عمر بن الخطاب ان يقتله ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم منعه من قتله .

وبعد عزله عن الاهواز ، نزل حرقوص البصرة ، فكان على رأس الناقمين على عثمان بن عفان من اهل البصرة ، فقاد جماعة منهم الى المدينة المنورة مظهرا انه يريد الحج (٢٢) ، فكان من الذين حاصروا عثمان وحرضوا على قتله .

ولكنه نجا من القتل في المعركة التي دارت رحاها بين اهل البصرة ورجال طلحة والزبير وذلك بعد مقتل عثمان بن عفان ، ونجا من القتل بعد هذه المعركة ايضا ، لان عشيرة حرقوص بني سعد من تميم منعه (٢٣) .

وشهد مع علي بن ابي طالب معركة (صفين) ، ثم صار مع الخوارج بعدها (٢٤) ، فأثنى عليها مع رجل آخر من الخوارج ، فقالا له : « لا حكم الا لله ! » فقال علي لهما : « لا حكم الا لله ! » ، فقال حرقوص : « تب عن خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا الى عدونا نقاتله حتى نلقى ربنا ! » ، فقال علي : « قد أردتكم على ذلك فعصيتموني ، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتابا وشرطنا شروطا وأعطينا عليها عهدا ، وقد قال الله تعالى : (اوفوا بعهد الله اذا عاهدتم) ، فقال حرقوص : « ذلك ذنب ينبغي ان تتوب عنه » (٢٥) .

وكان الامام علي بن ابي طالب يقول عن شعار الخوارج : (لا حكم الا لله !) ، يقول : « كلمة حق اريد بها باطل » (٢٦) . ولما أجمع الخوارج على قتال امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، ارادوا تولية امرهم حرقوص بن زهير ، ولكنه ابي ذلك فتولاها غيره (٢٧) ، فشهد معركة (النهروان) بين علي والخوارج قائدا للمشاة ، فقتل في هذه المعركة سنة سبع وثلاثين للهجرة (٢٨) (٦٥٧ م) .

ان حرقوصا كان مثالا من امثلة التطرف في الراي ، فكان مخلصا لما

(٢١) الاصابة (١٧٥/٢) واسد الغابة (١٤٠/٢) وابن الاثير (١٠٣/٢) وسيرة ابن هشام

(١٤٤/٤)

(٢٢) ابن الاثير (٦١/٣)

(٢٣) ابن الاثير (٦١/٣)

(٢٤) اسد الغابة (٣٦٦/١)

(٢٥) ابن الاثير (١٢٣/٣)

(٢٦) ابن الاثير (١٢٤/٣)

(٢٧) ابن الاثير (١٢٤/٣)

(٢٨) اسد الغابة (٣٦٦/١) وابن الاثير (١٢٨/٣)

يعتقده كل الاخلاص ولكنه كان مخطئاً كل الخطأ : كان يعتقد بأن عثمان على ضلال فخرج عليه وحرض على قتله ، وخرج على علي بن ابي طالب بعد (صفيين) ، فشهر سيفه على المسلمين وكان حرياً به ان يشهره على اعداء المسلمين .

لقد ختم حرقوص حياته انساناً بما لا يليق بماضيه المجيد قائداً .

القائد :

كان حرقوص فارساً شجاعاً مقداماً ، وكانت له عصبة من قومه بني سعد تطيعه وتثق به وتنفذ اوامره ، فكانت هي قوته الضاربة في حروبه .

وكان ذكياً خبيراً بالحرب ، فكانت قراراته صحيحة ، وكان ذا شخصية نافذة وارادة قوية وقلب لا يعرف للموت معنى .

ان سر انتصار حرقوص يرجع الى عاملين : الاول مزاياه الشخصية في القيادة ، والثاني كثرة قبيلته وقوتها (٢٩) .

لقد كان اعرابياً في قيادته ، لذلك كان فتحه اشبه بالفارة لم يكن ليصمد طويلاً امام الفرس لو لم تدعمه قوات المسلمين الاخرى .

حرقوص في التاريخ :

كان حرقوص ممن خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً .

كان عملاً صالحاً في قيادته ، فالتاريخ يذكر له فتح مدينة (سوق الاهواز) ومنطقتها الواسعة حتى اليوم وسيبقى يذكر له هذا العمل بالتقدير والاعجاب .

وكان عملاً سيئاً في تطرفه الشديد بأرائه والتمسك بها والدفاع عنها حتى الرمق الاخير ، فكان هذا التطرف من عوامل تفرقة الصفوف واشعال نار الفتنة الكبرى - واخيراً أدّى به هذا التطرف الى امتشاق الحسام وقتال اخوانه المسلمين .

اما عمله الصالح فآثاره خالدة ما بقي الاسلام في الاهواز ، واما عمله السيئ فامرّه الى الله .

تري ، هل تذهب حسناته سيئاته ، لان الحسنات يذهبن السيئات ، ام ان سيئاته اكبر من كل حسناته ؟

يا ليتني اقتصر على اعماله قائداً ، اذاً لكان امره بيئناً ولما تنازع في منزلته الرفيعة اثناً !

(٢٩) لما أراد طلحة والزبير قتل حرقوص لاشتراكه في مقتل عثمان بن عفان ، متع ستة آلاف رجل من قبيلته . انظر ابن الاثير (٩١/٢)

جَزْءُ بِنِ مَعَاوِيَةِ التَّمِيمِي

فَتْحُ مَدِينَةِ دَوْرَقَ بِالْأَهْوَازِ

الصحابي :

كان جزء بن معاوية التميمي (٢) صحابيا (٣) لا شك في ذلك ، لأنهم كانوا لا يؤمّرون غير الصحابة (٤) خاصة في أيام عمر بن الخطاب . والظاهر أنه أسلم متأخرا ، وذلك بعد قدوم وفد قومه تميم وإعلان إسلامهم في سنة تسع للهجرة بعد غزوة (تبوك) (٥) ، وبذلك نال (جزء) شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهاده :

بذل جزء جهودا مشرفة في جهاده ، لذلك ولاه عمر بن الخطاب قيادة جيش من جيوش المسلمين . فقد عهد عمر بن الخطاب إلى حرقوص بن زهير السعدي التميمي : أن فتح الله عليه (سوق الأهواز) أن يتبع الهرمزان بقوات من المسلمين عليهم جزء بن معاوية ، فيعت حرقوص جزءا في أسر الهرمزان ، فطارده حتى فتح مدينة (دَوْرَقَ) وهي مدينة (سَرَقَ) (٦) وفرض على أهلها الجزية ، فكتب حرقوص بالفتح إلى عمر بن الخطاب وعتبة بن غزوان ، فكتب عمر إلى حرقوص يأمره بالمقام فيما غلب عليه حتى يأمره بأمره ، فعمر جزء البلاد وشق الأنهار فأحيا الموات (٧) .

وشهد جزء مع رجاله فتح (تَسْتَر) ، فقاتل تحت قيادة أبي سبيرة بن أبي رَهْمٍ القرشي العامري (٨) . ثم عاد إلى مقر عمله في الأهواز .

(١) دورق : هي مدينة سَرَقَ ، وهي بلدة بخورستان وقضية كورة سَرَقَ ، ويقال لها دورق الفرس ، فيها كثير من المغادر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/١٠٠) و(٥/٧٣)

(٢) هو : جزء بن معاوية بن حصن بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن مائة بن تميم . انظر الإصابة (١/٣٤٤)

(٣) الإصابة (١/٣٤٤) وأسد الغابة (١/٢٨٣)

(٤) الإصابة (١/٣٤٤) و(٤/١٥٩)

(٥) ابن الأثير (٢/١٠٩ - ١١٠)

(٦) سَرَقَ : إحدى كور الأهواز . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٧٣)

(٧) الطبري (٣/١٧٥) وابن الأثير (٢/٢١١)

(٨) ابن الأثير (٢/٢١١)

الانسان :

سكن جزء البصرة بعد انتهاء عمله في الاهواز ، والظاهر انه لم يعمل للفتنة الكبرى ولم يشارك في اضرار نيرانها ، اذ لم يرد له ذكر ما في ذلك . كما لم يرد له ذكر في حروب علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان ولا في حروب الخوارج ، مما يدل على اعتزاله الفتن وبقائه على الحياد .

ومما يدل على حياده ، ان زياد بن ابيه ولاء بعض عمله (٩) حين كان اميرا على الكوفة والبصرة لمعاوية بن ابي سفيان ، اذ لو كانت له يد في مقتل عثمان او كان من الخوارج لما تولى مثل هذا العمل .

لقد كان من اشراف بني تميم ، فهو عم الاحنف بن قيس التميمي (١٠) وكان عاملا لعمر بن الخطاب على الاهواز (١١) ، مما يدل على انه كان موضع ثقة عمر التي لا يحوز عليها غير القوي الامين .

القائد :

من الصعب جدا ان نتبين صفات قيادة جزء بن معاوية من خلال ما ورد عن اعماله العسكرية في المصادر التي بين ايدينا ، ولكن الذي يتولى مثل منصب جزء في مثل تلك الظروف الحاسمة من ايام الفتح الاسلامي ، خاصة في ايام عمر بن الخطاب ، لا بد ان يكون شجاعا مقداما خبيرا بالحروب ، المعني الذكاء ، قديرا على ادارة الرجال ، مكثرا غير متهور ، يفكر بمصائر رجاله كما يفكر بمصيره هو بالذات ، بالاضافة الى انه من الصحابة - وتلك هي بعض شروط عمر في تولية من يوليه قيادة الرجال .

جزء في التاريخ :

على الرغم من قلة المعلومات الواردة عن جزء في التاريخ ، الا ان اخباره تدعو الى الاعجاب والتقدير .

فقد كان من بني سعد ، رهط حرقوص بن زهير ، ولكنه لم يشارك من بعيد او قريب في الفتنة الكبرى .

وقد أصبح اكثر بني سعد وعلى رأسهم حرقوص من الخوارج وقاتلوا

(٩) الاصابة (٢٤٤/١)

(١٠) أسد الغابة (٢٨٢/١)

(١١) الاصابة (٢٨٢/١)

علي بن أبي طالب وامراء الكوفة والبصرة من بعده. قتالا مريرا ، ولكن جزءا
لم ينجر ف بتيارهم ولم يشهر سيفه على أحد من المسلمين .

كما ان قابلياته الادارية كانت مدعاة للاعجاب والتقدير ايضا ، فقد
عمر البلاد وشق الانهار ، فأحيا الموات ، خاصة اذا تذكرنا ان جزءا كان من
الاعراب .

تلك هي نواحي الاعجاب والتقدير في حياته انسانا ، اما حياته قائدا ،
فيذكر له التاريخ فتحه منطقة (دوق) ونشره الاسلام في ربوعها .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، الاداري الحازم ، القائد الفاتح ، جزء
بن معاوية التميمي .

أبو سبرة بن أبي رهم القرشي العامري

فَاتَحَ تَسْتَرَ^(١) وَالشَّوْشَ^(٢) وَجَنْدِسَابُورَ^(٣)

الصحابي :

كان أبو سبرة بن أبي رهم القرشي العامري أحد السابقين الأولين إلى الإسلام (٤) ، هاجر إلى الحبشة الهجرتين جميعا (٥) ، وكانت معه في الهجرة الثانية زوجته أم كلثوم بنت سهل بن عمرو (٦) . ولما هاجر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة نزل هو والزبير بن العوام على مندر بن عتبة الأنصاري (٧) ، فأخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سلمة بن سلامة ابن وقش (٨) ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا وأحدا والخندق والمشاهد كلها (٩) ، فأبلى في كل هذه المشاهد أعظم البلاء .

لقد نال أبو سبرة شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهاده :

١ - قبل الفتح :

كان أبو سبرة مع جيش أسامة بن زيد ، وكان مع هذا الجيش كبار

- (١) تستر : أعظم مدينة بخوستان ، وهي تعريب شوشتر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٦/٢) والممالك (٦٤) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (١٧٠)
- (٢) الشوش : بلد بخوستان ، وهي تعريب الشوش ، ومعناه : الحسن والنزه والطيب . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٧١/٥) والممالك (٦٤)
- (٣) جنديسابور : مدينة حصينة واسعة بخوستان بها النخيل والزروع والمياه . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٤٩/٣) والممالك (٦٥)
- (٤) الإصابة (٨١/٧)
- (٥) طبقات ابن سعد (٤٠٣/٣) والاستيعاب (١٦٦/٤) . وفي الإصابة (٨١/٧) : انه هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، والصحيح انه هاجر الهجرتين إلى الحبشة . راجع سيرة ابن هشام (٣٤٥/١) و(٣٩٠/١) وجوامع السيرة لابن حزم ص (٥٦)
- (٦) طبقات ابن سعد (٤٠٣/٣) ، وورد في الاستيعاب (١٦٦/٤) : سهل بن عمرو وهو خطأ مطبعي ، والصحيح سهل بن عمرو .
- (٧) سيرة ابن هشام (٩١/٢) . وفي طبقات ابن سعد (٤٠٣/٣) : انه نزل على المنذر بن محمد بن عتبة الأنصاري وكذلك في جوامع السيرة ص (٨٩)
- (٨) طبقات ابن سعد (٤٠٣/٣)
- (٩) طبقات ابن سعد (٤٠٣/٣)

الصحابة من المهاجرين والانصار (١٠) ، فلما عاد هذا الجيش الى المدينة ، قاتل أبو سبرة المرتدين حتى عادوا الى طريق الحق ، وبعد ذلك كان له في الفتح الاسلامي جهاد مرموق .

كان العراق ميدان جهاد أبي سبرة ، وكان في جيش عتبة بن غزوان المازني (١١) في منطقة البصرة ، وعندما غزا العلاء بن الحضرمي (فارس) من البحرين (١٢) وأصبح جيشه مهددا بالفناء ، كتب عمر بن الخطاب الى عتبة بن غزوان يأمره بانقاذ جيش كثيف الى المسلمين بفارس قبل ان يهلكوا ، فأرسل عتبة جيشا كثيفا في اثني عشر الف مقاتل فيهم عاصم بن عمرو التميمي وعرفجة بن هزيمة البارقى والأحنف بن قيس التميمي وغيرهم ، فخرجوا على البغال يخشون الخيل وعليهم أبو سبرة قائدا ، فسار بالناس وساحل بهم (١٣) ، فاستطاع انقاذ جيش العلاء بن الحضرمي والانتصار على القوات الفارسية ، ثم عاد بجيشه الى البصرة سالما غانما (١٤) . واستأذن عتبة بن غزوان عمر بن الخطاب في الحج ، فأذن له ، فاستخلف على البصرة أبا سبرة ، فأقره عمر بعد وفاة عتبة بقية السنة ثم استعمل المغيرة بن شعبه عليها (١٥) لانصراف أبي سبرة الى الجهاد .

٢ - الفاتح :

١ - لم يزل كسرى (يزدجرد) يثير أهل فارس ، وكان مقيما (بمرو) (١٦) ، فتغافد أهل الأهواز وفارس على النصرة ضد المسلمين .

وعلم عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب الى سعد بن أبي وقاص أمير الكوفة : « أبعث الى الأهواز بعضا كثيفا وأمر عليهم سهل بن عدي ومالك وحذيفة ، وعلى أهل الكوفة وأهل البصرة جميعا أبو سبرة بن أبي رهم ، وكل من أتاه مددًا له » (١٧) .

(١٠) ابن الأثير (٢/٢٢٧)

(١١) الطبري (٣/٩٠)

(١٢) ابن الأثير (٢/٢٠٨)

(١٣) الطبري (٣/١٧٨)

(١٤) ابن الأثير (٢/٢٠٩)

(١٥) الطبري (٣/١٧٩) . أما في الطبري (٣/٩٥) والبلاذري ص (٢٣٨) فقد جاء : ان عمر استعمل المغيرة بن شعبه بعد وفاة عتبة بن غزوان ، وكان عتبة قد استخلف مجاشع بن مسعود السلمي عند مغادرته البصرة الى الحج . انظر الطبري (٣/٩٢) وابن الأثير (٢/١٨٩)

(١٦) مرو : أشهر مدن خراسان وأقدمها وأكثرها خيرا . انظر التفاصيل في معجم البلدان

(٣٠/٨)

(١٧) الطبري (٣/١٨٠)

ولما سمع (الهرمزان) بمسير النعمان بن مقرن المزني اليه ، بادره ورجا ان ينال منه وطمع في نصر اهل فارس ، وقد اقبلوا نحوه ، ولكن النعمان تغلب عليه وفتح (رامهرمز) (١٨) .

ب - ولما وصل اهل البصرة الى (سوق الاهواز) (١٩) وعلموا بأن (الهرمزان) لحق بمدينة (تستر) قصدوها وتحشّدت حولها كافة قوات المسلمين الموجودين في تلك المنطقة ومن بينها قوات النعمان بن مقرن المزني، استمد أبو سبرة عمر بن الخطاب ، فأمدّه بأبي موسى الأشعري في جمع من اهل البصرة وجعله على اهل البصرة وعلى الجميع أبو سبرة (٢٠)، فحاصروهم أشهراً واكثروا فيهم القتل . وزاحفهم الفرس أثناء الحصار ثمانين زحفاً ، حتى اذا كان آخر زحف منها اشتد القتال ، فانهرم الفرس ودخلوا خنادقهم، فاقترحمها المسلمون عليهم، فلاذ الفرس بالمدينة، فأحاط بها المسلمون (٢١) .

ورأى الفرس مدينتهم مطوقة بالمسلمين من جميع جوانبها ، ولا امل لهم في الخلاص من هذا الطوق المحكم ، لذلك انهارت معنوياتهم ، فخرج رجل من الفرس ليدل المسلمين على نقاط الضعف في دفاع المدينة المحاصرة ، فدخلها بعض المسلمين فكبروا وردد المسلمون خارجها هذا التكبير واقتحموا أبوابها وقتلوا المدافعين عنها واسروا (الهرمزان) وشدوه وثاقاً ، فأرسله أبو سبرة الى عمر بن الخطاب مع وفد فيهم أنس بن مالك والاحنف بن قيس (٢٢) .

وهكذا فتح المسلمون (تستر) اعظم مدينة في منطقة خوزستان .

ج - ولكن بعض القوات الفارسية انسحبت منهزمة من (تستر) باتجاه (السوس) ، فخرج أبو سبرة بنفسه في اثر المنهزمين الى (السوس) ونزل عليها ومعه النعمان بن مقرن المزني وأبو موسى الأشعري (٢٣) ، فطوقت قوات المسلمين مدينة (السوس) واستطاعوا فتحها عنوة ، ولكن المدافعين عنها طلبوا الصلح فأجيبوا الى ذلك (٢٤) .

(١٨) رامهرمز : مدينة مشهورة في خوزستان . انظر معجم البلدان (٢١٢/٤)

(١٩) سوق الاهواز : الاهواز اسم ولاية خوزستان ، وبلدة الاهواز يطلق عليها : سوق

الاهواز . انظر معجم البلدان (٢٨٠/١)

(٢٠) ابن الاثير (٢١٢/٢)

(٢١) الطبري (١٨١/٣)

(٢٢) الطبري (١٨٢/٣)

(٢٣) ابن الاثير (٢١٢/٢)

(٢٤) الطبري (١٨٦/٣) وابن الاثير (٢١٣/٣) . وفي الطبري (١٨٥/٣) : ان فاتح السوس

هو ابو موسى الاشعري ، وقد كان ابو موسى أحد القادة الذين شهدوا فتح هذه المدينة .

د - بعد فتح (السوس) توجه النعمان بن مقرن المزني الى (نهاوند) ،
وتوجه المقرب الأسود بن ربيعة الى (جندیسابور) ، فقص أبو سبرة
على رأس قواته (جندیسابور) وضيق عليها الحصار، وفجأة فتحت هذه المدينة
ابوابها وقال المدافعون عنها : رميت بالامان ، فقبلناه واقررنا بالجزية . فقال
المسلمون : ما فعلنا ! . . فسأل المسلمون فيما بينهم ، فاذا عبد يدعى
(مكنفا) كان أصله من (جندیسابور) هو الذي كتب لهم هذا الامان ،
فكتب أبو سبرة بذلك الى عمر ، فكان جوابه : « ان الله عظم الوفاء ، فلا
تكونون اوفياء حتى تفوا ، فما دمتم في شك اجزؤهم وفوا لهم (٢٥) » .
وقد وصف هذا الحادث عاصم بن عمرو التميمي فقال (٢٦) :

لعمري فقد كانت قرابة (مكنف)
قرابة صدق ليس فيها تقاطع
اجسارهم من بعد ذل وقلة
وخوف شديد والبلاد بلاقع
فجاز جوار (العبد) بعد اختلافنا
وردت امورا كان فيها تنازع
الى الركن والوالي المصيب حكومة
فقال بحق ليس فيه تخالع

الانسان :

انقطعت اخبار أبي سبرة فجأة بعد فتح مدينة (جندیسابور) والظاهر
ان حياته العامة انتهت بعد فتح هذه المدينة ، اذ عقد عمر بن الخطاب بنفسه
سبعة ألوية لسبعة من قادة المسلمين ، فانساحت قواتهم الى اهدافها (٢٧) ،
ولم يكن أبو سبرة بين أولئك القادة .

لقد رجع أبو سبرة الى مكة وأقام بها (٢٨) ، ولا نعلم احدا من المهاجرين
من أهل (بدر) رجع الى مكة فسكنها غيره (٢٩) ، وأولاده ينكرون رجوعه
الى مكة ويفضون من ذكر ذلك (٣٠) ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم

(٢٥) الطبري (١٨٨ / ٣) وابن الأثير (٢١٤ / ٢) ومعجم البلدان (١٥٠ / ٣) .

(٢٦) انظر معجم البلدان (١٥٠ / ٣) .

(٢٧) الطبري (١٨٩ / ٣) .

(٢٨) طبقات ابن سعد (٤٤٣ / ٥) .

(٢٩) الاصابة (٨١ / ٧) والاستيعاب (١٦٦٦ / ٤) .

(٣٠) طبقات ابن سعد (٤٤٣ / ٥) والاستيعاب (١٦٦٦ / ٤) .

كان يكره أن يموت المهاجر في الأرض التي هاجر منها (٣١) ، وقد كان لانكار اولاده رجوعه الى مكة ما يبرره ، لأن ابا سبرة قضى اكثر ايامه مجاهدا بعيدا عن مكة المكرمة كما ذكرنا في قصة جهاده .

وام أبي سبرة هي برّة بنت عبد المطلب بن هاشم عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو ابن عمه النبي (٣٢) وهو اخو سلمة بن عبد الاسد لامه (٣٣) .

وقد توفي في ايام عثمان بن عفان (٣٤) ، وذلك سنة خمس وثلاثين للهجرة (٣٥) (٦٥٥م) في السنة التي قتل فيها عثمان ، والظاهر انه توفي قبيل مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه .

القائد :

من الواضح أن المعارك التي قاد المسلمين فيها أبو سبرة ، كانت معارك (مدبرة) (٣٦) أنجز المسلمون لها تحشدهم وأعدوا كافة متطلبات القتال ، لأن الفرس كانوا من جانبهم قد حشدوا كافة امكاناتهم المادية والمعنوية لصد المسلمين عن بلادهم ، لذلك كان التغلب على حشود الفرس الكبيرة يحتاج الى خطط سديدة والى قوات كافية .

وفعلًا لم يتسرع أبو سبرة في خوض تلك المعارك ، بل خاضها بعد انجاز تحشيدات كبيرة عددا وعددا ، فكان واثقا من انتصاره سلفا ، وهو بذلك مثال رائع للقائد المكيث الذي يقدم اقداما مضمونا مأمون العواقب .

لقد كان على رأس القوات الاسلامية القادمة من البصرة والكوفة شخصيات لامعة لها وزنها الكبير في نظر المسلمين بصورة عامة - خاصة وان بعضهم كان من المع ابطال العرب وقادتهم ودهاتهم ، فكان تسنم أبي سبرة مركز القيادة عليهم جميعا دليل قاطع على ثقة عمر بكفاءته الممتازة وشخصيته القوية النافذة .

(٣١) طبقات ابن سعد (١٤٥/٥)

(٣٢) الاستيعاب (١٦٦٦/٤) والاصابة (٨١/٧)

(٣٣) الاستيعاب (١٦٦٦/٤) ، وهو سلمة بن عبد الاسد الخزومي .

(٣٤) طبقات ابن سعد (٤٠٣/٣) والاصابة (٨١/٧) والاستيعاب (١٦٦٦/٤)

(٣٥) ابن الاثير (٧٨/٣)

(٣٦) المعركة المدبرة سواء كانت هجومية او دفاعية ، معناها : تهيئة كافة متطلبات القتال من عدد وعدد وقضايا ادارية وامور معنوية وخطط دقيقة ، وهي عكس المعارك الفورية التي تسنم بالسرعة لا بالدقة وتعتمد على الصدق كثيرا لا على الحساب الدقيق .

انه كان مثالا للقائد الذي يقرر بسرعة وبدقة ، والذي يتحمل اخطر المسؤوليات في اخطر الظروف ، والذي يسبق النظر وبحسب لكل احتمال حسابه ، والذي يثق به امرأؤه ورجاله ثقة لا مزيد عليها ويبادلونه حبا بحب وتقديرا بتقدير .

وكانت اعماله العسكرية تمتاز بتطبيق مبدأ (تحشيد القوة) ومبدأ (التعاون) ، وقد ادى تمسكه بهذين المبدأين الى انتصاره على القوات الفارسية الكبيرة بعد حصارها في مدنها الحصينة ، مع ان الحصار المديد يحتاج الى قائد ممتاز والى جنود ممتازين .

أبو سبرة في التاريخ :

يذكر التاريخ لأبي سبرة عقيدته الراسخة التي جعلته يستهين بالمال والولد وبمتاع الدنيا كله ، فيهاجر الهجرتين الى الحبشة ، ثم يهاجر الى المدينة ويبذل هناك كل جهده وجهاده بذل المؤمن الصابر المحتسب من أجل نشر العقيدة الاسلامية ومن أجل الدفاع عنها .

ويذكر له فتوحاته الكثيرة في منطقة (خوزستان) ، مما جعل هذه المنطقة قاعدة امامية متقدمة لانطلاق الفتح الاسلامي الى عقر ديار الامبراطورية الفارسية .

ويذكر لأبي سبرة ، انه كان قائد القادة الفاتحين في فترة من اخطر ايام الفتح ، انتشروا من بعدها في الارض فاتحين منتصرين ودعاة صادقين .

ويذكر له ، بالإضافة الى كل ذلك ، حربه الشريفة التي تمثل الذروة في حرب الفروسية ، ولعل وفاءه بالامان الذي قطعه عبد مغمور من عبيد المسلمين لأهل مدينة كبيرة انهارت مقاومة حمايتها ماديا ومعنويا ، مثال رائع لحرب الفروسية في كل ادوار التاريخ !

تري ، هل في تاريخ حروب الامم الاخرى - من غير المسلمين - مثل هذا العمل الانساني الرفيع ؟!

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، ابي سبرة بن ابي رهم القرشي العامري .

زُرُّ بن عبد الله بن كليب الفقيمي

فَتْحُ جُنْدِيسَابُور^(١)

« اللهم أوف لزُرَّ عميرته »

(محمد رسول الله)

الصحابي :

كان زُرُّ بن عبد الله بن كليب الفقيمي صحابيا (٢) من المهاجرين (٣) وقد وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « فني بطني وكثر اخوتنا ، فادع الله لنا » ، فقال : « اللهم أوف لزُرَّ عميرته » (٤) ، فتحول اليهم العدد (٥) .

ولكننا لا نعرف له جهادا تحت لواء الرسول القائد ، وبذلك نال شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم .

جهاده :

كان ميدان جهاد زر بن عبد الله أرض العراق وبلاد فارس ، وأول ما ورد ذكره في فتح (رامهرمز) و (تستر) ، فبعد فتحهما كتب عمر الى زر بن عبد الله أن يسير الى (جنديسابور) ، فسار حتى نزل عليها (٦) وحاصرها (٧) ، وسار المقرب وهو الأسود بن ربيعة (٨) قائدا على أهل

(١) جنديسابور : مدينة حصينة واسعة بالاهواز بها النخيل والزروع والمياه . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٤٩/٣) والمسالك والممالك (٦٥)

(٢) أسد الغابة (٩/٣) وأسد الغابة (٢٠٠/٢) وابن الأثير (٢١٢/٢) والطبري (١٨٢/٣)

(٣) أسد الغابة (٢٠٠/٢)

(٤) عميرة : عمر أي عامر ، وبلد عمير ، أي بلد عامر . عميرة : كسفينة ، وعميرة : قد يسمى به الحي مالا ومنزلا وأهلا .

(٥) الطبري (١٨٢/٣)

(٦) الطبري (١٨٢/٣) والبداية والنهاية (٨٧/٧)

(٧) ابن الأثير (٢١٢/٢)

البصرة (٩) ليعاون زر في مهمته .

واقام زر بن عبد الله محاصرا (جنديسابور) يقاتلهم ، فما زال يفاديهم ويرأوهم القتال ، حتى رمي اليهم بالأمان من عسكر المسلمين ، فلم يفجأ المسلمين الا وأبوابها تفتح ، ثم خرج السرح (١٠) وخرجت الاسواق وانبثت أهلها ، فأرسل المسلمون ، أن ما لكم ؟! ، فقالوا : « رميتم البنا بالأمان فقبلناه وقررنا بالجزاء على أن تمنعونا ! » ، فقالوا : « ما فعلنا ! » ، فقالوا : « ما كذبنا ! » ، فسأل المسلمون فيما بينهم ، فإذا عبد يدعى (مكنفا) كان أصله منها هو الذي كتب لهم الأمان ، فقالوا : « انما هو عبد » ، فقالوا : « انا لا نعرف حركم من عبدكم . قد جاء أمان ، فنحن عليه قد قبلناه ولم نبدل ، فان شئتم فاغدروا » .

وامسك المسلمون عنهم وكتبوا بذلك الى عمر ، فكتب اليهم : « ان الله عظم الوفاء ، فلا تكونون اوفياء حتى تفوا . ما دمت في شك ، أجيروهم وفوا لهم » . فوفوا لهم وانصرفوا عنهم (١١) . فكان فتح (جنديسابور) صلحا (١٢) .

وعند مسير النعمان بن مقرن المزني الى (نهاوند) ، تقدم عمر الى الجند الذين كانوا بالاهواز أن يشغلوا جنود الفرس عن المسلمين ، فأقام زر بن عبد الله مع من أقام بتخوم أصبهان وفارس وقطع امداد فارس عن أهل نهاوند .

وبذلك خفف زر بن عبد الله من ضغط القوات الفارسية على المسلمين في نهاوند ويسر للمسلمين النصر على أعدائهم .

الانسان :

سكت التاريخ سكوتا مطبقا عن حياة زر بن عبد الله ، ولم يذكر عنه غير انه أحد بني ربيعة بن مالك (١٤) وفد على النبي صلى الله عليه وسلم

(٨) المقرب : الاسود بن ربيعة صحابي مهاجري ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ما أقدمك ؟ » ، فقال : « إقرب بصحبتك » ، فترك الاسود وسمي المقرب ، فصحب النبي صلى الله عليه وسلم . وقد استعمله عمر بن الخطاب في فتح الاهواز على جند البصرة . انظر أسد الغابة (٨٥/١) والطبري (١٨٢/٣)

(٩) الطبري (١٨٢/٣) وابن الأثير (٢١٢/٢) و(٢١٣/٢)

(١٠) السرح : المال والبنائ

(١١) الطبري (١٨٨/٣) وابن الأثير (٢١٤/٢)

(١٢) الإصابة (٩/٣)

(١٣) ابن الأثير (٣/٣)

(١٤) أسد الغابة (٢٠٠/٢)

في نفر من بني تميم (١٥) .

اما اعماله العامة ومتى توفي واين ، واين استقر به المقام .. الخ ، فلا يذكر التاريخ عن كل ذلك شيئا .

لقد كان تقيا ورعا ، مؤمنا حقا ، صادقا وفيا ، كريما سخيا ، قضى حياته كلها في خدمة عقيدته وامته ، وكان مثالا حيا للسلف الصالح من الرجال استقامة وعدلا وايمانا ...

القائد :

لم يكن عمر ليولي رجلا من الصحابة على جيش من جيوش المسلمين ما لم يكن قد مارس الحرب وخبرها وأبلى فيها أحسن البلاء .

ونستطيع ان نستنتج من قتاله العنيد لاهل (جنديسابور) وصبره على حصار المدينة ونجاحه في مهمته الى درجة تخاذل اهلها واقدامهم على الاستسلام لمجرد وصول اشارة لامانهم لا يعرفون مصدرها ، أنه كان قائدا يتحلّى بالتدريب العالي والضبط المتين ، وكان منتبها يقظا حذرا لا ينام ولا ينام ، وانه كان مسيطرا على رجاله سيطرة تامة ، مما يدل على شخصيته النافذة ورجولته واقدامه .

زدر في التاريخ :

يذكر التاريخ لزدر انه فتح بلدا من أهم وأكبر بلدان ولاية الاهواز ونشر الاسلام في ربوعها .

ويذكر له انه كان موضع ثقة حتى اعدائه ، بحيث صالحوه استنادا على امان لا يعرفون مصدره ونتائجه .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القوي الامين ، التقى النقي ، المجاهد البطل ، القائد الفاتح زدر بن عبد الله الفقيمي ..

الربيع بن زياد الحارثي^(١)

فَاتِحَ بَيْرُودَ^(٢) وَمَنَازِرَ مِنَ الْأَهْوَازِ
وَفَاتِحَ سَجِسْتَانَ^(٣) وَخُرَاسَانَ^(٤) ثَانِيَةً

« رجل ... إذا كان في القوم أميرا ، فكانه ليس بأمير ؛
وإذا كسان في القوم ليس بأمير ، فكانه أمير » .

(عمر بن الخطاب)

الصحابي :

لا نعلم متى أسلم الربيع بن زياد الحارثي ، ولكنه كانت له صحيفة (٦) ،

(١) هو الربيع بن زياد بن أنس بن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن كعب
ابن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد وهو مدحج . انظر جمهرة أنساب العرب (٤١٦-٤١٧)
والإصابة (١٩٥/٢) . وفي الاستيعاب (٤٨٨/٢) : الربيع بن زياد بن الربيع . وفي أسد الغابة
(١٦٤/٢) : الربيع بن زياد بن الربيع الحارثي ، وقال غيره : الربيع بن زياد بن أنس بن
الديان ... انتهى ما ورد في أسد الغابة . ونسبه الأول هو الأصح ، لاجتماع أكثر المصادر
عليه . واسم الديان : يزيد . انظر جمهرة أنساب العرب (٤١٦) وأسد الغابة (١٦٤/٢) .
(٢) بَيْرُودَ : ناحية بين الأهواز ومدينة الطيب ، وهي كبيرة بها نخل كثير ، حتى أنهم
يسمونها : البصرة الصغرى . ويقال : أنها كانت قصبة كورة قديما . انظر التفاصيل في معجم
البلدان (٢٣٠/٢) . ومدينة الطيب : مدينة بين واسط وبين الأهواز . انظر تقويم البلدان
(٢١٤) والمشارك وضعها (٢٩٨) .

(٣) مناذر : هما بلدان بتواحي الأهواز : مناذر الكبرى ، ومناذر الصغرى . انظر
التفاصيل في معجم البلدان (١٦٠/٨)

(٤) سجستان : ناحية كبيرة وولاية واسعة ، يحيطها من الشرق مفازة بين مكران وأرض
السند وشيء من عمل الملتان ، وما يلي الغرب خراسان وشيء من عمل الهند ، وما يلي
الشمال أرض الهند ، وما يلي الجنوب المفازة التي بين سجستان وقارس وكرمان . انظر
المسالك والممالك للأصطخري (١٢٩) ومعجم البلدان (٣٧/٥)

(٥) خراسان : بلاد واسعة تتاخم العراق المجمع من الغرب وأفغانستان والهند من
الشرق ، وتقع كرمان وسجستان إلى جنوبها ، وتمتد في الشمال إلى أقصى تخوم إيران .
من أمهات مدنها : نيسابور وهراة ومرو وبليخ . انظر التفاصيل في المسالك والممالك للأصطخري
(١٤٥ - ١٦٠) ومعجم البلدان (٤٠٧/٣)

(٦) أسد الغابة (١٦٤/٢) والاستيعاب (٤٨٨/٢)

وقد تولى قيادة جيش من جيوش المسلمين في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكانوا في عهده لا يولّون الا الصحابة (٧) .

كما لا نعرف له جهادا تحت لواء الرسول القائد ، لذلك فقد نال الربيع شرف الصحبة ولم يتل شرف الجهاد في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم .

جهاده :

١ - كان عمر بن الخطاب قد عهد الى ابي موسى الاشعري ان يسير برجاله متفلا في الاهواز ، وذلك لحماية منطقة البصرة من تحرشات الفرس اولا ، ولكي لا يؤتى المسلمون من خلفهم ثانيا ، وحتى لا تكون منطقة الاهواز ميدانا لتحشد الجيوش الفارسية وحلفائهم مما يهدد سلامة العراق اخيرا .

ولكن ابا موسى ابطا في ارسال جيوشه الى كور الاهواز ، فلما وصلت خيوله الى تلك الكور كان الوقت المناسب قد فات ، فتجمع في (بيروذ) جمع عظيم من الاكراد وغيرهم .

وخرج ابو موسى الاشعري من البصرة متوجها نحو (بيروذ) في رمضان ، وكان قد توافى اليها اهل النجيدات من اهل فارس والاكراذ ليكيدوا العرب المسلمين وليصيبوا منهم غورة ولم يشكوا في واحدة من اثنتين !

والتقى ابو موسى بحشود العدو بين نهر (تيرى) (٨) ، و(مناذر) ، فقام المهاجر بن زياد الحارثي (٩) وقد تحنط واستقتل (١٠) ، فعزم ابو

(٧) الاصابة (١٩٤/٢) و(٢٠٩/١) و(٢٣٥/٤) ... الخ .

(٨) تيرى : بلد من نواحي الاهواز ، والنهر الذي باسم البلد حفره اردشير الاصغر ابن بابك . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٤٠/٢) و(٣٨٠/٨)

(٩) المهاجر بن زياد الحارثي : اخو الربيع بن زياد الحارثي ، في صحبته نظر . شهد مع اخيه معركة (بيروذ) تحت لواء ابي موسى الاشعري ، فاراد ان يشري نفسه وكان صائما ، فقال الربيع لابي موسى : « ان المهاجر عزم على ان يشري نفسه وهو صائم » ، فقال ابو موسى : « مزمت على كل صائم ان يفر او لا يخرج الى القتال » ، فشرب المهاجر شربة ماء وقال : « قد ابروت عزمة اميري » ، والله ما شربتها من عطش » ، ثم راح في السلاح فقاتل حتى استشهد ، فاخذ اهل مناذر راسه ونصبوه على قصرهم بين شرفتين ، وله يقول القائل :

وفي مناذر لما جاش جمعهم راح المهاجر في حل باجمال
والبيت بيت بني الديان نرفقه في آل مدح مثل الجواهر الغالي
وقد استشهد سنة سبع عشرة هجرية . انظر اسد الغابة (٤٣٣/٤) والاستيعاب (١٤٥٤/٤) وفيه : انه قتل سنة تسع عشرة هجرية . وانظر البلاذري (٣٧٠ - ٣٧١)
(١٠) الطبري (٢٥٨/٣) وابن الاثير (١٨/٣)

موسى على الناس فأفطروا ، فتقدم المهاجر وقاتل قتالا شديدا حتى قتل ،
فاشند جزع الربيع على أخيه المهاجر .

وكتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري وهو محاصر أهل
(بيروذ) يأمره ان يخلف عليها ويسير الى (السوس) (١١) ، فخلف الربيع
ابن زياد (١٢) ، ففتح الله عليه (بيروذ) من نهر تيرى ، واخذ ما معهم من
السبي (١٣) ، كما فتح (مناذر) عنوة ، فصارت (مناذر) الكبرى و (مناذر)
الصفري في ايدي المسلمين (١٤) ، وكان ذلك سنة سبع عشرة هجرية (١٥)
(٦٣٨ م) .

٢ - وكانت (سجستان) قد فتحت ايام عمر بن الخطاب ، ولكن
اهلها نقضوا من بعده ، فلما توجه عبد الله بن عامر الى (خراسان) سنة
احدى وثلاثين الهجرية (١٦) سائر اليها من (كرمان) (١٧) الربيع بن زياد ،
فسار اليها حتى نزل (الفهرج) (١٨) ، ثم قطع المفازة (١٩) وهي خمسة
وسبعون فرسخا ، فأتى رستاق (زالق) (٢٠) ، فأغار على أهله في يوم
(مهرجان) (٢١) وأسر دهقانه فافتدى نفسه ، فحقن الربيع دمه وصالحه
على ان يكون بلده كبعض ما افتتح من بلاد فارس وكرمان .

ثم أتى الربيع قرية يقال لها : (كركويه) (٢٢) ، على خمسة اميال
من (زالق) ، فصالحوه ولم يقاتلوه .

(١١) السوس : بلدة بالأهواز . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٧١/٥)

(١٢) البلاذري (٣٧١)

(١٣) الطبري (٢٥٨/٣) وابن الاثير (١٨/٢)

(١٤) البلاذري (٣٧١)

(١٥) اسد الغابة (١٦٤/٣)

(١٦) ابن الاثير (٤٩/٣) . وفي البلاذري (٣٨٥) : ان ذلك كان سنة ثلاثين الهجرية .

(١٧) كرمان : ولاية كبيرة مشهورة بين فارس ومكران وسجستان . انظر التفاصيل في

معجم البلدان (٢٤١/٧)

(١٨) الفهرج : بلدة بين فارس وأصبهان ممدودة من أعمال فارس ثم من أعمال كورة

اصطخر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٠٦/٦)

(١٩) المفازة : الصحراء المهلكة

(٢٠) زالق : من نواحي سجستان ، وهو رستاق كبير فيه قهبور وحصون . . . انظر

التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٩/٤) . وزالق : حصن بينه وبين سجستان خمسة فراسخ .

انظر البلاذري (٣٨٥)

(٢١) مهرجان : عيد من اعياد الفرس

(٢٢) كركويه : مدينة من نواحي سجستان ، فيها بيت نار معظم عند المجوس . انظر

معجم البلدان (٢٤١/٧)

ونزل الربيع رستاقا يقال له : (هيسون) (٢٣) ، فأقام له أهله النزل وصالحوه على غير قتال .

وعاد الربيع الى (زالق) وأخذ الأداء منها الى (زرنج) (٢٤) ، وسار حتى نزل (هندمند) (٢٥) وعبروا واديا يترع منه يقال له : (نوق) (٢٦) ، وأتى (دوش) (٢٧) ، فخرج اليه أهلها وقتلوه قتالا شديدا ، فأصيب رجال من المسلمين ، ولكن المسلمين كروا عليهم حتى اضطروهم الى اللجوء الى المدينة بعد ان قتلوا منهم مقتلة عظيمة .

وسار الربيع الى (ناشروذ) (٢٨) ، فقاتل أهلها وظفر بهم ، ثم مضى منها الى (شرواذ) (٢٩) فقلب عليها وأصاب بها بعض السبي .

وحاصر الربيع (زرنج) بعد ان قاتله أهلها ، فبعث اليه (أبرويز) مرزبانها يستأمنه ليصالحه ، فأمر بجسد من أجساد القتلى فوضع له وجلس عليه ، وأتى على آخر وأجلس أصحابه على أجساد القتلى ، فلما رآه المرزبان هاله ، فصالحه على ألف وصيف مع كل وصيف جام من ذهب ، فدخل الربيع مدينة (زرنج) .

وأتى بعد ذلك الربيع (سناروذ) (٣٠) ، وهو واد ، فعبه ، وأتى (قرنين) (٣١) فقاتله أهلها ، ولكنه ظفر بهم .

وعاد الربيع الى (زرنج) فأقام بها سنتين ، ثم أتى عبد الله بن عامر واستخلف بها رجلا من بني الحارث بن كعب ، فأخرجوه أهل (زرنج) وأغلقوها .

(٢٣) هيسون : لم أجد له ذكرا في معجم البلدان ، والظاهر انه رستاق بين زالق وزرنج (٢٤) زرنج : مدينة هي قصة سجستان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٥/٤) والمسالك والممالك (١٣٩) ومعجم البلدان (٣١٥)

(٢٥) هندمند : اسم نهر مدينة سجستان . انظر معجم البلدان (٤٨٢/٨) . (٢٦) نوق : في معجم البلدان (٣٢٧/٨) وردت : نوقات ، وهي محلة بسجستان ، وأهل سجستان يقولون : نوها ، فعرّبت كما ترى .

(٢٧) دوش : مدينة بينها وبين زرنج ثلثا ميل . انظر البلاذري (٢٨٥) (٢٨) ناشروذ : ناحية بسجستان . انظر معجم البلدان (٢٣٧/٨)

(٢٩) شرواذ : ناحية بسجستان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٥٧/٥) (٣٠) سناروذ : اسم نهر سجستان ، ويجري على فرسخ من سجستان ، تشعب منه انهار كثيرة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٤١/٥)

(٣١) قرنين : قرية من رستاق نيشك من نواحي سجستان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦٦/٧) ، وقد وردت في البلاذري (٣٨٦) : القرينين ، وهذا تصحيف ، ونيشك : كورة من كور سجستان ، تشتمل على قرى كثيرة . انظر معجم البلدان (٣٥٩/٨)

وكانت ولاية الربيع سنتين ونصفا ، وسبى في ولايته هذه اربعين الف نسمة ، وكان كاتبه الحسن البصري (٣٢) .

٣ - ولما صار الامر الى معاوية بن ابي سفيان ، عزل عبد الرحمن بن سمرة عن (سجستان) وولاه الربيع (٣٣) ، وكان ذلك سنة احدى واربعين الهجرية (٣٤) (٦٦١م) ، فظهره الله على الترك . وبقي اميرا على (سجستان) الى ان مات المفيرة بن شعبة وهو امير على الكوفة (٣٥) ، وذلك سنة خمسين الهجرية (٦٧٠م) (٣٦) ، فولى معاوية زياد بن ابي سفيان الكوفة مع البصرة ، وجمع له المراقين (٣٧) .

٤ - وعزل زياد بن ابي سفيان الربيع عن (سجستان) وبعثه الى (خراسان) اميرا سنة احدى وخمسين الهجرية ، وسيّر معه خمسين الفا بعيالهم من اهل الكوفة والبصرة ، فأسكنهم دون النهر (نهر جيحون) في (خراسان) ، فلما قدما غزا (بلخ) (٣٨) ففتحها صلحا ، وكانت قد اغلقت ابوابها بعدما صالحهم الأخنف بن قيس التميمي . وفتح (قهستان) (٣٩) عنوة وقتل من بناحيثها من الاثراك ، فبقي منهم (نيزك طرخان) ملك الترك ، فقتله قتيبة بن مسلم الباهلي في ولايته (٤٠) .

وهكذا استطاع الربيع ان يشيع الامن والاستقرار في ربوع (خراسان) واعادها الى بلاد الاسلام .

(٣٢) البلاذري (٣٨٥ - ٣٨٦) ، وانظر ابن الاثير (٤٩/٣) وقبه : ان الربيع اقام بوزنج سنة واحدة ، فكانت ولاية الربيع سنة ونصف .

(٣٣) الاستيعاب (٤٨٨/٢) . واسد الغابة (١٦٤/٢) .

(٣٤) ابن الاثير (١٦١/٣) والطبري (١٢٦/٤) وشذرات الذهب (٥٢/١) والعبر (٤٧/١) .

(٣٥) الاستيعاب (٤٨٨/٢) .

(٣٦) قادة فتح العراق والجزيرة (٤٠٥) .

(٣٧) الاستيعاب (٤٨٨/٢) .

(٣٨) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٦٢/٢) والمسالك والممالك (١٥٤) وآثار البلاد (٣٢١) وتقويم البلدان (٤٦٠) والمسالك والممالك لابن حرداذبة (٣٤) وأحسن التقاسيم (٢٩٥) ومختصر كتاب البلدان لابن الفقيه (٣٢٢) .

(٣٩) قهستان : وردت كذلك في ابن الاثير (١٩٤/٣) ، وقد وردت في البلاذري (٣٩٤) : قوهستان وكذلك في معجم البلدان (١٨٧/٧) والمسالك والممالك (١٥٤) ، وهي تعريب : كوهستان ، ومعناه : موضع الجبال ، لان كوه هو الجبل بالفارسية ، وهي ولاية بين هراة ونيسابور .

(٤٠) ابن الاثير (١٩٤/٣) ، وانظر البلاذري (٤٠٠) . واسد الغابة (١٦٤/٢) .

الانسان :

١ - كان الربيع آدم (٤١) افؤه (٤٢) طويلا (٤٣) ، وفي رواية : انه ابيض خفيف اللحم خفيف الجسم (٤٤) ، له صحبة وليست له رواية ، وقد ادرك ايام النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقدم المدينة الا في ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٤٥) .

٢ - كان عاملا لابي موسى الاشعري على البحرين (٤٦) ، وقد وفد يومئذ على عمر فقال له : « ما أقدمك ؟ » ، فقال : « قدمت وافدا لقومي » ، فاذن عمر للمهاجرين والانصار والوفود ، فتقدم الربيع فقال : « يا امير المؤمنين ! والله ما وليت هذه الامة الا ببيلة ابتليت بها ، ولو ان شاة ظلت بشاطيء الفرات لسئلت عنها يوم القيامة » ، فانكب عمر يبكي ثم رفع رأسه وقال : « ما اسمك ؟ » ، فقال : « الربيع بن زياد » . وله مع عمر أخبار كثيرة . فكتب عمر الى ابي موسى ان يقره على عمله (٤٧) ، وهذا دليل على صراحته وقوته في الحق .

وعن الربيع بن زياد ، انه وفد على عمر فأعجبته هيئته ، فشكى عمر وجعا به من طعام يأكله ، فقال : « يا امير المؤمنين ! ان احق الناس بمطعم طيب وملبس لين ومركب وطيء لانت » (٤٨) ، مما يدل على اقدامه دون تردد على ابداء رايه الصريح الواضح ، واعلان ما يعتقدونه دون مواربة .

والظاهر ان ابا موسى الاشعري ولاه فتح (بيروذ) قبل توليته (البحرين) ، لان ابا موسى تولى البصرة سنة سبع عشرة الهجرية (٤٩) ، فولى الربيع فتح (بيروذ) من تلك السنة ، مما يدل على ان ابا موسى ولي الربيع البحرين بعد ذلك ، أي حوالي سنة ثمان عشرة الهجرية .

٣ - وتولى سجستان وخراسان كما أسلفنا ، فأعادهما الى الطاعة واشاع فيهما الامن والاطمئنان ، مما يدل على أنه كان اداريا حازما . قال زياد بن ابي سفيان عن الربيع : « ما كتب قط الا في اختيار

(٤١) آدم : اشتدت سمرة ، فهو آدم وهي أسماء ، جميعها : آدم .

(٤٢) افؤه : انفرجت شفتاه عن أسنانه .

(٤٣) طبقات ابن سعد (١٦٠/٦)

(٤٤) البلاذري (٣٨٦)

(٤٥) الاصابة (١٩٥/٢)

(٤٦) الاصابة (١٩٥/٢)

(٤٧) الاصابة (١٩٥/٢)

(٤٨) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي (٧٧)

(٤٩) ابن الاثير (٢٠٩/٢)

منفعة او دفع مضرة » (٥٠) ، مما يدل على حرصه على المصلحة العامة وتكريس حياته كلها لهذه المصلحة .

٤ - وكان الربيع اذا سار في موكب ، فلا تتقدم دابته على دابة من الى جانبه ، ولا تمس ركبته ركبة من الى جانبه (٥١) ، مما يدل على تمسكه الشديد باداب رفقة الطريق ، وانعدام الانانية والتكبر والعلو في نفسيته .

قال عمر بن الخطاب يوما لاصحابه : « دلوني على رجل ، اذا كان في القوم اميرا ، فكأنه ليس بامر ، واذا كان في القوم وليس بامر ، فكأنه امير » ، فقالوا : « ما نعرف الا الربيع بن زياد الحارثي » ، فقال عمر : « صدقتم » (٥٢) ، وهذا يدل على تواضعه الجم حين يكون اميرا ، واعتداده بنفسه حين لا يكون ، وظهور فضله على غيره في الحالتين ، فهو شخصية بارزة بدون اماره ، والامارة لا تزيده الا تواضعا .

ولا بد ان تكون عوامل كثيرة كوّنت شخصية الربيع اللامعة المتميزة ، وجعلتها موضع اجماع الناس على احترامها ، ولعل من هذه العوامل تمسك الربيع بمبادئه ، واستعداده الكامل للتضحية من أجلها ، واعلانه قولة الحق مهما تكن الظروف والاحوال .

كتب اليه زياد بن ابي سفيان : « ان امير المؤمنين معاوية كتب يأمر ان تحرز (٥٣) الصفراء والبيضاء وتقسم ما سوى ذلك » ، فكتب الربيع الى زياد : « اني وجدت كتاب الله قبل كتاب امير المؤمنين ! » ، ونادى في الناس ان : « اغدوا على غنائمكم » ، فأخذ الخمس وقسم الباقي على المسلمين (٥٤) ، وهذا يدل على تمسكه الشديد بأهداب الشريعة السمحاء وعدم الاذعان لما يخالفها .

٥ - توفي الربيع في خراسان سنة ثلاث وخمسين الهجرية (٥٥) (٦٧٢م) ، وقد سأل عمر بن الخطاب حين قدم عليه حوالي سنة ثمان عشرة الهجرية عن سنه ، فقال : « خمس وأربعون » (٥٦) ، اي انه ولد سنة سبع وعشرين قبل الهجرة (٥٩٥م) ، فيكون عمره يوم مات ثمانين سنة قمرية .

(٥٠) الاستيعاب (٢/٤٨٨)

(٥١) اسد الغابة (٢/١٦٤)

(٥٢) الاصابة (٢/١٩٥)

(٥٣) أحرز : حاز . يقال : أحرز ماله ، ادخره لوقت الحاجة .

(٥٤) اسد الغابة (٢/١٦٤) والاصابة (١/١٩٥)

(٥٥) البداية والنهاية (٨/٦١) والبلادي (٤٠١)

(٥٦) الاصابة (٢/١٩٥)

وقد ذكر أن سبب موته ، هو أنه دعا الله أن يميته بعد أن كتب إلى زياد : « وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين » ، ومبادرته إلى تقسيم الفنائم بين أهلها غير مكتوث لأمر معاوية ولا لأمر زياد ، فدعا الله أن يميته فما جمع حتى مات (٥٧) ، وهذا دليل على جزعه الشديد من بدء الانحراف عن تعاليم الاسلام .

وفي رواية ، أنه لما اتاه مقتل حجر بن عدي (٥٨) ، قال : « اللهم ان كان للربيع عندك خير ، فاقبضه » ، فلم يبرح من مجلسه حتى مات (٥٩) ، وكان قد ذكر مقتل حجر بن عدي فأسف عليه وقال : « لا تزال العرب تقتل صبيرا بعده ، ولو نفرت عند قتله لم يقتل رجل منهم صبيرا ، ولكنها أقرت فذلت » ، فمكث بعد هذا الكلام جمعة ثم خرج يوم الجمعة في ثياب بياض ، فقال : « ايها الناس ! اني قد مللت الحياة ، واني داع بدعوة فأموتوا » ، ثم رفع يده بعد الصلاة وقال : « اللهم ان كان لي عندك خير فاقبضني اليك عاجلا » ، وأمّن الناس ، فخرج فما توارت ثيابه حتى سقط ، فحمل إلى بيته (٦٠) . وكان قد أسف على حجر بن عدي حين سمع بمقتله ، فقال : « والله لو ثارت العرب له لما قتل صبيرا ، ولكن أقرت العرب فذلت » (٦١) . ومهما يكن من امر ، فإن كل ذلك يدل على شدة ورعه واستنكاره لكل ظلم ، وأنه لا ينسى أصدقاءه في ساعة محنتهم ويدافع عنهم أعظم الدفاع .

٦ - كان الربيع متواضعا خيرا (٦٢) ، وكان ورعا تقيا خائفا الله ملتزما بحدود أوامره ونواهيه . يكفي أن نعلم أن الحسن البصري كان كتابه ب (خراسان) (٦٣) . لم يشترك في الفتنة الكبرى بقلبه ولا بلسانه ولا بسيفه ، وكان صريحا واضحا ، وأداريا حازما ، يعمل للمصلحة العامة وحدها ، ولا نعرف أنه جمع الاموال والعقار طيلة حياته العامة ، فقد عاش فقيرا ومات فقيرا ، ولكنه أرضى ضميره فكان أغنى الأغنياء .

انه مثال رفيع للمؤمن الحق وللخلق الكريم ...

(٥٧) الإصابة (١٩٥/٢) واسب الفاية (١٦٤/٢)

(٥٨) حجر بن عدي : هو حجر بن عدي الكندي ، يكنى : أبا عبد الرحمن . وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وشهد القادسية ، وشهد الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب . قتله معاوية سنة ثلاث وخمسين الهجرية . انظر التفاصيل في المعارف (٣٢٤) والإصابة (٣٢٩/١) واسب الفاية (٣٨٥/١) والاستيعاب (٣٢٩/١) وطبقات ابن سعد (٢١٧/٦) - (٢٢٠)

(٥٩) اسد الفاية (١٦٤/٢)

(٦٠) الطبري (٢١٦/٤ - ٢١٧) وابن الأثير (١٩٥/٣)

(٦١) البداية والنهاية (٦١/٨)

(٦٢) طبقات ابن سعد (١٥٩/٦) واسب الفاية (١٦٤/٢)

(٦٣) المعارف (٤٤١)

القائد :

كان الربيع اول من امر الجند بالتناهد (٦٤) ، وذلك لتقوية معنوياتهم واذكاء روح التعاون فيما بينهم .

والظاهر من حروبه ، انه كان قائدا يجيد فن الحصار ، والحصار لا يجيده الا القائد المدرب الذي يتحلى بالضبط المتين ، والذي يمتاز بالحذر واليقظة فلا يفسح المجال لعدوه ان يستفيد من المصادر الخارجية لادامة قواته المحصورة بالمواد التموينية وبالاسلحة والعتاد وبالقضايا الادارية الحيوية الاخرى وبذلك يقوى على اطالة امد الحصار . كما ان القائد الصبور هو الذي ينجح في مغالبة عدوه في الحصار لاجباره على الاستسلام . وعيوره المفازة بجيوشه ، دليل آخر على شدة ضبطه وصبره ، كما انه دليل على تحمله المشاق دون كلل ولا ملل ، كما انه دليل على تشبفه بروح (المباغثة) أهم مبادئ الحرب ، فقد سلك طريقا لا يتوقع العدو سلوكها ، وبذلك باغت عدوه بالمكان والزمان .

لقد استطاع الربيع ان يتغلب على أعدائه الكثيرين بجيشه القليل نسبيا الى جانب جيش عدوه ، وهذا دليل على معرفته اساليب القتال وتطبيقه مبادئ الحرب بكفاءة .

وكان لاخلاقه الكريمة وماضيه المجيد اثر حاسم في تعلق رجاله به وثقتهم التي لا حدود لها بشخصه ، كما كان لذلك اثر حاسم على تعلق رؤسائه به وثقتهم الكاملة بتصرفاته ، لذلك أوكل له رؤساؤه امر معالجة أصعب الجبهات في أصعب الظروف ، فاستطاع بحنكته وبعد نظره التغلب على تلك الصعاب .

بل انه كان موضع ثقة حتى أعدائه ، مما جعل الامور تستتب في (سجستان) و (خراسان) في أيامه وتنتقض من بعده ، مما يدل على أن حربه كانت انسانية وفقا لتعاليم الاسلام في الحرب .

لقد كان الربيع قائدا ممتازا .

الربيع في التاريخ :

يذكر التاريخ للربيع فتحه مناطق واسعة من الاهواز ، واستعادته مناطق أوسع في (سجستان) و (خراسان) .

ويذكر له إيمانه العميق وكرانه ذاته ، وخلق القويم .

رضي الله عن القائد الفاتح ، الاداري الحازم ، القوي الامين ، الفارس البطل ، الأمير الانسان ، والانسان الأمير ، الربيع بن زياد الحارثي .

(٦٤) التناهد : نهض بعضهم الى بعض للمحاربة . انظر ما جاء عن الربيع حول التناهد في البلاذري (٤٠٠)

سَلَمَةُ بن قيس الأشجعي

فاتح جبال الأكراد في الأهواز

الصحابي :

لا نعلم متى أسلم سَلَمَةُ بن قيس الأشجعي ، ولكن له صحة (٢) ، وقد ولّاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه القيادة وكان لا يولي الا الصحابة (٣) . ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا شيئا عن جهاده في أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، وبذلك نال شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهاده :

لا بد ان سلمة اثبت جدارة في قيادة الجيوش في المعارك التي خاضها المسلمون وكان له ماض مشرف في جهاده ، لأن عمر كان يلتزم بشروط معينة يريدونها ان تتوفر في القائد قبل ان يوليه منصب القيادة : منها ان يكون صحابيا ، وان يكون مجربا للحروب ، والا يكون من المرتدين ... الخ (٤) . ولكننا لا نعلم شيئا عن المعارك التي خاضها سلمة ولا عن بلائه فيها ، فقد ضلّت المصادر المتيسرة عندنا بالحديث عن جهاده وجهوده في حروب الردة وحروب الفتح الاسلامي .

وأول ما ورد ذكر سلمة في حروب أكراد الأهواز ، فقد كان عمر رضي الله عنه ، اذا اجتمع اليه جيش من أهل الايمان أمّر عليهم رجلا من أهل العلم والفقه ، فاجتمع اليه جيش بعث عليهم سلمة وقال له : « سر باسم الله . قاتل في سبيل الله من كفر بالله ، فاذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم الى ثلاث خصال : ادعوهم الى الاسلام ، فان أسلموا فاختاروا دارهم فعليهم في أموالهم الزكاة وليس لهم من فيء المسلمين نصيب (٥) ، وان

(١) من أشجع بن ريث بن غطفان . انظر اسد الغابة (٢/٣٣٩) والاستيعاب (٢/٦٤٢)

(٢) الاصابة (٢/١١٨) وطبقات ابن سعد (٦/٢٣)

(٣) الاصابة (٢/١٩٤) و(٤/٢٣٥) و(١/٣٠٩)

(٤) انظر شروط القيادة عند عمر بن الخطاب في كتاب : الفاروق القائد ص (٣٢ - ٣٦)

(٥) يريد : اختاروا التموذ ولم يعاونوكم في الجهاد .

اختاروا ان يكونوا معكم فلم مثل الذي لكم وعليهم مثل الذي عليكم (٦) ،
وان أبوا فادعوهم الى الخراج (٧) ، فان أقرؤا فقاتلوا عدوهم من ورائهم
ففرغوهم لخراجهم ولا تكلفوهم فوق طاقتهم ، فان أبوا فقاتلوهم فان الله
ناصركم عليهم ، فان تحصنوا منكم في حصن فسالوكم ان ينزلوا على حكم
الله وحكم رسوله ، فلا تنزلوهم على حكم الله فانكم لا تدرون ما حكم الله
ورسوله فيهم ، وان سالوكم ان ينزلوا على ذمة الله وذمة رسوله ، فلا
تعطوهم ذمة الله وذمة رسوله واعطوهم ذمة انفسكم ، فان قاتلوكم فلا
تقتلوا (٨) ولا تغدروا ولا تمثلوا (٩) ولا تقتلوا وليدا « ، فسار سلمة بجيشه
حتى التقى بمشركي الاكراد ، فدعاهم الى ما أمر به امير المؤمنين عمر ، فأبوا
ان يسلموا ، فدعاهم الى الجزية فأبوا ان يقرؤا ... عندذاك قاتلهم وانتصر
عليهم ، فقتل المقاتلة وسبى الذرية وجمع الرثة (١٠) ، ثم بعث رجلا الى عمر
لاخباره عن انتصار المسلمين (١١) .

وبذلك حقق سلمة للمسلمين نصرا مؤزرا على عدوهم في منطقة منيعة
من ارض الاهواز .

الانسان :

راى سلمة من جملة الفنائم في تلك المعركة شيئا من حلية ، فقال
لرجاله : « ان هذا لا يبلغ فيكم شيئا ، فتطيب انفسكم ان نبعث به الى امير
المؤمنين ؟ فان له بردا (١٢) ومؤونة « ، فقالوا : « نعم ، قد طابت انفسنا »
فجعل تلك الحلية في سبط (١٣) ثم بعث برجل من قومه فقال : « اركب بها
فاذا أتيت البصرة ، فاشتر على جوائز امير المؤمنين راحلتين فأوقرهما زادا
لك ولقلامك ، ثم سر الى امير المؤمنين « ، ففعل . وقدم الرسول بالبشارة
وبالسبط الى عمر وهو ينفدي الناس متكئا على عصا كما يصنع الراعي ،

(٦) يريد : اذا كانوا معكم في جهاد عدوكم .

(٧) وزد كذا في الطبري (٣٦٠/٣) . اما في ابن الاثير (١٩/٣) فقد ورد : الجزية . والجزية
على الرؤوس والخراج على الارض . وبذلك يكون ما ورد في ابن الاثير أصح .

(٨) تفلوا : أغل الرجل ، خان في المقتم او مال الدولة .

(٩) تمثلوا : تتكلموا بالانسان بجذع انفه او قطع اذنه او غيرها من اعضائه .

(١٠) الرثة : البالي والسقط من متاع البيت .

(١١) الطبري (٣٦٠/٣ - ٢٦١) وانظر ابن الاثير (١٩/٣)

(١٢) برد : برد حقه على فلان ، اي لزم وحبس . ويريد ان امير المؤمنين له حق علينا
واجب الاداء .

(١٣) سبط : وعاء يوضع فيه الطبيب وما اشبهه .

وهو يدور على القصاع يقول : « يا يرفا ! زد هؤلاء لحما . . . زد هؤلاء خبزاً . . . زد هؤلاء مرفة » .

قال رسول سلمة : « فلما دفعت اليه قال : اجلس ، فجلست في ادنى الناس ، فاذا طعام فيه خثونة ، طعامي الذي معي اطيب منه ، فلما فرغ الناس قال : يا يرفا ! ارفع قصاعك . ثم ادبر فأتبعته ، فدخل داراً ، ثم دخل حجرة ، فاستأذنت وسلمت ، فأذن لي ، فدخلت عليه ، فاذا هو جالس على منسج (١٤) متكئ على وسادتين من ادم (١٥) محشوتين ليفاً ، فنبت الي بأحدهما فجلست عليها ، فاذا بهو في صفة (١٦) فيها بيت عليه ستير ، فقال : يا أم كلثوم ! غداً . فأخرجت اليه خبزة بزيت في عرضها ملح لم يدق . فقال : يا أم كلثوم ! ألا تخرجين الينا تأكلين معنا من هذا ؟ قالت : اني اسمع عندك حس رجل . قال : نعم ولا اراه من أهل البلد . قالت : لو اردت أن اخرج الى الرجال لكسوتني كما كسا ابن جعفر امراته ، وكما كسا الزبير امراته ، وكما كسا طلحة امراته ! قال : وما يكفيك أن يقال : أم كلثوم بنت علي بن ابي طالب وامراة امير المؤمنين عمر ؟ فقالت : ان ذلك عني لقليل الفناء . فقال عمر : كل ، فلو كانت راضية لاطعمتك اطيب من هذا ! قال : فاكلت قليلاً ، وطعامي الذي معي اطيب منه ، واكل فما رأيت احداً احسن اكلًا منه . ما يتلبس (١٧) طعامه بيده ولا فمه . ثم قال : اسقوني ! فجاءوا بعسر (١٨) من سلئت (١٩) ، فقال : اعط الرجل ، فشربت قليلاً ، سويقي الذي معي اطيب منه ، ثم اخذه فشربه حتى قرع القدح جبهته وقال : الحمد لله الذي اطعمنا فأشبعنا ، وسقانا فأروانا . ثم قال : انك لضعيف الاكل ضعيف الشرب . وقال : ايضاً ؟ قلت : رسول سلمة ! قال : مرحباً بسلمة وبرسوله ، وكأنما خرجت من صلبه . حدثني عن المهاجرين كيف هم ؟ قلت : هم يا امير المؤمنين كما تحب من السلامة والظفر على عدوهم . قال : كيف اسعاهم ؟ قلت : أرخص اسعار ! قال : كيف اللحم فيهم ؟ فانها شجرة العرب لا تصلح العرب الا بشحرتها . قلت : البقرة فيهم بكذا والشاة فيهم بكذا . يا امير المؤمنين ! سرنا حتى لقينا عدونا من المشركين ، فلمعوناهم الى ما أمرتنا به من الاسلام فأبوا ، فدعوناهم الى الخراج فأبوا ، فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم ، فقتلنا المقاتلة وسببنا الذرية

(١٤) مسح : الكساء من شعر ، وثوب المراهب ، والجادة من الارض

(١٥) ادم : جلد .

(١٦) الصفة : الظلة . والبهو الواسع العالي السقف .

(١٧) تلبس : تلبس الطعام باليد ، التزق . يريد أنه يلتهم طعامه التهاوناً .

(١٨) عس : القدح الكبير .

(١٩) سلئت : ضرب من الشعر ليس له ثمر يشبه الحنطة .

وجمعنا الرثة ، فرأى سلمة في الرثة حلية فقال للناس : ان هذا لا يبلغ فيكم شيئا ، فتطيب أنفسكم ان أبعث به الى امير المؤمنين ؟ فقالوا : نعم . فاستخرجت سفطي ، فلما نظر الى تلك الفصوص من بين احمر وأصفر وأخضر ، وثب ثم جعل يده في خاصرته ، ثم قال : لا أشبع الله اذا بطن عمر ! فظن النساء اني أريد ان أغتاله ، فجئن الى الستر ، فقال كف ما جئت به ، يا يرفا ! جا (٢٠) عنقه ! قال : فانا أصلح سفطي وهو يجأ عنقي . قلت : يا امير المؤمنين ! ابدع بي فاحملني . قال : يا يرفا ! أعطه راحلتين من الصدقة ، فاذا لقيت أفقر اليهما منك فادفعهما اليه . قلت : أفعل يا امير المؤمنين . قال : اما والله لئن تفرق المسلمون في مشاتيهم قبل ان يقسم هذا فيهم ، لأفعلن بك وبصاحبك الفاقة (٢١) . قال : فارتحلت حتى أتيت سلمة فقلت : ما بارك الله لي فيما اختصصني به ! اقسم هذا في الناس قبل ان يصيبني وأياك فاقرة ! فقسمه فيهم ، والفص يباع بخمسة دراهم وستة دراهم وهو خير من عشرين الفا» (٢٢) .

لا املك ان أعلق على هذا الكلام بشيء ، ولا يملك غيري ان يعلق .. الا اذا اراد ان يفسد معانيه .. ان أبلغ تعليق عليه سيفسد روعته ويسدل عليه ستارا ماديا فقط ، وهذا الكلام كله روح .

ولكنني اقول : كيف كانوا ، وكيف أصبحنا ؟! كيف كان حكمهم ، وكيف أصبحوا !! بهذه الاستقامة المطلقة اندفع المسلمون شرقا وغربا .. فلما تخلوا عن مثلهم العليا انكمشوا حتى في عقر بلادهم شرقا وغربا .

بمثل هذه المثل العليا فتح المسلمون ما فتحوا ، فلا يدعش أحد من سرعة تيار الفتح الاسلامي ... انه كان بالروح التي اخترقت الحجب واجتازت الحدود وهلمت السدود وحطمت القيود ... انها الروح التي تتغلغل الى كل مكان بأسرع وقت وأقصر زمان ، أما المادة وحدها ، فهل تستطيع ذلك !!!

تري ! هل في العالم كله مثل هذه النزاهة المطلقة ومثل هذا السمو الروحي ؟! اني اتحدى ...

نزل سلمة الكوفة (٢٣) وله رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم (٢٤)،

(٢٠) وجأ فلانا بجؤه وجئا : دفعه بجمع كفه في الصدر او العنق . ويقال : وجأه باليد والسكين ، اي ضربه .

(٢١) الفاقة : الداهية ، اي تقومون في داهية ..

(٢٢) الطبري (٢٦١/٣ - ٢٦٢) وانظر ابن الاثير (١٩/٢)

(٢٣) طبقات ابن سعد (٣٣/٦) والاصابة (١١٨/٢)

(٢٤) الاصابة (١١٨/٢)

وقد روى سبعة احاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم (٢٥) وروى عنه بعض الرجال (٢٦) وكان من أهل العلم والفقه (٢٧) .

وسكت عنه المؤرخون فلم يذكروا عنه شيئا آخر ، ولكن حسبه ان يترك للأجيال قصته الخالدة مع عمر بن الخطاب ، وكفى ...

القائد :

الحق انه ليس من السهل استنباط سجايا سلمة القيادية من أعماله العسكرية في الاهواز ، لأن التاريخ لم يذكر تفاصيلها التي تساعد مؤرخه ان يفعل ذلك .

ولكن دراسة اسلوب عمر في انتقاء القادة ، تجعلنا نتبين بوضوح ان سلمة كان يمتاز ببعض الصفات التي أهلتته لأن يتولى منصب القيادة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وما اصعب ان يتولى مثل هذا المنصب رجل في عهد عمر ، ما لم تتوفر فيه مزايا قيادية ممتازة .

فقد رأينا انه كان فقهيا عالما ، ولا بد ان يكون له ماض مجيد في الحروب ، ولا بد ان يكون ذا شخصية قوية نافذة ، محبوبا من رجاله موثوقا به ، يبادل رجاله حبا بحب وثقة بثقة ، ميمون النقيبة كامل العقل بصيرا بتدبير الحروب ومواقفها ومواقع الفرص والحيل والمكايده ، حسن التعبئة ، حسن السيرة عفيفا صارما حذرا متيقظا شجاعا سخيا (٢٨) .

لقد كان سلمة قائدا جيدا ...

سلمة في التاريخ :

يذكر التاريخ لسلمة قضاءه على مقاومة الاكراد في الاهواز واخضاعهم لسيطرة دولة الاسلام .

ويذكر له قصته الممتعة ذات العبر التي لا تنقضي مع عمر بن الخطاب . رضي الله عن الفارس المفوار ، التقى النقي ، العالم العامل ، الفقيه المحدث ، القائد الفاتح ، سلمة بن قيس الأشجعي الفطفاني .

(٢٥) اسماء الصحابة الرواة - ملحق بجوامع السيرة لابن حزم (٢٨٧) وفي الاصابة (١١٨/٣) : انه روى ثلاثة احاديث .

(٢٦) الاستيعاب (٦٤٢/٢) واسد الغابة (١٣٣٩/٢) والاصابة (١١٨/٣)

(٢٧) الطبري (٢٦٠/٣) وابن الاثير (١٩/٣)

(٢٨) انظر مزايا القائد في مختصر سياسة الحروب للهرثمي (١٧) .

أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِي

فَاتَحَ الْأَهْوَازَ^(١) وَالسُّوسَ^(٢) وَأَصْبَدَانَ^(٣)
وَالدِّيْنُورَ^(٤) وَمَاسَبْدَانَ^(٥) وَقَاشَانَ^(٦) وَقَمَ^(٧)

« سيد الفوارس ابو موسى »

(محمد رسول الله)

مع النبي :

أبو موسى الأشعري هو : عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن
حرب بن عامر الأشعري (٨) . وأمه ظبية بنت وهب بن عك (٩) ؛ وهو من

(١) الأهواز : منطقة واسعة مؤلفة من سبع كور بين البصرة وفارس ، لكل كورة منها
اسم ويجمعهن الأهواز . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٢٨٠) ويقال لها : خوزستان .
انظر آثار البلاد وأخبار العباد ص (١٥٢)

(٢) السوس : بلد بالأهواز ، وهي تعريب الشوش ، ومعناه : الحسن والنزه والطيب .
راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٧١/٥) والمسالك والممالك ص (٦٤) .

(٣) أصبهان : أو أصفهان ، مدينة عظيمة كانت عاصمة من عواصم العراق المعجمي يطلق
عليه اسمها . وكانت تتألف من مدينتين : جيّ واليهودية ، وجيّ هي القصبة . انظر
التفاصيل في معجم البلدان (٢٦٩/١)

(٤) الدينور : مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين ؛ بين الدينور وهمدان نيف وعشرون
فرسخا ، ومن الدينور الى شهرزور أربع مراحل ، والدينور بمقدار ثلثي همذان . انظر
التفاصيل في معجم البلدان (١٨٨/٤) والمسالك والممالك ص (١١٧)

(٥) ماسبذان : مدن عدة أطلق عليها اسم مدينة : ماسبذان ، وهي مدينة مشهورة يقرب
السيروان تقع في وسط الطريق بين حلوان وجنديسابور . انظر التفاصيل في معجم البلدان
(٣٦٢/٧) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٢٦٠)

(٦) قم : مدينة تذكر مع قاشان ، وهي مدينة مستحدثة اسلامية . انظر التفاصيل في
معجم البلدان (١٥٩/٧) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٤٢)

(٧) قاشان : مدينة قرب أصبهان تذكر مع قم ، بينها وبين قم اثنا عشر فرسخا . انظر
معجم البلدان (١٣/٧) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٣٢) .

(٨) انظر نسبه في طبقات ابن سعد (١٠٥/٤) والاصابة (١١٩/٤) واسد الغابة (٢٤٥/٣)
والاستيعاب (٩٧٩/٣)

(٩) الاستيعاب (٩٧٩/٣)

بني الأشعر من قحطان . ولد في (زَيْبِد) (١٠) باليمن وقدم مكة مع اخوته في جماعة من الاشعرين ، فحالف سعيد بن العاص بن أمية ابا احبحة ، ثم أسلم بمكة (١١) وهاجر الى أرض الحبشة (١٢) ؛ وقيل : بل رجع الى بلاده وقومه ولم يهاجر الى الحبشة (١٣) ؛ والصحيح ، أن ابا موسى انصرف الى قومه بعد اسلامه ، فأقام بها ، ثم قدم مع اخوته وبعض الاشعرين نحو خمسين رجلا في سفينة ، فألقتهم الريح الى النجاشي بأرض الحبشة ، فوافقوا خروج جعفر بن أبي طالب وأصحابه منها عائدين الى المدينة المنورة ، فاتوا معهم وقدمت السفينتان معا : سفينة الاشعرين وسفينة جعفر وأصحابه - على النبي صلى الله عليه وسلم في حين فتح (خيبر) (١٤) . ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم بقدوم ابي موسى وجماعته ، بشر أصحابه بمقدمهم قائلا : « يقدم عليكم اقوام هم ارق منكم قلوبا » ، فقدم الاشعريون فيهم ابو موسى ؛ فلما دنوا من المدينة المنورة جعلوا يرتجزون :

اليوم نلقى الاحبه محمدا وصحبه (١٥) .

ولما نزلت الآية الكريمة : (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « هم قوم هذا » ، يعني : ابا موسى الاشعري (١٦) .

وكانت (خيبر) أول مشاهد ابي موسى (١٧) . وبرز اسمه في غزوة (حنين) ، فقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم ابا عامر الاشعري عم ابي موسى (١٨) لمطاردة المنسحبين من المشركين بعد (حنين) بانجسائه (أوطاس) (١٩ أ) ، اذ تجمعت هوازن هناك ، ولكن ابا عامر استشهد فأخذ

(١٠) زيبيد : اسم واد به مدينة غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف الا به . وهي مدينة مشهورة باليمن . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٥/٤)

(١١) الاصابة (١١٩/١٤) وأسد الغابة (٢٤٥/٢) وطبقات ابن سعد (١٦/٦)

(١٢) سيرة ابن هشام (٤١٦/٢) وجوامع السيرة لابن حزم ص (٥٨) .

(١٣) الاستيعاب (١٨٠/٣)

(١٤) طبقات ابن سعد (١٠٦/٤) والاستيعاب (٩٦٠/٣)

(١٥) طبقات ابن سعد (١٠٦/٤)

(١٦) طبقات ابن سعد (١٠٧/٤)

(١٧) طبقات ابن سعد (١١٦/٦)

(١٨) أبو عامر الاشعري : اسمه عبيد بن سليم ، وهو عم ابي موسى . أسلم قديما وهاجر الى الحبشة . ولما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من حنين بعثه الى (أوطاس) فلقى دريد بن الصمة فقتله . ثم رمى بسهم في ركبته ، فأشار الى قاتله قائلا : ان هذا قاتلي ، فقصده أبو موسى وقتله . ومات أبو عامر شهيدا من تلك الرمية . انظر الاصابة (١٢٠/٧) وانظر التفاصيل في الاستيعاب (١٧٠٤/٤)

(١٩ أ) أوطاس : واد في ديار هوازن . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٥/١)

أبو موسى الراية وشدّ على قاتل عمه فقتله (١٩) ؛ وقيل : أن أبا موسى قتل يومئذ تسعة أخوة من المشركين : يدعو كل واحد الى الإسلام ثم يحمل عليه فيقتله (٢٠) ؛ وكانت نتيجة هذه المعركة انتصار المسلمين بقيادة أبي موسى على المشركين . وعاد أبو موسى الى النبي صلى الله عليه وسلم فدعا لعمه الشهيد ودعا له قائلاً : « اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما » (٢١) .

لقد كان أبو موسى موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم : بعثه ومنعاذ بن جبل الى اليمن ، وولاه (زبيد) و (عدن) (٢٢) و (رمع) (٢٣) والساحل (٢٤) ؛ وكان أحد اثنين أذنا عليه (٢٥) . ولما ولد لأبي موسى غلام أتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، فسماه : إبراهيم ، وحشكه بتمر (٢٦) ؛ مما يدل على ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم بأبي موسى وتقريبه له واعتماده عليه .

جهاده :

١ - كان أبو موسى على عمله باليمن حين ظهر بها الاسود العنسي مدّعي النبوة ، وذلك في أواخر أيام النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فلما أشتد أمر الاسود العنسي لحق أبو موسى مع أمراء اليمن الآخرين بحضرموت ، فبذلوا أقصى جهودهم للقضاء على الاسود العنسي ، فنجحوا في قتله وتفريق شمل رجاله ، وعادت اليمن الى الإسلام قبل أيام قليلة من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فوصل البشير الى المدينة حيث وجد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد التحق بالرفيق الأعلى (٢٨) .

-
- (١٩) جوامع السيرة لابن حزم ص (١٩) والاستيعاب (١٧٠٤/٤) والاصابة (١٢٠/٧) وفتح الباري بشرح البخاري (٢٤/٨)
(٢٠) جوامع السيرة ص (٢٤١)
(٢١) سيرة ابن هشام (٨٧/٤) وانظر فتح الباري بشرح البخاري (٣٥/٨) حول دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأبي موسى .
(٢٢) عدن : مدينة تجارية على ساحل البحر العربي من ناحية اليمن . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٢٧/٦)
(٢٣) رمع : قرية أبي موسى ببلاد الاشعرين في اليمن قرب غسان وزبيد . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٨٥/٤)
(٢٤) جوامع السيرة ص (٢٣) والاصابة (١١٩/٤)
(٢٥) جوامع السيرة ص (٢٧)
(٢٦) طبقات ابن سعد (١٠٧/٤)
(٢٧) ابن الأثير (١٢٨/٢)
(٢٨) ابن الأثير (١٣٠/٢) .

وارتد أهل اليمن ثانية في عهد الصديق أبي بكر ، فكان لصمود أبي موسى مع من ثبت على الاسلام اثر كبير في انتصار المسلمين على أهل الردة وعودة المرتدين الى الاسلام .

٢ - وبقي أبو موسى عاملاً على (زبيد) و(رمع) و(عدن) والساحل طيلة أيام أبي بكر (٢٩) ، ولكنه أثر الجهاد في عنفوان موجة الفتح الاسلامي ؛ فكان مع عياض بن غنم في فتح (الجزيرة) حيث أرسله لفتح (تَصْيَبِينَ) فشهد فتحها (٣٠) .

٣ - والتحق أبو موسى بأبي عبيدة بن الجراح بأرض الشام بعد فتح (الجزيرة) فشهد بعض فتوحات الشام تحت لواء أبي عبيدة (٣١) وبقي مع أبي عبيدة حتى مات بالطاعون فشهد أبو موسى موته (٣٢) .

٤ - ولما عزل عمر بن الخطاب المفيرة بن شُعْبَةَ عن البصرة استعمل أبا موسى عليها (٣٣) وكانت البصرة حينذاك من أكبر قواعد المسلمين ؛ منها تسير الجيوش لفتح المشرق ، فجمع أبو موسى قواته ودفعها الى مدينة (الأهواز) ففتحها (٣٤) ، كما شهد فتح مدينة (السوس) (٣٥) ، اذ كان على أهل البصرة وكان القائد العام هو أبو سبرة بن أبي رَهم ، فشهد أبو موسى فتح هذه المدينة (٣٦) .

وسار أبو موسى الى (تَسْتَر) (٣٧) على رأس أهل البصرة فشهد فتحها (٣٨) ، ولكن عمر بن الخطاب رده الى البصرة (٣٩) .

(٢٩) الطبري (٦١٧/٢) وابن الاثير (١٦١/٢) .

(٣٠) في الطبري (١٥٦/٣) وابن الاثير (٢٠٦/٢) وأسد الغابة (٢٤٦/٣) ؛ انه فتح نصيبين . والصحيح أن الذي فتح نصيبين هو عبدالله بن عبدالله بن عتيان . انظر الطبري (١٥٦/٣ - ١٥٧) وابن الاثير (٢٠٥/٢ - ٢٠٦) ، وانظر ترجمة عبد الله بن عبدالله بن عتيان في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة (٤٤٢ - ٤٤٨) . لذلك أرجح أن أبا موسى شهد فتح نصيبين ولم يفتحها هو .

(٣١) الإصابة (١٢٠/٤)

(٣٢) الطبري (١٦١/٢) وأسد الغابة (٢٤٦/٣)

(٣٣) طبقات ابن سعد (١٠٩/٤) والإصابة (١١٩/٤) وابن الاثير (٢٠٩/٢)

(٣٤) الإصابة (١٢٠/٤) وأسد الغابة (٢٤٦/٣) وجمل فتوح الاسلام - ملحق بجوامع

السيرة ص (٢٤٧)

(٣٥) البلاذري ص (٣٧٢)

(٣٦) الطبري (١٨١/٢) وانظر ترجمة أبي سبرة بن أبي رهم في هذا الكتاب .

(٣٧) تستر : أعظم مدينة بخورستان وهي شوشتر . انظر التفاصيل في معجم البلدان

(٢٨٦/٢)

(٣٨) الطبري (١٨١/٢)

(٣٩) ابن الاثير (٢١٤/٢)

وقبل فتح (تستر) قدم وفد من وجوه أهل فارس إلى أبي موسى لمفاوضته ، فقال رئيس الوفد : « أنا قد رغبنا في دينكم فنسلم على أن نقاتل معكم العجم ولا نقاتل معكم العرب ؛ وإن قاتلنا أحد من العرب منعتمونا منه ؛ وننزل حيث شئنا ونكون فيمن شئنا منكم ، وتلقوننا بأشراف العطاء ، ويعقد لنا الأمير الذي فوقك بذلك » . فقال أبو موسى : « بل لكم ما لنا وعليكم ما علينا ! » ، قالوا : « لا نرضى ! » . وكتب أبو موسى بذلك إلى عمر ، فكتب عمر إلى أبي موسى : « أعطهم ما سألوكم » ، فكتب إليهم أبو موسى ، فأسلموا وشهدوا معه حصار (تستر) ، فألحقهم أبو موسى على قدر البلاء في أفضل العطاء (٤٠) وهذا يدل على أن الذين يسلمون من العجم ويقاتلون مع المسلمين ينالون أوفر العطاء ويحتلون أرفع المراكز !!

ذلك هو تسامح الإسلام حتى مع المفلولين في ساحات القتال !

٥ - وشهد أبو موسى على رأس أهل البصرة معركة (نهاوند) الحاسمة تحت لواء النعمان بن مقرن المزني ، فلما فتحها المسلمون غادر أبو موسى (نهاوند) فمر (بالدينور) وأقام عليها خمسة أيام فصالحه أهلها على الجزية ، كما صالح أهل (ماسبدان) و (سيروان) (٤١) على الجزية أيضا . (٤٢)

٦ - ولما بعث عمر بن الخطاب عبدالله بن عبدالله بن عتبة إلى (أصبهان) أمده بأبي موسى ، فدخل عبدالله وأبو موسى (أصبهان) فاتحين (٤٣) ؛ فرد عمر أبا موسى إلى البصرة (٤٤) ثم ولّاه الكوفة بعد عمّار ابن ياسر (٤٥) فبقي فيها سنة ثم صرفه عمر إلى البصرة (٤٦) ، ففتح هو وعثمان بن أبي العاص الثقفي مدينة (شيراز) (٤٧) و (أرجان) (٤٨) ،

(٤٠) الطبري (١٨٦/٣)

(٤١) السيروان : كورة بالجبل وهي كورة ماسبدان . انظر معجم البلدان (١٩٦/٥)

(٤٢) ابن الأثير (٦/٣) والبلاذري ص (٣٠٤) . وفي رواية أن ضراد بن الخطاب القوي

هو الذي فتح ماسبدان . انظر ترجمة ضراد في هذا الكتاب . كما أن حذيفة بن اليمان هو الذي فتح الدينور . انظر ترجمة حذيفة بن اليمان في هذا الكتاب أيضا .

(٤٣) الطبري (٢٠٤/٣)

(٤٤) ابن الأثير (١١/٣)

(٤٥) ابن الأثير (١٢/٣)

(٤٦) ابن الأثير (١٣/٣) وأسد الغابة (٤٦/٣)

(٤٧) شيراز : مدينة في وسط بلاد فارس . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٢٠/٥)

(٤٨) أرجان : مدينة كثيرة بينها وبين البحر مرحلة وبينها وبين شيراز ستون فرسخا .

انظر معجم البلدان (١٧٩/١)

وفتحا (سينيز) (٤٩) على الجزيرة (٥٠) . كما أنه فتح (قم) و
(قاشان) (٥١) ، كما أنه استعاد فتح (سابور) (٥٢) بعد نقضها
المعهد (٥٣) .

لقد فتح أبو موسى بلادا شاسعة جدا من أرض فارس وشهد كثيرا من
فتح (الجزيرة) وأرض الشام .

الانسان :

بقي أبو موسى والياً على البصرة حتى مقتل عمر بن الخطاب ، فأقره
عثمان عليها ثم صرفه (٥٤) ، ولكنه عاد فولاه الكوفة بطلب من أهلها (٥٥) .

وعندما أثار الشغب على عثمان بعض رجال الكوفة ، قام أبو موسى
خطيباً فقال : « ايها الناس ! لا تنفروا في مثل هذا ولا تعودوا لمثله . الزموا
جماعتكم والطاعة ، وإياكم والعجلة ! » ، فقال الذين شغبوا على عثمان : فصل
بنا ! قال : « لا ، إلا على السمع والطاعة لعثمان بن عفان » . قالوا :
السمع والطاعة لعثمان (٥٦) . وهكذا ضرب أبو موسى مثلاً رقيقاً في العمل
للمصلحة العامة ونكران الذات ، إذ لم يفكر لحظة في الشغب على عثمان
انتقاماً منه على عزله عن البصرة دون مبرر . وبذل أبو موسى غاية جهده
لعدم إشعال نيران الفتنة الكبرى بين المسلمين ، ولما علم بتجمع الحاقدين
على عثمان من الأمصار في المدينة ، أرسل القعقاع بن عمرو التميمي على
رأس جيش من أهل الكوفة لانتقاد عثمان (٥٧) ، ولكن عثمان قتل قبل أن
يدركه جيش القعقاع أو تدركه جيوش الأمصار الأخرى (٥٨) .

(٤٩) سينيز : بلد على ساحل الخليج العربي أقرب إلى البصرة من سیراف . انظر معجم
البلدان (٢٠١/٥)

(٥٠) ابن الأثير (١٦/٣) والبلاذري ص (٣٨٠)

(٥١) البلاذري ص (٣١٠) وجمل فتوح الاسلام - ملحق بجوامع السيرة ص (٣٤٦) وقد
جرى فتحها بمعاونة الأحنف بن قيس . انظر ترجمة الأحنف في هذا الكتاب .

(٥٢) سابور . كورة واسعة مدينتها سابور ، وهي كورة مشهورة بأرض فارس . انظر
التفاصيل في معجم البلدان (٤/٥)

(٥٣) البلاذري ص (٢٨١)

(٥٤) الإصابة (١٢٠/٤) وأسد الغابة (٢٤٦/٣) والاستيعاب (٩٣٠/٣)

(٥٥) ابن الأثير (٥٩/٣)

(٥٦) الطبري (٣٧٢/٣)

(٥٧) ابن الأثير (٦٢/٣)

(٥٨) الطبري (٤٠٢/٣) وابن الأثير (٦٦/٣)

وكان أبو موسى لا يزال أميراً على الكوفة حين قتل عثمان (٥٩) ، فكتب إلى علي بن أبي طالب بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم له ، ويبيّن الكاره منهم للذي كان والراضي ومن بين ذلك ، حتى كان علي بن أبي طالب يشاهدهم (٦٠) .

ومع ذلك ، كان من رأي أبي موسى القعود عن الفتنة ، وقد سأل علي رجلاً قدم من الكوفة عن أبي موسى ، فقال له الرجل : « ان أردت الصلح فأبى موسى صاحبه ، وان أردت القتال فليس بصاحبه » (٦١) . وسأل أهل الكوفة أبا موسى عن رأيه في القتال ، فقالوا : ما ترى في الخروج ؟ فأجابهم : « القعود سبيل الآخرة ، والخروج سبيل الدنيا ؛ فاخترأوا ! » (٦٢) . وخطب بالكوفة فكان مما قاله : « هذه فتنة صماء ، النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خير من الراكب ، والراكب خير من الساعي ؛ فكونوا جرثومة من جراثيم العرب ؛ فاغمدوا السيوف ، وانصلوا الاسنة ، واقطعوا الاوتار ، وآووا المظلوم والمضطهد ، حتى يلتئم هذا الامر وتنجلي هذه الفتنة » (٦٣) .

وأرسل علي بن أبي طالب ابنه الحسن وعمار بن ياسر إلى أبي موسى ، فخرج أبو موسى فلقى الحسن فضمه إليه . وأقبل على عمار فقال : « يا أبا اليقظان ! أعدوت فيمن عدا على أمير المؤمنين ، فأحلت نفسك مع الفجار ! » ، فقال : « لم أفعل ولم تسوؤني !! » . وقطع الحسن عليهما ، فأقبل علي بن أبي موسى فقال : « لم تثبط عنا ، فوالله ما أردنا الا الإصلاح ، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء » . فقال أبو موسى : « صدقت بأبي أنت وأمي ، ولكن المستشار مؤتمن . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انها ستكون فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، والماشي خير من الراكب ؛ وقد جعلنا الله عز وجل اخوانا ، وحرّم علينا أموالنا ودماءنا وقال : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ، ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيماً .) (٦٤) ، وقال جل وعز : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها ، وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذاباً عظيماً) (٦٥) » ؛

(٥٩) الطبري (٤٤٦/٣)

(٦٠) ابن الأثير (٧٩/٣)

(٦١) ابن الأثير (٨٨/٣)

(٦٢) الطبري (٤٩٦/٣)

(٦٣) الطبري (٤٩٧/٣) وابن الأثير (٨٩/٣)

(٦٤) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٢٨)

(٦٥) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٩٢)

فعزل علي بن أبي طالب أبا موسى عن الكوفة (٦٦) ، وكان قد أقره قبل ذلك بينما عزل غيره من عمال عثمان (٦٧) .

واعتزل أبو موسى الفتنة ، ولكنه لم يفارق عليًا ، وكان ممثله في التحكيم وكان ممثل معاوية عمرو بن العاص ، فاجتمع الناس (بأذرح) (٦٨) وحضرها سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وغيرهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقدم عمرو أبا موسى فتكلم فخلع عليا . وتكلم عمرو فآقر معاوية وباع له ، وتفرق الناس على غير هذا (٦٩) .

لقد كان أبو موسى يحرص أشد الحرص على اخماد نيران الفتنة بين المسلمين ؛ ولست أشك أنه كان يعمل لآخرفته أكثر مما كان يعمل لدنيائه ، وكان راغبا عن الفتنة كارها لقتال المسلمين ، وكانت حجته الواضحة لتبرير موقفه ، هو أنه لا يمكن أن يقاتل قوما يؤمنون بالله ويصدقون رسوله ، ولا محل أبدا لزعم بعض المؤرخين أن أبا موسى كان مغفلا لا علم له بالسياسة ، لذلك غدر به عمرو بن العاص ، ولكنه كان يريد الله بكل أعماله ، وما اصدق الحسن في قوله : « كان الحكماء أبو موسى وعمرو بن العاص ، وكان أحدهما يبتغي الدنيا والآخر يبتغي الآخرة » (٧٠) .

ان دراسة حياة هذا الصحابي الجليل بامعان ، تؤكد أنه لم يكن مغفلا وتنفي عنه الفعلة نفيا قاطعا ، والا لما ولاه الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، ولما اختاره أهل الكوفة لولاية مصرهم حين ظهرت الفتنة واشتدت أيام عثمان ، ولكنه كان رجلا ورعا تقيا سمح النفس رضي الخلق .

لقد كان ذكيا غاية الدكاء ، وكان لدكائه يقولون عنه : ما كنا نشبهه كلام أبي موسى الا بالجزار الذي لا يخطيء الفصل (٧١) . . ومن أقواله في القضاء : « لا ينبغي للقاضي أن يقضي حتى يتبين الليل من النهار » ، فبلغ قوله عمر فقال : « صدق أبو موسى » (٧٢) . وقال ابن المديني : « قضاة الامة اربعة : عمر وعلي وأبو موسى وزيد بن ثابت » . وقال الشعبي : « انتهى العلم الى ستة » وذكر أبا موسى فيهم . وقال الحسن البصري :

(٦٦) ابن الاثير (٩١/٣) وأسد الغابة (٢٤٦/٣)

(٦٧) اليعقوبي (١٥٥/٢)

(٦٨) أذرح : بلد في أطراف الشام من نواحي البلقاء وسمان (شرقي الاردن) مجاورة لارض

الحجاز . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦١/١)

(٦٩) طبقات ابن سعد (٣٣/٣)

(٧٠) طبقات ابن سعد (١١٢/٤)

(٧١) طبقات ابن سعد (١١١/٤)

(٧٢) طبقات ابن سعد (٣٤٥/٢)

« ما أتاها - يعني البصرة - راكب خير لأهلها منه » - يعني أبا موسى - (٧٣) .
 وكان أبو موسى أحد خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كانوا يفتون في المدينة ويقتدى بهم ، على عهد النبي صلى الله عليه وسلم
 ومن بعده (٧٤) وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة حديث
 وستين حديثاً (٧٥) ، كما روى عن الخلفاء الأربعة ومعاذ وابن مسعود وأبي
 ابن كعب وعمار بن ياسر ؛ وروى عنه كثير من الصحابة والتابعين (٧٦) .

وكان دقيقاً غاية الدقة في تحري العلم : في نقله وفي تعليمه ، وهو
 القائل : « من علمه الله علماً فليعلمه ، ولا يقول ما ليس له به علم فيكون من
 المتكلفين ويمرق من الدين » (٧٧) . وهو الذي فقه أهل البصرة
 وأقرأهم (٧٨) .

وكان بالإضافة إلى ذلك موضع ثقة الناس ، يشقون به ثقة لا حدود
 لها . كتب عمر في وصيته : لا يقر لي عامل أكثر من سنة وأقروا الأشعري
 أربع سنين (٧٩) ، وقال عمر عنه : « إنه كيس » (٨٠) .

وقد انتخبه أهل الكوفة وألبا عليهم في عهد عثمان ، فنزل عثمان على
 أرادتهم (٨١) ، ومن النادر أن يرضى أهل الكوفة عن أمير !! . ولما بعث علي
 ابن أبي طالب عمارة بن شهاب وكانت له هجرة وألبا على الكوفة خلفاً لأبي
 موسى ، علم وهو في طريقه إليها : أن أهلها لا يريدون بأخيراًهم أبي موسى
 بديلاً ، فرجع عمارة إلى علي بالخبر (٨٢) . كما انتخبه الناس حكماً عن
 جماعة علي بن أبي طالب واستكروها أمير المؤمنين على ذلك (٨٣) . كل هذا
 يدل على مبلغ ثقة الناس بأبي موسى ومقدار شعبيته الطاغية ، فهو زعيم
 شعبي بحق كما نعبر عن أمثاله اليوم - أن كان له أمثال - !

(٧٣) الإصابة (٤/١٢٠)

(٧٤) طبقات ابن سعد (٢/٣٢٤ - ٣٢٤) ، وانظر أصحاب الفتيا ومن بعدهم على مراتبهم

- ملحق بجوامع السيرة ص (٣٢٠)

(٧٥) أسماء الصحابة الرواة - ملحق بجوامع السيرة ص (٢٧٦)

(٧٦) الإصابة (٤/١٢٠)

(٧٧) طبقات ابن سعد (٤/١٠٩)

(٧٨) الإصابة (٤/١٢٠)

(٧٩) الإصابة (٤/١٢٠)

(٨٠) طبقات ابن سعد (٢/٣٤٥) . والكيس : ضد الحق ، أي أنه عاقل مثزن ذكي المي

(٨١) أسد الغابة (٣/٢٤٦) وابن الأثير (٣/٥٧)

(٨٢) ابن الأثير (٣/٧٨)

(٨٣) أسد الغابة (٣/٢٤٦)

وكان بالإضافة الى كل ذلك اداريا حازما ، فهو الذي بنى المسجد ودار
الإمارة في البصرة وشنق نهرا لها (٨٤) ؛ وكان يعمل للمصلحة العامة ناسيا
مصلحته ، فقد خرج حين نزع عن البصرة وما معه الا ستمائة درهم عطاء
عياله (٨٥) . ولم يكن يحب الإمرة ، وكان يعتبرها تكليفا لا تشريفا ، ولم
يكن أنانيا يرى نفسه ويحبها ولا يرى غيره ولا يحبه ، وقد اطرى خلفه
عبدالله بن عامر حين تولى البصرة خلفا له فقال : « جاءكم غلام كثير العمات
والخالات والجذات في قريش يفيض عليكم المال فيضا » (٨٦) ، وشتان بين
الأميرين .

وكان كثير التدبُّن ورعاً غاية الورع ، وكان لشدة ورعه اذا نام لبس
ثيابا عند النوم مخافة أن ينكشف (٨٧) ، وكان يقول : « اني لاغتسل في
البيت الخالي فيمنعني الحياء من ربي أن أقيم صليبي » وكان اذا اغتسل
في بيت مظلم تجاذب وحنى ظهره حتى يأخذ ثوبه ولا ينتصب قائما (٨٨) .
وكان يؤمن بالقضاء والقدر ايمانا عجيبا ويسلم أمره كله لله تسليما مطلقا .
قال أحدهم لأبي موسى في طاعون وقع : « أخرج بنا الى (وأبق) (٨٩)
نبدو بها » فقال : « الى الله (أبق) لا الى (وأبق) » (٩١) .

وقدم كتاب معاوية اليه وفيه : « سلام عليك . اما بعد . فان عمرو
ابن العاص قد بايعني على الذي بايعني عليه ؛ واقسم بالله لئن بايعتني على
ما بايعني عليه لأبعثن بنيك أحدهما على البصرة والآخر على الكوفة ، ولا
يُفلق دونك باب ، ولا تقضى دونك حاجة ؛ واني كتبت اليك بخط يدي
فاكتب الي بخط يدك ! » ، فكتب اليه ابو موسى بخط يشبه العقارب : « اما
بعد . فانك قد كتبت الي في جسيم أمر امة محمد صلى الله عليه وسلم ؛
لا حاجة لي فيما عرضت علي » (٩٢) .

ولما أتى ابو موسى معاوية بعد استشهاد علي بن أبي طالب ، كانت

(٨٤) البلاذري ص (٣٤٢)

(٨٥) طبقات ابن سعد (١١١/٤)

(٨٦) اليعقوبي (١٤٣/٢)

(٨٧) طبقات ابن سعد (١١١/٤)

(٨٨) طبقات ابن سعد (١١٤/٤)

(٨٩) وأبق : الظاهر أنه مكان في البادية قريبا من البصرة . ولم اجد له ذكرا في معجم
البلدان وفي آثار البلاد .

(٩٠) أبق : أعرب ، يقال : أبق العبد : أي هرب .

(٩١) طبقات ابن سعد (١١١/٤)

(٩٢) طبقات ابن سعد (١١٢/٤)

عليه عمامة سوداء وحية سوداء ومعه عصا سوداء (٩٣) ، وكان السواد شعار العلويين وكان ارتداؤه حينذاك ذنباً عظيماً لا يفتفر !

انه لم يكن مغفلاً ، ولكنه كان يعمل لدينه عمل الصالحين الأبرار ، وكان يرى أن المناصب ومنها الخلافة تكليف لا تشریف ، ويرى أنها يجب أن تعطى عن طيبة خاطر ولا تؤخذ قسراً ، فكان يقول : « ان الامر ما أؤتمر فيها ، وان الملك ما غلب عليه بالسيف » (٩٤) .

وكان جميل الصوت رائعه . سمعه النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن ، فقال : « لقد أوتي هذا من مزامير آل داود ! » . وكان عمر اذا رآه قال له : « ذكرنا ربنا يا أبا موسى » ، فيقرأ القرآن عنده (٩٥) . وقال عمر مرة : « شوقنا الى ربنا » ، فقرأ أبو موسى ، فقالوا : الصلاة ! فقال عمر : « أولسنا في صلاة ! » (٩٦) .

وكان رجلاً خفيف الجسم ثظاً (٩٧) قصيراً (٩٨) . ولما حضرته الوفاة منع أهله من البكاء عليه وأجرا المراسيم غير الشرعية عند تشييع جنازته (٩٩) . وقد مات بالكوفة (١٠٠) سنة اثنتين وأربعين (٦٦٢م) وقيل أربع وأربعين وهو ابن ثلاث وستين سنة (١٠١) فيكون مولده سنة إحدى وعشرين قبل الهجرة (٦٠٢م) ، ودفن (بالثوية) (١٠٢) .

وهناك من يذكر : انه مات سنة خمسين للهجرة (١٠٣) ، ومن يذكر انه توفي سنة اثنتين وخمسين للهجرة (١٠٤) . وأرجح انه مات سنة اثنتين وأربعين (١٠٥) أو أربع وأربعين (١٠٦) لان الرسول صلى الله عليه وسلم

(٩٣) طبقات ابن سعد (١١٣/٤)

(٩٤) طبقات ابن سعد (١١٣/٤)

(٩٥) الاصابة (١٢٠/٤)

(٩٦) طبقات ابن سعد (١٠٩/٤)

(٩٧) اللط : الكوسج ، أي لا لحية كاملة له .

(٩٨) طبقات ابن سعد (١١٥/٤)

(٩٩) الاصابة (١٢٠/٤) واسد الغابة (٢٤٦/٣)

(١٠٠) وفي رواية انه مات ببكة

(١٠١) الاصابة (١٢٠/٤) واسد الغابة (٢٤٦/٣) والبدء والتاريخ (١٠٢/٥)

(١٠٢) الثوية : موضع قريب من الكوفة وقيل بالكوفة . انظر التفاصيل في معجم

البلدان (٢٨/٣)

(١٠٣) ابن الأثير (١٨٦/٣)

(١٠٤) طبقات ابن سعد (١١٧/٤)

(١٠٥) طبقات ابن سعد (١١٦/٦)

(١٠٦) الاستيعاب (٩٨١/٣)

ولآه (عدن) فـ(زبيد) و(رمع) و(الساحل) من اليمن في حياته صلى الله عليه وسلم، فلا بد أن يكون عمره حين توليته مناسبا لمثل هذا المنصب الخطير في مثل تلك الظروف الخطيرة ، اذ لو أخذنا ببعض الروايات التي ذكرت انه توفي سنة اثنتين وخمسين لكان عمره صغيرا جدا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم .

القائد :

كان أبو موسى من أشجع الشجعان ، وحسبنا أن نذكر قول الرسول القائد فيه : « سيد الفوارس أبو موسى » (١٠٧) ، وأن نذكر أنه قتل في معركة واحدة تسعة أخوة من المشركين (١٠٨) ؛ فكان يضرب لجنوده في القتال أروع الأمثال .

لقد كانت الحروب القديمة تحتاج الى قائد يعمل بعقله وبسيفه : يعمل بعقله لاعداد الخطط العسكرية وتنفيذها وإدارة دفعة المعركة ، ويعمل بسيفه في المعركة يبارز الأبطال ويصاول الرجال .
والحق أن أبا موسى كان مثالا رائعا للقائد الممتاز الذي يعمل بعقله وبسيفه معا في آن واحد ، لذلك انتصر في كل المعارك التي خاضها ولم ينكص له لواء واحد طيلة حياته العسكرية الطويلة .

كانت له قابلية بدنية ممتازة تعينه على تحمل المشاق العسكرية ، وكان متقشفا بطبعه لا يميل الى الراحة والدعة ولذيد العيش ، وكانت له طاقة نفسية عجيبة في الصبر على المكار ، كل ذلك جعله يفضل دائما أن يكون في ساحات القتال على أن يكون بين أهله آمنا مطمئنا ، لهذا نراه قضى أكثر حياته مجاهدا ، لأنه كان يعتبر الجهاد في سبيل الله من أعظم العبادات ، لا يبالي في جهاده أن يكون قائدا عاما أو قائدا مرؤوسا يضع نفسه بأمره غيره من القادة - حتى القادة الذين أرسلهم هو بنفسه الى ساحات الجهاد ؛ وهذا ما لا يقدر عليه الا المجاهدون الصابرون والمؤمنون الصادقون .

لقد كان صحيح القرار ، ذا ارادة قوية وشخصية رصينة ، يتحلى بمزايا الضبط ويؤمن بمبادئ الطاعة ؛ يتحمل المسؤولية الى الحدود التي لا مخالفة في تحملها ، اذ هو لا يطبق الخلاف لذوي الامر ، فهو من هذه الناحية قائد (متبّع) وليس قائدا (مبتدعا) . له نفسية لا تتبدل في حالتي الرخاء والشدة ، يعرف نفسيات رجاله وقابلياتهم ويثق بهم ويحبهم ويثقون به ويحبونه ثقة وحبا لا مزيد عليهما ؛ له ماضٍ ناصع شريف مجيد .

(١٠٧) طبقات ابن سعد (١٠٧/٤)

(١٠٨) جوامع السيرة لابن حزم ص (٢٤١)

وعند مقارنة أعماله العسكرية بمبادئ الحرب ، نجد أنه (يختار مقصده ويديمه) دائما ولا يجيد عنه . كل معاركه (تعرضية) يحاول أن يباغت) بها عدوه كلما وجد الى ذلك سبيلا .

وكان يعمل على (تحشيد قوته) قبل المعركة و (يقتصد بالمجهود) فلا يعطي خسائر في الارواح بدون مبرر ، وكان (يتعاون) تعاونا وثيقا صادقا مع غيره من القادة بكل رحابة صدر وعن طيبة خاطر ، كما أنه كان يحمل قواته على التعاون فيما بينها تعاونا وثيقا ؛ (يديم معنويات) قواته بشجاعته الشخصية وقيادته الحكيمة ويتوالي انتصاراته وبمواعظه الحسنة .

وكان بالإضافة الى ذلك يساوي بينه وبين رجاله ، بل كان يستأثر دونهم بالخطر ويؤثرهم بالأمن ، وكان يستشيرهم في كل أمر من أموره ويعمل بمشورتهم .

لقد كان قائدا مثاليا من كافة الوجوه .

ابو موسى في التاريخ :

يذكر التاريخ لابي موسى كثيرا من الآثار الخالدة - كل واحدة منها تكفي لتخليد أي انسان في كل زمان ومكان .

يذكره قائدا فاتحا ضم الى البلاد الاسلامية مناطق واسعة جدا ونشر الاسلام بين أهلها .

ويذكره التاريخ مؤمنا صادقا من أكثر المؤمنين الصادقين تمسكا بعقيدته ، وقد ضحى كثيرا في سبيل مبادئه وصبر صبر المؤمن المحتسب على ما أصابه في حياته من أذى ؛ ولعل بعض الأذى لا يزال يلاحقه حتى اليوم .

ويذكره التاريخ داعية من دعاة السلام النابع من تربتنا ومن صميم عقيدتنا وتقاليدنا : سلام المادة والروح ، لا سلام المادة بلا روح ؛ وسلام الاخوة والتسامح ، لا سلام الحقد والانتقام ، سلام السماء لا سلام الارض .

ويذكره التاريخ اماما في الفقه ، اماما في الحديث ، اماما في التصوف الاسلامي الذي هو الورع والتقوى ، اماما في القضاء .

تري ! هل يذكر الذين يعيبون عليه موقفه من اعتزال الفتن ، أنه كان يصدر في كل أعماله عن عقيدة راسخة يؤمن بها غاية الايمان ويضحى من أجلها كل التضحية ؛ ولو كان يميل مع الهوى ويرجو لنفسه من الدنيا ما

يرجو لانفسهم اكثر الناس ، لكان سبيله الى المجد الشخصي بيّنا ولنال ما
يريده من متاع بيسر وسلام .

تري ! هل يذكر ذلك الذين يعيبون عليه موقفه الحيادي، فلا يرددون
ثانية ما يعيبونه عليه ؟!

ليس من العقوق ان ننحى باللائمة على رجل مثل ابو موسى خدم
الاسلام وضحي من اجل عقيدته ، وعاش فقيرا ومات معدما ، وكل سلواه في
حياته ، أنه خدم الاسلام ومبادئه بصدق واخلاص !

الا يكفي ان يسخر المرء نفسه لعقيدته ولا يسخر عقيدته لنفسه ، لكي
ينجو من اللوم والتثريب ؟! ... ولكن ، ذلك هدى الله ، يهدي به من يشاء
من عباده .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، المؤمن الصادق ، الورع التقى ،
المحدث الفقيه ، القاضي العادل ، القائد الفاتح ، ابي موسى الاشعري .

قَائِدَةُ فَتَحِ طَبَرِستانِ

نَسِيدِ بْنِ مَقْرُونِ التَّرْسِيِّ

سويد بن مقرن المزني

فتاح قومس^١ وبسطام^٢ وجرجان^٣ وطبرستان^٤ وجبل جيلان^٥

« ان للايمان بيوتا ، وللنفاق بيوتا ، وان
من بيوت الايمان بيت ابن مقرن »
(عبدالله بن مسعود)

اسلامه :

قدم ابو عائد سويد بن مقرن المزني (٧) مع اخوته ومنهم النعمان بن مقرن المزني على رأس اربعمائة فارس من (مزينة) (٨) على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلم وأسلموا ، وذلك في رجب من السنة الخامسة للهجرة (٩) ؛ فشهدوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم غزوة (الخندق) (١٠) وغزواته الاخرى بعد اسلامهم ؛ وبذلك نال سويد شرف الصحبة (١١)

(١) قومس : تعريب كومس ، وهي كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٨٥/٧) ، وهي منطقة من مناطق الديلم . انظر المسالك والممالك ص (١٢٢) .

(٢) بسطام : مدينة كبيرة بقومس . انظر التفاصيل في آثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٠٨) والمسالك ص (١٢٤)

(٣) جرجان : مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧٥/٣) وانظر المسالك والممالك ص (١٢٥) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٤٨)

(٤) طبرستان : ولاية كبيرة اكبر مدنها آمل . انظر التفاصيل في المسالك والممالك ص (١٢٤) وانظر معجم البلدان (١٧/٦) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٢١٧)

(٥) جبل جيلان : جيلان - اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان . وجبل جيلان : اسم جبل في تلك المنطقة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٩٤/٣)

(٦) في الاستيعاب (٦٨٠/٢) : انه يكنى ابا عدي ، وقيل يكنى ابا عمرو

(٧) الإصابة (١٥٣/٣)

(٨) أسد الغابة (٣٠/٥)

(٩) طبقات ابن سعد (٢٩١/١) .

(١٠) طبقات ابن سعد (٢٠/٦)

(١١) الاستيعاب (٦٨٠/٢)

وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهاده :

١ - قبل الفتح :

قاتل سويد تحت راية أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما خرج لقتال مانعي الزكاة من قبائل عيس وذبيان ومن انضم اليهم من كنانة وغطفان وفزارة ، وكان سويد على ساقه جيش أبي بكر ؛ ففر المشركون ، وطاردهم المسلمون حتى موضع (ذي القصّة) (١٢) .

وبعد عودة بعثه أسامة بن زيد من أرض فلسطين ، خرج أبو بكر بنفسه في تعبئة على رأس جيش من المسلمين الى موضع (ذي حسا) (١٣) و (ذي القصّة) لقتال المرتدين ؛ على مقدمته النعمان بن مقرن ، وعلى ميسرته عبدالله بن مقرن ، وعلى ساقته سويد بن مقرن ، حتى نزل أهل (الربدّة) (١٤) ب (الأبرق) (١٥) ، فولى المرتدون الأدبار (١٦) .

وبعد انتهاء حروب الردة ، وهي الحروب التي أعاد بها أبو بكر وحدة شبه الجزيرة العربية تحت لواء الاسلام ، قاتل سويد في ساحات العراق ، فقاتل تحت لواء خالد بن الوليد ، وكان على الجراء في معركة (المذار) (١٧) ، وقد خلفه خالد ب (الحفير) (١٨) وأمره بالحدار وخرج خالد الى (الولجة) (١٩) ؛ كما شهد فتح (الحيرة) (٢٠) .

(١٢) ذو القصّة : موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا للقاء نجد . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١١٤/٧) . وانظر الطبري (٤٧٨/٢) حول خروج سويد الى ذي القصّة .
(١٣) ذو حسا : واد بأرض الشربة من ديار عيس وغطفان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٧٥/٣) .

(١٤) الربدّة : من قرى المدينة على ثلاثة أميال قريبة من ذات عرق . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٢٢/٤)
(١٥) الأبرق : أبرق الربدّة ، موضع من منازل بني ذبيان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧٧/١)

(١٦) الطبري (٤٧٩/٢)
(١٧) المذار : المذار في ميسان ، وميسان بين واسط والبصرة ، والمذار قصبة ميسان ، بينها وبين البصرة مقدار أربعة أميال . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٣٣/٧) . وانظر الطبري (٥٥٨/٢) حول اشتراك سويد في معركة المذار .
(١٨) الحفير : أول منزل من البصرة لمن يريد مكة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٠٣/٢)

(١٩) الولجة : موضع مما يلي البر في منطقة البصرة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٣٣/٨) . وانظر الطبري (٥٩٢/٢) حول ذلك .

وشهد سويد (القادسية) ، وكان على احدى مجنبتى سعد بن ابي وقاص وعلى الاخرى حذيفة بن اليمان (٢١) ، كما شهد مع سعد معارك الفتح الاخرى حتى فتح المدائن .

ولما تحرك اخوه النعمان بن مقرن المزني بقوائمه نحو (نهاوند) ، قاتل سويد تحت لواء اخيه في معركة (نهاوند) ، كما قاتل تحت لواء اخيه نعيم بن مقرن في معركة فتح (همدان) و (الري) ، فأبلى في كل معاركه اعظم البلاء .

٢ - الفاتح :

تسامع عمر بن الخطاب باقدام سويد وبلائه ، فأراد ان يوليه قيادة جيش من جيوش المسلمين التي تعمل لفتح ارض الفرس ، وكان ماضي سويد المجيد في صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي القتال ، هو الذي رشحه لمثل هذا المنصب الخطير في تلك الايام الخالدة من ايام الفتح الاسلامي ، فكان لسويد نصيب مرموق في تلك الفتوحات .

فقد كتب نعيم بن مقرن المزني بفتح (الري) الى عمر بن الخطاب ، فكتب عمر اليه « قدّم سويد بن مقرن الى (قومس) ، وابعث على مقدمته سماك بن مخزومة (٢٢) وعلى مجنبتيه عتبة بن النحاس (٢٣) وهند بن عمرو الجملي (٢٤) » ، فسار سويد الى (قومس) ، فلم يصادف مقاومة من حماتها ، ففتحها سلما وعسكر بها (٢٥) .

وتحرك سويد الى (بسطام) وعسكر بها ، ومن هناك كاتب ملك (جرجان) يدعوه الى الصلح او يسير اليه بجنوده ، فبادر الملك الفارسي بالصلح على ان يؤدي الجزاء ويكفيه حرب (جرجان) ولهم الذمة والمنعة والامان على انفسهم واموالهم ومللهم وشرائعهم ، وهذا نص وثيقة الصلح بين الطرفين : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من سويد بن مقرن لرزبان صول بن رزبان واهل (ديهستان) وسائر اهل (جرجان) . ان لكم الذمة وعلينا المنعة ، على ان عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم على كل

(٢٠) الطبري (٢ / ٥٦٤)

(٢١) ابن الاثير (٢ / ٤)

(٢٢) سماك بن مخزومة : صحابي جليل مات بالرقعة في خلافة معاوية . انظر الاصابة (٢ / ١٢٩)

(٢٣) عتبة بن النحاس : كان شريفا وله مواقف مشرفة في الفتح . انظر الاصابة (٥ / ١٠٥)

(٢٤) هند بن عمرو الجملي : أدرك الجاهلية ، وولاه عمر بن الخطاب على نصارى بني تغلب وقتل يوم الجمل . انظر الاصابة (١ / ٣٠٢)

(٢٥) ابن الاثير (٣ / ١٠)

حالم، ومن استعنا به منكم فله جزاء في معونته عوضا عن جزائه، ولهم الايمان على انفسهم واموالهم ومللهم وشرائعهم ، ولا يغير شيء من ذلك هو اليهم ما ادوا وارشدوا ابن السبيل ونصحوا وقرؤوا المسلمين ولم يبد منهم سل ولا غل ... الخ » (٢٦)

لقد ادمج في نص وثيقة الصلح هذه نص لم يؤلف له من قبل مثيل ، هو : « ومن استعنا به منكم ، فله جزاؤه على معونته عوضا عن جزائه » ، وهذا دليل قاطع على أن الجزية انما كانت تفرض مقابل منع المسلمين من تغلبوا عليهم ، فاذا دافع هؤلاء عن انفسهم او اعانوا المسلمين كان لهم جزاؤهم !

ولما وجد ملك (طبرستان) نفسه محاطا بالمسلمين : من الجنوب باستيلائهم على (الري) ، ومصالحتهم اهل (قومس) ، ومن الشرق بصلحتهم مع اهل (جرجان) ، وانه لم يبق له منفذ الى ارض فارس الا من طريق (أذربيجان) المهددة هي أيضا بالفزو ، آثر الصلح فراسل سويدا فيه ، فتوادعا وتصالحا على (طبرستان) وجبل (جيلان) بان يدفع اهلهما الجزية ، وهم من بعد ذلك آمنون لا يفار عليهم ولا يمر احد بأرضهم الا باذنهم (٢٧) .

الانسان :

كان سويد موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص والقادة الذين عمل بامرهم ، وذلك لشجاعته وامانه وشدة تمسكه بعقيدته ؛ لذلك ولاه خالد الجزاء في معركة (المذار) (٢٨) ، كما عمل لعمر بن الخطاب هو وأخوه النعمان ابن مقرن على ما سقى الفرات ودجلة ، فاستعفيا (٢٩) فرارا من اغراء المال وحبا للتفرغ للجهاد .

لقد آثر سويد أن يكون غازيا على أن يكون جابيا !

وكان سويد من رؤساء قبيلة (مزينة) قبل الاسلام وبعده ، وقد

(٢٦) الطبري (٢٢٣/٣)

(٢٧) الطبري (٢٢٤/٣) . وفي رواية ، أن الذي فتحها هو سميد بن العاص في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه . انظر ابن الاثير (٤٣/٣) ، ولكنني أرجح أن فتحها تم كما أسلفنا ، لفتح ما حولها ، وليس من المعقول أن تبقى وحدها بيد الفرس ، بينما استسلمت كافة المناطق والمدن المجاورة لها والتي تحيط بها .

(٢٨) الطبري (٥٥٨/٢)

(٢٩) الطبري (٢٢٣/٣) وابن الاثير (٣٠١/٢)

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ستة احاديث (٣٠)، منها ما رواه هلال ابن يساف : « كنا نبيع البر في دار سويد بن مقرن ، فخرجت جارية وقالت لرجل منا كلمة ، فلطمها ، فغضب سويد وقال : لطمت وجهها ! لقد رايتني سابع سبعة من اخوتي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما لنا خادم الا واحدة ، فلطمها احدنا ، فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاعتقناها » (٣١) ؛ وقد روى حديثه مسلم واصحاب السنن (٣٢) ، وكان من اصحاب الفتيا (٣٣) .

وكان محبا للناس محبوبا منهم ، دمث الاخلاق ، حسن السيرة ، تقيا ورعا ، امينا ، كريما ، وفيما .

سكن البصرة أولا مع اخوته ، ثم سكن الكوفة وهو يعد من الكوفيين ، وقد مات بالكوفة (٣٤) ، ولم يحدثنا التاريخ أنه امتلك القصور والعقارات والأموال ، بل عاش عيش الكفاف حتى مات .

القائد :

كان سنويد يهوى الجندية ويفضل ميادين القتال حيث الخطر الداهم على سكنى القصور حيث الامان والدعة ، ولم يحرض ابدا على تولي القيادة بل جاءته من غير مطالبة لما كان يتحلى به من مزايا وخصال .

فقد كان سريع القرار صحيحه ، شجاعا من غير تهور ، ذا ارادة قوية نافذة ، ونفسيته لا تتبدل في السراء والضراء ، يثق بقواته ويحبهم ويشقون به ويحبونه ، وكان ذا شخصية قوية وقابلية بدنية ممتازة ، يتمتع بماض مشرف مجيد .

ولعل ابرز مزايا قيادته مزيتان : مزية سبق النظر ، وهذه المزية جعلته يتفادى كثيرا من المعارك التي لا مبرر لها بالمفاوضات تارة وبالحسنى تارة أخرى ؛ ومزية حبه للمسؤولية حتى في حالة عمله بقيادة عمر بن الخطاب الذي كان يمتاز بالمركزية في ادارته اثناء السلم والحرب ، ويحب أن يتدخل في كل صغيرة وكبيرة لتوجيه قادته وولائه بأدق تفاصيل أعمالهم .

لقد كانت معاهدة سويد التي عقدها مع ملك (جرجان) الفارسي

(٣٠) اسماء الصحابة الرواة ، ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٢٨٨)

(٣١) الاستيعاب (٢/٦٨٠)

(٣٢) الامامة (٣/١٥٢)

(٣٣) اصحاب الفتيا - ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٣٢١)

(٣٤) الاستيعاب (٢/٦٨٠)

جديدة عند مقارنتها بما سبقها من معاهدات ، وقد عقدها سويد على مسؤوليته ، ولكن عمر بن الخطاب اقره عليها بعد اطلاعه عليها .

لقد وجد سويد ثاقب نظره عند عقده تلك المعاهدة ، انها تؤمن له نياته السلمية اولا ، وثبتت للفرس عمليا بشكل لا يقبل الشك تلك النيات ثانيا ، ويلقي عن كاهل العرب المسلمين بعض مهمة الدفاع عن البلاد التي يفتحونها وذلك باشتراك سكانها الاصليين بالدفاع عن بلادهم ثالثا - خاصة بعد توسع الفتوحات وامتداد خطوط المواصلات الى مسافات شاسعة - تلك الخطوط التي تربط بين قاعدة المسلمين الاصلية وهي جزيرة العرب وقاعدتهم المتقدمة في العراق وبين بلاد فارس ، مما يضاعف تبعات قوات المسلمين ومسؤولياتها في حماية خطوط مواصلاتهم وفي الدفاع عن البلاد المفتوحة ويجعلهم مضطرين على الاستعانة بغيرهم للدفاع عن انفسهم وللمشاركة في معاونة الفاتحين ، خاصة وان الظروف المحيطة بالمسلمين وبالفرس قد تبدلت عما كانت عليه في ايام الفتح الاولى وايام عقد المعاهدات الاولى بين المسلمين وبين الفرس ، فأصبح (تطوع) الفارسي للدفاع عن نفسه او مشاركته في تحمل بعض الواجبات العسكرية المحلية - كالحراسات الداخلية والقيام بواجبات المحافظة على الامن الداخلي ومعاونة المسلمين باقرار النظام ، او مشاركتهم في تحمل بعض الواجبات الادارية التي لها اساس بالقضايا العسكرية ، او مشاركتهم في حماية خطوط المواصلات التي امتدت كثيرا ولا تزال تزداد امتدادا وتقللا ، وحتى المشاركة باعباء القتال في صفوف المسلمين ضد اعدائهم - كل هذه الاعمال أصبحت في تلك الظروف لا تشكل خطرا جديا على سلامة جيش المسلمين ، لانهم أصبحوا من القوة والمنعة بمكان ، كما أن قوات اعدائهم (الاصلية) تحطمت نهائيا تحت ضربات المسلمين المتلاحقة الكاسحة ولم تبق من قوات اعدائهم غير القوات الثانوية التي لا تشكل - من الناحية العسكرية - خطرا داهما ، كما أن قوات المسلمين أصبح موقفها رضيئا في البلاد المفتوحة من جهة ، وتردت احوال الدولة الفارسية المركزية والدويلات الفارسية المحلية من جهة أخرى .

اما في اوائل الفتح ، فلم تكن الظروف المحيطة بالمسلمين والفرس ، تساعد على اشراك المتطوعين من الفرس أو من غيرهم للقتال في صفوف المسلمين ، لان الفرس واعداء المسلمين كانوا حينذاك اقوياء ، وكان للفرس امبراطورية قوية ، وقد تؤدي خيانة المتطوعين من الفرس الى كوارث عسكرية قاصمة .

ان اقدام سويد على وضع الجزية عن كاهل المتطوعين من الفرس وغيرهم للدفاع عن انفسهم أو للقتال بجانب المسلمين ، كان حكيما جدا وفي محله .

واؤكد هنا ، ان عمر رضي الله عنه، لم يكن مركزيا في سيطرته لانه كان يحب السلطة ويريد الاستئثار بها دون غيره او يحب التسلط على غيره ، بل كان مركزيا لانه كان شديد الحرص على مصالح المسلمين الادارية والعسكرية، فكان يشغل نفسه ليل نهار بالتفكير في تلك المصالح ووضع أنجع الحلول لها بعد استشارات طويلة او قصيرة حسب اهمية القضايا الراهنة ، لذلك كان يقول : « ان اكمل الرجال رأيا من اذا لم يكن عنده عهد من صاحبه عمل بالحزم او قال به ولم ينكل » (٣٥) .

لقد كان السلف الصالح رواد مصالح عامة لا طلاب مصالح ذاتية ، لذلك كانوا يتعاونون جميعا على تحقيق تلك المصالح للامة ، لا يهمهم ابدا كيف جاء الرأي السديد ومن جاء به ... كل همهم التوصل الى الرأي السديد بصرف النظر عن صاحبه !

سويد في التاريخ :

يذكر التاريخ لسويد جهاده المشرف في ايام النبي صلى الله عليه وسلم ، وثباته على الاسلام بعد التحاقه بالرفيق الاعلى ، ودفاعه عن الاسلام ضد المرتدين .

ويذكر له جهاده المشرف في معارك فتح العراق ، وفي تحمل ادارة بعض القضايا الادارية اثناء الفتح وبعد انجازه .

ويذكر له جهاده المشرف في معارك فتح فارس تحت لواء اخيه النعمان ابن مقرن المزني وتحت لواء اخيه نعيم بن مقرن المزني .

ويذكر له فتحه مناطق شاسعة من الامبراطورية الفارسية .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، الاداري الحازم ، القوي الامين ، القائد الفاتح ، سويد بن مقرن المزني .

قادة فتح الأندلس

- ١ - بكر بن عبد الله الليثي
- ٢ - عتبة بن فرقد السلمي *
- ٣ - سراقبة بن عمرو ذو النور

بَكَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ^(١)

فَاتِحُ شَمَالِ آذَرْبَيْجَانِ^(٢) وَمُوتَانِ^(٣)

« اللَّهُمَّ صَدِّقْ قَوْلَهُ وَلَقِّنْهُ الظُّفْرَ »

(محمد رسول الله)

اسلامه :

اسلم بَكَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيُّ صَغِيرًا ، وَعَاشَ فِي كَنْفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ مِمَّنْ يَخْلُمُهُ وَهُوَ غُلَامٌ ، فَلَمَّا احْتَلَمَ جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَنِي كُنْتُ أَدْخُلُ عَلَى أَهْلِكَ ، وَقَدْ بَلَغْتَ مَبْلَغَ الرِّجَالِ » ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ صَدِّقْ قَوْلَهُ وَلَقِّنْهُ الظُّفْرَ » (٤) . وَلَمْ يَرُدِّ لَهُ ذِكْرٌ فِي غَزَوَاتِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ كَانَ صَغِيرًا ، وَبِذَلِكَ نَالَ بَكَيْرٌ شَرَفَ الصَّحْبَةِ وَلَمْ يَنْلُ شَرَفَ الْجِهَادِ تَحْتَ رَايَةِ الرَّسُولِ الْقَائِدِ .

جهاده :

١ - قَصْدُ بَكَيْرِ الْعِرَاقَ لِلْجِهَادِ فِي سَاحَاتِهِ ، فَأَرْسَلَهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ عَلَى رَأْسِ سَرِيَّةٍ مُؤَلَّفَةٍ مِنْ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مَعْرُوفِينَ بِالنَّجْدَةِ ، وَأَمَرَهُمْ بِالْفَارَةِ عَلَى

(١) وَورد اسمه في الفتوحات باسم : بَكَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ اللَّيْثِيِّ . راجع الطبري (١٣/٢) وابن الأثير (١٧٥/٢) . أما في الإصابة (١٦٩/١) فقد ورد اسمه : بَكْرُ بْنُ الشَّدَاخِ اللَّيْثِيِّ وَأَنَّهُ فَتَحَ مَوْقَانَ ، وَلَكِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ اسْمَهُ : بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ . كَمَا وَرَدَ اسْمُهُ فِي اسَدِ الْغَابَةِ (٢٠٤/١) : بَكْرُ بْنُ الشَّدَاخِ اللَّيْثِيِّ . وَقَدْ اخْتَرْنَا اسْمَهُ الْوَاردَ فِي الْفَتْوحَاتِ لِشَهْرَتِهِ بِهِ .

(٢) آذَرْبَيْجَانُ : كَلِمَةُ آذَرْبَيْجَانِ فِي الْفَارْسِيَّةِ ، مَعْنَاهَا : أَرْضُ النَّارِ أَوْ مَعَابِدُ النَّارِ ، وَقَدْ أُطْلِقَ عَلَيْهَا هَذَا الْاسْمُ لِكثَرَةِ مَعَابِدِ النَّارِ الَّتِي كَانَتْ مَوْجُودَةً فِيهَا حِينَئِذٍ . وَآذَرْبَيْجَانُ : صَقْعٌ جَلِيلٌ وَمَمْلَكَةٌ عَظِيمَةٌ وَالْغَالِبُ عَلَيْهَا الْجِبَالُ . أَشْهُرُ مَدَنِيَّاتِهَا تَبْرِيزٌ وَهِيَ قَصْبَتُهَا ، وَأكْبَرُ مَدِينَتِهَا بِهَا أَرْدَبِيلُ ، وَمِنْ مَدَنِيَّاتِهَا : الْمَرَاغَةُ وَأَرْمِيَّةُ وَخُوِيٌّ وَسَلْمَاسٌ وَمَرَنْدٌ وَمَوْقَانُ . . الخ. راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٥٩/١) والمسالك والممالك ص (١٠٨) وأثر البلاد وأخبار العباد ص (٢٨٤) .

(٣) مَوْقَانُ : وَلايَةٌ فِيهَا قَرْيٌ وَمَرْجٌ كَثِيرٌ يَحْتَلِبُهَا التُّرْكُمَانُ لِلرَّمْيِ ، وَهِيَ بِآذَرْبَيْجَانِ . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٩٩/٨) .

(٤) اسد الغابة (٢٠٤/١)

(الحيرة) ، فلما كانوا في الطريق وجدوا أخت صاحب الحيرة في جماعة تزف الى أحد اشراف العجم ، فحمل بكير على قائد تلك الجماعة فدق عنقه ، ثم استاق الانتقال والنساء والتوابيع فصبح سعداً بما افاء الله على المسلمين (٥) .

وشهد تحت لواء سعد معركة (القادسية) الحاسمة والمبارك التي تلتها حتى فتح (المدائن) ، وكان سعد قد استعمله على قومه حين دخلوا العراق (٦) .

وحين أراد المسلمون ان يخوضوا نهر دجلة لفتح المدائن ، تهيّب الناس دخول الماء ، فقال بكير مخاطباً فرسه اطلال : « ثبي اطلال وثباً » ، فدخل الماء ودخله الناس خلفه ... وله مع سعد أخبار كثيرة (٧) كلها بطولات نادرة وتضحيات فذة .

٢ - وشهد كثيراً من معارك فتح أرض فارس ، ولما اذن عمر بن الخطاب للمسلمين بالانسياح في أرض العجم ، بعث عتبة بن فرقد السلمي وبكير بن عبد الله وعقد لهما لواء (أذربيجان) وفرقها بينهما ، فجعل لكل منهما هدفاً محدوداً : امر عتبة ان يتقدم لفتحها من (حلوان) الى ميمنتها (جنوبي أذربيجان) ، وأمر بكير ان يتقدم لفتحها من (الموصل) الى ميسرتها (شمالي أذربيجان) (٨) ، ثم أمد بكيراً بسماك بن خرشة الانصاري (٩) وليس بأبي دجانة ، على رأس قوة من مجاهدي (الري) بعد فتحها ، فسار سمالك نحو بكير ، وكان بكير قد اصطدم بالقوات الفارسية في منطقة جبال (جرميدان) (١٠) فكان أول قتال لقيه بأذربيجان ، ولكن سرعان ما انهزم الفرس وأخذ بكير قائدهم (اسفنديار) أسيراً ، فقال له قائد الفرس : «الصلح أحب اليك ام الحرب ؟» ، فقال بكير : « بل الصلح ! » . قال : « فامسكني عندك ، فان (أذربيجان) ان لم أصالح عليهم او أجيء اليهم ، لم يقوموا لك وجلوا الى الجبال التي حولها ، ومن كان على التحصن تحصن الى يوم ما» ، فأمسكه عنده وصارت البلاد اليه ، إلا ما كان من حصن . ولما قدم سمالك

(٥) الطبري (١٣/٢) وابن الأثير (١٧٥/٢)

(٦) الإصابة (١٦٩/١) - (١٧٠)

(٧) الإصابة (١٧٠/١)

(٨) الطبري (٢٢٤/٢)

(٩) سمالك بن خرشة الانصاري : وهو غير أبي دجانة ، وكان من أوائل من تولى مساح دسبنا من أرض همدان : قدم على عمر بن الخطاب في وفود أهل الكوفة بالأخماس وشهد القادسية وله ذكر في فتح الري . وقد شهد صفين . انظر التفاصيل في الإصابة (١٢٨/٢) (١٠) جرميدان : لم أجد ذكراً لهذه الجبال في المسالك والممالك ص (١١٢) . وفي معجم البلدان (٨٩/٣) ورد عنها : موضع من أرض الجبل أظنه من نواحي همدان . ومن الواضح ان هذه الجبال في منطقة أذربيجان .

ابن خرشة ممدا له ، وجد (أسفنديار) اسيرا ، ووجد بكيرا قد فتح أهدافه في (أذربيجان) ، فكتب الى عمر بن الخطاب يستأذنه في التقدم لفتح البلاد المجاورة ، فأذن له أن يتقدم الى (باب الابواب) (١١) وأن يستخلف على ما افتتحه ، فاستخلف عتبة بن فرقد ، فأقر عتبة سماك بن خرشة على عمل بكير الذي كان افتتحه (١٢) .

وأسرع بكير يريد (باب الابواب) فسبق سراقه بن عمرو اليها ، ولما وصل سراقه منطقة (باب الابواب) جعل بكيرا على إحدى مجنبيه (١٣) ، وبعد فتح باب الابواب بعثه سراقه لفتح (موقان) ففتحها وفرض على أهلها الجزية (١٤) .

الإنسان :

لا نعرف شيئا عن أيام بكير بعد الفتح ولا عن أعماله العامة ، فقد سكت المؤرخون عنها ، ولكننا نستبين من سيرته التي ذكرناها ، أنه كان رجلا يتحلى بمزايا العربي الاصيل وخلق المسلم الصادق .

قتل يهودي في عهد عمر بن الخطاب دون أن يعرف أحد قاتله ، فصعد عمر المنبر وقال : « أفيما ولاتي الله واستخلفني تقتل الرجال ؟! أذكر الله رجلا كان عنده علم الا أعلمني ! » ، فقام اليه بكير وأخبره بأنه هو الذي قتل اليهودي ، لانه سمعه يتغزل بزوجة رجل من المجاهدين ، فلم يستطع صبرا على ذلك (١٥) !

يا للفيرة الصادقة ... ان هذه الفيرة جعلته يقدم حتى على القتل لاسكات صوت فاسد ... ولكن يا للورع قبل ذلك ، هذا الورع الذي جعله يعترف بالقتل غير مكترث بنتائج اعترافه ... خوفا من الله !

(١١) باب الابواب : ويقال لها : الباب . ميناء كبير على بحر الخزر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٩/٢)

(١٢) الطبري (٢٣٤/٢) وابن الاثير (١٠/٢ - ١١) وقد ذكر الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه : الفاروق عمر (٤٤/٢) : ان عمر أرسل سماك ممدا لبكير بن عبدالله وعتبة بن فرقد . والصحيح ما ذكرناه : انه جاء ممدا لبكير فقط .

(١٣) ابن الاثير (١١/٣) والطبري (٢٣٥/٣)

(١٤) الطبري (٢٧/٣) ، واليك نص وثيقة الصلح بين الطرفين ، وهي تظهر بوضوح حزم المسلمين ووضوحهم : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى بكير بن عبدالله أهل (موقان) من جبال (القتيح) ، الامان على أموالهم وأنفسهم وملتهم وشرائعهم على الجزاء : دينار على كل حال أو قيمته ، والنصح ودلالة السلم ونزله يومه وليكته ، فلهم الامان ما أقروا ونصحوا ، وعلمنا الوفاء ، والله المستعان ، فان تركوا ذلك واستبان منهم فحش ، فلا أمان لهم الا ان يسلموا الفششة برمتهم ، والا فهم متمثلون » .

(١٥) أسد الغابة (٢٠٤/١) .

لقد كان رجلا غيوراً غاية الفيرة شهماً غاية الشهامة ، ودعاً تقيماً صادقاً وفيماً ، يحرص على رفع راية الاسلام اكثر مما يحرص على روحه التي بين جنبيه ، فلا يكاد ينتهي من فتح الا ويطالب قائده الاعلى عمر بن الخطاب ان يبعثه الى جبهة اخرى ، ثم لا يبالي ان يكون قائداً عاماً او قائداً مرؤوساً ... او جندياً بسيطاً ... وتلك تضحية لا يصبر على مثلها غير الذين نذروا انفسهم لله ... وما اقلهم !!

القائد :

تمتاز قيادة بكر بميزة الحرص على احلال السلام ، وتشجيعه بروح التسامح حتى مع الذين يتغلب عليهم بعد قتال .

وقد كان شجاعاً مقداماً لا يهاب الموت (١٦) ، والحق انه كان يهوى الجهاد في سبيل الله ويفضل دائماً ان يكون (غازياً) على ان يكون (والياً) . وكانت له قابلية على اصدار القرارات السريعة الصحيحة ، ذا شخصية نافذة وارادة قوية ، وكان يثق برجاله ويثقون به ويحبهم ويحبونه ، له ماضٍ ناصع مجيد في خدمة الاسلام ونبي الاسلام صلى الله عليه وسلم .

بكر في التاريخ :

أصبحت (أذربيجان) و(موقان) و(باب الابواب) بعد فتحها الخطوط الدفاعية الامامية للمسلمين للدفاع عن بلاد فارس، ولكنها بعد انتشار الاسلام فيها ، أصبحت القاعدة المتقدمة لانطلاق المسلمين منها شمالاً لفتح ارمينية وقرستان والقفقاس ، لذلك كان فتح بكر نصراً سوقيماً (استراتيجياً) للمسلمين جنوا ثمراته بعد حين في ضم مناطق واسعة الى بلادهم ، وجنوا ثمراته في الانطلاق شمالاً لتوسيع رقعة انتشار الاسلام .

ان التاريخ يذكر لبكر فضله العظيم في فتح هذه المناطق الواسعة الفنية الاهلة بالسكان ، فهل يذكر سكان تلك المناطق - وكلهم مسلمون ، اول من نشر الاسلام في ربوع بلادهم ؟؟

رضي الله عن الصحابي الجليل ، الشهم الفيور ، القائد الفاتح ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بكر بن عبد الله الليثي .

(١٦) مدحه الشاعر الشماخ ، فقال :

وذكرني اهل القوادس انني رأيت رجلاً واجماً بأجمال
وفئب عن خيل بموقان اسلمت بكر بني الشداخ فارس اطلال
لقد كان يروى سيفه وسنانه من الملق الداني الى الحجر البالي
وقد علمت خيل بموقان انه هو الفارس الحامي اذا قيل: تنزال
واطلال : اسم فارس بكر ، وكان يدعى : فارس اطلال . انظر معجم البلدان (٨/١٩٩) .

سُراقَةُ ذُو النُّورِ بْنِ عَمْرٍو

فَتْحُ بَابِ الْأَبْوَابِ^(١)

اسلامه :

كان سراقه بن عمرو بن لبنة صحابيا جليلا (٢) ذكروه في الصحابة ولم ينسبوه (٣) وكان يدعى : ذا النور (٤) ، ولكننا لا نعرف بالضبط متى أسلم ولا الفزوات التي شهدناها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والظاهر انه أسلم متأخرا أو كان صبغرا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فنال شرف الصحبة ولم يتل شرف الجهاد تحت راية الرسول القائد .

جهاده :

١ - عرف عمر بن الخطاب لسراقه فضله العظيم في الجهاد ، فولاه البصرة (٥) ، ولكنه رد أبا موسى الأشعري الى البصرة ، ورد سراقه الى (الباب) ، وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي وكان يدعى ذا النور أيضا (٦) ، وجعل على إحدى المجنبتين حذيفة بن أسيد الففاري (٧)

(١) باب الابواب : ويقال لها : (الباب) أيضا . ميناء كبير على بحر (الخور) ، وهي مدينة كبيرة محصنة ، وفي وسطها مرسى للسفن ، وبين هذا المرسى وبين البحر قد بني على حافتي البحر سدان ، حتى ضاق مدخل السفن وجعل المدخل ملتويا ، وعلى فم المدخل سلسلة ممدودة لا يخرج المركب ولا يدخل الا بأمر . وإلى جانبها جبل عظيم يجمع في قمته كل عام حطب كثير ليشعلوا فيه النار ان احتاجوا اليه ليتندروا أهل المناطق الجاورة بالعدو اذا داهمهم . انظر التفاصيل في المسالك والممالك ص (١٠٩ - ١١٠) ومعجم البلدان (٩/٢) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٥٠٦) .

(٢) الإصابة (٦٩/٢) وأسد الغابة (٢٦٤/٢)

(٣) الاستيعاب (٥٨٠/٢)

(٤) الإصابة (٦٩/٢) وأسد الغابة (٢٦٤/٢) والاستيعاب (٥٨٠/٢) ومعجم البلدان (١٢/٢)

(٥) ابن الأثير (٧/٢)

(٦) الاستيعاب (٥٨٠/٢) والطبري (٢٣٥/٢)

(٧) حذيفة بن أسيد الففاري : شهد الحديبية وباع تحت الشجرة ونزل الكوفة وتوفي بها سنة الثنتين وأربعين . انظر الإصابة (٣٣٢/١) وأسد الغابة (٢٨٩/١) .

وسمى للآخرى بكير بن عبد الله الليثي وكان بازاء الباب قبل قدوم سراقه بن عمرو عليه (٨) ، فقدم سراقه عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي وخرج على الاثر حتى قدم على بكير بن عبد الله الليثي في اداني (الباب) وأمدده عمر بن الخطاب بحبيب بن مسلمة صرفه اليه من (الجزيرة) .

ولما تغفلت طلائع المسلمين وعلى رأسها عبد الرحمن بن ربيعة في منطقة الباب ، كاتبه ملكها (٩) واستأمنه على أن يأتيه ، فأمنه عبد الرحمن ، فلما لقيه قال له : « أني بازاء عدو كلب وأمم مختلفة ليست لهم أحساب ، وليس لدي الحسب والعقل ان يعين امثال هؤلاء ولا يستعين بهم على ذوي الاحساب والاصول ، وذو الحسب قريب ذي الحسب حيث كان ، ولست أنا من (القبج) ولا من الارمن في شيء ، وانكم قد غلبتم على بلادتي وامتي ، فانا منكم ويدي مع ايديكم وجزيتي اليكم والنصر لكم والقيام بما تحبون ، فلا تدلونا بالجزية فتوهنونا لعدوكم » . فأجابه عبد الرحمن : « فوقى رجل قد اظلك ، فسر اليه » ، ثم سيّره الى سراقه ، فلقبه بمثل هذا الكلام ، فقبل منه سراقه وقال له : « لا بد من الجزية ممن يقيم ولا يحارب العدو » ، أي انه وافق على وضع الجزية عن الذين يقاتلون العدو جنباً لجنب مع المسلمين ... وأصر على أخذها من القاعدين من أهل البلاد .

وكتب سراقه الى عمر بذلك ، فأجازه وحسنه (١٠) ، وهكذا صالح

(٨) الطبري (٢٣٥/٢) .

(٩) كان ملكها يدعى : شهريراز . انظر الطبري (٢٣٦/٢)

(١٠) ابن الاثير (١١/٢) . وانظر نص وثيقة الصلح بين سراقه وملك باب الابواب في الطبري (٢٣٦/٢) ، وهي تثبت ، أن المسلمين كانوا يفرضون الجزية على المغلوبين لقاء الدفاع عنهم وحمايتهم ، فهي بدل الخدمة العسكرية بالضبط : ضريبة الدفاع . أما الذين يدافعون عن انفسهم ويقاتلون عدوهم مع المسلمين فلا جزية عليهم ... وهذا نص الوثيقة : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اعطى سراقه بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهريراز وسكان أرمينية والارمن من الامان ، اعطاهم اماناً لانفسهم وأموالهم وملتهم الا يضاروا ولا ينتقصوا . على أهل أرمينية والابواب الطراء منهم والنساء ومن حولهم فدخل معهم ، ان ينفروا لكل غارة وينفذوا لكل أمر ناب او لم ينب وآه الوالي صلاحاً ، على ان توضع الجزاء عن اجاب الى ذلك . الا الحشر والحشر عوض من جزائهم ، ومن استغنى عنه منهم . وقصد فمليه مثل ما على أهل الأديجان من الجزاء والدلالة والنزل يوماً كاملاً ، فان حشروا وضع ذلك عنهم ، وان تركوا أخذوا به .. وشهد عبد الرحمن بن ربيعة وسلمان بن ربيعة وبكير بن عبدالله ، وكتب مرضي بن مرقن المزني وشهد » . أقول : لا توجد مثل هذه الشروط الرحيمة في وثائق الصلح بين المغالِب والمغلوب حتى بعد تثبيت قوانين الحرب والحبيد في القانون الدولي . فمن يريد دليلاً على ذلك فليقارن بين ما جاء في هذه الوثيقة التي كانت في القرن السابع وبين نصوص معاهدة فرساي بين ألمانيا من جهة والحلفاء من جهة ثانية في نهاية الحرب العالمية الاولى أي في القرن العشرين . وقد صدق من قال : « لم يشهد العالم فاتحين أكثر عطفاً ورحمةً وتسامحاً من المرب » .

اهل ارمينية والارمن (١١) .

٢ - ولما انجز سراقه فتح هدفة الاصلي وهو (باب الابواب) بعث قاداته الى الجهات : بعث بكير بن عبد الله الليثي الى (موقان) (١٢) ، ووجه حبيب بن مسلمة الى (تفلّيس) (١٣) ، ووجه حذيفة بن أسيد الففاري الى جبان (اللان) (١٤) ، وسلمان بن ربيعة الباهلي الى الوجه الآخر ، وكتب سراقه بالفتح وبالذي وجه فيه هؤلاء النفر الى عمر بن الخطاب ، فاضطرب عمر لذلك اشد الاضطراب ، لانه قدّر ان قوات المسلمين التي توجهت لفتح هذه المناطق غير كافية عددا وعندنا لانجاز واجباتها ، وفعلنا لم يفتح احد من هؤلاء القادة ما وجه له الا بكير فانه فتح (موقان) (١٥) .
ومات سراقه في (باب الابواب) قبل ان يرى ثمرة جهاده كاملة ، فاستخلف قبل موته عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي (١٦) .

الشاعر :

قال سراقه بن عمرو يصف فتح (باب الابواب) (١٧) :

ومن يك سائلا عني فاني	بارض لا يؤاتيهما القرار
بباب الترك ذي الابواب دار	لهما في كل ناحية مفار
ندود جموعهم عما حوينا	وتقتلهم اذا باح الشرار (١٨)
سددنا كل فرج كان فيها	مكابرة اذا سطع الغبار
والحمنا الجبال جبال قبيح	نناهبهم وقد طار الشرار
على خيل تعادي كل يوم	عتادا ليس يتبعها المهار

- (١١) الطبري (٢٢٦/٣) وابن الاثير (١١/٣)
(١٢) موقان : ولاية فيها قرى ومروج كثيرة ، يحتلها التركمان للرعي ، وهي بأذربيجان .
انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٩٩/٨)
(١٣) تفلّيس : مدينة قرب باب الابواب . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٩٦/٦)
(١٤) جبال اللان : جبال في منطقة باب الابواب بالقرب من تفلّيس ، وسميت بهذا الاسم نسبة الى مدينة كبيرة مشهورة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٢٤/١)
(١٥) الطبري (٢٢٧/٣) وقد وردت قصة فتح موقان في ترجمة بكير بن عبد الله الليثي .
(١٦) ابن الاثير (١١/٣) والاستيعاب (٥٨٠/٢) وسترّد تفاصيل جهاد عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي في ترجمته .
(١٧) معجم البلدان (١٢/٢)
(١٨) الشرار : سرد الشهر بفتحين ، آخر ليلة منه ، وكذا (سراره) بفتح السين وكسرهما ، وهو مشتق من قولهم : استمر القمر ، أي خفي ليلة (الشرار) فربما كان ليلة وربما كان ليلتين . واذا باح السراء : معناها اذا بزغ القمر وانكشف محافه .

وهو شعر سلس يصور المعركة تصويرا رائعا حتى تكاد تلمس فيه
جو المعركة الصاخب : غبارا ثائرا ، وخيلا تكرر وتفر ، وقتلى تنهاوى .. ولم
ينس تدابير المسلمين الدفاعية عن منطقة باب الابواب : مراقبة الطرق
التقريبية اليها ليلا ونهارا ، وسد منافذ الجبال ... الخ .

لقد كان سراقا من شعراء الفرسان المجيدين .

الانسان :

من الصعب جدا ان تلمس الناحية الانسانية من حياة سراقا بن
عمرو ، فقد ظهر فجأة على مسرح احداث الفتح الاسلامي وقام خلال فترة
قصيرة بأعمال فذة ، ثم انتهت حياته في اوج مجده وفي خضم جهاده
المواصل العنيف .

على كل حال ، كان مثالا رفيعا من امثلة السجاياء العربية وفضائل
الاسلام ، ولولا سجاياه وفضائله تلك لما تولى منصب قيادة الجيوش وامارة
الولايات في عهد خليفة لم يبق له الحق صديقا - هو عمر بن الخطاب .

وقد توفي في مدينة (باب الابواب) سنة اثنتين وعشرين للهجرة (١٩)
(٦٤٢ م) .

القائد :

كان سراقا يتحمل المسؤولية الكاملة ، فهو يفكر ويقدر ، فاذا اقتنع
برأي أبرمه على مسؤوليته الخاصة متحملا كافة نتائجه برحابة صدر وعن
طيبة خاطر .

لقد كان جريئا غاية الجراءة في اعطاء القرارات ، فقد رايت كيف صالح
ملك (باب الابواب) صلحا مبتكرا حقا ، ثم اخبر بقراره هذا مرجعه الاعلى
بعد ابرامه ، فما كان من مرجعه عمر بن الخطاب الا أن اجاز ما أبرم سراقا
وحسنه . كما انه سير الجيوش الى المناطق المحيطة (بالباب) قبل الرجوع
الى الخليفة ، وفي هذه المرة خشي عمر نتائج اقدام قائده سراقا على مثل
هذا العمل الجريء وحسب لنتائجه الف حساب .

(١٩) ابن الاثير (١١/٢) والطبري (٢٣٧/٣) . وقد ذكر الزركلي في كتابه : الاعلام (الطبعة
الثانية (١٣٦/٣) : ان سراقا توفي سنة ثلاثين للهجرة ، مع انه اعتمد الاصابة في ترجمة سراقا
ابن عمرو ، وليس في الاصابة شيء من تاريخ وفاته . راجع الاصابة (١٩/٣) . والصحيح ان
تاريخ وفاته هو ما ذكرناه اعلاه .

وليس من السهل ان يصدر سراقه او اي قائد آخر قرارات جريئة مبتكرة لم يسبق لها مثيل ، في عهد يتولى فيه القيادة العليا مثل عمر بن الخطاب الذي كان يميل الى المركزية ويتدخل في كل كبيرة وصغيرة من امور القادة الرؤوسين حرصا على ارواح المسلمين ومصائبرهم ؛ مما يدل على أن سراقه كان يتمتع بشخصية قوية و ارادة حديدية وعقلية راجحة - كل ذلك جعله يمضي قدما في تنفيذ اجرا القرارات في أخرج المواقف والظروف .

سراقه في التاريخ :

لا تقتصر أهمية فتح (باب الابواب) على نشر الاسلام في منطقة شاسعة من الارض غنية بالثروة الزراعية والحيوانية ، بل ان لفتحها أهمية خاصة ، وهي انها أصبحت القاعدة المتقدمة لقوات المسلمين في حركاتهم العسكرية شمالا باتجاه ارمينية وتركستان والقفقاس حتى حدود سيبيريا ، لهذا كان فتح (باب الابواب) نصرا سويا (استراتيجيا) للمسلمين ظهرت نتائجه البعيدة بعد سنوات قليلة من الفتح .

ان التاريخ يذكر لسراقه فتح (باب الابواب) القاعدة المتقدمة للفتح الاسلامي باتجاه الشمال ، ويذكر له نشره الاسلام في منطقة شاسعة من الارض وبين اقوام وامم مختلفة ، ويذكر له جراته الفذة في اصدار القرارات الجريئة وتحمله نتائجها بشجاعة واصرار .
انه قضى كل حياته مجاهدا في سبيل عقيدته ، فمات غريبا في بلاد نائية عن بلاده وهو في خضم جهاده ، فسقط ميتا ولم يسقط السيف من يده .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، البطل المقدام ، القائد الفاتح ، سراقه ذي النور بن عمرو .

قَالَ فَنَجَّ خُرَاسَانَ

الأحنف بن قيس التميمي

الأحنف بن قيس التميمي

فاتح قاشان^(١) وخراسان^(٢)

« هو سيد أهل المشرق ، المسمى بغير اسمه »
(ممر بن الخطاب)

نسبه وأهله :

هو أبو بحر الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة التميمي (٣) ، وأسمه الضحاك وقيل : صخر (٤) . وأمه حبة بنت عمرو بن قرط الباهلية (٥) كان أخوها الأخطل بن قرط من الشجعان ، وقد قال الأحنف مفاخرًا بخاله هذا : « ومن له خال مثل خالي ؟! » (٦) .

وكان أبو الأحنف يكنى : أبا مالك ، قتله بنو مازن في الجاهلية (٦) ، أما جده معاوية بن حصين فقد قتله الفارس المشهور عنتر بن شداد العبسي (٧) .

وعم الأحنف يقال له : الشمس بن معاوية ، يفضل على الأحنف في حلمه ، وعم الأحنف الأصغر هو صعصعة بن معاوية كان سيد بني تميم في خلافة معاوية بن أبي سفيان (٨) .

(١) قاشان : مدينة قرب أصبهان تذكر مع (قم) ، وبين قاشان وقم اثنا عشر فرسخا ، انظر معجم البلدان (١٣/٧) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٣٢) .

(٢) خراسان : بلاد واسعة تتأخر العراق المجمي من الغرب وأفغانستان والهند من الشرق ، وتقع كرمان وسجستان إلى جنوبها ، وتمتد في الشمال إلى أقصى تخوم إيران . من أمهات مدنها : نيسابور وهراة ومرو وبلخ . انظر التفاصيل في المسالك والممالك للاصطخري ص (١٤٥ - ١٦٠) ومعجم البلدان (٤٠٧/٣) .

(٣) جهمرة أنساب العرب ص (٢٠٦) وطبقات ابن سعد (٩٥/٧) .

(٤) أسد الغابة (٥٥/١) والاصابة (١٠٢/١) والاستيعاب (٧١٥/٢) .

(٥) الاصابة (١٠٤/١) ، وفي المعارف ص (٤٢٣) . أن أمه هي : حبي بنت عمرو بن ثعلبة من بني أود من باهلة ، ويقال : حبي بنت قرط .

* المعارف ص (٤٢٣) وجهمرة أنساب العرب ص (٢١٢) .

(٦) المعارف ص (٤٢٣) .

(٧) وفيات الأعيان (١٩١/٢) .

(٨) المعارف ص (٤٢٤) .

وكان للاحنف ولد يقال له : بحر ، وبه يكنى ، وقد مات وانقطع عقبه (٩) ، لذلك لا عقب للاحنف (١٠) .

لقد ورث الاحنف الشجاعة والحلم عن آبائه وأخواله فيما ورثه عنهم من مزايا وخلال .

اسلامه :

أدرك الاحنف النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره (١١) ، وقد أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كما أسلم قومه بأشارته (١٢) ، فقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني ليث إلى بني سعد رهط الاحنف ، فجعل يعرض عليهم الاسلام ، فقال الاحنف : « انه يدعو إلى خير ويأمر بخير (١٣) » وفي رواية ان الاحنف قال لقومه : « انه يدعوكم إلى الاسلام وإلى مكارم الاخلاق ، وينهاكم عن ملأئهما » ، فأسلموا وأسلم الاحنف (١٤) ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم اغفر للاحنف » ، فكان الاحنف بعد ذلك يقول : « فما شيء أرجى عندي من ذلك (١٥) » ، كما دعا له حين قدم عليه وقد تميم فذكروه له (١٦) .

كان الاحنف يقول : « بينا أنا أطوف بالبيت في زمن عثمان بن عفان ، إذ لقيني رجل من بني ليث فأخذ بيدي ، فقال : ألا ابشرك ؟ قلت : بلى . فقال : تذكر إذ بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومك بنسي سعد ، فجعلت أعرض عليهم الاسلام وأدعوهم إليه ، فقلت أنت : انك لتدعو إلى خير ، وما أسمع إلا حسناً . قال : فاني ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اللهم اغفر للاحنف (١٧) » .

ولم يفد الاحنف على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنه وقد على عمر ابن الخطاب (١٨) ، فقال رجل من المهاجرين : « يا أمير المؤمنين ! ان هذا

(٩) وفيات الاعيان (١٩١/٢) .

(١٠) المعارف ص (٤٢٥) .

(١١) اسد الغابة (٥٥/١) والاستيعاب (٧١٥/٢) - (٧١٦) .

(١٢) شذرات الذهب في اخبار من ذهب (٧٨/١) .

(١٣) انظر تهذيب ابن عساکر (١٠/٧) .

(١٤) المعارف ص (٤٢٣) ووفيات الاعيان (١٨٦/٢) .

(١٥) تهذيب ابن عساکر (١٠/٧) وطبقات ابن سعد (٩٣/٧ - ٩٤) واسد الغابة (٥٥/١) .

والاصابة (١٠٣/١) .

(١٦) الاستيعاب (٧١٥/٢) - (٧١٦) .

(١٧) شذرات الذهب في اخبار من ذهب (٧٨/١) .

(١٨) شذرات الذهب في اخبار من ذهب (٧٨/١) .

— يعني الأحنف — الذي كف عنا بني مرة حين بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدقاتهم ، وقد كانوا هموا بنا (١٩) ، « ، وهذا موقف مشرف للأحنف في الدفاع عن الاسلام ودعائه .

وقد ثبت الأحنف على اسلامه حين ارتدّ قومه بعد التحاق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، وقد أتى هو وعمه المتشمس بن معاوية مسليمة الكذاب ليسمعا منه ، فلما خرجا قال الأحنف : « كيف تراه ؟! » ، فقال : « أراه كذابا » (٢٠) . ولا أشك أن ثباته على عقيدته في أيام الردة — وهي أيام المحنة الكبرى لتلك العقيدة ، كان ذا تأثير حاسم على قومه وعلى صمود كثير من تميم على الاسلام امام تيار الردة الجارف ، مما سهل على المسلمين القضاء على فتنة المرتدين واعادة وحدة شبه الجزيرة العربية الى ما كانت عليه أيام الرسول الكريم .

جهاده :

١ - قبل الفتح :

طوتق الفرس قوات العلاء بن الحضرمي في (الاهواز) ، فتخرج موقف المسلمين هناك تخرجاً شديداً ، فأرسل عمر بن الخطاب الى عتبة بن غزوان يأمره بأنفاذ جيش كثيف الى فارس لانقاذ جيش العلاء بن الحضرمي ، فأرسل عتبة جيشاً كثيفاً في اثني عشر ألف مقاتل فيهم عاصم بن عمرو التميمي وعرفجة بن هرثمة البارقي والأحنف بن قيس عليهم أبو سبرة بن أبي رهم فانقلد هذا الجيش قوات العلاء بن الحضرمي وعاد الى البصرة (٢١) .

ولما تولى أبو موسى الأشعري البصرة ، أوفد الأحنف مع بعض رجال البصرة الى عمر بن الخطاب فاحتبسه حولا كاملاً ، ثم قال له : « هل تدري لم حبستك ؟ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفنا كل منافق عليم ، ولست منهم ان شاء الله » . قال الأحنف : « قدمت على عمر بن الخطاب فاحتبسني عنده حولا فقال : يا أحنف قد بلوتك وخبرتك فلم أر الا خيراً ، ورايت علانيتك حسنة وأنا أرجو ان تكون سريرتك مثل علانيتك ، فانا كنا نتحدث ، انما هلك هذه الامة كل منافق عليم » ، وكتب عمر الى أبي موسى :

(١٩) ذكر أخبار أصبهان (٢٢٤/١) وتهذيب ابن عساکر (١٠/٧) .

(٢٠) المعارف ص (٤٢٤) .

(٢١) الطبري (١٧٨/٣) وابن الأثير (٢٠٨/٢ - ٢٠٩) .

« اما بعد . فادن الأحنف وشاوره واسمع منه (٢٢) » ، فشهد مع أبي موسى الأشعري الذي كان على أهل البصرة فتح (تستر (٢٣)) وقدم على عمر بفتحها (٢٤) ، حيث أرسله أبو سبرة بن أبي رهم الذي كان القائد العام إلى عمر بن الخطاب مع أنس بن مالك وأرسل معهما (الهرمزان) ، فسأل عمر الوفد قائلا : « لعل المسلمين يؤذون أهل الذمة ، فلهذا ينتقصون بكم » ، وكان يشير إلى انتقاص الهرمزان بعد صلحه مع المسلمين ، فقال الأحنف : « يا أمير المؤمنين . انك نهيتنا عن الانسياح في البلاد ، وإن ملك فارس بين أظهرهم ، ولا يزالون يقاتلون ما دام ملكهم فيهم ، ولم يجتمع ملكان متفقان حتى يخرج أحدهما صاحبه ، وقد رأيت أثا لم نأخذ شيئا بعد شيء إلا بانبعاثهم وغدرهم ، وإن ملكهم هو الذي يبعثهم ، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا بالانسياح ، فنسبح في بلادهم ونزيل ملكهم ، فهناك ينقطع رجاء أهل فارس » فقال عمر : « صدقتني والله » ، وأذن في الانسياح في بلاد فارس (٢٥) .

٢ - الفاتح :

عرف عمر الأحنف معرفة شخصية ، فرأى منه عقلا ودينا (٢٦) ، كما برز مجاهدا في ميدان القتال ، لذلك دفع له لواء (خراسان) حين أذن في الانسياح في بلاد فارس سنة سبع عشرة للهجرة (٢٧) .

وشهد الأحنف قبل أن يتوجه لفتح (خراسان) فتح (نهاوند) مع أهل البصرة الذين جاءوا مددا وعليهم أبو موسى الأشعري (٢٨) ، فلمّا أنصرف أبو موسى من نهاوند وفتح قم (٢٩) ، وجه الأحنف إلى (قاشان) ففتحها عنوة ثم لحق بأبي موسى الأشعري (٣٠) .

-
- (٢٢) طبقات ابن سعد (٩٤/٧) . وانظر تاريخ عمر بن الخطاب - لابن الجوزي - ص(٨٧) وتهذيب ابن عساکر (١١/٧) وذكر أخبار أصبهان (٢٢٥/١) . وفي ابن الأثير (٢١٠/٢) : أن عتبة بن غزوان الذي كان أول أمير على البصرة هو الذي أوفد الأحنف إلى عمر بن الخطاب . (٢٣) تستر : أعظم مدينة بخوزستان ، وهو قمرب : شوشتر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٦/٢) والمسالك والممالك للأصطخري ص (٦٤) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (١٧٠) (٢٤) تهذيب ابن عساکر (١٠/٧) وذكر أخبار أصبهان (٢٢٤/١) . (٢٥) الطبري (١٨٤/٣ - ١٨٥) وابن الأثير (٢١٣/٢) . (٢٦) اسد الغابة (٥٥/١) . (٢٧) الطبري (١٨٩/٣) وابن الأثير (٢١٤/٢) ومعجم البلدان (٤٠٩/٣) . (٢٨) ابن الأثير (٦/٣) . (٢٩) : مدينة تذكر مع قاشان ، وهي مدينة مستحدثة اسلامية ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٥٩/٧) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٤٢) . (٣٠) البلاذري ص(٣١٠) وجمع فتوح الاسلام - ملحق بجوامع السيرة لابن حزم - ص(٣٤٦)

وبعد أن انجز الاحنف كافة متطلبات قواته للقتال وأكمل تحشدها ،
سار لفتح (خراسان) سنة ثمانى عشرة للهجرة وفي قول بعضهم سنة
اثنين وعشرين للهجرة (٣١) .

لقد التجأ (يزديجرد) بعد هزيمة الفرس في معركة (جلولاء) الى
(الري) ثم قصد (أصبهان) ثم منها الى (كرمان) ، ثم قصد (خراسان) ،
فأتى (مرو) (٣٢) فنزلها وبنى بها بيتا للنار ، فدان له من فيها من الفرس ،
فكاتب (الهرمزان) وأثار أهل فارس وأهل الجبال ، فنكثوا العهد ، فلما
قضى المسلمون على مقاومات الفرس في تلك المناطق ، جاء دور (خراسان) ،
فسار الاحنف على رأس جيشه حتى دخل (خراسان) من (الطبسين) (٣٣)
فافتتح (هراة) (٣٤) عنوة واستخلف عليها ، وسار نحو (مرو
الشاهجان) (٣٥) ، فكتب (يزديجرد) وهو في (مرو الروذ) (٣٦) الى
خاقان ملك الترك والى ملك (الصفد) (٣٧) والى ملك الصين يستمددهم .

وخرج الاحنف من مرو الشاهجان بعد أن وصلته امدادات أهل الكوفة،
فسار نحو (مرو الروذ) فلما سمع (يزديجرد) سار عنها الى (بلخ) (٣٨) .
ونزل الاحنف (مرو الروذ) ، وقدم أهل الكوفة الى (بلخ) وأتبعهم الاحنف،
فالتقى أهل الكوفة بيزديجرد في (بلخ) فهزموه ، فما لحق الاحنف بأهل
الكوفة الا وقد فتح الله عليهم .

(٣١) الطبري (٢٤٤/٣) وابن الاثير (١٢/٣) .

(٣٢) مرو : أشهر مدن خراسان وأقدمها وأكثرها خيرا . ويوجد (مروان) ثنية مرو :
مرو الشاهجان ومرو الروذ . انظر التفاصيل في المسالك والممالك (١٤٧) ومعجم البلدان
(٣٠/٨) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٥٦) .

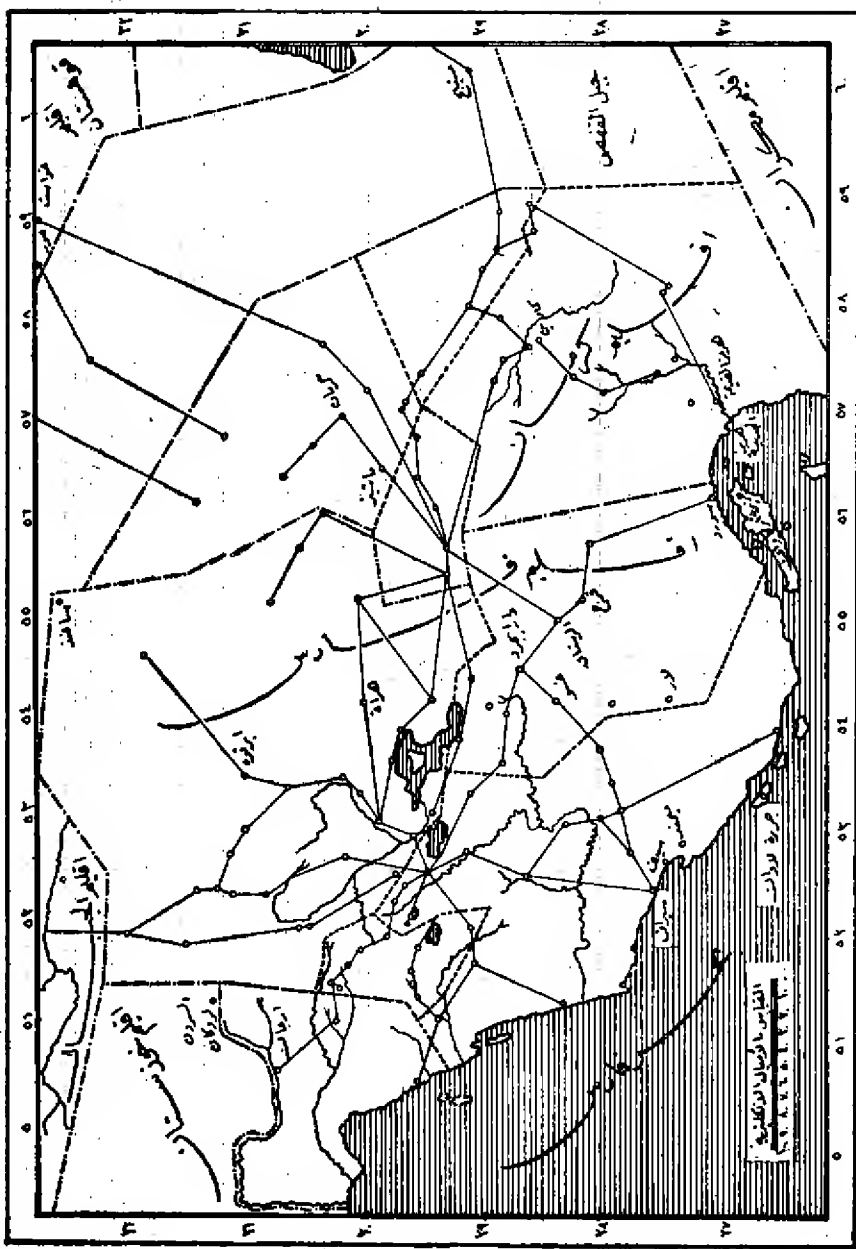
(٣٣) طيس : مدينة في بركة بين نيسابور وأصبهان وكرمان . وهما : طيسان : طيس
كيلكي وطيس مسينان . ويقال لهما : الطبان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٨/٦) وآثار
البلاد وأخبار العباد ص (٤٠٦) .

(٣٤) هراة : مدينة عظيمة من مدن خراسان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٥١/٨)
والمسالك والممالك ص (١٤٩) .

(٣٥) مرو الشاهجان : أشهر مدن خراسان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٣/٨) .
(٣٦) مرو الروذ : مدينة قريبة من مرو الشاهجان ، بينهما خمسة أيام ، وهي صغيرة
بالنسبة الى مرو الأخرى . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٢/٨) والمسالك والممالك ص
(١٥٢) . وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٥٥) .

(٣٧) الصفد : ولاية كبيرة قصبتها سمرقند . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٢/٥)
والمسالك والممالك ص (١٧٧ - ١٧٩) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٥٤٣) .

(٣٨) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٣/٢)
والمسالك والممالك ص (١٥٤) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٣١) .



اقلیما فارس و کرمان

وتتابع أهل (خراسان) ممن شذ أو تحصن على الصلح فيما بين (نيسابور) (٣٩) إلى (طخارستان) (٤٠) ممن كان في مملكة كسرى ، أما الاحنف فعاد إلى (مرو الروذ) فنزلها واستخلف على (طخارستان) ربيعي ابن عامر التميمي (٤١) .

وكتب الاحنف إلى عمر بن الخطاب بفتح (خراسان) ، فقال عمر عن الاحنف : « هو سيد أهل المشرق المسمى بغير اسمه » ولكن عمر قال : « لوددت اني لم اكن بعثت إلى خراسان جندا ، ولوددت انه كان بيننا وبينها بحر من نار » ، وخشي أن يتقدم الاحنف بجنوده إلى ما وراء خراسان من أرض الشرق ، كما خشي أن تأخذ المسلمين نشوة الظفر فيتغفلوا شرقا ، فكتب إلى الاحنف يقول : « أما بعد ، فلا تجوزن النهر واقتصر على ما دونه ، وقد عرفتم بأي شيء دخلتم على خراسان ، فداوموا على الذي دخلتم به يدم لكم النصر ، وإياكم أن تعبروا فتتفضوا ! » .

لقد كان لهذا الحذر من جانب عمر ما يسوّغه ، فقد اتسعت رقعة الفتح في الشرق فتناولت أرض فارس كلها ، وقد طالبت خطوط مواصلات المسلمين كثيرا وتوزعت قواتهم في أرجاء الشام والعراق وفارس ، وقد دلت الحوادث من بعد ، أن عمر كان حصيف الرأي بعيد النظر ، فقد سار خاقان الترك في جنده ويزدجرد معه ، فعبروا النهر إلى (بلخ) واضطروا جنود الكوفة أن يتراجعوا منها إلى (مرو الروذ) ، ومن (بلخ) تقدمت قوات خاقان وحلفائه باتجاه الاحنف في (مرو الروذ) ، وكان الاحنف قد خرج بقواته ليلا من المدينة وعسكر خارجها ، وفي الصباح جمع الناس وقال لهم : « انكم قليل وان عدوكم كثير ، فلا يهولنكم ، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين . ارتحلوا من مكانكم هذا ، فاسندوا إلى هذا الجبل فاجعلوه في ظهوركم واجعلوا النهر بينكم وبين عدوكم ، وقاتلوهم من وجهه

(٣٩) نيسابور : مدينة عظيمة في خراسان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٥٦/٨) والممالك والممالك (١٤٥) ، وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٧٣) .
(٤٠) طخارستان : ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد ، وهي من نواحي خراسان ، وهي طخارستان العليا شرقي بلخ وغربي نهر جيحون ، وطخارستان السفلى غربي جيحون ايضا الا انها أبعد من بلخ . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣١/٦) والممالك (١٥٦) .

(٤١) ربيعي ابن عامر التميمي : صحابي جليل كان عمر بن الخطاب أمد به المشي بن حارثة الشيباني ، وكان من أشرف العرب ، وكان على مجبة هاشم بن عتبة عند عودة جيش العراق من أرض الشام بعد اليرموك ، كما شهد (نهاوند) ، وولاه الاحنف طخارستان . راجع الإصابة (١٦٤/٢) .

واحد (٤٢) « ؛ وكانت قوة الاحنف تقدر بعشرين ألفا : عشرة آلاف من
اهل الكوفة وعشرة آلاف من اهل البصرة .

واقبل الترك ، فكانوا يناوشون المسلمين نهادا ويتنحون عنهم ليلا ،
فخرج الاحنف بنفسه ليلة طليعة لاصحابه حتى كان قريبا من معسكر خاقان
الترك ، فلما تنفس الصبح خرج فارس من الترك بطوقه وضرب ببطيله ،
فحمل عليه الاحنف ، فاختلعا طعنتين فطعنه الاحنف وهو يقول :

ان على كل رئيس حقا ان يخضب الصعدة او تندقا
ان لنا شيئا بها ملقى سيف أبي حفص الذي تبقى (٤٣)

وخرج فارس تركي ثان ، فأورده الاحنف حتفه بطعنة نجلاء وهو
يرتجز :

ان الرئيس يرتبي ويطلع ويمنع الخلاء اما اربعوا (٤٤)

وخرج فارس تركي ثالث ، فأورده الاحنف مورد صاحبيه وهو يرتجز :

جرى الشموس ناجزا بناجز محتفلا في جريه مشارز (٤٥)

ثم انصرف الاحنف الى عسكره واعد رجاله للقتال ، ولكن الترك آثروا
المودة الى ديارهم ، لان مقامهم طال دون جدوى ، ولأنهم تكبدوا خسائر
فادحة بالايواح ، ولان أملهم بالنصر كان ضعيفا ، ولأنهم اطمأنوا الى ان
المسلمين لن يعبروا اليهم النهر تنفيذا لأمر الخليفة عمر بن الخطاب .

وكان يزددجرد حين انسحب جند الكوفة من (بلخ) وانضموا الى

(٤٢) في الطبري (٢٤٦/٢) وابن الاثير (١٤/٣) : وخرج الاحنف ليلا يسمع ، هل يسمع
برأي فينتفع به ، فمر برجلين ينفيان علما : اما تبنا او شعرا ، وأحدهما يقول لصاحبه :
لو ان الأمير أسندنا الى هذا الجبل ، فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقا ، وكان الجبل في
ظهورنا من ان تؤتى من خلفنا ، وكان قتالنا من وجه واحد ، رجونا ان ينصرنا الله . فرجع
الاحنف وعمل بهذه الفكرة الصائبة .

(٤٣) الصعدة : الرمح او آلة جارحة اصغر من الحربة . ملقى : طريح ويقصد به
الشهيد . والمعنى : واجب كل أمير ان يقاتل حتى يدمى رمحه او يتحطم من شدة القتال ،
ثم يتذكر الشهيد ابا حفص الثاوي هناك . أنظر تاج العروس (٣٩٨/٢) .

(٤٤) يرتبي : يصعد الرابية . الخلاء : جمع خلى ، وتميم تقول : خلا فلان على اللب
واللحم اذا لم يأكل معه شيئا ولا خلط به . ربع بالمكان : اقام . يريد : ان واجب الرئيس
ان يتحمل عبء الدفاع عن رجاله وحمايتهم .

(٤٥) الشموس : الفرس لمنع ظهرها . مشارز : الشدة والصعوبة والقوة . يعني : انه
يزج نفسه بالحرب بقوة واندفاع كما تندفع الفرس الشموس لا تلوي على شيء في جريها القوي
الشديد .

الاحنف بمرور الروذ قد فصل في قوة فارسية من (بلخ) الى (مرو الشاهجان)،
فحصر المسلمين بها واستخرج خزائنه من موضعها .

وعلم يزدجرد بانسحاب خاقان الى (بلخ) وعزمه على الانسحاب من
فارس كلها الى بلاده ، فأراد ان يحمل خزائنه ويلحق بخاقان حليفه ، فقال
له اهل فارس : اي شيء تريد ان تصنع ؟! فقال : « اريد اللحاق بخاقان
فاكون معه او بالصين » ، فقالوا : مهلا ! ان هذا رأي سوء ، فانك انما
تأتي قوما في مملكتهم وتدع أرضك وقومك ، ولكن أزعج بنا الى هؤلاء القوم
فنصالحهم فانهم يلون بلادنا ، وان عدواً يلينا في بلادنا أحب الينا مملكة من
عدو يلينا في بلاده ، ولا دين لهم ولا ندرى ما وفاؤهم !! فأبى عليهم وأبوا
عليه ، فقالوا : فدع خزائنا نردها الى بلادنا ومن يليها ولا تخرجها من بلادنا
الى غيرها ! . فخالفهم يزدجرد وأصر على رأيه ؛ فخرجوا اليه وثاروا به
وقاتلوه وحاشيته واستولوا على خزائنه ففر فيمن معه الى (بلخ) ، فإذا
خاقان سبقه الى الانسحاب منها ، فتابع فراغه حتى بلغ (فرغانة) (٤٦)
عاصمة الترك ، فقال المسلمون للأحنف : ما ترى في اتباعهم ؟ فقال : « أقيموا
بمكانكم ودعوهم » .

واقبل اهل فارس على الاحنف فصالحوه وعاهدوه ودفعوا اليه خزائن
كسرى وأمواله ، فسار الاحنف بجند الكوفة من (مرو الروذ) الى (بلخ)
فأنزلهم بها ثم عاد الى مقر قيادته في (مرو الروذ) .

وكتب الاحنف الى عمر بالفتح وبعث اليه بالاحماس ، فجمع عمر
الناس وخطبهم ، وأمر بكتاب الفتح فقرأ عليهم ، وقال في خطبته : « ألا ان
الله قد أهلك ملك المجوسية وفرق شملهم ، فليسوا يملكون من بلادهم شيئا
يضر بمسلم . ألا وان الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم
لينظر كيف تعملون ؛ والله بالغ أمره ومنجز وعده ومتبع آخر ذلك أوله ،
فقوموا في أمره على رجل يعرف لكم بمعه ويؤتكم وعده ، ولا تبدلوا ولا
تغيروا فيستبدل الله بكم غيركم ، فاني لا أخاف على هذه الأمة ان توتى الا
من قبلكم (٤٧) » ، فكان فتح الاحنف لخراسان النذير الصادق بانتهاء دولة

(٤٦) فرغانة : اسم مدينة واسم ولاية ايضا ، وهي ولاية واسعة بما وراء نهر جيحون
متاخمة لبلاد تركستان . وهنا يقصد مدينة فرغانة وهي عاصمة سمرقند . انظر التفاصيل
في معجم البلدان (٣٤٦/٦) والمسالك والممالك ص (١٦٦) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٢٣٥) .
(٤٧) انظر تفاصيل قصة فتح خراسان في الطبري (٢٤٤/٣ - ٢٥٠) وابن الاثير (١٥٠٣/٣ - ١٥٠٤)

الأكاسرة من بني ساسان ونشر زيات العرب المسلمين في تلك البلاد (٤٨) .

٣ - استعادة فتح خراسان :

نكت أهل فارس العهد بعد عمر بن الخطاب (٤٩) ، فلما استعاد عبدالله ابن عامر فتح بعض أرض فارس في أيام عثمان بن عفان ، غزا خراسان (٥٠) وعلى مقدمته الاحنف ، فأتى (الطَّبَسِينَ) وهما حصنان وبابا خراسان فصالحه أهلها ، فسار إلى (قَهْسْتَان) (٥١) فلقبه أهلها وقتلهم حتى الجأهم إلى حصنهم ، فقدم عليها عبدالله بن عامر وصالح أهلها (٥٢) .

ووجه ابن عامر الاحنف إلى (طَخَارِسْتَان) ، فأتى الموضع الذي يقال له : قصر الاحنف ، وهو حصن (مرو الروذ) وله رستاق (٥٣) عظيم يعرف برستاق الاحنف (٥٤) فحصر الاحنف أهله ، فصالحوه على ثلاثمائة ألف درهم . ومضى الاحنف إلى (مرو الروذ) فصالح أهلها بعد قتال شديد ، وسيّر الاحنف سرية فاستولت على رستاق (بغ) (٥٥) وصالح أهلها (٥٦) وجمع له أهل (طَخَارِسْتَان) ، فاجتمع أهل (الجوزجان) (٥٧)

(٤٨) فتحت خراسان سنة اثنين وعشرين للهجرة . انظر الطبري (٢٤٤/٣) وابن الاثير (١٣/٢) وتاريخ ابي الفدا (١٦٤/١) ، وذلك لان انسباخ المسلمين في ولايات فارس جرى بعد معركة (نهاوند) التي كانت سنة احدى وعشرين للهجرة ، ولم يكن بإمكان المسلمين التغلغل بهذا العمق قبل معركة (نهاوند) الحاسمة التي قضت على القوات الفارسية المهمة للفرس ، لذلك أطلق العرب بحق على معركة (نهاوند) اسم : فتح الفتوح .

(٤٩) ابن الاثير (٤٧/٣) .

(٥٠) البلاذري ص (٣٩٤) .

(٥١) قهستان : في البلاذري ص (٣٩٤) وود اسمها : قوهستان . كذلك في معجم البلدان (١٨٧/٧) والمسالك والممالك ص (١٥٤) : تعريب قوهستان ومعناه موضع الجبال ، لان كوه هو الجبل بالفارسية . وهي ولاية بين هراة ونيسابور . وانظر آثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٤١) (٥٢) ابن الاثير (٤٧/٢) ، وفي البلاذري : ان الاحنف استعاد فتح قوهستان عتوة ، ويقال : بل الجأهم إلى حصنهم ، ثم قدم عليها ابن عامر ، فطلبوا الصلح فصالحهم على ستمائة ألف درهم . وانظر تاريخ ابن خلدون (١٣٢/٢) .

(٥٣) الرستاق : مجموعة القرى .

(٥٤) البلاذري ص (٣٩٦ - ٣٩٧) .

(٥٥) بغ : ويقال لها : بغشور ، وهي بلدة بين هراة ومرو الروذ . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٤٥/٢ - ٢٤٦) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٣٢٩) .

(٥٦) ابن الاثير (٤٨/٣) والبلاذري ص (٢٩٧) .

(٥٧) الجوزجان : كورة واسعة من كور بلخ بخراسان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦٢/٣) والمسالك والممالك ص (١٥٣) .

و (الطالقان) (٥٨) و (الفارياب) (٥٩) ومن حولهم ، فبلفوا ثلاثين ألفاً ، وجاءهم أهل (الصغانيان) (٦٠) وهم من الجانب الشرقي من نهر جيحون ، فالتقوا وقاتل قتالا شديداً ، فانهزم الفرس وحلفاؤهم فطاردتهم المسلمون والحقوا بهم خسائر فادحة بالارواح (٦١) .

ولحق بعض العدو (بالجوزجان) فوجه اليهم الاحنف الاقرع بن حابس التميمي (٦٢) في خيل ، واوصى قومه بني تميم بقوله : « يا بني تميم ! تحابوا وتبذلوا تعدل امورك ، وابدؤا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ، ولا تغفلوا يسلم لكم جهادكم » ، فسارع الاقرع ولقي العدو بالجوزجان ؛ فكانت بالمسلمين جولة ثم عادوا فهزموا عدوهم وفتحوا الجوزجان عنوة (٦٣) .

واستعاد الاحنف فتح (الطالقان) صلحا وفتح (الفارياب) ، ثم سار الى (بلخ) وهي مدينة طخارستان فصالحه أهلها أيضا ، فسار الى خوارزم (٦٤) وهي على نهر جيحون ، فلم يقدر عليها ، فاستشار أصحابه

(٥٨) الطالقان : يلد بخراسان بين مرو الروذ وبلخ . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٦) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٤٠٢) .

(٥٩) الفارياب : مدينة مشهورة بخراسان قرب بلخ غربي جيحون . انظر معجم البلدان (٣٢٨/٧) .

(٦٠) الصغانيان : ولاية عظيمة بما وراء النهر متصلة الاعمال بترمد . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦١/٥) .

(٦١) الطبري (٣٥٦/٣) وابن الاثير (٤٨/٣) والبلاذري ص (٣٩٧) وانظر البدء والتاريخ (١٩٨/٥) .

(٦٢) الاقرع بن حابس التميمي : وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وشهد فتح مكة وحنينا والطائف ، وهو من المؤلفة قلوبهم ، وقد حسن اسلامه .

شهد حرب البعثة مع خالد بن الوليد ، وشهد مع شرحبيل بن حسنة دومة الجندل ، وشهد مع خالد حرب أهل العراق وفتح الانبار واستعمله عبد الله بن عامر على جيش سيره الى خراسان فاصيب بالجوزجان هو والجيش وذلك في زمن عثمان بن عفان ، ولكنه تغلب على العدو في النهاية .

كان شريفا في الجاهلية والاسلام ، واسمه الاصلي : فراس . وانما قيل له : الاقرع ، لقرع كان براسه . انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٣٧/٧) والاصابة (٥٨/١) واسد الغابة (١٠٧/١) والاستيعاب (١٠٣/١) .

(٦٣) الطبري (٣٥٧/٣ - ٣٥٨) وابن الاثير (٤٨/٣) والبلاذري ص (٢٩٨) .
(٦٤) خوارزم : اسم اقليم ، وهو منقطع عن خراسان ومما وراء النهر ، وتحيط به المغاوير من كل جانب ، وحدها متصل بحد الغزية فيما يلي الشمال والمغرب ، وجنوبيه وشرقيه خراسان وما وراء النهر ، وهي على جانبي نهر جيحون ومدنها في الجانب الشمالي من جيحون . انظر التفاصيل في الممالك والمسالك ص (١٦٨) ومعجم البلدان (٤٧٤/٣) .

فأشاروا عليه بالعودة الى بلخ (٦٥) .

وهكذا استعاد الأحنف فتح خراسان ثانية (٦٦) .

الانسان :

١ - حياته :

ذكرنا اسلامه وجهاده ، وكان بالإضافة الى ما ذكرناه ، من سادات التابعين واكابرهم (٦٧) ، سيدا مطاعا في قومه (٦٨) وسيد أهل البصرة (٦٩) .

وفد على عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، وكان موضع ثقتهم وتقديرهما ، ولما تولى علي بن أبي طالب الخلافة وقصدت عائشة أم المؤمنين البصرة ، كتبت اليه والى أمثاله من رجالات البصرة وأقامت (بالحفير) (٧٠) تنتظر الجواب (٧١) ، وكان الأحنف قد بايع عليا بالمدينة بعد مقتل عثمان وكان الأحنف حينذاك في طريق عودته من الحج ، ولكنه اعتزل الفريقين في معركة الجمل ومعه زهاء ستة آلاف ، وبقي مع أصحابه بالجلحاء (٧٢) على فرسخين من البصرة .

فقد قصد الأحنف كلاً من عائشة وطلحة والزبير عند وصولهم البصرة ، فقال لهم : « والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين ، ولا أقاتل ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أمرتوني ببيعته ، ولكن اعتزل » ، فأذنوا له في ذلك .

ولما قدم علي بن أبي طالب البصرة ، أتاه الأحنف فقال : « ان قومنا بالبصرة يزعمون أنك ان ظهرت عليهم غداً قتلت رجالهم وسبيت نساءهم » .

(٦٥) الطبري (٣٥٨/٣) وابن الأثير (٤٩/٣) والبلاذري ص (٣٩٨) واليعقوبي (١٤٤/٢) وجمل فتوح الاسلام - ملحق بجوامع السيرة - لابن حزم ص (٣٤٨) وتهذيب ابن عساکر (١٢/٧) .

(٦٦) انجز الأحنف إعادة فتح خراسان سنة احدى وثلاثين للهجرة . انظر الطبري (٣٥٨/٣) وابن الأثير (٤٩/٣) وتاريخ أبي الفدا (١٦٨/١) .
(٦٧) وفيات الأعيان (١٨٦/٢) وشذرات الذهب في أخبار من ذهب (٧٨/١) وتاريخ الاسلام (١٢٩/٣) .

(٦٨) تاريخ الاسلام (١٢٩/٣) والبداية والنهاية (٣٢٦/٨) وتهذيب ابن عساکر (١١/٧) .
(٦٩) الاصابة (١٠٣/١) واسد الغابة (٥٥/١) .
(٧٠) الحفير : موضع بين البصرة ومكة ، وهو أول منزل من البصرة لمن يريد مكة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٠٣/٣) .
(٧١) ابن الأثير (٨٢/٣) .
(٧٢) الجلحاء : موضع على فرسخين من البصرة ، وهي غير الجلحاء الوارد ذكرها في معجم البلدان (١٢١/٣) .

فقال علي : « ما مثلي يخاف هذا منه ، وهل يحل هذا الا لمن تولى وكفر ، وهم قوم مسلمون » ، فقال الاحنف : « اختر مني واحدة من اثنتين : اما ان اقاتل معك ، واما ان اكف عنك عشرة آلاف سيف » ، فقال علي : « اكف عنا عشرة آلاف سيف » ، فرجع الى الناس ودعاهم الى القعود واعتزل بهم (٧٣) .

والظاهر ان هناك اسبابا اخرى لاعتزال الاحنف ، فقد تأثر لمقتل عثمان ابن عفان ، وكان يرى ان الاقدام على قتله جريمة لا تفتقر لما قدمه عثمان من خدمات جليلة للاسلام . قال الاحنف : « خرجنا حجاجاً فقدمنا المدينة ونحن نريد الحج ، فبينما نحن في منازلنا نضع رحالنا ، اذ اتانا آت فقال : ان الناس قد اجتمعوا في المسجد وفرغوا . فانطلقنا فاذا الناس مجتمعون على نفر في وسط المسجد ، واذا علي والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص ، فانا كذلك اذ جاء عثمان بن عفان عليه ملاءة (٧٤) صفراء قد قنَّع بها رأسه (٧٥) ، فقال : أهنا علي ؟ أهنا طلحة ؟ أهنا الزبير ؟ أهنا سعد ؟ قالوا : نعم . قال : فاني انشدكم بالله الذي لا اله الا هو ، اتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يتاع مريد (٧٦) بني فلان غفر الله له ؛ فابتعته بعشرين ألفاً او بخمسة وعشرين ألفاً ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فقال : اجعلها في مسجدنا وأجره لك . قالوا : اللهم نعم . قال : فأنشدكم بالله الذي لا اله الا هو ، اتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يتاع (بشر رومة) (٧٧) غفر الله له ، فابتعته بكذا وكذا ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : قد ابتعتها بكذا وكذا ، فقال : اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك . قالوا : اللهم نعم ! . قال : فأنشدكم بالله الذي لا اله الا هو ، اتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر في وجوه القوم فقال : من جهَّز هؤلاء غفر الله له - يعني جيش العسرة - فجهزتهم حتى ما يفقدوا عقالا ولا خطاما ! قالوا : اللهم نعم . قال : اللهم اشهد . اللهم اشهد ! . وهذا سبب من أسباب اعتزال الاحنف (٧٨) .

(٧٣) الطبري (٥٠٩/٣ - ٥١٠) وابن الاثير (٩٤/٣) .

(٧٤) الملاءة : الازار والربطة .

(٧٥) قنَّع رأسه : أي القى على رأسه لدفع الحر او غيره .

(٧٦) مريد : موضع يجعل فيه التمر لينشف .

(٧٧) بشر رومة : بشر في عقب المدينة ، وهي التي اشتراها عثمان بن عفان فتصدق بها .

انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٢) .

(٧٨) سنن الامام النسائي (١٢٤/٢) وانظر حاشية السندي على النسائي على هامش

سنن النسائي (١٢٤/٢) . وانظر ايضا الطبري (٥١٠/٣) .

معركة (الجمل) (٧٩) .

لقد كان الاحنف في حرج شديد من قتال أم المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم : طلحة والزبير ، ولكنه كان يرى ان عليا على الحق وانه مسؤول عن اسناده (٨٠)، لذلك آثر استرضاء الطرفين : فاعتزل وقعة (الجمل) ولكنه شهد مع علي بن أبي طالب وقعة (صفين) (٨١) .

قال الاحنف لعلي : « يا امير المؤمنين ! انه ان يك بنو سعد لم ينصروك يوم الجمل ، فلن ينصروا عليك غرك . وقد عجبوا ممن نصرك يومئذ ، وعجبوا اليوم ممن خذلك ؛ لانهم شكوا في طلحة والزبير ولم يشكوا في عمرو ومعاوية ... » ، فقال علي : « اكتب الى قومك » فكتب الاحنف الى بني سعد ، فلما انتهى كتابه اليهم ساروا بجماعتهم حتى نزلوا الكوفة (٨٢) .

وقال لعلي قبل معركة صفين : « لم نقاتل القوم لنا ولك ، انما قاتلناهم لله ، فان حال امر الله دوننا ودونك فاقبله ، فانك اولى بالحق واحقنا بالتوفيق ؛ ولا ارى الا القتال ! » (٨٣) .

ولما استقر الامر لمعاوية بن ابي سفيان دخل عليه الاحنف يوما ، فقال له معاوية : « والله يا احنف ، ما اذكر يوم صفين الا كانت حزازة في قلبي الى يوم القيامة ! » ، فقال الاحنف : « والله يا معاوية ، ان القلوب التي ابغضناك بها لفي صدورنا ، وان السيوف التي قاتلناك بها لفي اغمارها ، وان تدن من الحرب فترا تدن منها شبرا ، وان تمش اليها نهروا اليها ! » ، ثم قام وخرج . وكانت أخت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامه ، فقالت : « يا امير المؤمنين ، من هذا الذي يتهدد ويتوعد ؟ ! » ، قال : « هذا الذي اذا غضب غضب لغضبه مائة الف من بني تميم لا يدرون فيم غضب » (٨٤) .

تولى خراسان في أيام عمر بن الخطاب وفي أيام عثمان بن عفان وأخباره كثيرة ، وقد ولد ملتصق اليتيم حتى شق (٨٥) ، كما ولد وهو احنف

-
- (٧٩) الاصابة (١٠٢/١) : واسد الغابة (٥٥/١) ووفيات الاعيان (١٨٦/٢) وتاريخ أبي الفدا (١٧٤/١) والامامة والسياسة لابن قتيبة (٧١/١) .
 (٨٠) انظر الطبري (٥١٣/٣) حول رأي الاحنف في اسناد علي بن ابي طالب .
 (٨١) البداية والنهاية (٣٢٧/٨) والاصابة (١٠٣/١) واسد الغابة (٥٥/١) ووفيات الاعيان (١٨٦/٢) وتاريخ الاسلام (١٢٩/٢) .
 (٨٢) الامامة والسياسة لابن قتيبة (٨٦/١ - ٨٧) .
 (٨٣) الامامة والسياسة لابن قتيبة (١٢٣/١) .
 (٨٤) وفيات الاعيان (١٨٦/٢ - ١٨٧) وشذرات الذهب (٢٨/١) .
 (٨٥) وفيات الاعيان (١٩١/٢) .

الرجل ، فكانت أمه ترقصه وتقول :

والله لولا حَنْفٌ في رجله ما كان في الحي غلامٌ مثله (٨٦)

وكان يطاءً على وحشى رجله ، ولذا قيل له : الاحنف (٨٧) . وكان أعور ذهب عينه عندما فتح (سمرقند) ، وقيل : بل ذهب عينه بالجدي . وكان متراكب الاسنان ، صغير الرأس ، مائل الذقن (٨٨) ، قصيراً دميماً له بيضة واحدة (٨٩) ، ناتئ الوجنة باخع العينين (٩٠) ، خفيف العارضين (٩١) ، وكان ثظاً - يعني كوسجاً - وكان رهطه يقولون : « وددا اننا اشترينا للاحنف لحية بعشرة آلاف » (٩٢) .

وكان يهتم بقيافته فيرتدي مطرف خز وعمامة من خر (٩٣) ، وكان صديقاً لمصعب بن الزبير فوجد عليه بالكوفة - ومصعب يومئذ وال عليها - فتوفي الاحنف عنده بالكوفة سنة سبع وستين للهجرة (٩٤) (٦٨٦م) عن سبعين سنة (٩٥) ، أي أنه ولد سنة ثلاث قبل الهجرة (٦١٩م) وصلى عليه مصعب بن الزبير ومشى راجلاً بين رجلي نعشه بغير رداء ، وقال في تأينه : « هذا سيد أهل العراق » (٩٦) ، وقال ايضاً : « اليوم ذهب الحزم والرأي » (٩٧) . ودفن (بالشويرة) (٩٨) عند قبر زياد بن أبي سفيان (٩٩) .

(٨٦) طبقات ابن سعد (٩٣/٧) .

(٨٧) الاحنف : المائل . وحشى الرجل : ظهرها . والحنف في الرجل : أن تقبل كل واحدة منهما بإبهامها على صاحبها .

(٨٨) وفيات الاعيان (٢٩١/٢) .

(٨٩) البداية والنهاية (٣٢٧/٨) وتهذيب ابن عساکر (١١/٧) .

(٩٠) باخع العينين : متخف العينين .

(٩١) تهذيب ابن عساکر (٢٣/٧) والمعارف ص (٥٧٨) .

(٩٢) ألف باء - للبلوي - (٣٤٣/٢) .

(٩٣) طبقات ابن سعد (٩٧/٧) .

(٩٤) الاصابة (١٠٣/١) وأسد الغابة (٥٥/١) والاستيعاب (٧١٦/٢) وابن الاثير (١٠٩/٤) .

وقيل : أنه توفي سنة احدى وسبعين ، وقيل سبع وسبعين ، وقيل ثمان وستين . انظر وفيات الاعيان (١٩١/٢) ، وقيل سنة اثنتين وسبعين . انظر شذرات الذهب (٧٨/١) .

(٩٥) وفيات الاعيان (١٩١/٢) .

(٩٦) الاستيعاب (٧١٦/٢) .

(٩٧) تهذيب ابن عساکر (٢٣/٧) .

(٩٨) الثوبة : موضع قريب من الكوفة ، وقيل بالكوفة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٨/٣) .

(٩٩) وفيات الاعيان (١٩١/٢) والاستيعاب (٧١٦/٢) والمعارف ص (٤٢٤) وزياد بن أبي

سفيان هو : زياد بن أبيه .

١ - مزاياه العامة :

كان الاحنف موضع ثقة الناس جميعا بمختلف طبقاتهم واهوائهم وميولهم ، فما هي المزاي التي جعلته يستحوذ على ثقة غيره به ؟

لقد كان من البيوتات التي تفخر بها البصرة ، وكان في البصرة ستة ليس بالكوفة مثلهم أحدهم الاحنف (١٠٠) . وكان ثقة مأمونا (١٠١) ، أحد الحكماء الدهاء العقلاء (١٠٢) ، عاقلا حكيما ذا دين وذكاء وفصاحة (١٠٣) ، وكان سيد قومه موصوفا بالعقل والدهاء والعلم والحلم (١٠٤) يضرب بحلمه المثل (١٠٥) ، وكان سيدا شريفا مطاعا مؤمنا عليم اللسان (١٠٦) .

تلك هي بعض مزايا الاحنف ، فلا عجب ان يقول الشاعر في وصفه :

إذا الابصار أبصرت ابن قيس ظللن مهابة منه خشوعا

وان يقول عنه خالد بن صفوان : « كان الاحنف يفر من الشرف ، والشرف يتبعه » (١٠٧) ، وقال هشام بن عبد الملك لخالد هذا : « أخبرني عن الاحنف » ، فقال : « ان شئت يا امير المؤمنين أخبرتك عنه بثلاث ، وان شئت بثنتين وان شئت بواحدة » ، قال : « فأخبرني عنه بثلاث » . فقال « كان لا يحسد ولا يجهل ، ولا يدفع الحق - اذا نزل به خضع لذلك » . فقال : « أخبرني عنه بثنتين » ، فقال : « كان يفعل الخير ويحبه ويتوقى الشر ويبغضه » . قال : « فأخبرني عنه بواحدة » ، فقال : « كان من أعظم الناس سلطانا على نفسه » (١٠٨) .

انه بلغ بهذه المزايا الانسانية الرفيعة درجة عالية في نفوس الناس

(١٠٠) ابن الفقيه ص (١٩٠) نقلا عن كتاب : الجاحظ ص (١٥٧) للدكتور شارل بلات ترجمة ابراهيم الكيلاني .

(١٠١) طبقات ابن سعد (٩٣/٧) .

(١٠٢) أسد الغابة (٥٥/١) .

(١٠٣) الاستيعاب (٧١٦/٢) .

(١٠٤) وفيات الأعيان (١٨٦/٢) .

(١٠٥) الاصابة (١٠٣/١) .

(١٠٦) البداية والنهاية (٣٢٦/٨) .

(١٠٧) تهذيب ابن عساکر (١٣/٧) .

(١٠٨) شذرات الذهب (٧٨/١) وانظر تهذيب ابن عساکر (١٣/٧) والمقد القرين (٢٨٧/٩) .

- (٢٨٨) مع اختلاف باللفظ واتفاق بالمعنى .

واستحوذ على منتهى ثقة الناس بانسان ، فما هي شواهد تلك المزايا
الانسانية الرفيعة في الاحنف ٤ .

ب - حلمه :

كان الاحنف حليما يضرب بحلمه المثل . سئل عن الحلم ما هو ؟ فقال :
« الذل مع الصبر » . وكان يقول اذا عجب الناس من حلمه : « اني لأجد ما
تجدون ، ولكني صبور ! » . وكان يقول : « وجدت الحلم أنصر لي من
الرجال » . وكان يقول : « ما تعلمت الحلم الا من قيس بن عاصم المنقري (١٠٩) ،
لأنه قتل ابن أخ له بمض بنيه ، فأتى بالقاتل مكتوفا يقاد اليه ، فقال : ذعرت
الفتى ! ثم أقبل على الفتى فقال : بئس ما فعلت : نقصت عددك وأوهنت

(١٠٩) قيس بن عاصم المنقري : قدم في وفد بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم
وذلك في سنة تسع للهجرة ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « هذا سيد
اهل الوبر » .

كان حليما مشهورا بالحلم ، ومن حلمه أنه كان قائدا بفناء داره وببده سيفه يحدث
قومه ، اذا أتى برجل مكتوف وآخر مقتول ، ففيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك ! فما قطع
كلامه ولا تغير لونه ، فلما أتم كلامه التفت الى ابن أخيه فقال : « يا ابن أخى ، بئس ما
فعلت ! أئمت بربك وقطعت رحمك وقتلت ابن عمك ورميت نفسك بسهمك » ، ثم قال لابن
عم له آخر : « قم يا بني فوار أخاك وحل كتاف ابن عمك ، وسق الى امك مائة ناقة دية ابنها ،
فانها غريبة » .

وكان قيس قد جرم على نفسه الخمر في الجاهلية وقال في ذلك :

رايت الخمر طالحة وفيها	خصال تفسد الرجل الحليما
فلا والله اشر بها صحيحا	ولا أشفي بها ابدا سقيما
ولا أعطي بها ثمننا حياتي	ولا أدعو لها ابدا نديما
فان الخمر تفضح شاربها	وتجنبهم بها الامر العظيما

ومن جيد شعره :

اني امرؤ لا يمتري خلقي	دنس بدنسه ولا أفن
من ينثر في بيت مكرمة	والفصن ينبت حوله الفصن
خطباء حين يقول ثألهم	بيض الوجود أعفة لبن
لا يفتنون بعيب جارهم	وهم لحسن جواره فطن

وكان لحلمه وورعه وعقله موضع ثقة ابي بكر الصديق . سأله مرة عن المثنى بن حارثة
الشيباني فقال : « هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجهول النسب ولا ذليل العماد ، هذا المثنى
ابن حارثة الشيباني » .

ولما حضرته الوفاة ، دعا بنيه فقال : « يا بني ! احفظوا عني فلا أحد انصح لكم مني .
اذا انا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم ، فيسفه الناس كباركم وتهنون عليهم . وعليكم
باصلاح الحال ، فانه منبه لكرامهم ويستغنى به عن اللثيم » ، فانها آخر كسب الرجل . راجع
الاصابة (٢٨٥/٥) ، وأسد الغابة (٢١٩/٤) والاستيعاب (١٢٩٤/٢) .

عضدك واشمت عدوك وأسأت بقومك . خلوا سبيله واحملوا الى ام المقتول
ديته فانها غريبة ! ثم انصرف القاتل وما حلّ قيس خبوته ولا تفيّر
وجهه» (١١٠) .

وقال رجل للاحنف : « علمني الحلم يا ابا بحر ! » ، فقال : « هو الذل
يا ابن اخي ، اقتصبر عليه ! » . وقال : « لست حليما ولكنني اتحالم » (١١١) .
ومن اخبار حلمه ، ان رجلا شتمه فسكت عنه ، واعاد الرجل فسكت
عنه ، واعاد فسكت عنه ، فقال الرجل : « والهفاه ! ما يمنعه من ان يرد علي
الا هواني عنده » (١١٢) .

وشتمه رجل وجعل يتبعه حتى بلغ حيّه ، فقال الاحنف : « يا هذا !
ان كان بقي في نفسك شيء فهاته وانصرف ، لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى
ما تكره » (١١٣) .

وكان يقول : « من لم يصبر على كلمة سمع كلمات ، ورب غيظ قد
تجرّعته مخافة ما هو أشد منه » (١١٤) .

ولكن حلمه كان حلم القوي القدير لا حلم العاجز الضعيف ، فقد قاتل
في بعض المواطن قتالا شديدا ، فقال له رجل : « يا ابا بحر ! اين الحلم ؟ » ،
فقال : « عند الحي » (١١٥) .

ج - عقله :

كان الاحنف عاقلا راجح العقل . قال مرة : « من كان فيه اربع خصال
ساد قومه غير مدافع : من كان له دين يحجزه ، وحسب يصونه ، وعقل
يرشده ، وحياء يمنعه » (١١٦) . وقال : « العقل خير قرين ، والادب خير
ميراث ، والتوفيق خير رفيق » (١١٧) .

وقال : « ما ذكرت احدا بسوء بعد ان يقوم من عندي » ، وكان اذا
ذكر عنده رجل قال : « دعوه يأكل رزقه ويأتي عليه أجله » (١١٨) .

(١١٠) وفيات الاعيان (١٨٨/٢) وانظر البداية والنهاية (٢٢٧/٨) .

(١١١) العقد الفريد (٢٨٧/١) .

(١١٢) عيون الاخبار (٢٨٣/١) .

(١١٣) عيون الاخبار (٢٨٧/١) .

(١١٤) عيون الاخبار (٢٨٤/١) .

(١١٥) عيون الاخبار (١٨٥/١) ، وعند الحي : يعني بها تركته في الدار كما نقول .

(١١٦) تهذيب ابن عساکر (١٧/٧) .

(١١٧) تهذيب ابن عساکر (١٩/٧) .

(١١٨) تهذيب ابن عساکر (٢١/٧) .

وشكا ابن اخيه وجع الضرس فقال : « ذهب عيني منذ ثلاثين سنة
ما ذكرتها لاحد » (١١٩) .

وقال : « ما نازعني احد فوقى الا عرفت له قدره ، ولا كان دوني الا
رفعت قدرى عنه ، ولا كان مثلى الا تفضلت عليه » (١٢٠) .

ومما يدل على رجاحة عقله ، انه دخل على معاوية فأشار الى الوسادة
وقال له : « اجلس » ، فجلس الاحنف على الارض ، فقال له معاوية : « وما
منعك يا أحنف من الجلوس على الوسادة ؟ » ، فقال : « يا امير المؤمنين . ان
فيما اوصى به قيس بن عاصم المنقري ولده ان قال : لا تنفش السلطان
حتى يملكك ، ولا تقطعه حتى ينسأك ، ولا تجلس له على فراش ولا وساد ،
واجعل بينك وبينه مجلس رجل او رجلين ، فانه عسى ان يأتي من هو أولى
بذلك المجلس منك ، فتقام له ، فيكون قيامك زيادة له ونقصا عليك ، وحسبي
بهذا المجلس يا امير المؤمنين ، لعله ان يأتي من هو أولى بذلك المجلس مني » ؛
فقال معاوية : « لقد اوتيت تميم الحكمة مع دقة حواشي الكلام » (١٢١) .

وكان يقول : « في ثلاث خصال ما اقولهن الا ليعتبر معتبر : ما دخلت
بين اثنين قط حتى يدخلاني بينهما ، ولا أتيت باب احد من هؤلاء ما لم ادع
اليه - يعني الملوك ، وما حلت حبوتي الى ما يقوم الناس اليه » . ويقول : « ألا
ادلكم على المحمدة بلا مزرية ؟ الخلق السجيج والكف عن القبيح . الا اخبركم
بادوا الداء ؟ الخلق الدني واللسان البذي ! » . ويقول : « ما خان شريف ولا
كذب عاقل ولا اغتاب مؤمن » (١٢٢) .

د - علمه :

كان عالما ثقة مأمونا قليل الحديث ، وقد روى عن عمر بن الخطاب
وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب وابي ذر الغفاري (١٢٣) وروى عنه
الحسن البصري وعروة بن الزبير وغيرهما (١٢٤) ، وقد كان من الفقهاء البارزين
في ايام معاوية بن ابي سفيان (١٢٥) .

(١١٩) تهذيب ابن عساكر (١٦/٧) .

(١٢٠) ذكر اخبار اصبهان (١٣٢/٣) .

(١٢١) البيان والتبيين (١٧٧/١) .

(١٢٢) وفيات الاميان (١٨٧/٢) والكامل للمبرد (٨٩/١) .

(١٢٣) طبقات ابن سعد (٩٣/٧) والاصابة (١٠٣/١) والبداية والنهاية (٣٢٧/٨) . وفي

تهذيب ابن عساكر (١٠/٧) : انه روى عن عمر وعثمان وعلي والعباس وابن مسعود وابي ذر
الغفاري .

(١٢٤) تهذيب ابن عساكر (١٠/٧) وتاريخ الاسلام (١٢٩/٣) .

(١٢٥) اليعقوبي (٢١٤/٢) .

هـ - حكمته :

كان حكيما ينطق بالحكمة والموعظة الحسنة . سئل عن المروءة فقال :
« أدب بارع ولسان قاطع » . وسئل عن المروءة ايضا ، فقال : « التقى
والاحتمال » ، ثم اطرق ساعة وقال :

واذا جميل الوجه لم يأت الجميل فما جماله ؟!
ما خسر اخلاق الفتى الا تقناه واحتماله

وسئل عنها فقال : « العفة في الدين والصبر على التوائب وبر الوالدين
والحلم عند الغضب والعفو عند المقدرة » .

وقال : « راس الادب آلة المنطق ، ولا خير في قول الا بفعل ، ولا في منظر
الا بمخبر ، ولا في مال الا بجود ، ولا في صديق الا بوفاء ، ولا في فقه الا بورع ،
ولا في صدقة الا بنية (١٢٦) » .

وقال : « احي معروفك بامانة ذكره (١٢٧) » . وقال : « ما ادخرت
الآباء للابناء ولا ابقت الموتى للاحياء ، افضل من اضناع معروف عند ذوي
الأحساب والاداب » . وقال : « كثرة الضحك تذهب الهيبة ، وكثرة المزاح
تذهب المروءة ، ومن لزم شيئا عرف به (١٢٨) » . وقال : « جنبوا مجلسنا
الطعام والنساء ، فاني لأبفض الرجل يكون وصافا لفرجه وبطنه ، وان
المروءة ان يترك الرجل الطعام وهو يشتهي (١٢٩) » . وقال : « الزم الصحة
يلزمك العمل (١٣٠) » . وقال : « رب ملوم لا ذنب له » (١٣١) . وقال :
« السؤدد مع السواد » يريد : من لم يطرق له اسم على السنة العامة
بالسؤدد لم ينفعه ما طار له في الخاصة (١٣٢) .

و - بلاغته :

كان فصيحاً مفوهاً (١٣٣) . خطب مرة فقال بعد حمد الله والثناء
عليه : « يا معشر الأزد وربيعة . انتم اخواننا في الدين وشركاؤنا في الصهر

(١٢٦) تهذيب ابن عساکر (١٩/٧ - ٢٠) .

(١٢٧) البداية والنهاية (٣٢٧/٨) .

(١٢٨) وفيات الاعيان (١٨٧/٢) والكامل للميزد (٣٧/١) .

(١٢٩) وفيات الاعيان (١٨٨/٢) .

(١٣٠) البيان والتبيين (٢٩٩/٢) .

(١٣١) البخلاء للجاحظ (٣٤٧) .

(١٣٢) العقد الفريد (٣٩١/١) .

(١٣٣) تاريخ الاسلام للذهبي (١٢٠/٣) .

واشقاؤنا في النسب وجيراننا في الدار ويدنا على العدو ، والله لأزد البصرة أحب إلينا من تميم الكوفة ، ولأزد الكوفة أحب إلينا من تميم الشام ، فان استشرفشنان حسد صدوركم ففي أحلامنا وأموالنا سعة لنا ولكم (١٣٤) .

وقال : « ولا تزال العرب عربا ما لبست العمائم — أي حافظت على زيها — وتقلدت السيوف — يريد الامتناع عن الضيم — ولم تعد الحلم ذلاً ولا التواهب فيما بينها ضيعة (١٣٥) » .

لقد كان حاضر البديهة قوي الحجة منطقياً . جاء الاحنف الى قوم يتكلمون في دم ، فقال : « احكموا ! » فقالوا : « نحكم بديتين ! » فقال : « ذلك لكم » . فلما سكتوا قال : « أنا أعطيك ما سألتكم ، غير أنني قائل لكم شيئاً : ان الله عز وجل قضى بديعة واحدة ، وان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بديعة واحدة ، وأنتم اليوم طالبون واخشي ان تكونوا غداً مطلوبين ، فلا يرضى الناس منكم الا بمثل ما سننتم لأنفسكم ! » ، فقالوا : نردها دية واحدة (١٣٦) .

وأراد رجل ان ينتقص من قدر الاحنف عندما سمع عمر بن الخطاب يقول عن الاحنف : « هذا والله السيد . . . هذا والله السيد » ، فقال ذلك الرجل : « يا أمير المؤمنين . انه ليس هناك ، واهه باهلية » ، فقال عمر : « هو خير منك » فقال الاحنف :

انا ابن الباهلية ارضعني بشدي لا أجسد ولا وخيم
اغضّ على القلدي أجفان عيني الى شر السفية الى الحليم (١٣٧)

وسمع الاحنف رجلاً يقول : ما أبالي أمدحت أم ذممت ، فقال له : « لقد أسترحت من حيث تعب الكرام » (١٣٨) .

ز — دهاؤه :

كان الاحنف من دهاة العرب . قال الاحنف لعلي بن ابي طالب يبدي رأيه في ابي موسى الأشعري ممثل علي في التحكيم : « يا أمير المؤمنين ! ان ابا موسى الأشعري رجل يمانى وقومه مع معاوية ، فابعثني معه ، فوالله لا يحل لك عقدة الا عقدت لك أشد منها ، فان قلت : اني لست من أصحاب

(١٣٤) العقد الفريد (٣٨٨/٢) ، وانظر الكامل للمبرد (٩٧/١) والسنائي : البخس .

(١٣٥) الكامل للمبرد (١٢٠/١) .

(١٣٦) وفيات الاميان (١٨٨/٢) .

(١٣٧) أجد : عظم . وخيم : ثقل بين . انظر العقد الفريد (١٨٨/١) .

(١٣٨) وفيات الاميان (١٨٨/٢) .

الرسول صلى الله عليه وسلم ، فابعث ابن عباس وابعثني معه » (١٣٩) .

ح - ايشاره :

كان الاحنف يحب لغيره ما يحبه لنفسه ، بل كان يؤثر غيره على نفسه بالخير والمعروف ويقنع هو برضى نفسه الرضية المطمئنة الى ما اصاب غيره بجهده من خير . اوفد ابو موسى الاشعري الى عمر بن الخطاب وفدا من اهل البصرة وفيهم الاحنف ، فلما قدموا عليه ، تكلم كل رجل بخاصة نفسه - وكان الاحنف في آخر القوم ، فحمد الله واثنى عليه وقال : « يا امير المؤمنين ! ان مفاتيح الخير بيد الله ، وان اخواننا من اهل الامصار نزلوا منازل الامم الخالية بين المياه العذبة والجنان الملتفة ، وانا نزلنا سبخة ملتفة لايجف نداها ولا ينبت مرعاها : ناحيتها من قبل المشرق البحر الاجاج ومن قبل المغرب الفلاة ، فليس لنا زرع ولا ضرع ، تأتينا منافعا وميرتنا في مثل مري النعامة ، يخرج الرجل الضعيف فيستعذب الماء من فرسخين وتخرج المرأة لذلك فتربق (١٤٠) ولدها كما يربق العنز ، تخاف بادرة العدو واكل السبع ، فلا ترفع خسيستنا وتجبر فاقتنا نكن نقوم هلكوا » فزاد عمر في عظائمهم وأمر عامله على البصرة فأجرى لهم نهرا من دجلة على ثلاثة فراسخ الى شمالها (١٤١) .

وعرض عمر على الاحنف جائزة فقال : « يا امير المؤمنين ! والله ما قطعنا الفلوات ودابنا الروحات والعشيات للجوائز ، وما حاجتي الحاجة من خلفي » فزاده ذلك عند عمر خيرا (١٤٢) .

وقدم وفد اهل العراق على معاوية بن ابي سفيان وفيهم الاحنف ، فخرج الاذن فقال : « ان امير المؤمنين يعزم عليكم الا يتكلم احد الا لنفسه » فلما دخلوا اليه قال الاحنف : « لولا عزيمة (١٤٣) امير المؤمنين لاخبرته ان دافئة دفت (١٤٤) ونازلة نزلت ونائبة نابت ونابئة نبتت - كلهم به حاجة الى معروف امير المؤمنين وبرّه » ، فقال معاوية : « حسبك يا ابا بحر ! فقد كفيت الغائب والشاهد » (١٤٥) .

(١٣٩) الامامة والسياسة لابن قتيبة (١/١٣١) .

(١٤٠) ريقه : جعل راسه في الريقة ، وهو حيل تشد به البهم .

(١٤١) تهذيب ابن عساكر (٧/١١) والمقد الفريد (١/١٩١) مع اختلاف في اللفظ ، وانظر

ابن الاثير (٢/٢١٠) .

(١٤٢) تهذيب ابن عساكر (٧/١٢) .

(١٤٣) عزيمته : امره بعدم التكلم لغائب .

(١٤٤) دافئة دفت : جانحة مستاصلة ظهرت ونجمت .

(١٤٥) البيان والتبيين (٢/٩٢) .

وكان يشعر بشعور (المجموع) ولا يقتصر على شعوره (الفردي) .
قيل له : كيف سودك قومك وانت أزلهم خلقة ؟! فقال : « لو عاب قومي
الماء ما شربته » (١٤٦) .

ط - أماته :

كان الاحنف امينا غاية الامانة . لما سار الى (خوارزم) استعمل على
(بلخ) ابن عمه اسيد بن المتشمس ليأخذ من أهلها ما صالحوه عليه . وانصرف
الاحنف الى (بلخ) وقد قبض ابن عمه ما صالحوه عليه مع هدايا من آنية
الذهب والفضة ودنانير ودراهم ومتاع وثياب ، فقال ابن عمه لهم : « هذا
ما صالحناكم عليه ؟! » فقالوا : لا . ولكن هذا شيء نصنعه في هذا اليوم بمن
ولينا نستعطف به » ، قال : « وما هذا اليوم ؟ » فقالوا : المهرجان (١٤٧) ،
فقال : « ما أدري ما هذا ، واني لاكره ان أردّه ، ولعله من حقي ، ولكن أقبضه
واعزله حتى أنظر » ، فقبضه وقدم الاحنف فأخبره فسألهم عنه ، فقالوا
مثل ما قالوا لابن عمه ، فقال : « آني به الأمير » ، فحملة الى عبد الله بن
عامر فأخبره عنه فقال : « أقبضه يا أبا بحر فهو لك » ، فقال الاحنف : « لا
حاجة لي فيه » (١٤٨) .

لقد كان يتحرّج حتى من الهدايا ، وكان يكتفي بعطائه وبسهمه من
الفنائم أسوة بأي رجل من رجال المسلمين ، وقد جاءه رجل يوما يسأله ،
فقال : « انما لي سهم وما فيه فضل عني ، وانما لفرسي سهمان وما فيهما
فضل عن فرسي » (١٤٩) .

لقد كان كالموظف النزيه يضطر الى الاقتصاد ليعيش عيش الكفاف،
حتى انه جبر يد عزز (١٥٠) ، ومع ذلك كان جوادا (١٥١) حسب امكاناته
فلم يبق له جوده ديناراً ولا داراً .

ي - اناته :

كان الاحنف شديد الاناة ، لا يقدم على عمل الا بعد ان يحسب له الف
حساب . قيل له : يا ابا بحر ! ان فيك اناة شديدة ، فقال : « قد عرفت

(١٤٦) البداية والنهاية (٣٢٧/٨) وتهذيب ابن عساکر (١٢/٧) .

(١٤٧) المهرجان : احد اعياد الفرس .

(١٤٨) الطبري (٣٥٨/٣) وابن الاثير (٤٩/٣) .

(١٤٩) طبقات ابن سعد (١٦/٧) .

(١٥٠) البخله للجاحظ ص (٢٥) .

(١٥١) البداية والنهاية (٣٢٧/٨) .

من نفسي عجلة في امور ثلاثة : في صلاتي اذا حضرت حتى أصليها ، وجنازتي اذا حضرت حتى أغيبها في حفرتها ، وابنتي اذا خطبها كفيئها حتى أزوجه » (١٥٢) .

ك - ورعه :

كان الاحنف مؤمنا ورعا قوي الايمان ، فقد سارع الى اعتناق الاسلام اول ما بلغته الدعوة الاسلامية ، وأسلم قومه بإشارته (١٥٣) ، وبسط حمايته القوية الامينة على الدعاة الاولين (١٥٤) ، وثبت على عقيدته عندما ارتد اكثر قومه واكثر العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (١٥٥) ، وجاهد للدفاع عنها ونشرها حق الجهاد وأبلى في ذلك أعظم البلاء . قال الحسن البصري عنه : « ما رأيت شريف قوم أفضل منه » (١٥٦) . قال الاحنف : « حسني عمر بن الخطاب عنده بالمدينة سنة ، يأتيني كل يوم وليلة ، فلا يأتيه عني الا ما يحب » (١٥٧) ، فكتب عمر بعد نجاح الاحنف في الاختبار العمري - وما أصعبه وأدقه من اختبار - معه كتابا الى الامير على البصرة يقول : « الاحنف سيد أهل البصرة » (١٥٨) ، وكتب الى ابي موسى الاشعري ان يشاور الاحنف ويسمع منه (١٥٩) ، وقال عنه : « هو مؤمن عليم اللسان (١٦٠) » وقال له عمر بعد أن حبسه حولا عنده : « يا أحنف ! قد بلوتك وخبرتك ، فلم أر الا خيرا ، ورأيت علانيتك حسنة ، وانا أرجو ان تكون سريرتك مثل علانيتك (١٦١) » . وقال له عمر : « ويحك يا أحنف ! لما رأيتك أزدريتك ، فلما نطقت قلت : لعله منافق عليم اللسان ، فلما اختبرتك حمدتك (١٦٢) » .

-
- (١٥٢) طبقات ابن سعد (٩٦/٧) .
 - (١٥٣) شذرات الذهب (٧٨/١) .
 - (١٥٤) ذكر اخبار أصبهان (٢٢٤/١) .
 - (١٥٥) المعارف ص (٤٢٤) .
 - (١٥٦) البداية والنهاية (٢٢٧/٨) وشذرات الذهب (٧٨/١) وتاريخ الاسلام (١٣١/٣) وطبقات ابن سعد (٩٥/٧) .
 - (١٥٧) ذكر اخبار أصبهان (٢٢٤/١) .
 - (١٥٨) أسد الغابة (٥٥/١) .
 - (١٥٩) تهذيب ابن عساكر (١٢/٧) .
 - (١٦٠) البداية والنهاية (٢٢٧/٨) .
 - (١٦١) طبقات ابن سعد (٩٤/٧) .
 - (١٦٢) تهذيب ابن عساكر (١١/٧) .

لقد كان رجلاً صالحاً كثير الصلاة بالليل ، وكان يسرج المصباح ويصلي ويبيكي حتى الصباح ، وكان يضع أصبعه في المصباح ويقول : « حس يا اخنف ! ما حملك على كذا ما حملك على كذا ؟ » ، ويقول لنفسه : « اذا لم تصبر على المصباح ، فكيف تصبر على النار الكبرى (١٦٣) » وقيل له : انك تكثر الصوم وان ذاك يرق المعدة ، فقال : « اني اعدته لسفر طويل (١٦٤) » .

واستعمل الاخنف على (خراسان) ، فلما اتى فارس اصابته جنابة في ليلة باردة ، فلم يوقظ احداً من غلمانه ولا جنده وانطلق يطلب الماء ، فاتى على شوك وشجر حتى سالت قدماه دماً ، فوجد الثلج ، فكسره واغتسل (١٦٥) .

وكان قلّ ما خلا الا دعاً بالمصحف ، وكان النظر في المصاحف خلقاً في الاولين (١٦٦) . وكان من دعائه : « اللهم ان تغفر لي فانت اهل ذلك ، وان تعذبني فانا اهل ذلك (١٦٧) » . ومن دعائه : « اللهم هب لي يقيناً تهوّن به علي مصيبات الدنيا (١٦٨) » .

ومرّت به جنازة فقال : « رحم الله من اجهد نفسه لمثل هذا اليوم (١٦٩) » . وكان يقول : « عجبت لمن يجري في مجرى البول مرتين كيف يتكبر !! (١٧٠) » .

وجاء كتاب من عند الملك يدعوّه الى نفسه فقال : « يدعوني ابن الزرقاء الى ولاية اهل الشام ! والله لوددت ان بيني وبينهم جبلاً من نار : من اتاني منهم احترق فيه ومن اتاهم منا احترق فيه » وكان يكره ان يصلي في المقصورة وان يتخطى رقاب الناس قبل خروج الامام يوم الجمعة (١٧١) .

وبلّغ رجلاً من الاخنف ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا له ، فسجد (١٧٢) شكراً لله ، وكان نقش خاتمه : نعبد الله (١٧٣) .

-
- (١٦٣) البداية والنهاية (٢٢٧/٨) وطبقات ابن سعد (٩٥/٧) .
 - (١٦٤) تهذيب ابن عساکر (٦١/٧) وطبقات ابن سعد (٩٦/٧) .
 - (١٦٥) طبقات ابن سعد (٩٤/٧) وتهذيب ابن عساکر (١٦/٧) وتاريخ الاسلام للذهبي (١٣٠/٣) .
 - (١٦٦) طبقات ابن سعد (٩٥/٧) .
 - (١٦٧) طبقات ابن سعد (٩٦/٧) والبدایة والنهاية (٢٢٧/٨) .
 - (١٦٨) تهذيب ابن عساکر (١٦/٧) .
 - (١٦٩) تهذيب ابن عساکر (١٦/٧) .
 - (١٧٠) ذكر اخبار أصبهان (١٣٢/٣) .
 - (١٧١) طبقات ابن سعد (٩٦/٧ - ٩٧) .
 - (١٧٢) الاصابة (١٠٣/١) .

ل - شخصية :

تلك هي المزايا الشخصية التي استحوذ بها الاحنف على ثقة الناس به وحبهم وتقديرهم له ، هذه المزايا التي تجعل من يتحلى بها شخصية قوية نافذة يندر وجودها بين الناس في كل زمان ومكان ، وقلما يوجد بها الدهر الا نادرا .

كان صادق القول يرى الكذب خصله لا تليق بالكريم . قدم على عمر ابن الخطاب وقد جند البصرة وفيهم الاحنف ، وكان الفرس قد انتقضوا على المسلمين ، فتحدث عمر الى وفد البصرة ثم وجه الكلام الى الاحنف يقول : « انك عندي مصدق وقد رأيتك رجلا ، فأخبرني : ان ظلمت الذمة ، المظلمة نفروا ام لغير ذلك ؟ » ، فأجابه الاحنف : « بل لغير مظلمة والناس على ما تصب ... » فقال عمر : « فنعنم اذا . انصرفوا الى رحالكم (١٧٤) » .

لقد كان حريصا على تكامل شخصيته يبتعد بها عما يسيء اليها من قريب او بعيد ، فكان يقول : « ليمنعني من كثير من الكلام مخافة الجواب (١٧٥) » .

كان قوي الشخصية حقا لا يخاف احدا ما كان على الحق . ذكر عمر ابن الخطاب بني تميم فذمهم ، فقام الاحنف وقال : « يا امير المؤمنين ! ائذن لي فأتكلم » ، قال : « تكلم » ، فقال الاحنف : « انك ذكرت بني تميم فعممتهم بالدم ، وانما هم من الناس ، فمنهم الصالح والطالح » ، فقال عمر : « صدقت » فقام رجل من تميم واستأذن عمر بالكلام ، فقال له : « اجلس فقد كفاكم سيدكم الاحنف (١٧٦) » .

وروي ان معاوية لما نصب ولده (يزيد) لولاية العهد ، أقعده في قبة حمراء ، فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون الى يزيد ، حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية فقال : « يا امير المؤمنين ! أعلم انك لو لم تول هذا امور المسلمين لأضعها » ، والاحنف جالس ، فقال له معاوية : « ما بالك لا تقول يا ابا بحر ؟! » ، فقال : « أخاف الله ان كذبت ، وأخافكم ان صدقت » ، فقال معاوية : « جزاك الله عن الطاعة خيرا » ، وأمر له بالوف ، فلما خرج لقيه ذلك الرجل بالباب ، فذم معاوية وابنه ، فقال له الاحنف :

(١٧٣) الطبري (٣/٣٥٦) .

(١٧٤) الطبري (٣/١٧٥) .

(١٧٥) طبقات ابن سعد (٧/٩٥) .

(١٧٦) طبقات ابن سعد (٧/٩٤) .

« أمسك عليك ، فان ذا الوجهين خليف الا يكون عند الله وجيها (١٧٧) » .

وحضر الاحنف مجلس معاوية ، وكان عنده بعض وجوه الناس ، فدخل رجل من اهل الشام وقام خطيبا ، وكان آخر كلامه ان لمن علي بن ابي طالب ، فاطرق الناس وتكلم الاحنف ، فقال : « يا امير المؤمنين ! ان هذا القائل لو يعلم ان رضاك في لمن المرسلين للعنهم ، فاتق الله ودع عنك عليا ، فقد لقي ربه وأفرد في قبره ، وكان والله الميمونة نقيبته العظيمة مصيبتها » ، فقال معاوية : « يا احنف ! لقد أغضيت العين على القدي ، فأيم الله لتصعدن المنبر وتعلننه طوعا او كرها » ، فقال الاحنف : « أوتعفيني فهو خير لك » . فالح عليه معاوية ، فقال الاحنف : « اما والله لانصفك في القول ! » فقال معاوية : « وما انت قائل ؟ » قال : « احمد الله بما هو أهله ، وأصلي على رسوله وأقول : ايها الناس . ان امير المؤمنين معاوية امرني ان العن عليا . الا وان عليا ومعاوية اختلعا ، فاقنتلا ، وادعى كل منهما انه مبغي عليه ! فاذا دعوت فأموتوا ... ثم أقول : اللهم العن انت وملائكك ورسلك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه والعن الفئة الباغية . اللهم العنهم لعنا كثيرا !! . . . أموتوا رحمكم الله . . . يا معاوية اقوله ولو كان فيه ذهاب روعي » . فقال معاوية : « اذن نعفيك من ذلك (١٧٨) » .

وكان زياد بن ابيه في مدة ولايته المراقين كثير الرعاية للاحنف ، فلما مات زياد وتولى مكانه ولده عبيد الله بن زياد تغيرت منزلة الاحنف عند الامير الجديد ، وصار يقدم عليه من لا يساويه ولا يقاربه .

وجمع عبيد الله اعيان العراق وفيهم الاحنف وتوجه بهم الى الشام للسلام على معاوية ، فلما وصلوا دخل عبيد الله على معاوية وأعلمه بوصول رؤساء العراق ، فقال : « ادخلهم الي اولا فاولا على قدر مراتبهم عندك » ، فخرج اليهم وأدخلهم على الترتيب كما قال معاوية ، فكان آخر من دخل الاحنف . . .

ورآه معاوية ، وكان يعرف منزلته ويبالغ في اكرامه لتقدمه وسيادته ، فقال له : « الي يا ابا بحر » ، فتقدم اليه فأجلسه معه على مرتبته وأقبل عليه يسأله عن حاله ويحدثه وأعرض عن بقية الجماعة .

واخذ اهل العراق في شكر عبيد الله والثناء عليه والاحنف ساءت ، فقال له معاوية : « لم لا تتكلم يا ابا بحر ! » ، فقال : « ان تكلمت خالفتهم » ،

(١٧٧) وفيات الاميان (١٨/٢) ، وانظر شذرات الذهب (٧٨/١) وطبقات ابن سعد

(١٥/٧) والكمال للمبرد (٢٨/١) .

(١٧٨) تاريخ ابي الفدا (١٩٥/١ - ١٩٦) .

فقال لهم معاوية : « اشهدوا علي انني قد عزلت عبيد الله عنكم ، فقوموا وانظروا في امير اوليه عليكم وترجعون الي بعد ثلاثة ايام » .

وخرجوا من عند معاوية ، وكان فيهم جماعة يطلبون الامارة لانفسهم وفيهم من عين الامارة لغيره ، وسعوا في السر مع خواص معاوية ان يفعل لهم ذلك !

واجتمعوا بعد انقضاء ثلاثة الايام - كما قال معاوية ، والاحنف معهم ، فدخلوا عليه فاجلسهم على ترتيبهم في المجلس الاول ، وأخذ الاحنف اليه كما فعل اولاً وحادثه ساعة ، ثم قال : « ما فعلتم فيما انفصلتم عليه ؟ » فجعل كل واحد يذكر شخصاً ! وطال حديثهم في ذلك ، وأفضى الى منازعة وجدال ، والاحنف ساكت - ولم يكن في الايام الثلاثة تحدث مع احد في شيء ، فقال له معاوية : « لم لا تتكلم يا ابا بحر ؟ » فقال الاحنف : « ان وليت احداً من اهل بيتك لم تجد من يعدل عبيد الله ولا يسد مسده ، وان وليت من غيرهم فذلك الى رأيك » .

ولم يكن في الحاضرين الذين بالغوا في المجلس الاول في الشناء على عبيد الله من ذكره في هذا المجلس ولا سأل عوده اليهم ، فلما سمع معاوية مقالة الاحنف قال للجماعة : « اشهدوا علي اني اعدت عبيد الله الى ولايته » ، فكل منهم ندم على عدم ترشيح عبيد الله للامارة ثانية ، وعلم معاوية ان شكرهم لعبيد الله لم يكن لرغبتهم فيه ، بل كما جرت العادة في حق المتولي ؛ فلما فصل الجماعة من مجلس معاوية ، خلا بعبيد الله وقال له : « كيف ضيعت مثل هذا الرجل ؟ - يعني الاحنف - فانه عزلك وأعادك الى الولاية وهو ساكت ، وهؤلاء الذين قدمتهم عليه واعتمدت عليهم لم ينفعوك ولا عرجوا عليك لما فوضت الامر اليهم ، فمثل الاحنف من يتخذ الانسان عوناً وذخراً » ؛ فلما عادوا الى العراق ، أقبل عبيد الله على الاحنف وجعله بظانته وصاحب سره .

تلك هي شخصية الاحنف : يعزل امير العراقيين ويعيده الى منصبه وهو ساكت !!

القائد :

اول ما يلاحظ في الاحنف مزاياه الانسانية الرفيعة التي جعلته موضع ثقة رؤسائه وحجبه وموضع ثقة مرؤوسيه وحجبه على حد سواء .

وكان لذكائه اللامح وسعة ادراكه وسرعة بديهته ومنطقه الرائع السليم اثر عظيم على قابلية الاحنف في اعداد الخطط العسكرية الصحيحة الناجحة

واعطاء القرارات السريعة الصائبة ، كما كان لشجاعته الشخصية واقدامه اثر كبير على وضع تلك الخطط والقرارات في حيّز التنفيذ .

لقد كان يبذل قصارى جهده في اعداد خططه العسكرية واعطاء قراراته ، فكان يستشير رجاله ويأخذ بالرأي السديد ، ولا يقتصر على استشارة ذوي الرأي ، بل يتجول سرا في الليل بين عامة رجاله يتسمع احاديثهم ، فاذا وجد رايًا سديداً يبدونه فيما بينهم سارع الى العمل به ، لا يهمه ان يأخذ الحكمة من اي وعاء !

واذا كان هناك ما يمتاز به الاحنف في القيادة ، فانه كان يقاوم عدوه بسيفه وبمقله معا ، فقد كان على جانب عظيم من الشجاعة والاقدام ، حتى انه كان يستأثر بالخطر دون رجاله ويؤثرهم بالراحة والامن ؛ كما كان على جانب عظيم من الدهاء فيوفر بدهائه على قواته كثيرا من الجهود والمشقات . كما انه كان يمتاز بقابليته التصبوية الفذة ، وهذا يفسر لنا كيف استطاع قهر أعدائه الكثيرين بقواته القليلة ، كما كان يمتاز في نفس الوقت بقابليته السوقية (الاستراتيجية) ، ولعل آراءه الصائبة التي أبدأها لعمر بن الخطاب في انسياح المسلمين في أرض فارس دليل ملموس على قابليته السوقية .

كما انه كان يمتاز بصراخته النادرة مع قواته ، فقد كان يحذّرهم العدو ويذكر لهم قوته ويذكرهم بضعفهم بالنسبة لقوة عدوهم ، ولكنه يعود ليذكرهم بأن الفئة القليلة الصابرة تغلب الفئة الكثيرة التي لا صبر لها على القتال ، وصراخته هذه قلّ أن يتحلّى بها قائد في الحرب ، خاصة قواد الحروب القديمة ، ذلك لأن مثل هذه الصراحة قد تؤثر على المعنويات وتؤدي الى انهيارها .

وكان يمتاز بقدرته الفذة على انتخاب مواقع القتال المناسبة لقواته - تلك المواقع التي تساعد قواته القليلة على دحر قوات عدوه الكثيرة ، فكان يحاول أن يجد لرجاله ساحة قتال تحميهم من الخلف وتحمي أجنتهم حتى يقاتلوا في اتجاه واحد مطمئنين الى حماية مؤخرتهم وأجنتهم .

تلك هي مزاياه الشخصية التي امتازت بها قيادة الاحنف على غيره من القادة ، فلا عجب أن يفتح خراسان - وهي منطقة واسعة نائية منيعة - بقوات قليلة لا يكاد العقل يصدق اليوم أنها استطاعت فتح خراسان في أيام عمر واستطاعت استعادة فتحها في أيام عثمان ، وكان لقيادة الاحنف المتزنة الفضل الأكبر في فتح خراسان مرتين .

وعند تطبيق أعمال الاحنف العسكرية على مبادئ الحرب ، نجد أنه كان (يختار مقصده ويديمه) فهو دائما يعرف ما يريد ويسعى جاهدا

للحصول عليه من اقصر الطرق وبأقل خسائر مادية ومعنوية .

كما كان قائدا (تعرضيا) لم يلجأ الى (الدفاع) الا لكي يعدّ العدة ليستأنف (التعرض) بقوة وعزم . وكان يؤمن (بالمباغثة) ويطبقها خاصة بالمكان كما فعل في انتخابه مواضع دفاعية ممتازة سهلت عليه القضاء على هجمات العدو . كما كان لا يقدم على تنفيذ خطة من خططه العسكرية قبل أن ينجز (تحشيد قوته) من الناحيتين المادية والمعنوية وفي المكان والزمان الجازمين .

وكان يحرص غاية الحرص على (الاقتصاد بالجهود) ، فلا يستخدم غير القوة المناسبة للواجب المطلوب ، وهذا أدّى الى عدم تكبد قواته خسائر لا مبرر لها .

وكان يهتم كثيرا بمتطلبات (الأمن) ، فيوفر الحماية لقواته ولمواصلاتها لوقايتها من المباغثة ، فلم يستطع عدوه أن يباغت قوات العرب المسلمين أبدا ، وقد باغت العرب المسلمون عدوهم مرات !
وكان (التعاون) هدف الاحنف في كل معاركه ، ذلك لان هدف جميع قواته سواء كانت من الكوفة ام من البصرة واحد ، هو القضاء على مقاومة عدوهم المشترك ، ونشر الاسلام في بلاده .

وكان (يديم معنويات) رجاله ويسهر على تأمين (الامور الادارية) لهم ، كل ذلك جعل الفئة القليلة التي كان يقودها تقهر الفئة الكثيرة باذن الله .

لقد كان الاحنف قائدا ممتازا .

الاحنف في التاريخ

يذكر الناس للاحنف حلمه الذي يضرب به المثل ، ولكن التاريخ يذكر للاحنف الى جانب حلمه مزاياه الانسانية العالية الاخرى - تلك المزايا التي لا تقل أهمية وروعة عن حلمه ، كما يذكر له أنه فاتح خراسان وموطد أركان الاسلام في أرجائها .

لقد كان الاحنف اماما في الحلم ، ولكنه كان - كما يذكر له التاريخ - اماما في الفقه ، اماما في البلاغة ، اماما في الدهاء ، اماما في الامانة ، اماما في قوة شخصيته ، اماما في رجاحة عقله ، اماما في شدة ورعه ، اماما في خلقه الرفيع ، وبالإضافة الى كل ذلك كان اماما في عبقرية قيادته .

لقد كان رجلا في أمة ، وأمة في رجل ... انه سيد اهل المشرق المسمى بغير اسمه كما كان يقول عنه عمر بن الخطاب .

رضي الله عن القوي الامين ، الحليم الورع ، الفقيه الاملعي ، الاداري الداهية ، القائد الفاتح ، الاحنف بن قيس التميمي .

قَادَةُ فَتْحِ فَارِسَ

- ١ - العلاء بن الحضرمي .
- ٢ - المفيرة بن شعبة الثقفي (*) .
- ٣ - مجاشع بن مسعود السلمي .
- ٤ - عثمان بن أبي العاص الثقفي .
- ٥ - الحكم بن عمرو الثقفي .
- ٦ - سارية بن زنييم الكناني .

العلاء بن الحضرمي

فتاح البحرين وجنزة دارين

وَأَوَّلُ مَنْ هَبَّاهُ فَارِسِي

أهله :

هو العلاء بن الحضرمي ، واسم الحضرمي والد العلاء هو عبدالله بن عماد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن عوف الحضرمي (٣) ، لا يختلفون أن أباه من حضرموت (٤) فنسب إليها : (الحضرمي) . سكن أبوه مكة المكرمة وحالف حرب بن أمية والد أبي سفيان بن حرب (٥) .

وكان للعلاء عدة أخوة : منهم ميمون الحضرمي صاحب البئر التي بأعلى مكة (بالأبطح) (٦) يقال لها : بئر ميمون (٧) مشهورة على طريق أهل العراق إلى الحج ، وكان حفرها في الجاهلية (٨) . ومنهم عمرو بن الحضرمي ، وهو أول قتيل من المشركين وماله أول مال ختمس في الإسلام (٩) ، وقد قتله المسلمون في غزوة (نخلة) . ومنهم عامر بن الحضرمي الذي قتل يوم

(١) البحرين : هكذا ي تلفظ بها في حالة الرفع والنصب والجر ، وهو اسم جامع لبلاد على ساحل الخليج الغربي بين البصرة وثمان ، قيل : هي قصة هجر ، وقيل : هجر قصة البحرين . وسبى البحرين لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الاحساء وقرى هجر ، بينها وبين الخليج العربي عشرة فراسخ ، وسمتها : ثلاثة أميال في مثلها ، ولا يفيض ماؤها ، وماؤها راكد زعاق . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧٢/٢) .

(٢) دارين : فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند ، والنسبة إليها : داري . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٥/٤) .

(٣) الإصابة (٢٥٩/٤) وفي نسبه بعض الاختلافات . انظر أسد الغابة (٧/٤) وطبقات ابن سعد (٢٥٩/٤) والاستيعاب (١٠٨٥/٢) .

(٤) الاستيعاب (١٠٨٦/٢) .

(٥) أسد الغابة (٧/٤) .

(٦) الأبطح : كل مسيل فيه دقاق الحصى فهو أبطح . والأبطح يضاف إلى مكة وإلى (منى) لأن المسافة بينه وبينهما واحدة ، وربما كان إلى (منى) أقرب . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨٥/١) .

(٧) بئر ميمون : بئر بالأبطح قرب مكة حفرها بأعلى مكة في الجاهلية ميمون بن الحضرمي ، وعندها قبر أبي جعفر المنصور . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٢) .

(٨) طبقات ابن سعد (٣٥٩/٤) والمعارف ص (٢٨٢) .

(٩) الإصابة (٢٥٩/٤) .

(بلد) كافرا (١٠) . وأختهم : الصعبة بنت الحضرمي كانت تحت أبي سفيان ابن حرب فطلقها ، فخلف عليها عبيدالله بن عثمان التيمي فولدت له طلحة ابن عبيدالله (١١) أحد العشرة المبشرة بالجنة .

لقد كان العلاء من عائلة عربية عريقة ، سكنت مكة المكرمة وخالفت بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف (١٢) .

اسلامه :

أسلم العلاء قبل فتح مكة (١٣) ، فشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم فتح مكة ويوم (حنين) . وقد بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم متصرفه من (الجفرانة) (١٤) الى المنذر بن ساوى العبدي بالبحرين ومعه كتاب يدعو به الى الاسلام (١٥) . وفي رواية : أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث العلاء الى المنذر بن ساوى العبدي قبل فتح مكة ، فأسلم المنذر وحسن اسلامه (١٦) ، وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتابا فيه فرائض الصدقة في الأبل والبقر والغنم والثمار والاموال ، وأمره أن يأخذ الصدقة من أغنيائهم فيردها على فقرائهم ، وبعث معه نفرا من المسلمين منهم أبو هريرة وأوصاه به خيرا (١٧) . وقد استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على (البحرين) ؛ فحمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة ألف وثمانين ألف درهم من مال (البحرين) (١٨) .

لقد كان العلاء موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ، وقد نال شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

-
- (١٠) - أسد الغابة (٧/٤) .
(١١) - الاستيعاب (١٠٨٦/٣) .
(١٢) - طبقات ابن سعد (٣٥٩/٤) .
(١٣) - طبقات ابن سعد (٣٥٩/٤) .
(١٤) - الجفرانة : ماء بين الطائف ومكة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٠٩/٣) ، وانظر ما جاء حول ارسال العلاء الى المنذر في طبقات ابن سعد (٣٦٠/٤) .
(١٥) - سيرة ابن هشام (٢٧١/٤) ، والبدء والتاريخ (١٠٢/٥) .
(١٦) - سيرة ابن هشام (٢٤٥/٤) .
(١٧) - طبقات ابن سعد (٣٦٠/٤) .
(١٨) - أسد الغابة (٧/٤) . وانظر البدء والتاريخ (١٠٢/٥) حول المبلغ الذي حمله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البحرين .

جهاده :

١ - في حرب الردة :

عقد الصديق أبو بكر لواء للعلاء وأمره بالبحرين (١٩) ، فقد مرض النبي صلى الله عليه وسلم ومرض المنذر بن ساوى ملك البحرين في شهر واحد ، ومات النبي صلى الله عليه وسلم ومات بعده بقليل المنذر بن ساوى ، فارتد أهل البحرين (٢٠) كما ارتد غيرهم في سائر أنحاء شبه الجزيرة العربية ، فعاد العلاء الى أبي بكر وقد سبقته أنباء ردة أهل البحرين .

وارسل أبو بكر قاداته لمحاربة المرتدين ، فعقد لواء البحرين للعلاء ، فسار إليها على طريق (الدهناء) وهي صحراء مخوفة خالية من الماء والمرعى ، فلاقى العلاء ورجاله مشقات كثيرة عند قطعها ، حتى أصبحت حياتهم في خطر عظيم (٢٠) .

ولكن العلاء وصحبه تحملوا تلك المشقات بإيمان وصبر عجيبين حتى أدركوا الجارود بن المعلى العبدي (٢٢) وقومه بني عبد القيس الذين ثبتوا على الاسلام ؛ فحاصروهم لذلك المرتدون وضيقوا عليهم الحصار .

واستنقذ العلاء المسلمين من بني عبد القيس ، فاجتمع المسلمون الى العلاء وخندق على قواته كما خندق المرتدون على أنفسهم ايضا ، فكانوا يباشرون القتال في فترات استمرت شهرا ... وبينما كان الطرفان على ذلك سمع المسلمون ضوضاء في معسكر المرتدين ، فأرسل العلاء رجلا يستطلع له خبرهم ، فعاد الرجل ليخبر العلاء : ان المرتدين سكارى ؛ فانتهاز العلاء فرصة ذهبية سانحة وهاجم عدوه ، فجعل المسلمون يقتلون ويأسرون المرتدين وفر بعضهم الى (دارين) فهاجمها العلاء ايضا وفتحها بعد قتال شديد (٢٣) .

لقد كان للعلاء اثر كبير في قتال المرتدين من أهل البحرين (٢٤) .

(١٩) الطبري (٤٨٠/٢) .

(٢٠) الطبري (٥١٩/٢) .

(٢١) ابن الاثير (١٤١/٢) .

(٢٢) الجارود بن المعلى العبدي : سيد بني عبد القيس . قدم سنة عشر في وفد بني عبد القيس الاخير فمر النبي صلى الله عليه وسلم باسلامه . وكان حسن الاسلام صليبا على دينه . وقد قتل بارض فارس سنة احدى وعشرين ، انظر التفاصيل في الاصابة (٢٢٦/١) .

(٢٣) ابن الاثير (١٤٢/٢) ، وقد ذكر البلاذري ص (٩٦) : ان رجلا دل العلاء على المخاضة الى دارين . والظاهر ان المسلمين خاضوا إليها وقت الجزر ففتحوها . وهناك رواية ان دارين فتحت أيام عمر بن الخطاب .

(٢٤) أسد الغابة (٧/٤) .

٢ - بعد الردة :

فاز العلاء في قتال اهل الردة بالفضل ، فلما ظفر سعد بن ابي وقاص بأهل القادسية وأزاح الأكاسرة ، جاء بأعظم مما فعله العلاء ، فأراد العلاء أن يحزن نصرا جديدا على الفرس لا يقل عن نصر سعد بن ابي وقاص عليهم دون أن يفكر في مقبة المعصية وأهمية الطاعة ، إذ كان عمر بن الخطاب ينهاه عن الغزو في البحر .

ولكن العلاء ندب الناس الى فارس فأجابوه ، ففرقهم أجنادا وحملهم في البحر بدون إذن عمر بن الخطاب .

وعبرت الجنود من البحرين الى فارس وتوجهوا الى (اصطخر) (٢٥) ، فقطع الفرس عليهم طريق رجعتهم الى السفن واشتبكوا معهم في قتال شديد . ولما أراد العلاء الرجوع لم يجد الى الرجوع في البحر سبيلا ، لذلك عسكر العلاء بجيشه وأخذ يدافع دفاعا مستميتا !

وبلغ عمر بن الخطاب صنع العلاء ، فأرسل الى عتبة بن غزوان أمير البصرة يأمره بأنقاذ جيش كثيف لانقاذ جيش العلاء بفارس قبل أن يهلك ، فأرسل عتبة جيشا كثيفا من اثني عشر الفا عليهم أبو سبرة بن ابي رهم ، فاستطاع انقاذ جيش العلاء من الفناء بعد قتال مرير ، وكان ذلك سنة سبع عشرة الهجرية (٢٦) .

لقد فتح العلاء بالرغم من فشله في هذه الفزوة اسيافا (٢٧) من فارس (٢٨) .

الانسان :

استعمل النبي صلى الله عليه وسلم العلاء على البحرين ، وأقره أبو بكر خلافته كلها ، ثم أقره عمر بن الخطاب حتى توفي واليا على البحرين (٢٩) . وفي رواية أخرى ، أن عمر كتب الى العلاء يعزله ويتوعده لمخالفته في العبور الى فارس ، وبأمره بأثقل الاشياء عليه وابقض الوجوه اليه : بتأمر سعد بن ابي وقاص عليه وقال : « الحق بسعد بن ابي وقاص فيمن قبلك » ، فخرج

-
- (٢٥) اصطخر : بلدة بفارس ، سعتها مقدار ميل ، وهي من أقدم مدن فارس واشهرها .
انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٢٧٦) .
(٢٦) الطبري (٣/١٧٦ - ١٧٩) وابن الاثير (٢/٢٠٨) .
(٢٧) اسياقا : جمع سيف ، وهو ساحل البحر .
(٢٨) المعارف ص (٢٨٤) .
(٢٩) أسد الغابة (٤/٧) .

بمن ممة الى سعد (٣٠) . وفي رواية : ان عمر ولاه البصرة بعد وفاة عتبة بن غزوان فمات قبل ان يصل اليها (٣١) . وارجح الرواية الاخيرة ، لأن عمر لم يكن ليبقي في البحرين بعد فشله في غزوه لارض فارس ، فلا بد من عقابه على مخالفته الصريحة في ركوب البحر ، ولكن هذا العقاب لم يكن ليصل الى حد كسر عزة العلاء وتحميله من الامر ما لا يطيق ، وذلك بجعله تحت امرة سعد بن أبي وقاص الذي كان العلاء ينافسه في خدمة الاسلام عن طريق الفتح ، فمن المعقول اذا نقله من البحرين الى ولاية أخرى قريبة من البحرين هي البصرة ، فيكون ذلك عقابا لا يرقى الى درجة الاذلال والانتقام اللذين كانا يعيدن عن خلق السلف الصالح من امثال عمر بن الخطاب .

وكانت وفاة العلاء سنة احدى وعشرين للهجرة (٣٢) (٣٤١م) في طريقه الى البصرة بماء من مياه بني تميم (٣٣) يدعى (تياس) (٣٤) .

لقد كان العلاء تقياً ورعاً ، ويقال انه كان مستجاب الدعوة (٣٥) ، وكان شهماً غيوراً صادقاً وفياً ، روى أربعة احاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٦) ، وكان أحد كتاب النبي صلى الله عليه وسلم (٣٧) .

القائيد :

لم يكن العلاء مصيباً في قراره الخاص بعبور البحر الى فارس ، لان اطاعة الاوامر أساس من أقوى أسس الجندية في كل زمان ومكان .

ولست أشك بتاتا ، في أن العلاء اجتهد فأخطأ ، وأن نيته سليمة تتجه بكل طاقاتها لخدمة الاسلام والمسلمين — ومن طاقاتها سلوك طريق التنافس الشريف في الفتح ؛ الا ان ذلك كله لا يبرر مطلقا مخالفته للأوامر الصريحة

(٣٠) الطبري (١٧٨/٣) .

(٣١) الاستيعاب (١٠٨٦/٣) .

(٣٢) جاء في الإصابة (٢٥٩/٤) واسد الغابة (٧/٤) والاستيعاب (١٠٨٦/٤) ، بأنه توفي سنة أربع عشرة ، وقبل سنة احدى وعشرين . وانني أقطع بأن وفاته كانت سنة احدى وعشرين للهجرة ، لان عبوره الى فارس جرى سنة سبع عشرة للهجرة . راجع الطبري (١٣٦/٢) .

(٣٣) الاستيعاب (١٠٨٦/٣) .

(٣٤) تياس : ماء للغرب بين الحجاز والبصرة . وقيل : جبل بين البصرة واليمامة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٣٨/٢) . وانظر المعارف حول فوت العلاء بهذا المكان ص (٢٨٤) .

(٣٥) الاستيعاب (١٠٨٧/٢) والمعارف ص (٢٨٤) .

(٣٦) اسماء الرواة — ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٢٩٠) .

(٣٧) ابن الاثير (١١٩/٢) والسيرة الطلبية (٣٦٤/٢) .

الصادرة اليه من عمر بن الخطاب بعدم ركوب البحر .
ولكن هذه المخالفة بالذات ، تدل على حب العلاء للمسؤولية واقدامه
على تحملها كاملة حتى تجاه قائد عام قوي غاية القوة مثل عمر بن الخطاب .

لقد كان العلاء ينافس سعدا في ميدان الفتح ، فابن ينافسه اذا لم يعبر
البحر الى فارس ؟ ان العراق قد فتحه سعد فذهب بفخره واجره ، والبلاد
العربية في جنوب البحرين تدين بالاسلام ؛ فليس للعلاء مجال يظهر به جهاده
وجهوده غير بلاد فارس ؛ ولكن كان عليه ان يحصل على موافقة قائده الاعلى
عمر بن الخطاب الذي كان اعرف بالظروف المناسبة لخوض المعركة في
فارس ، والذي كان يحرص على اعداد كافة متطلباتها المادية والمعنوية قبل
الاقدام على خوضها ، وبذلك يضمن لجيوشه النصر المبين .

لقد كان العلاء مقداما شجاعا ذا ارادة نافذة وشخصية قوية ، يشق
بقطعاته ويحبهم ويثقون به ويحبونه ، له ماض مشرف مجيد .

وكان في معاركه يطبق مبدأ (المباغتة) اهم مبادئ الحرب على الاطلاق:
مباغتة بالمكان كما فعل بعبور صحراء الدهناء ليصل الى البحرين بأسرع وقت
ممکن من اتجاه لا يتوقعه المرتدون - بالرغم من اخطار عبور هذه الصحراء ؛
ومباغتة في الزمان ، كما فعل في مهاجمة المرتدين من اهل البحرين في وقت
لا يتوقعونه .

العلاء في التاريخ :

يذكر التاريخ للعلاء سفارته بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين ملك
البحرين المنذر بن ساوى ونجاحه في سفارته ، مما أدى الى اسلام ملك
البحرين واهل البحرين .

ويذكر له انتصاراته الحاسمة على اهل الردة في البحرين على الرغم
من رصانة قوتهم لاعتمادها على معاونة الفرس الذين ساعدوا المرتدين ماديا
ومعنويا وشجعوهم على الردة ، وبذلك حرم الفرس من موطئ قدم مهم لهم
في الخليج العربي يعتبر الخط الدفاعي الامامي عن العراق وبلاد فارس .

ويذكر له أنه كان أول قائد مسلم بعث قائدا مسلما في البحر للفتح (٣٨)،
فعرف العرب السفن وركوب البحر وكانوا لا يعرفون غير الإبل سفن
الصحراء .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، العلاء بن الحضرمي .

(٣٨) ارسل العلاء مرفجة بن هرمة البارقى بحرا لفتح بعض جزر الخليج العربي وبعض
مناطق خوزستان . انظر التفاصيل في ترجمة مرفجة بن هرمة البارقى في الجزء الاول من قادة
الفتح الاسلامي من : قادة فتح العراق العراق والجزيرة ص (٣٥٥ - ٣٦٢) .

مَجَاشِعُ بْنُ مَسْعُودِ السُّلَمِيِّ

فَتْحُ لَوَاءِ أَرْدَشِيرِ خُرَّهٖ "وَسَابُور"
وَفَتْحُ كَرْنَتَانِ ثَانِيَةٍ

اسلامه :

أسلم مجاشع بن مسعود السلمي من بني سليم قبل فتح مكة وهاجر الى المدينة ، فقال له الناس : ألا تختط ؟ فقال : « والله ما لهذا هاجزنا » (٣) ، فهو من المهاجرين (٤) . وقد جاء أخيه مجالد الى النبي صلى الله عليه وسلم ليبايعه بعد فتح مكة على الهجرة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح » (٥) ، وقد تحدث عن ذلك مجاشع فقال : « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأخي أبو معبد مجالد ابن مسعود ، فقلت : يا رسول الله ، بايعه على الهجرة ، قال : مضت الهجرة لأهلها ! قلت : على ما تباع ؟ قال : على الاسلام والجهاد » (٦) .

لقد أسلم مجاشع قبل أخيه مجالد (٧) ، وكانت له صحبة ورواية في الصحيحين : البخاري ومسلم وغيرهما (٨) ، ولكننا لا نعلم بالضبط متى أسلم . ومن الواضح أنه نال شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد أيضا ، اذ يدل سياق خبر قدومه على النبي بأخيه بعد فتح مكة ، أنه شهد هذه

(١) أردشير خره : هي مدينة جُور سماها العرب بهذا الاسم . وهي مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخا . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦٤/٣) . والممالك والممالك للاصطخري ص (٧٦) . وفي ابن الاثير (٤٥/٣) أن جور هي أردشير . وفي البلاذري ص (٣٧٦) : أن مدينة تَوَاج من ارض أردشير .

(٢) سابور : كورة واسعة مدينتها سابور . انظر التفاصيل في الممالك والممالك ص (٧٠ - ٧١) ، وهي كورة مشهورة بأرض فارس مدينتها النوبندجان في قول ابن الفقيه وشهرستان في قول البشاري . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤١٥) .

(٣) ذكر أخبار أصبهان (٧٠/١) .
(٤) المعارف ص (٣٣١) وذكر أخبار أصبهان (٧٠/١) .

(٥) المعارف ص (٣٣١) .

(٦) طبقات ابن سعد (٣٠/٧) وذكر أخبار أصبهان (٧٠/١) وانظر أسد الغابة (٣٠٠/٤) .

(٧) أسد الغابة (٣٠١/٤) .

(٨) الإصابة (٤٢/٦) .

الغزوة (٩) ، لذلك احرز مجاشع شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد
وشرف الصحبة .

جهاده :

١ - في العراق :

كان العراق ميدان جهاد مجاشع ، وقد شهد فتح (الأنثلة) (١٠) تحت
راية عتبة بن غزوان (١١) ، الا أن اسمه برز لأول مرة عندما استخلفه عتبة
ابن غزوان على البصرة واستعمله على جيش من المسلمين وسيّرهم الى
الفرات واستخلف المقيرة بن شعبة على الصلاة الى أن يقتلهم مجاشع فاذا
قدم فهو الأمير ، فظفر مجاشع بأهل الفرات ورجع الى البصرة (١٢) ؛ فلما
علم عمر بن الخطاب من عتبة بن غزوان أنه استعمل مجاشعاً على البصرة
قال : « استعمل رجلاً من أهل الوبر على أهل المدر » (١٣) .

٢ - في ايران :

١ - كان جهاد مجاشع في العراق مشرفاً جداً الى درجة أن عمر بن
الخطاب أسند اليه مهمة فتح لواء (أردشير خرة) و (سابور) عندما أذن
للمسلمين في الانسياح في أرض ايران لفتحها (١٤) .

وتحرك مجاشع على رأس جيشه من أهل البصرة الى الأهواز بأمر
عمر بن الخطاب الذي قال له : « اتصل منها على (ماه) (١٥) » ، فخرج حتى

(٩) شهد غزوة فتح مكة مسلمو بني سليم ، انظر سيرة ابن هشام (٢٢/٤) ، كما شهدوا
ما بعدها من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم حتى التحق رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالرفيق الأعلى .

(١٠) الأبله : مدينة كانت مرفأ السفن القادمة من الصين . راجع الطبري (٩٣/٣) وهي
واقعة جنوبي البصرة القديمة بسافة خمسة عشر ميلاً وجنوبي مدينة أبي الغصيب الحالية
بحوالي ميلين . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨٩/١) .
(١١) الطبري (٩٣/٣) .

(١٢) الطبري (٩٤/٣) وابن الأثير (١٨٩/٢) . والوبر بفتح تين : غطاء جلد البعير ، ويطلق
على البعير أيضاً ، واحدها : وبرة . والمدر بفتح تين جمع مدرة وهي القرية . يزيد عمر :
استعمل أعرابياً على أهل الحضر ، او استعمل رجلاً من أهل البادية على أهل الحاضرة ،
على اعتبار أن أهل الحاضرة أعرق مدنية وأعز بالسبانة والادارة من أهل البادية .

(١٤) الطبري (١٨٩/٣) وابن الأثير (٢١٤/٢) .
(١٥) ماه : هي ماه دینار، وهي مدينة نهاوند . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٥/٧)

إذا كان بـ (غضيّ شجر) (١٦) أمره النعمان بن مقرن الزني أن يقيم مكانه بين غضيّ شجر ومرج القلعة (١٧) ، وكان واجب مجاشع اشغال قوات الفرس في منطقة الاهواز حتى يحول دون تعاونهم والقوات الفارسية المحتشدة في (نهاوند) (١٨) .

ولما أراد النعمان بن مقرن الزني المسير الى (نهاوند) أمر مجاشعا أن يلتحق مع قواته بقوات المسلمين المتجهة نحو (نهاوند) وولاه الساقة (١٩) في مسير الاقتراب الى (نهاوند) ، فشهد مجاشع هذه المعركة وأبلى فيها اعظم البلاء .

وقصد مجاشع بعد انتهاء هذه المعركة الحاسمة (سابور) وأردشير خرة فيمن معه من المسلمين ، فالتقوا بـ (توج) (٢٠) بأهل فارس فانتصروا عليهم بعد قتال وفتح مجاشع مدينة (توج) (٢١) وهي من أرض أردشير خرة (٢٢) ، وتغلغل بعد ذلك في كافة أنحاء لواء أردشير خرة وسابور ففتحها .

ب - ولما تولى عبدالله بن عامر بن كرزب العيشمي البصرة في أيام عثمان بن عفان ، أصبح مجاشع ساعده الايمن ، فسار معه الى ايران لاعادة فتح المناطق المنتقضة ، ففزا (كابل) (٢٣) فصالحه حاكمها ، فدخل مجاشع بيت أصنامهم واخذ جوهرة جليلة من عين اكبرها وقال : « لم آخذها الا لتعلموا أنه لا يضر ولا ينفع » ، فأصابه في منصرفه الثلج والدمق فمات

(١٦) غضيّ شجر : جبال البصرة . انظر معجم البلدان (٢٩٧/٦) .

(١٧) مرج القلعة : بينه وبين حلوان منزل واحد وهو من حلوان الى جلة ميدان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦/٨) . ومن الواضح أن المرج المقصود ليس هذا المرج ليمده عن منطقة الاهواز . وأرجح أن هذا المرج في منطقة الاهواز باللات . وانظر نص امر النعمان في الطبري (٣١٢/٢) .

(١٨) ابن الاثير (٣/٣) .

(١٩) الطبري (٢١٤/٣) وابن الاثير (٤/٣) .

(٢٠) توج : مدينة بفارس قريبة من كازرون ، وهي مدينة صغيرة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٣٦/٢) .

(٢١) الطبري (٢١٤/٣) وابن الاثير (٤/٣) وأسد الغابة (٣٠٠/٤) . أما البلاذري في ص (٣٧٩) فيذكر أن فاتح توج هو الحكم بن أبي العاص الثقفي أخو عثمان بن أبي العاص الثقفي ، وفي رواية أن عثمان بن أبي العاص الثقفي هو الذي فتحها . وفي ذكر أخبار أصبهان (٧٠/١) أن مجاشعا شهد فتح توج مع أبي موسى الأشعري . وأرجح أن مجاشعا هو فاتح توج لانها ضمن منطقة قيادته التي أقي على عاتقه مهمة فتحها .

(٢٢) البلاذري ص (٣٧٩) .

(٢٣) كابل : اسم يشمل الناحية ومدينتها العظمى ، وهي ولاية ذات مروج كبيرة بين الهند وخرقة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٠١/٧) . وفي معجم ما استمع (١١٠٨/٣) ورد : أنها مدينة معروفة من بلاد الترك ، وهذا خطأ ، فهي ليست من بلاد الترك .

رجاله الا رجلين ، فزعم حاكم كابل أن الصنم فعل ذلك بهم ! (٢٤) فقد وجه عبدالله بن عامر مجاشعا في أثر كسرى يرد جرد الذي هرب من فارس الى خراسان ، فاتبعه الى كرمان فهرب الى خراسان ، فأصاب مجاشع ومن معه الثلج والدمق ، واشتد البرد ، وكان الثلج قيد رمح ، فهلك الجند وسلم مجاشع ورجل معه جارية (٢٥) .

ج - واستعمل عبدالله بن عامر مجاشعا على كرمان وأمره بمحاربة أهلها وكانوا قد نكثوا أيضا (٢٦) ، ففتح (بيمند) (٢٧) عنوة واستبقى أهلها وأعطاهم أمانا وبني بها قصرا يعرف : بقصر مجاشع . وأتى (الشرجان) (٢٨) وهي مدينة كرمان فأقام عليها أياما يسيرة وأهلها متحصنون فقاتلهم وفتحها عنوة فجلا كثير من أهلها عنها . وفتح (جيرفت) (٢٩) عنوة ، وسار في كرمان ودوخ أهلها وأتى (القفص) (٣٠) وقد تجمع له خلق كثير من الأعاجم ، فقاتلهم مجاشع وظفر بهم ، فهرب كثير من أهل كرمان وركبوا البحر ولحق بعضهم بمكران وبعضهم بـ (سجستان) ، فأقطعت الصرب منازلهم وأراضيتهم فعمروها واحتفروا لها القنى وأدوا العشر فيها (٣١) .

الانسان :

نزل مجاشع البصرة (٣٢) في بني سليم (٣٣) ، وقد استخلفه عتبة ابن غزوان على البصرة (٣٤) كما استخلفه المغيرة بن شعبه من بعده وذلك

- (٢٤) معجم ما استمع (١/٣٠٨) . وانظر الإصابة (٤٢/٦) والدمق : الثلج مع الريح .
(٢٥) ابن الاثير (٤٥/٢) .
(٢٦) ابن الاثير (٤٧/٢) .
(٢٧) بيمند : وهي ميمند ، بلد بكرمان . انظر معجم البلدان (٢٤٢/٢) .
(٢٨) الشرجان : قصة كرمان . انظر معجم البلدان (٢٢٢/٥) والممالك والممالك ص (٩٨) . وقد ورد اسمها في ابن الاثير (٤٩/٢) : السرجان .
(٢٩) جيرفت : مدينة بكرمان كبيرة جليلة من أعيان مدن كرمان واتزجها وأوسعها . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٨٩/٢) والممالك والممالك ص (٩٩) ، وقد ذكرها الاصطخري بضم الراء .
(٣٠) القفص : ورد اسمها كذلك في ابن الاثير (٤٩/٢) وفي البلاذري ص (٢٨٣) وهي (قفس) بالهين المهملة وأكثر ما يتلفظ به غير أهله بالصاد . وهو اسم أعجمي لجبل من جبال كرمان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٢٤/٧) .
(٣١) ابن الاثير (٢٩/٢) والبلاذري ص (٢٨٢ - ٢٨٤) . وانظر جبل فتوح الاسلام لابن حزم ملحق بجوامع السيرة (٢٤٨) .
(٣٢) طبقات ابن سعد (٣٠/٧) وأسد الغابة (٢٠٠/٤) وذكر أخبار أصبهان (٧٠/١) .
(٣٣) ذكر أخبار أصبهان (١٠/١) .
(٣٤) الطبري (٩٤/٢) وابن الاثير (١٨٩/٢) .

في خلافة عمر بن الخطاب (٣٥) ، ثم استعمله عبدالله بن عامر علي كرمان في خلافة عثمان بن عفان (٣٦) وأخيرا عاد الى البصرة واستقر بها .

ولما اجتمع بعض الناس لقتل عثمان ، سار مجاشع من البصرة فوصل الى (الريدة) فأتاه خبر قتل عثمان فرجع الى البصرة ، وكان أول من تكلم من أهل البصرة وهو يومئذ سيد قيس بها ، فخطب وحض الناس على نصر عثمان (٣٧) .

وكان مجاشع مع عائشة ام المؤمنين يوم الجمل ، فقتل يوم الجمل قبل الواقعة وقبل أن يقدم علي بن أبي طالب وذلك سنة ست وثلاثين للهجرة (٣٨) (٦٥٦م) ودفن بداره بالبصرة في بني سدوس (٣٩) وله عقب بالبصرة (٤٠) .

روى خمسة أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤١) ، وكان شاعرا من شعراء الفرسان . قال يذكر فتح توج :

ونحن ولينا مرة بعد مرة	بتوج أبناء الملوك الاكابر
لقينا جيوش الماهيان بسخرة	على ساعة تلوى بأهل الحظائر
فما فتئت خلي تكرر عليهم	ويلحق منها لاحق غير حائر (٤٢)

وكان غنيا وافر الفنى ، وكان له فرس يقال لها : الدبساء يسابق عليها ، ويقال : انه اخذ في غاية واحدة خمسين ألف درهم (٤٣) . وكان كريما يعد من أجواد العرب ، فقد وفد عمرو بن معد يكرب الزبيري على مجاشع ، وكانت بين عمرو وبين سليم حروب في الجاهلية ، فقدم عليه بالبصرة يسأله الصلة ، فقال له : « اذكر حاجتك » ، فقال له : « حاجتي صلة مثلي » ، فأعطاه عشرة آلاف درهم وفرسا من بنات الفبراء وسيفا جرازيا ودرعا حصينة وغلاما خبازا ، فلما خرج من عنده قال له أهل المجلس : كيف وجدت صاحبك ؟ قال : « لله بنو سليم ! ما أشد في الهيجاء لقاءها ، وأكرم في اللأواء عطاءها » ، وأثبت في المكرمات بناءها ! والله يا بني سليم ، لقد قاتلناكم في

(٣٥) تهذيب التهذيب (٣٨/١٠) .

(٣٦) ابن الاثير (٤٧/٣) .

(٣٧) الطبري (٤٠٢/٣) ، وابن الاثير (٦٦/٣) .

(٣٨) الاصابة (٤٢/٦) وانظر التفاصيل في الطبري (٥١٦/٣ - ٥١٧) وابن الاثير (٨٤/٣) .

وذكر أخبار أصبهان (٧٠/١) .

(٣٩) ذكر أخبار أصبهان (٧٠/١) وتهذيب التهذيب (٣٨/١٠) .

(٤٠) المعارف (٣٣١) .

(٤١) أسماء الصحابة الرواة لابن حزم - ملحق بجوامع السيرة ص (٢٨٩) .

(٤٢) معجم البلدان (٤٢٦/٢) .

(٤٣) المعارف ص (٣٣١) .

الجاهلية فما أجبنكم ، ولقد هاجبناكم فما أفحمنكم ، ولقد سالناكم فما
ابخلناكم !! » (٤٤)

وكان ورعا تقيا نقيًا عاقلا ، لذلك أصبح سيد قيس بالبصرة في
أيامه (٤٥) ، زوجته الصحابي الجليل عتبة بن غزوان ابنته (٤٦) ، وكان موضع
ثقة الخلفاء والامراء وموضع ثقة الناس على مختلف ميولهم وأهوائهم لمزاياه
الإنسانية الرفيعة .

القائد :

نجح مجاشع في الحرب الخاطفة للقضاء على بعض الاضطرابات
الداخلية كما حدث في الفرات ، هذا النوع من الحروب يحتاج الى قائد
سريع الحركة سريع القرار جريء شجاع مندفع .

كما نجح في حروب المشاغلة ، حيث استطاع تجميد القوات الفارسية
في الاهواز وحال دون تعاونها مع القوة الفارسية الضاربة الاصلية المحتشدة
في (نهاوند) من جهة وحال دون عرقلتها تحشيد قوات المسلمين في منطقة
(نهاوند) ، وهذا النوع من الحروب يحتاج الى قائد يتسم بالانتباه الشديد
والحذر واليقظة والسهر على مراقبة تحركات القوات المعادية ، كما يحتاج
الى قائد يستطيع الافادة من طبيعة الارض ويختار المواقع المناسبة لقواته
بحيث تستطيع الحركة بسرعة للقضاء على كل حركة معادية محتملة .

كما نجح قائدا مرؤوسا لاحدى التشكيلات التعبوية قبل معركة نهاوند
وفي اثنائها ، وكان أحد القادة الذين كان لهم اثر حاسم في انتصار المسلمين في
معركة حاسمة هي معركة نهاوند .

كما نجح قائدا مستقلا له واجب خاص وهدف معين ، ففتح منطقة
واسعة من أرض ايران بأقرب وقت ممكن وبأقل جهود ممكنة وبأقل خسائر
مادية ومعنوية .

انه قائد ممتاز له كل مزايا القائد الممتاز ، فكان سريع القرار صحيحه
نظرا لذكائه وتشبّه بالحصول على المعلومات الضرورية عن العدو وعن
الارض التي يقاتل عليها . وكان قوي الشخصية حديدي الإرادة محبوبا ،
موضع ثقة رؤسائه ومرؤوسيه على حد سواء .

(٤٤) العقد الفريد (١/١٩٣) وانظر الاسابة (٤٢/٦) .

(٤٥) الطبري (٤٠٣/٣) .

(٤٦) البلاذري ص (٣٧٨) .

ولعل لمزاياه الانسانية السامية وماضيه الناصع المجيد اثرا كبيرا على ثقة الناس به وحبهم له وتقديرهم لمزاياه وتطوعهم برحابة صدر للقتال تحت رايته .

لقد كان يؤمن بالضبط ويفرض سيطرته الكاملة على رجاله من غير اسراف ولا شطط . ذكر أحد الغزاة الذين كانوا معه يوم فتح (توج) فقال : « خرجنا مع مجاشع بن مسعود غازين (توج) فحاصرناها وقتلناها ما شاء الله ، فلما افتتحناها وخوينا نهبا نهبا كثيرا وقتلنا قتلى عظيمة ، وكان علي قميص قد تخرق ، فاخذت ابرة وسلكا وجعلت اخيط قميصي بها . ثم اني نظرت الى رجل في القتلى عليه قميص فنزعته فاتيت به الماء فجعلت أضربه بين حجرين حتى ذهب ما فيه فلبسته ، فلما جمعت الرثة قام مجاشع خطيبا فحمد الله واثني عليه وقال : ايها الناس ! لا تغلوا فانه من غل جاء بما غل يوم القيامة . ردوا ولو المخيط ! فلما سمعت ذلك نزعتم القميص فالفقته في الاخماس » (٤٧) . وهذا يدل على امانته المطلقة وسيطرته النافذة على رجاله .

وكان بالاضافة الى كل ذلك قوي البنية يتحمل المشاق بسهولة ويسر ، حتى الثلج والدمق والطقس القاسي في الظروف الصعبة تحملها ونجى منها بينما لم يتحملها رجاله فماتوا من أثرها .

لقد كان قائدا فذا بكل ما في الكلمة من معان .

مجاشع في التاريخ :

يذكر التاريخ لمجاشع فتحه لواء أدرشير خزره وسابور ويذكر له استعادته فتح منطقة كرمان الواسعة الفنية .

ويذكر له نجاحه الباهر في القيادة وفي الادارة أيضا ، وهو من الاعراب الذين لم يتمرسوا على مثل هذه الاعمال بنطاق واسع .

ان مجاشع القائد الاداري مثال حي على اثر العقيدة الاسلامية في نفوس حتى اعراب البادية وتبديلها من حال الى حال .

رضي الله عن القائد الفاتح ، الاداري الحازم ، الصحابي الجليل مجاشع ابن مسعود السلمي .

(٤٧) الطبري (٣ / ٢٥١) .

عثمان بن أبي العاص الثقفي

فاتح أرمينية الرابعة "وجزيرة بركاوان" وبلاد فارس
وأول من سماهم السند

« انه كُتِبَ وقد أخذ من القرآن صدرا »

(محمد رسول الله)

اسلامه :

أسلم أبو عبدالله عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان الثقفي في رمضان من السنة التاسعة للهجرة ؛ فقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة (تبوك) في رمضان وقدم عليه في ذلك الشهر وقد ثقيف ، وكان عثمان أحد رجال وفد ثقيف المؤلف من ستة رجال (٤) ؛ وقد ذكر أحد رجال الوفد : « أن بلال بن رباح الحبشي كان يأتينا - حين أسلمنا وصمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقي من رمضان - بفطرننا

(١) أرمينية الرابعة : هناك أربع أرمينيات ، وأرمينية بصورة عامة بلاد بين أذربيجان والروم ذات مدن وقلاع وقرى كثيرة . انظر آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص (٤٩٥) . ومن مدن أرمينية الرابعة : شمشاط وقاليقلا وأرجيش وبأجنيس . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٠٤/١)

(٢) جزيرة بركاوان : وردت : إيزكاوان في الفاروق عمر للدكتور هيكال (٤٧/٢) . ووردت : ابركاوان في البلاذري ص (٣٧٨) ، والصحيح ما جاء أعلاه ، انظر معجم البلدان (٣٢٦/١) و(١٤٩/٢) ، وهي جزيرة لانت الواقعة في بحر عمان بيننا وبين هجر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣١٤/٧)

(٣) بلاد فارس : حدودها من الشرق كرمان ومن الغرب كور خوزستان وأصبهان ، ومن الشمال المفازة التي بين فارس وخراسان وبعض حدود أصبهان ، ومن الجنوب البحر العربي . انظر التفاصيل في المسالك والممالك للأصطخري ص (٦٧) ومعجم البلدان (٣٢٤/٦) وآثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص (٢٢٢) .

(٤) راجع تفاصيل قدوم وفد ثقيف في سيرة ابن هشام (١٩٤/٤) وطبقات ابن سعد (٣١٢/١) وعيون الأثر في فنون المفازي والشمال والسير لابن سيد الناس (٢٢٨/٢) والطبري (٣٦٣/٢) وكان وفد ثقيف مؤلفا من : ١ - عبد باليل ، ٢ - الحكم بن عمرو بن وهب ، ٣ - شرجبل بن غيلان ، ٤ - عثمان بن أبي العاص ، ٥ - أوس بن عوف ، ٦ - نعيم بن خرشة . انظر سيرة ابن هشام (١٩٨/٤) .

وسحورنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم» (٥) . وقد وصف
المغيرة بن شعبه الثقفي اسلام ثقيف قائلا : « فدخلوا الاسلام ، فلا اعلم
قوما من العرب بني اب ولا قبيلة كانوا اصح اسلاما ولا ابعد ان يوجد فيهم
غش لله ولكتابه منهم » (٦) .

ولما اسلم وفد ثقيف وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم ،
امر عليهم عثمان بن ابي العاص - وكان من احدثهم سنا ، وذلك انه كان
احرصهم على التفقه في الاسلام وتعلم القرآن ، فقال ابو بكر الصديق للنبي
صلى الله عليه وسلم : « يا رسول الله ! اني قد رايت هذا الغلام منهم ، من
احرصهم على التفقه في الاسلام وتعلم القرآن » (٧) .

كان عثمان اصغر الوفد سنا ، فكانوا يخلفونه على رجالهم يتعاهدها
لهم ، فاذا رجعوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واناموا وكانت
الهاجرة ، اتى عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم قبلهم سرا منهم
وكتمم ذلك وجعل يسأل رسول الله عن الدين ويستقرئه القرآن ، فقرأ
سورا على رسول الله ؛ وكان اذا وجد النبي صلى الله عليه وسلم نائما عمد
الى ابي بكر الصديق فسأله واستقرأه ، والسى ابي بن كعب فسأله
واستقرأه ؛ فاعجب به الرسول صلى الله عليه وسلم واحبه وامره على ثقيف
لما رأى من حرصه على الاسلام (٨) ، وقال الرسول عنه : « انه كئيس وقد
اخذ من القرآن صدرا » ، وولاه (الطائف) (٩) .

وامر النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بتعليم قومه شرائع الاسلام ،
ومما امره به : ان يصلي بهم ، وان يقتدي بأضعفهم - أي لا يطول عليهم الا
على قدر قوة اضعف من يصلي وراءه - وامره ايضا ان يتخذ مؤذنا لا يأخذ
على اذانه اجرا (١٠) .

ولم يزل عثمان على (الطائف) حتى قبض رسول الله صلى الله عليه
وسلم وخلافة ابي بكر وخلافة عمر بن الخطاب ، حتى اذا اراد عمر ان
يستعمل على (البحرين) سموا له عثمان بن ابي العاص ، فقال عمر : « ذاك

(٥) انظر سيرة ابن هشام (١٩٨/٤) . وفي جريدة انساب العرب (٢٥٤) : ان اسمه هي

صفية بنت امية بن عبد شمس .

(٦) طبقات ابن سعد (٢١٣/١) .

(٧) سيرة ابن هشام (١٩٧/٤) والطبري (٣٦٥/٢) واسد الغابة (٣٧٣/٣) وجوامع السيرة

لابن حزم ص (٢٥٦) .

(٨) طبقات ابن سعد (٥٠٨/٥) .

(٩) طبقات ابن سعد (٤٠/٧) وانظر جريدة انساب العرب (٢٥٤) حول توليه الطائف .

(١٠) جوامع السيرة لابن حزم ص (٢٥٧) .

امير امره رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطائف فلا اعزله » ، فقالوا : يا امير المؤمنين ! تأمره يستخلف على عمله من احب وتستعين به ، فكأنك لم تعزله ! فقال عمر : « أما هذا فنعم » (١١) .

وارتدت العرب بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، فوقف عثمان في قومه موقفا حازما لا ينسى ابدا ، فقد همت ثقيف ان ترتد ، فقام عثمان عامل النبي عليهم فقال : « يا أبناء ثقيف ! كنتم آخر من أسلم ، فلا تكونوا اول من ارتد » (١٢) ، وبذلك استطاع تثبيتهم على الاسلام بينما ارتدت كل قبيلة اما عامة او خاصة الا قريشا وثقيفا (١٣) ، وكان لعثمان اثر حاسم في ثبات ثقيف على الاسلام .

جهاده :

١ - قبل الفتح :

كانت قواعد المسلمين التي يستندون عليها في امدادهم بالرجال والقضايا الادارية لادامة حرب الردة في زمن ابي بكر الصديق ، ثلاثة مدن : المدينة ومكة والطائف ، وكان عثمان مسؤولا عن ادارة قاعدة (الطائف) ، فكان لمجهوده الذي بذله في اقرار اهله على الاسلام اولا ، وتقوية معنويات المسلمين الذين حولها ومعاونتهم ماديا ومعنويا في مكافحة المرتدين من قبائلهم والقبائل الاخرى ثانيا ، وامداد قادة المسلمين بالرجال والمواد لقتال المرتدين - حتى وصلت بعوثة الى اليمن - (١٤) ثالثا ، اثر خالد على انتصار المسلمين على المرتدين واعادة الوحدة الى ما كانت عليها في اواخر ايام النبي صلى الله عليه وسلم .

وبقي عثمان على عمله اميرا على الطائف في عهد ابي بكر كما اسلفنا ، كما بقي على عمله هذا سنتين في خلافة عمر بن الخطاب ، وكان المسلمون حينذاك يسرون من نصر الى نصر في العراق وفي بلاد الشام ، وكان الخليفة بحاجة شديدة الى رجال ذوي عقول واحلام وكفاءة لقيادة الجيوش خارج شبه الجزيرة العربية ؛ لذلك اشار عليه الناس باستعمال عثمان على البحرين وعمان ، ليقوم بادارة تلك المنطقة الحيوية التي اصبحت القاعدة المتقدمة للفتح الاسلامي باتجاه ارض الفرس ، ولتجمل قسطه من الفتح

(١١) طبقات ابن سعد (٥/٥٠٩) واسد الغابة (٣/٣٧٢) .

(١٢) الاصابة (٤/٢٢١) .

(١٣) ابن الاثير (٢/١٢٠) .

(١٤) ابن الاثير (٢/١٤٣) .

الإسلامي ؛ ولكن عمر تخرج من عزل عثمان ، فأشار عليه الناس أن يطلب إلى عثمان أن يستخلف هو على عمله بالطائف من أحبّ ويذهب إلى عمله الجديد ، فاستخلف عثمان على الطائف أخاه الحكم بن أبي العاص (١٥) ، وفي رواية : أنه استخلف خلا له من ثقيف (١٦) وأنه وجّه أخاه الحكم إلى البحرين وسار هو إلى عمان (١٧) ، وهذا ما نرجحه ، لأن الحكم فتح كثيرا من البلاد الفارسية ، وأبتدأ بالفتح بعد تولي أخيه عثمان عمان والبحرين ، مما يدل على أن عثمان استصحب أخاه الحكم بعد مغادرته الطائف إلى منصبه الجديد مباشرة .

٢ - الفاتح :

١ - فتح أرمينية الرابعة :

وجه عياض بن غنم الفهري عثمان إلى أرمينية الرابعة ، وذلك في سنة تسع عشرة للهجرة ، فكان عندها شيء من قتال أصيب فيه صفوان ابن المعطل السلمي شهيدا (١٨) ، ثم صالح عثمان أهلها على الجزية على كل أهل بيت دينار (١٩) .

ب - فتح بلاد فارس :

بعد معركة (نهاوند) الحاسمة ، ازداد الفرس اضطرابا . وازدادت معنوياتهم انهيارا ؛ فقرر عمر بن الخطاب أن يتغلغل بقواته في سائر ولايات الفرس ؛ لذلك عقد بنفسه الوية عهد إلى أصحابها بالانسحاب في أرض فارس كلها ، فجعل لواء (اصطخر) (٢٠) إلى عثمان بن أبي العاص الثقفي ،

(١٥) طبقات ابن سعد (٥/٥٠٩) والاصابة (٢/٢٨) والظاهر أن استخلافه لأخيه كان لمدة قليلة فقط ربما علم عثمان من عمر بنوليته عمان والبحرين ، فاستصحب أخاه معه ليعاونه في مهمته الجديدة .

(١٦) جبل فتوح الاسلام - ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٢٤٩) .

(١٧) أسد الغابة (٣/٣٧٢) .

(١٨) صفوان بن المعطل السلمي : شهد المريسع ، وقيل شهد الخندق وما بعدها ، وكان شجاعا خيرا فاضلا وقد استشهد في غزوة أرمينية . انظر الاصابة (٣/٢٥١) وأسد الغابة (٣/٢٦) والاستيعاب (٢/٧٢٥) .

(١٩) الطبري (٣/١٥٦) وابن الأثير (٢/٢٠٦) وأسد الغابة (٣/٢٦) والاستيعاب (٢/٧٢٥) . (٢٠) اصطخر : عاصمة إقليم اصطخر ، وهي أقدم مدن فارس وأشهرها وبها كان مسكن ملك فارس حتى تحول أردشير إلى جور . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٢٧٥) والممالك والمالك ص (٦٨) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (١٤٧) .

وجعل الولاية المناطق الأخرى إلى قلادة أخريين (٢١)؛ فأرسل عثمان بعضاً من الرجال إلى ساحل فارس فقاتلوا هناك (٢٢). ويمكن اعتبار هذا البعث غزوة استطلاعية لها ما بعدها، إذ اندفع المسلمون من البحرين لغزو ولاية فارس، فركب عثمان السفن عابراً الخليج العربي إلى جزيرة (بركاوان) ففتحها وتخطاها إلى أرض فارس، فسار بجنوده إلى مدينة (توج) (٢٣) الحصينة وحاصرها حصاراً طويلاً حتى استسلمت للمسلمين (٢٤).

وسار عثمان يريد (اصطخر) عاصمة إقليم فارس وأكبر مدينة فيه، فالتقى الطرفان في ضواحي مدينة (جور) (٢٥)، وبعد قتال عنيف ارتدت القوات الفارسية إلى (اصطخر)، ففتح المسلمون (جور) ثم استسلمت (اصطخر) على الجزاء والذمة (٢٦)؛ وبعد المعركة خطب عثمان الناس قائلاً: «ان الله إذا أراد ب قوم كفهم ووفر أمانتهم فاحفظوها فان أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، فإذا فقدتموها جدد لكم في كل يوم فقدان شيء من أموركم» (٢٧).

وسار أبو موسى الأشعري بأمر عمر بن الخطاب من البصرة وانضم إلى عثمان بن أبي العاص في هذه المرحلة من قتال الفرس، ففتح معه

(٢١) الطبري (١٨٦/٣) وابن الأثير (٨/٣).

(٢٢) ابن الأثير (٨/٣).

(٢٣) توج: مدينة بفارس. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٢٦/٣).

(٢٤) في رواية أن عثمان وجه أخيه الحكم بن أبي العاص في البحر إلى فارس ففتح جزيرة (بركاوان) ومنها سار إلى (توج). راجع البلاذري ص (٣٧٨). وفي رواية أن الذي فتح (توج) هو مجاشع بن مسعود السلمي. انظر الطبري (٢١٤/٣) وابن الأثير (٤/٣) وأسد الغابة (٣٠٠/٤).

(٢٥) جور: مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخاً. انظر التفاصيل في معجم

البلدان (١٦٤/٣) والمسالك والممالك ص (٧٦).

(٢٦) الطبري (٢٥٢/٣) وابن الأثير (١٦/٣).

(٢٧) جاء في الطبري (٢٥٢/٣) ما نضنه: «وعفت الجند عن النهب وأدوا الأمانة فجمعهم عثمان ثم قام فيهم وقال: ان هذا الامر لا يزال مقبلاً ولا يزال اقله معافين مما يكرهون ما لم يفلثوا، فإذا غلثوا رأوا ما يتكرون ولم يسد الكثير سد القليل اليوم». وقد ذكر الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه: الفاروق عمر (٤٨/٢) ما نضنه: «وبلغ عثمان أن بعض المسلمين أخذ من المغنم لنفسه قبل قسمة الفية، فقام في الناس فقال: وذكر النضر الذي أوردناه اعلاه. ولا ادري كيف استنتج هيكل أن بعض المسلمين أخذ من المغنم لنفسه! البيت الذي قاله عثمان لرجاله هو عكس ما ذكره هيكل، إذ لا يدل إلا على أمانة المسلمين حينذاك، ولا غيب. إذ كانت اللطم بخير، خاصة وأن عمر بن الخطاب كان هو الخليفة وأن قلاته كانوا من الصحابة الاجلاء، وقد عفوا فعف الناس».

(أرجان) (٢٨) صلحا على الجزيرة والخراج ، ثم فتحها (شيراز) (٢٩) صلحا وفتحها (سينيز) (٣٠) من إقليم اردشير (٣١) وصالح عثمان مدينة (قسا) (٣٢) ومدينة (سابور) (٣٣) .

بل ان عثمان كان أول من حاول فتح السند من قادة المسلمين ، ثم لم تزل السند تغزى الى زمان زياد بن أبيه وإلى زمن الحجاج بن يوسف الثقفي الذي افتتح باقي السند (٣٤) .

الانسان :

كان عثمان بن أبي العاص صحابيا جليلا من أهل الطائف من قبيلة ثقيف المشهورة بشجاعتها الفائقة ، وكان من شخصيات ثقيف المرموقة في الجاهلية بدليل اختياره أحد ستة من وقد ثقيف الذي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم ليعلم اسلام ثقيف .

وكان حصيفا ذكيا متزنا حريصا على تفهم الدين ، مما جعله موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم فولاه امانة الطائف فبقي عليها في عهده وعهد أبي بكر وعهد عمر حتى سنة خمس عشرة للهجرة اذ نقله دون أن يعزله عن الطائف الى البحرين وعمان وبقي أميرا عليها حتى استشهد عمر ابن الخطاب (٣٥) فأقره عثمان على ولايته حتى سنة ثمان وعشرين للهجرة (٣٦) على الاقل ؛ ثم سكن البصرة واستقر فيها حتى مات بها في

(٢٨) أرجان : مدينة كبيرة كثيرة الخير ، بينها وبين البحر مرحلة وبينها وبين شيراز ستون فرسخا وبينها وبين سوق الاهواز ستون فرسخا . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٧٩/١) .

(٢٩) شيراز : مدينة في وسط بلاد فارس . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٢٠/٥) .
(٣٠) سينيز : بلد على ساحل الخليج العربي أقرب الى البصرة من سیراف . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٠١/٥) .
(٣١) البلاذري ص (٢٨٠) .

(٣٢) قسا : مدينة بفارس بينها وبين شيراز اربع مراحل . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٥/٦) .

(٣٣) سابور : كورة مشهورة بأرض فارس على اسم مدينة سابور التي بينها وبين شيراز خمسة وعشرون فرسخا . انظر معجم البلدان (٤/٥) . وانظر ما جاء حول فتحها في جمل فتوح الاسلام - ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٣٤٧) ، أما الطبري في (٢٥٤/٣) فيذكر ان الذي فتح قسا ودارا بجرد هو سارية بن زعيم .

(٣٤) جمل فتوح الاسلام - ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٣٤٧) وانظر جمهرة انساب العرب (٢٥٤) وفيه : غزا ثلاثة من مدن بلاد الهند .

(٣٥) الطبري (٢٠٤/٣) وابن الاثير (٣٠/٣) .

(٣٦) ابن الاثير (٣٦/٣) .

خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة خمس وخمسين وقيل سنة احدى وخمسين (٣٧) ، وقيل سنة خمسين (٣٨) . والظاهر انه تعاون مع عثمان بن عفان في صدر خلافته ، حتى اذا شعر ان الرياح تجري على غير ما يريد ترك عمله وأعتكف في البصرة دون ان يعاون في اثاره الفتنة في اواخر ايام عثمان بن عفان او يلوث يديه بدماء المسلمين في الفتنة الكبرى بين علي ومعاوية .

وكان احد الصحابة الرواة ، روى تسعة وعشرين حديثا عن رسول الله صلى الله وسلم (٣٩) ، كما كان فقيها في الدين ومن اصحاب الفتيا من الصحابة (٤٠) .

وكان اداريا قديرا أثبت كفاءة ممتازة في ادارة الطائف في اخرج الظروف ، كما أثبت كفاءة ممتازة في ادارة عمان والبحرين فسيطر عليهما سيطرة كاملة وسار بهما على الطريق السوي (٤١) في عنقوان ايام الفتح الاسلامي ، فهو بدون شك ذو عقل وقوام وكفاية (٤٢) .

ولم يذكر لنا التاريخ انه اثرى على حساب الفتح او من استفلال النفوذ ، اذ كان يتفق امواله على الفقراء والمحتاجين وفي الجهاد ، كما كان كريما مضيافا .

وكان كثير التدين مؤمنا قوي الايمان ، ألفا مألوفيا وفيما شهما صادق القول والعمل على حد سواء .

انه مثال العربي في مزاياه والمسلم في اخلاقه ... لقد كان من خيار الصحابة (٤٣) ، واليه ينسب شط عثمان بالبصرة (٤٤) .

القائد :

كان عثمان سريع القرار صائبه نتيجة لذكائه وكفاءته وبعد نظره وترتيباته الاستطلاعية التي كان يتخذها دائما قبل خوض معاركه ، لذلك

(٣٧) الاصابة (٢٢١/٤) .

(٣٨) ابن الاثير (١٨٦/٣) .

(٣٩) اسماء الصحابة الرواة - ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٢٨١) .

(٤٠) اصحاب الفتيا من الصحابة - ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٣٢١) .

(٤١) البلاذري ص (٣٧٨) .

(٤٢) طبقات ابن سعد (٤٠/٧) .

(٤٣) جمهرة انساب العرب (٢٥٤) .

(٤٤) جمهرة انساب العرب .

انتصر في كل معركة خاضها : داخلية ضد المرتدين ، وخارجية في الفتح الاسلامي .

وكان شجاعا مقداما ، يثق بقواته وتثق قواته به ، له شخصية نافذة و ارادة قوية ، يتحمل مسؤوليته كاملة ؛ يبادل له رجاله حبا بحب وثقة بثقة ، له ماض ناصع مجيد قبل الاسلام وبعده .

وكان يحرص على (اختيار مقصده وادامته) ، كما كان قائدا (تعرضيا) يطبق مبدأ (المباغتة) في حروبه ، ويعمل على (تحشيد قوته) قبل البدء بالقتال ، ويضع مبدأ (الامن) نصب عينيه دائما حتى يحافظ على قواته سالمة و (يندم معنوياتها) قبل المعركة واثناها وبعدها .

عثمان في التاريخ :

يذكر التاريخ عثمان باعجاب شديد : لعقيدته الراسخة ولفتوحاته . يذكره لعقيدته الراسخة التي جعلته يسارع الى الاسلام قبل أصحابه في وفد ثقيف ، ويحرص على استيعاب الدين الجديد قبلهم ، ثم يقف صامدا امام الذين أرادوا نبذ الاسلام من ثقيف بعد التحاق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى - مما أدى الى بقاء قومه في الطائف مسلمين يدافعون عن الاسلام .

ويذكر فتوحاته الواسعة التي شملت اكثر بلاد فارس موطن الفرس الاصلي الذي انبعثوا منه الى أرجاء العالم القديم ليكونوا اقوى امبراطورية لا تزال آثار حضارتها باقية حتى اليوم .

لقد فتح بالإضافة الى فارس ارمينية الرابعة ، وكان أول من هاجم السند فكانت معاركه التمهيدية فيها ايدانا بفتحها فيما بعد ونشر الاسلام في ربوعها .

ان عثمان بن أبي العاص مفخرة من مفاخر التاريخ العربي الاسلامي . رضي الله عن الصحابي الجليل ، الاداري الحازم ، القائد الفاتح ، عثمان بن أبي العاص الثقفي .

الحكم بن أبي العاص الثقفي

فتاح جزيرة بركاوان^(١) وتوَّج^(٢)
وفتح أضطرَّ ثمانية

الصحابي :

أسلم الحكم بن أبي العاص الثقفي في السنة التاسعة للهجرة ، وذلك بعد عودة وفد ثقيف من المدينة إلى الطائف وإعلان إسلامه وإسلام ثقيف (٣) .
لقد صاحب الحكم النبي صلى الله عليه وسلم (٤) ولكنه لم يقاتل تحت لوائه ، وبذلك نال شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

المجاهد :

يقترون اسم الحكم باسم أخيه عثمان بن أبي العاص الثقفي في كل أعماله ومنها جهاده المرتدين وقيادته بعض جيوش الفتح الإسلامي .
كتب عمر بن الخطاب إلى عثمان بن أبي العاص في الطائف : « أقبل واستخلف أخاك » (٥) ، فبقي الحكم على الطائف مدة قصيرة سار بعدها مع أخيه عثمان إلى عمان والبحرين حيث استقر عثمان في عمان واستقر الحكم في البحرين (٦) .

-
- (١) بركاوان : هي جزيرة لاقت الواقعة في بحر عمان (الخليج العربي) بينها وبين هجر .
انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٤٩/٢) و (٣٢٦/٦) و (٣١٤/٧)
(٢) توَّج : مدينة بفارس . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٢٦/٢) .
(٣) سيرة ابن هشام (١٩٤/٤) وطبقات ابن سعد (٣١٢/١) وعيون الاثر في فنون المغازي
والشمائل والسير لابن سيد الناس (٢٢٨/٢) والطبري (٣٦٢/٢) .
(٤) طبقات ابن سعد (٥٠٩/٥) .
(٥) الاصابة (٢٨/٢) والاستيعاب (٣٥٨/١) .
(٦) اسد الغابة (٣٧٣/٣) .

ولما استقر الأمر للأخوين في عمان والبحرين ، وجئه عثمان أخاه الحكم في البحر الى فارس في جيش عظيم ، ففتح جزيرة (بركاوان) الواقعة في الخليج العربي ، وبعد فتحها سار الى مدينة (توج) ففتحها أيضا وبنى بها المساجد وجعلها دارا للمسلمين (٧) .

وانتقضت (اصطخر) التي فتحها عثمان بن أبي العاص على المسلمين ، فسار اليها الحكم واستطاع تحطيم قوات الفرس بعد قتال عنيف بمعاونة أخيه عثمان الذي سارع لنجدة أخيه ، وبذلك أعاد (اصطخر) والمنطقة المحيطة بها الى سيطرة المسلمين (٨) .

لقد كان الحكم عوناً لأخيه عثمان في فتوحاته الكثيرة في إقليم فارس ، فكان يعمل تحت لواء أخيه تارة ويعمل مستقلاً لفتح بعض المناطق تارة أخرى ؛ وبذلك استطاع أن يفتح فتوحا كثيرة (٩) .

الانسان :

كان الحكم ذكيا متزنا مؤمنا قوي الايمان ، اداريا خازما امان أخياه في ادارة الطائف على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعلى عهد أبي بكر وعمر حتى سنة خمس عشرة حيث انتقل أخوه الى عمان والبحرين ، فتولى الحكم ادارة البحرين . ولما عزل عثمان بن عفان أخا الحكم عثمان بن أبي العاص عن البحرين وعمان ، سكن الحكم البصرة واستقر فيها (١٠) .

لقد عاش الحكم لعقيدته وأخلص لها كل حياته ، ولا نعرف أنه أفاد من الفتح مالا أو عقارا ، بل عاش حياته عيش الكفاف شريفا كريما حتى توفاه الله .

القائد :

لعل الحكم نسخة طبق الاصل من أخيه عثمان بن أبي العاص في مزاياه قائدا .

-
- (٧) ابن الاثير (١٦/٣) وجمل فتوح الاسلام - ملحق بجوامع السيرة - لابن حزم ص (٣٤٧) ، وفي رواية أخرى أن عثمان بن أبي العاص هو الذي فتح (بركاوان) ومدينة (توج) بنفسه . انظر البلاذري ص (٣٧٩) . وفي رواية ، أن الذي فتح توج هو مجاشع بن مسعود السلمي . انظر الطبري (٢١٤/٣) وابن الاثير (٤/٣) وأسد الغابة (٣٠٠/٤) .
- (٨) ابن الاثير (١٦/٣) والطبري (٢٥٢/٣) .
- (٩) الاصابة (٣٨/٢) وأسد الغابة (٣٥/٢) والاستيعاب (٣٥٨/١) .
- (١٠) الاستيعاب (٣٥٨/١) .

كان شجاعاً مقداماً سريع القرار ، يبادل رجاله الثقة والمحبة ، ذا شخصية نافذة و ارادة قوية .

لقد انتصر في كل معركة خاضها لانه طبق اهم مبادئ الحرب في القتال ، اذ انه حرص على مبدأ (اختيار المقصد وادامته) ومبدأ (التعرض) ومبدأ (المباغتة) ، وبذلك استطاع تحطيم قوات فارسية كبيرة بأقل جهد ممكن ، وبأقل خسائر ممكنة .

الحكم في التاريخ :

لا يكاد التاريخ يذكر عثمان بن أبي العاص اخا الحكم الا ويذكر الحكم الى جانبه شريكاً له في انجازاته الرائعة في الدفاع عن الاسلام وفي الفتح الاسلامي .

لقد شارك الحكم اخاه عثمان في منع ثقيف من الردة ، وشاركه في فتوحاته كلها ، وشاركه في كل أعماله الادارية وفي كل واجباته في السلم والحرب ، وبذلك استحق الحكم تقدير التاريخ .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، الاداري الحازم ، القائد الفاتح ، الحكم ابن أبي العاص الثقفي .

سارية بن زعيم الكناني

فتحنا^(١) ودارا بجر^(٢)

« يا سارية بن زعيم الجبل .. الجبل ... »

(عمر بن الخطاب)

اسلامه :

لا نعلم بالضبط متى أسلم سارية بن زعيم الكناني ، والظاهر أنه أسلم متأخرا ، لعدم ورود اسمه بين الصحابة الذين شهدوا (بدر) أو أسلموا قبل فتح مكة المكرمة ، كما لم يرد ذكره في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم الأخرى .

لقد كان صحابيا جليلا (٣) ما في ذلك شك ، اذ كانوا لا يومرون غير الصحابة (٤) - خاصة في عهد عمر بن الخطاب ، وقد أصبح سارية قائدا لجيش من جيوش المسلمين في أيام عمر بن الخطاب (٥) ؛ لهذا نال سارية شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهاده :

استنفد سارية كل جهوده في معارك الفتح وبرزت قابلياته المتنازعة في تلك المعارك على قيادة الرجال ، لذلك أسند اليه عمر بن الخطاب مهمة فتح

(١) فسا : كلمة أعجمية وعندهم : بسا بالياء ، وكذا يتلفظون بها ، ومعناها في كلامهم : الشمال من الرياح . وهي مدينة بفارس أنزه مدينة بها ، بينها وبين شيراز أربع مراحل ، وهي من أكبر مدن ولاية (دارا بجر) . انظر التفاصيل في المسالك والممالك ص (٦٧) ومعجم البلدان (٣٧٥/٦) .

(٢) دارا بجر : ولاية بفارس سميت باسم مدينة بهذا الاسم ، وتحوي على مدن كثيرة تفاصيلها في المسالك والممالك ص (٧٠) . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٤) والمسالك والممالك ص (٦٧ - ٧٦) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (١٨٨)

(٣) الإصابة (٤٦/١) في مادة : أسيد بن أبي إياس بن زعيم ، وهو ابن أخي سارية ، والإصابة (٥٢/٣) .

(٤) الإصابة (٣٠٩/١) والإصابة (٥٣/٣)

(٥) الطبري (١٨٩/٣) وابن الأثير (٢١٤/٢)

(قنسا) و (دارا بخرد) من أهم ولايات فارس .

وسار سارية بجيشه نحو هدفه حتى انتهى الى موضع تحشد القوات الفارسية ؛ وهناك حاضرمهم طويلا ، الا أنهم استمدوا فأمدهم أكراد فارس ، وتكاثر العدو على المسلمين ، حتى أصبحت قوات العرب في خطر عظيم ... عند ذلك التجأ سارية بجيشه الى جبل (٦) قريب جعله وراء قواته ، فواجه الفرس من اتجاه واحد ، وكانوا قبل ذلك يواجهونهم من اتجاهات عديدة ... واستقتل المسلمون ، فاستطاعوا التغلب على عدوهم المتفوق عليهم تفوقا ساحقا بالعدد والعُدَد - العدو الذي كان يقاتل في بلاده مدافعا عن منطقة يعرفها كل المعرفة من كافة الوجوه ؛ وكانت نتيجة انتصار المسلمين على الفرس في هذه المعركة هي استسلام ولاية (دارا بخرد) كلها للعرب ، فدخلوا مدنها وقرىها الكثيرة فاتحين (٧) .

الانسان :

كان سارية خليعا في الجاهلية ، وكان لصا كثير الفارة ، وكان يسبق

(٦) في الطبري (٢٥٤/٣) وابن الاثير (١٦/٣) قصة بدء عمر بن الخطاب من فوق منبر مسجد المدينة المنورة : « يا سارية بن زئيم .. انجل الجبل .. » فسمع صوته سارية ومن معه وهم في بلاد فارس ، وكانوا يقاتلون في ارض مكتشوفة مهددين بالفناء لتكاثر قوات الفرس عليهم ولأنهم كانوا يقاتلون في ارض غير صالحة للقتال ولا تعين المسلمين على الدفاع تجاه قوات فارس المتفوقة عليهم عددا وعددا ، فلجأ سارية ورجاله الى الجبل عند سماعهم صوت عمر ، فنجوا وانتصروا على الفرس .

وهناك اختلاف ظاهر في رواية هذه القصة ، فبينما يذكر الطبري وابن الاثير : ان عمر ابن الخطاب رأى رؤيا فأخبر المسلمين بها وهو على المنبر في يوم من الايام ، يذكر صاحب الاصابة في (٥٣/٢) وصاحب اسد الغابة في (٢٤٤/٢) : ان عمر كان يخطب على المنبر في يوم الجيفة ، فعرض له في خطبته ان قال : « يا سارية .. الجبل .. الجبل .. » من استرعى الذئب ظلم » ، فلما جاء البشير بالفتح بعد شهر من هذا الحادث ، ذكر انه سمع كما سمع المسلمون في ذلك اليوم في تلك الساعة حين جاوز الجبل صوتا يشبه صوت عمر : « يا سارية ... الجبل .. الجبل ... » ، فعدل المسلمون الى الجبل ، فتفتح الله عليهم !

وعلى الرغم من انني أسجل الناحية العسكرية البحتة في دراستي هذه ، ولكنني لا ارى وصول صوت عمر الى سارية ورجاله مستحيلا .. والتعليل العقلي لذلك - وهو للذين لا يخضعون الا لتحكم العقل - : ان سارية توجه بنفسه الى نفس عمر في مأزق شديد عليه وعلى عمر معا ، ففسر الخليفة به ، وناداه وهما في لحظة التقابل بالوحي والاستيحاء . ان العلم المادي الحديث لا ينكر وقوع مثل هذا ، ومن اراد التفصيل فليراجع كتاب الفاروق عمر للدكتور محمد حسين هيكل (٥١/٢) وكتاب عبقريّة عمر للاستاذ عباس محمود العقاد ، وليراجع مقالين نفيسين عن : (التلباني) للاستاذ العقاد ايضا منشورين في العدد (٤٩٣ ٤٩٥) من مجلة الرسالة للاستاذ احمد حسن الزيات ، ففي هذه المراجع - خاصة في مقال العقاد التعليل العلمي الواضح لهذه القصة .

(٧) الطبري (٢٥٤/٣) وابن الاثير (١٦/٣) وانظر الاصابة (٥٣/٢) واسد الغابة (٢٤٤/٢)

الخيـل عدوا على رجليه ؛ فلما اسلم حسن اسلامه (٨) فاصبح نزيها مستقيما ورعا شهـما غيـورا وفيـا صادقا كريما مضيافا ؛ والحق ان تأثير الاسلام على نفسيته كان مدهشـا لدرجة انه غيـره الى رجل آخر مثالي ؛ لذلك فسارية مثال حي ملموس على تأثير الاسلام الحاسم في نفوس المؤمنين به .

وقد سكت التاريخ عن أيامه الاخيرة ، فلا نعلم عنها شيئا : ماذا قدم للمسلمين من خدمات عامة بعد الفتح ؟ واين استقر ، ومتى واين توفي ؟

القائد :

ليس من شك ، في أن قيادة سارية الحكيمة انقلدت قوائمه من فناء اكيد ؛ فقد كانت قوائمه قليلة بالنسبة الى سعة هدفه وكثرة قوات أعدائه .

ومما زاد في جسامته الاخطار المحيطة بجيشه ، أن خطوط مواصلاته كانت بعيدة للغاية عن قواعد المسلمين الامامية في الكوفة والبصرة ؛ فكان امداده بالرجال يحتاج الى وقت طويل ، لذلك لم يكن امامه الا أن يشاغل عدوه حتى تحين له الفرصة المناسبة للاشتباك به في معركة فاصلة ؛ فلما حانت تلك الفرصة لم يضيعها سارية عبثا ، بل اهتملها للقضاء على عدوه القوي العنيد .

فما هو سر انتصاره على عدوه الذي كان يقاتل في عقر داره وله كافة المحسنات التي يتفوق بها على المسلمين ؟

لقد كان سارية يتحلى بالشجاعة الشخصية النادرة وبالاقدام النادر الذي يتخطى بجرأة عجيبة كل ما يعترضه من عقبات . وكان قديرا على تفهم تأثير طبيعة ساحة المعركة على نتائج المعركة ؛ او بتعبير آخر ، كانت له قابلية لاختيار الارض المناسبة للمعركة المناسبة ؛ فقد كان في العراء حين كان يحاصر عدوه ، فلما تفوق هذا العدو على المسلمين بعدده وعدده كان لا بد لسارية أن يختار موقعا دفاعيا مناسباً يساعده على الدفاع ؛ فاختر الجبل وترك السهل .

وكان سريع القرار صحيحه ، بعيد النظر لماسحا للفرص المناسبة لا يضيعها ابداً ؛ وكان ذا ارادة قوية وشخصية نافذة ، له ماض مشرف مجيد . تلك هي مزايا قيادته التي أمّنت له النصر العظيم .

(٨) الاصابة (٣/٥٢)

سارية في التاريخ :

تتضح لنا من دراسة الخريطة بامعان (٩)، الاهمية السوقية (الاستراتيجية) البالغة لولاية (دارابجرد) ، فهي بالاضافة الى كثرة مدنها وقراها ووفرة مياهها وخيراتها وازدهارها بالسكان - مما كان له اثر كبير على ادامة (١٠) المجاهدين المسلمين بالمال والرجال ، فانها تقع في قلب البلاد الفارسية ، ومنها تسهل السيطرة على الولايات الفارسية الشمالية والجنوبية ، كما انها تصلح لتكون قاعدة متقدمة ينطلق الفاتحون منها باتجاه الشرق ... الى الصين .

تلك هي بعض اهمية هذه المنطقة من الناحية العسكرية ، فهل بإمكان التاريخ أن ينسى لفاتها ما أسداه للفتح الاسلامي من افضال ؟

ان هذه المنطقة كان لها اثر كبير في الفتح الاسلامي الذي امتد شرقا حتى الصين ، كما أن سكانها لا يزالون يدينون حتى اليوم بالاسلام . ترى ! هل يذكرون فاتحها كما يذكره التاريخ ؟!

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، سارية بن زينم الكناني .

(٩) انظر الخريطة في ص (٢٢٢) .

(١٠) الادامة : مصطلح عسكري ، يقصد به في الجيش العراقي تأمين متطلبات القوات المقاتلة الادارية كافة : امدادها بالرجال والسلاح والعتاد والتفليّة والتجهيزات والارزاق وبالامور الطبية والبيطرية ، واجراء التصليحات اللازمة لاسلحتها ونقلتها وتجهيزاتها .

قَائِدَةُ فَتْحِ بَلِّخِسْتَانِ

عاصم بن عمرو التميمي

عاصم بن عمرو التميمي

فتح سجستان^(١)

اسلامه :

أسلم عاصم بن عمرو التميمي في السنة التاسعة للهجرة مع قومه بني تميم (٢) ، فكان اسلامه بعد غزوة (تبوك) آخر غزوة قادها الرسول القائد بنفسه ، لذلك فقد نال عاصم شرف الصحبة (٣) اذ كانوا لا يولون القيادة الا للصحابة (٤) ، ولكنه لم ينل شرف الجهاد تحت لواء النبي صلى الله عليه وسلم .

جهاده :

١ - قبل القادسية :

قاتل عاصم تحت لواء خالد بن الوليد في حروب أهل الردة ، فأبلى فيها بلاءً استحق من أجله تقدير خالد ، فوجهه أمام قواته على رأس قوة من المسلمين الى العراق (٥) كما سرح غيره من القادة .

وقاتل عاصم بقيادة خالد في العراق ، فقتل في معركة (المذار) (٦) أحد قادة الفرس البارزين (٧) . وبعد فتح الحيرة ، قاتل عاصم مع خالد في

(١) سجستان : اسم منطقة واسعة بينها وبين هراة عشرة ايام او ثمانون فرسخا ، وهي جنوبي هراة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٧/٥) ، وانظر حدودها في المسالك والممالك للاصطخري ص (١٢٨) وفيها سجستان بفتح السين ، وانظر آثار البلاد وأخبار العباد للقرطبي ص (٢٠١) .

(٢) الطبري (٣٧٧/٢) .

(٣) الاصابة (٦/٤) والاسنياب (٧٨٤/٢) .

(٤) الاصابة (٣٠٩/١) و(١٩٤/٢) .

(٥) الطبري (٥٥٤/٢) .

(٦) المذار : في ميسان بين واسط والبصرة ، وهي قصبة ميسان بينها وبين البصرة

مقدار اربعة ايام . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤٢٣/٧) .

(٧) الطبري (٥٥٧/٢) .

معركة (الأنبار) (٨) وعين التمر (٩) و (دومة الجندل) (١٠) ، وفي معركة (دومة الجندل) بعث خالد عاصمًا على رأس مفرزة من الفرسان لاسر أكيدر ابن عبد الملك أحد أمراء دومة الجندل البارزين ، فنجح عاصم في أسره وسلّمه إلى خالد فقتله (١١) جزاء غدره بالمسلمين .

وعندما طوّق خالد حصن (دومة الجندل) لم يتسع الحصن لكل المدافعين عنه ، فبقي بعضهم خارجه ، فقال عاصم لقومه بني تميم : « يا بني تميم ! حلفاؤكم كلب آسروهم وأجروهم ، فانكم لا تقدرون لهم على مثلها » ، ففعلوا . وكانت وصية عاصم هذه سببا لنجاة بني كلب من القتل ، لأن خالدًا دعا بالأسرى فضرب أعناقهم إلا أسارى بني كلب ، فان عاصمًا وبني تميم قالوا : « قد أمّناهم » ، فأطلقهم لهم خالد (١٢) ، مما يدل على وفاء عاصم لأصدقائه في أيام محنتهم .

ولما وجه أبو بكر خالدًا إلى أرض الشام ، أراد أن يستصحب عاصمًا معه كما أراد استصحاب جميع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتج المثني بن حارثة الشيباني قائلا : « والله ما أرجو النصر إلا بهم » ؛ فلما رأى خالد ذلك أعاضه حتى رضي ، وكان عاصم ضمن الذين تركهم أرضاء للمثني (١٣) ؛ وما كان خالد ليترك مثل عاصم في العراق مختارًا ، ولكنه اضطر إلى ذلك اضطرارًا بعد أن استصحب معه القعقاع بن عمرو أخا عاصم ، حتى يرضي المثني من جهة وحتى ينفذ أمر أبي بكر في استصحاب نصف الصحابة وترك نصفهم مع المثني (١٤) من جهة ثانية .

وقاتل عاصم بعد خالد تحت لواء أبي عبيد بن مسعود الثقفي قائدًا لقومه بني تميم ، فوجهه بعد معركة (كسكر) إلى نهر جور فهزم الفرس (١٥) ؛ وفي معركة الجسر التي استشهد فيها أبو عبيد وركبهم الفرس فأصابوا

(٨) الأنبار : هي مدينة الفلوجة الحالية واقعة غرب بغداد على الفرات . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١/٣٤٠) .

(٩) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له « شغاة » . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦/٣٥٣) .

(١٠) دومة الجندل : حصن على سبعة مراحل من دمشق يقع بين دمشق وبين المدينة . راجع معجم البلدان (٤/١٠٦) .

(١١) الطبري (٢/٥٧٨) .

(١٢) الطبري (٢/٥٧٩) وابن الأثير (٢/١٥٢) .

(١٣) الطبري (٢/٥٧٩) .

(١٤) الطبري (٢/٦٠٥) وابن الأثير (٢/١٥٦) .

(١٥) الطبري (٢/٦٣٧) . ونهر جور نهر بين الأحواز وميسان . انظر معجم البلدان

(٨/٣٣٩) .

يومئذ من المسلمين أربعة آلاف شهيد بين غريق وقتيل ، حمى الثنى بن حارثة الشيباني وعاصم مع أشجع أبطال المسلمين الانسحاب حتى عقدوا جسرا فعبر المسلمون عليه وعبر الثنى وعاصم وأصحابهم في آثارهم (١٦) ، وبذلك أنقذ عاصم والثنى ورجالهما ارواح كثير من المسلمين .

وقاتل عاصم بعد استشهاد أبي عبيد تحت لواء الثنى : استخلفه على الناس حين خرج على رأس مفرزة من الفرسان (١٧) . وفي معركة (البؤيب) (١٨) كان عاصم يقود (المجردة) (١٩) ، وهو واجب لا يعهد به الا لفراس مقدم . ولما انهزم الفرس امام المسلمين في هذه المعركة ، كان عاصم أحد القادة الذين قاموا بالمطاردة ، فكان أول من دخل حصن الفرس في (سباط) (٢٠) هو عاصم (٢١) ، وكان لتفلقه العميق في أرض الفرس أثر بالغ على تحطيم معنويات الفرس ورفع معنويات العرب .

٢ - في القادسية :

كان عاصم أثناء مسير الاقتراب الى موضع القادسية قائدا للساقة (٢٢) وكان المسلمون قبل معركة القادسية يحتاجون الى المواد الغذائية ، وكانت هذه المواد ضرورية لهم اذ ان الجندي الذي لا يأكل لا يقاتل ، لذلك أرسل سعد بن أبي وقاص عاصما الى (ميسان) (٢٣) في غارة غنم فيها بعض الماشية ، فأتى بها الى سعد ، فقسمها على الناس ، فأخصبوا اياما (٢٤) .

وقبل معركة القادسية جرت مفاوضات بين سعد وبين كسرى يزددجرد ، فأرسل سعد رجالا من العرب لهم منظر ومهابة ولهم آراء واجتهاد ، وكان من بين هؤلاء عاصم (٢٥) . وفي نهاية المفاوضات غضب كسرى على المفاوضين

(١٦) الطبري (٦٤٠/٢) .

(١٧) الطبري (٦٤٤/٢) وابن الاثير (١٦٩/٢) .

(١٨) البؤيب : نهر كان بالعراق موضع الكوفة ، فمه عند دار الرزق ، يأخذ ماءه من

الفرات . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣١٠/٢) .

(١٩) الطبري (٦٤٥/٢) والمجردة : هي القطعات الراكبة امام المقدمة وكانت من الفرسان .

(٢٠) سباط : وتسمى سباط كسرى ، وهي مدينة بالقرب من المدائن . راجع التفاصيل

في معجم البلدان (٢/٥) .

(٢١) الطبري (٦٥٣/٢) .

(٢٢) الطبري (٩/٣) وابن الاثير (١٧٤/٢) .

(٢٣) ميسان : اسم كورة واسعة كثيرة القرى والتخل بين البصرة وواسط ، قصبتها

ميسان . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨ - ٢٢٤) .

(٢٤) انظر تفاصيل القصة في الطبري (١٤/٣) وابن الاثير (١٧٥/٢) .

(٢٥) انظر تفاصيل المفاوضات في الطبري (١٥/٣) وابن الاثير (١٧٥/٢) .

العرب ، فقال لرجاله : « انتوني بوقر من تراب ، واحملوه على أشرف هؤلاء » ، فتقدم عاصم ليحمل عن أصحابه التراب قائلا : « انا أشرفهم ... أنا سيد هؤلاء » ، ثم حمل التراب على عنقه وخرج الى راحلته فركبها ، وأخذ التراب معه وقال لسعد : « ابشر ! فوالله لقد أعطانا الله أقاليد ملكهم » (٢٦) ، وكانت نتيجة تلك المفاوضات نصرا مغنويا للمسلمين على الفرس ، اذ قال كسرى : « ما كنت أرى أن في العرب مثل رجال رأيتهم دخلوا علي !! ما أنتم بأعقل منهم ولا أحسن جوابا منهم » (٢٧) .

وارسل سعد مائة فارس فأغاروا على ما بين النهرين . وبلغ (رستم) قائد الفرس الخبر ، فأرسل اليهم خيلا ، ولما علم سعد بأن خيله توغلت بعيدا وأنها أصبحت في خطر داهم ، بعث عاصما وجابر الاسدي (٢٨) ، فلقبهم عاصم وخيل الفرس تحوشهم ليخلصوا ما بأيديهم ، فلما رآه الفرس هربوا ، ورجع المسلمون بالفنائم والفتح (٢٩) .

وعندما نشب القتال بين المسلمين والفرس في معركة القادسية ، برز عاصم في اليوم الاول من أيامها بروزا جعله سيد الموقف بدون منازع : كان احد ذوي الرأي والنجدة الذين أرسلهم سعد لتحريض الناس على القتال ، فقام عاصم في (المجردة) ورجالها اول من يلاقي العدو ، وقال يخاطبهم : « ان هذه البلاد قد أحل الله لكم أهلها ، وأنتم تتلون منهم منذ ثلاث سنين ما لا ينالون منكم ، وأنتم الاعلون والله معكم ان صبرتم وصدقتموه الضرب والطعن ... الخ » (٣٠) . ووقف خطيبا في آخرين قائلا : « يا معاشر العرب ، انكم أعيان العرب وقد صمدتم لأعيان العجم ، وأنما تخاطرون بالجنة ويخاطرون بالدنيا ، فلا يكونن على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم ، ولا تحدثوا اليوم أمرا تكونون فيه شيئا على العرب غدا » (٣١) . ثم خرج عاصم للقتال وهو يرتجز ، فطارد رجلا من العجم فهرب منه ، فطارده حتى دخل في صفوف الفرس ، فالتقى بفارسي معه بقلعة فترك الفارسي بقلته وهرب ، فاستاقها عاصم وسلمها الى سعد ثم عاد الى موقفه .

وزحف المسلمون ، فحملت فيلة الفرس على اليمين والميسرة ، فجادت خيول المسلمين وأحجمت ، وبقي المشاة يقاتلون وحدهم بدون أسناد الفرسان

(٢٦) ابن الاثير (١٧٦/٢) .

(٢٧) الطبري (١٩/٣) .

(٢٨) جابر الاسدي : ذكر سيف في الفتوح ان سعد بن ابي وقاص أمره على بعض الدرايا في قتال القادسية وكانوا لا يؤمرون الا الصجابة . راجع الاصابة (٢٢٥/١) .

(٢٩) الطبري (٢٧/٣) وابن الاثير (١٧٧/٢) .

(٣٠) الطبري (٤٤/٣) .

(٣١) الطبري (٤٦/٣) .

لهم ... في ذلك الموقف العصيب أرسل سعد الى عاصم وقال له : « يا معشر بني تميم ! الستم أصحاب الابل والخيول ! اما عندكم لهذه الفيلة من حيلة ؟! » فقال عاصم : « بلى والله ! » ، ثم نادى عاصم الرماة من قومه واعطاهم واجب رمي الفيلة لاسناد جماعة آخرين من تميم امرهم بقطع أحزمة سروج الفيلة ومذنباتها ؛ وخرج عاصم يشرف على تنفيذ خطته هذه ويحمي الرماة وجماعة قطع الاحزمة ، واقبل رجاله على الفيلة فأخذوا بأذنانها وقطعوا وضنها (٣٢) فارتفع عواؤها وألقت بركبانها ، فنفس عن بني أسد وبجيلة بعد أن قتل من أسد وحدها يومذاك أكثر من خمسمائة رجل (٣٣) .

لقد كان عاصم في ذلك اليوم بحق عادية الناس وحاميهم (٣٤) .

اما في اليوم الثاني ، فقد وصل القعقاع أخو عاصم مع امداداته ، وبذلك اجتماعا ليتعاونوا على حمل ثقل القتال على كاهليهما .

وفي اليوم الثالث من أيام القادسية ، أعادت فيلة الفرس هجومها الكاسح ، فسأل سعد جماعة من الفرس الذين أسلموا عن مقاتلتها ، فقالوا : انها مشافرها وعيونها ؛ فأرسل الى القعقاع وعاصم ابني عمرو وقال لهما : « اكفياني الفيل الأبيض » ، وكانت الفيلة كلها آلفة له وكان بازائهما ، فأخذ القعقاع وعاصم رمحين أصمين وتقدما في خيل ورجل من تميم ، وقالا لرجالهما : اكنفوه لتحيروه ! ثم حملا فوضعا رمحيهما معا في عيني الفيل الأبيض ، فتراجع الحيوان وطرح سائسه ودلى مشفره ، فضربه القعقاع بالسيف فرمى بمشفره (٣٥) ؛ ووقع الفيل لجنبه ، فقتلا من معه من الفرس (٣٦) ؛ كما وجه سعد بطلين من بني أسد هما الحمال (٣٧) والربيل (٣٨) الى الفيل الاجرب ، ففقتا احدى عينييه وضربا مشفره ؛ وكان هذان الفيلان اشد الفيلة ضراوة ، وكانت الفيلة كلها تتبعهما في الهجوم كما تتبعهما في الفرار أيضا ؛ فلما اندفع الفيل الاجرب ووثب الى النهر اتبعته الفيلة كلها وألقت ركبانهما عن ظهورها وتخطت الماء وولت مدبرة ولم

(٣٢) الوضن : جمع وضين ، وهو بطن عريض من جلد منسوج .

(٣٣) الطبري (٥٠/٣) .

(٣٤) الطبري (٥٠/٣) .

(٣٥) الطبري (٦٢/٣) والاصابة (٢٤٥/٥) .

(٣٦) الطبري (٦٢/٣) وابن الاثير (١٨٥/٢) .

(٣٧) حمال بن مالك الاسدي : ذكر سيف في الفتوح ، أن سعد بن ابي وقاص امره على

الرجل حين توجه الى العراق كما انه هاجم الفيل الاجرب . راجع الاصابة (٣٦/٢) .

(٣٨) الربيل الاسدي : جاء ذكره في الطبري : أن سعد بن ابي وقاص امره ان يهاجم

الفيل الاجرب في اليوم الثالث من أيام القادسية . راجع الطبري (٦٣/٣) وابن الاثير (١٨٥/٢)

وأخذ أبطال المسلمين يديمون زخم الهجوم ويضيقون الخناق على
الفرس ربحان أبرز هؤلاء الأبطال عاصم الذي حمل على العدو ... وزحفت
الصفوف حتى لحقت بهؤلاء الأبطال الذين فتحوا ثغرات عميقة في صفوف
القوات الفارسية (٤٠) . واستقبل المقاتلون الليل ، فمضوا قدما في هجومهم
بعد صلاة العشاء ، فهزم عاصم ليلة (الهرير) قائد الفرس الذي كان بازائه
وسحق قواته (٤١) .

وانتهت معركة القادسية بنصر المسلمين ، وكان لما بذله عاصم من
جهد مشرف في جهاده نصيب أي نصيب في هذا النصر !
وصدق من قال عنه : كانت له في القادسية مقامات محمودة وبلاء
حسن (٤٢) .

٣ - في فتح المدائن (٤٣) :

قرر سعد أن يعبر النهر بقواته لفتح المدائن ، وكان لا بد له من قوة
كافية تعبر النهر أولا لاختلال رأس جسر في الجانب الثاني من النهر ، وبذلك
تحمي عبور قوات القسم الأكبر من قوات المسلمين .

وعبور النهر - خاصة بالنسبة للقوات المتقدمة الامامية - لا يخلو
من صعوبة بالغة اذا كانت القوات العابرة تحسن السباحة ولديها وسائل
عبور جيدة ، فكيف بالعرب رجال الصحراء وهم لا يحسنون السباحة ولا
تحسنها خيلهم ، اذ حتى الخيل تحتاج الى التدريب الطويل على السباحة
كما هو معروف !!

قال سعد : « من يبدأ ويحمي لنا الفراض (٤٤) حتى نلاحق به الناس

(٣٩) الطبري (٦٣/٣) وابن الأثير (١٨٥/٢) .

(٤٠) الطبري (٦٦/٣) .

(٤١) الطبري (٦٦/٣) .

(٤٢) الإصابة (٦/٤) والاستيعاب (٧٨٤/٢) .

(٤٣) المدائن : عاصمة الإكسرية الساسانية وغيرهم ، فكل واحد منهم اذا ملك بنى لنفسه
مدينة الى جنب التي قبلها فسميت بالمدائن ، واسمها بالفارسية : توسفون ، وعربوه على
الطيفون ، وانما سماها العرب : المدائن ، لأنها سبع مدائن بين كل مدينة وأخرى مسافة
قريبة او بعيدة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤١٢/٧) ويطلق عليها اليوم اسم - سلمان باك
وفيهما قبر الصحابي الجليل سلمان الفارسي ، وهي على دجلة بالقرب من بغداد . وانظر
المسالك والممالك ص (٦٠) .

(٤٤) الفراض : جمع فرضة ، وهي موضع في الجهة المقابلة من النهر .

لكي لا يمنعوهم من الخروج ؟؟ » . . . فتطوع عاصم وتطوع معه ستمائة من أهل النجدة ، فأمر سعد عاصما عليهم ، فساروا حتى اذا بلغوا شاطئ دجلة ، قال عاصم لأصحابه : « من يتدب معي لتكون قبل الناس دخولا في هذا البحر فتحمي الفراض من الجانب الآخر ؟ » ، فانتدب له ستون فارسا ، وهم الذي أطلق عليهم اسم (كتيبة الاهوال) ، فجعلهم نصفين على خيول اناث وذكور ليكون أساس العوم على الخيل ، ثم تقدمهم هو الى حافة النهر وهو يقول للذين ترددوا : « اتخافون من هذه النطقة ؟ » ، ثم تلا قوله تعالى : (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا) . ثم دفع فرسه واقتحم النهر واقتحم زملاؤه معه ، فلما رأهم الفرس بعثوا فرسانهم فاقتحموا النهر أيضا فلقوا عاصما ورجاله في وسط النهر ، فقال عاصم : « الرماح ! الرماح ! اشرعوها وتوخوا العيون ؛ فالتقوا ، فاطمنوا » ، فولى الفرس ولحقهم المسلمون فقتلوا أكثرهم ، ومن نجا منهم صار أعور من الطعن (٤٥) ، فكانت كتيبة الاهوال اول من دخل المدائن ، وعلى رأسها البطل حقا عاصم بن عمرو التميمي (٤٦) .

أن عبور عاصم ورجاله نهر دجلة ، يعتبر معجزة عسكرية يقف العقل والقلب معا امامها وقفة اكبـار واعجاب ، وهي بدون شك اثر من آثار الايمان العميق بالقضاء والقدر وأن النفس لن تموت الا بأجلها ، وكان لهذا الايمان اكبر الاثر في الفتح الاسلامي أيام الخلفاء الراشدين .

٤ - في البصرة وفارس :

تحرك عتبة بن غزوان الى منطقة البصرة بعد فراغ سعد بن أبي وقاص من معارك (جلولاء) (٤٧) و (تكريت) (٤٨) والموصل في ثمانمائة رجل من بينهم بعض بني تميم (٤٩) ، فكان عاصم مع جيش عتبة ، اذ جاء ذكره مع الجيش الذي بعث به عتبة لانتفاذ جيش العلاء بن الحضرمي الذي احيط به في فارس (٥٠) ، لذلك فان عاصما شهد كافة معارك عتبة بن غزوان في جنوبي

(٤٥) الطبري (١٢٠/٣) وابن الاثير (١٩٨/٢) .

(٤٦) الطبري (١٢٣/٣) .

(٤٧) جلولاء : نهر من أنهر السواد يمتد الى بعلبكا ، وهي ايضا اسم مدينة كانت

مسورة بينها وبين خانقين سبعة فراسخ . راجع معجم البلدان (١٢٩/٣) .

(٤٨) تكريت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل وهي الى بغداد اقرب ، بينها وبين بغداد

ثلاثون فرسخا ولها قلعة حصينة في طرفها الاعلى رابطة على دجلة وهي غربي دجلة . راجع

التفاصيل في معجم البلدان (٣٩٩/٢) .

(٤٩) طبقات ابن سعد (٦/٧) وفي الطبري (٩٠/٣) : ان عدد رجاله كانوا خمسمائة .

(٥٠) الطبري (١٧٨/٣) وابن الاثير (٢٠٨/٢) .

العراق في منطقة البصرة وفي فارس ، وهي المعارك التي طهرت جنوبي العراق وقسما من أرض فارس من القوات الفارسية .

٥ - الفاتح :

بعد فتح نهاوند (٥١) قرر عمر بن الخطاب أن يدفع قوات المسلمين الى سائر أنحاء فارس ، فعقد بنفسه سبعة الوية لسبعة قادة عهد اليهم بالانسياح في أرض فارس كلها ، وكان من بين هذه الالوية السبعة لواء (سجستان) دفعه الى عاصم وامره على رأس قوة من أهل البصرة ؛ ثم امد عمر هؤلاء القادة بأهل الكوفة ، فأمد عاصمًا بعبد الله بن عمر ؛ فعسكر عاصم قريبا من البصرة حتى اكمل تحشد قواته وانجز متطلباتها الادارية ؛ ثم تحرك الى هدفه سجستان ، وهي اعظم من خراسان وأبعد فروجا ، يقاثل أهلها القندهار والترك وأما كثيرة (٥٢) ، وهي ناحية كبيرة وولاية واسعة (٥٣) ، كل ذلك يدل على أهمية واجب عاصم ، وأن اختياره لهذا الواجب الخطير كان دليلا على الثقة البالغة بقيادته .

والتقى عاصم بخمسة سجستان على تخوم بلادهم ، فلم يثبتوا للمسلمين بل انسحبوا الى (زرتج) (٥٤) عاصمة ولاية سجستان ، فحاصروهم المسلمون فيها وبثوا كتابهم تتغلغل في المنطقة كلها . ولما ايقن المحاصرون أن طول الحصار يضر بمصالح اقليمهم ولا يجديهم نفعا ، طلبوا الصلح على أن تكون مزارع سجستان حمية لا يطؤها المسلمون (٥٥) ، وبذلك فتحت ولاية سجستان ودخلت ضمن البلاد الاسلامية .

(٥١) نهاوند : مدينة عظيمة في قبة عمدان بينهما ثلاثة ايام . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٢٩/٨) .

(٥٢) الطبري (٢٥٦/٣) .

(٥٣) معجم البلدان (٣٧/٥) .

(٥٤) زرتج : أعظم مدينة في سجستان ، وهي مدينة وريض ، وعلى المدينة حصن وخنق وعلى الريض ايضا سور ، والماء الذي في الخنق ينبع من مكانه . راجع التفاصيل في المسالك والممالك ص (١٢٩) ، وهي قصة سجستان راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٥/٤) .

(٥٥) الطبري (٢٥٦/٣) وابن الاثير (١٧/٢) ، أما البلاذري في ص (٣٨٥) فيذكر ان الذي فتح سجستان هو الربيع بن زياد الحارثي ارسله لفتحها عبد الله بن عامر في خلافة عثمان ابن عفان . وانني ارجح رواية الطبري ، لان كافة المناطق المخططه بتجستان فتحت في عهد عمر بن الخطاب ، كما ان طبيعة الحركات العسكرية وتسلسل حوادث الفتح يؤيدان ان سجستان فتحت في عهد عمر لا في عهد عثمان . ولكن سجستان انتقضت بعد عمر بن الخطاب فاستعاد عبد الله بن عامر فتحها في ايام عثمان بن عفان ، وقد اورد البلاذري استعادة فتحها ولم يورد فتحها الاول ... ومن هنا جاء الاختلاف بين الطبري والبلاذري .

الشاعر :

كان عاصم أحد الشعراء الفرسان (٥٦) ، قضى عمره في ساحات القتال ، فلا بد أن يكون شعره معبرا عن أحاسيسه فارسا مجاهدا .

واليك نماذج من شعره .

قال يصف فتح الحيرة (٥٧) :

صبحنا الحيرة الروحاء خيلا ورَجَّسنا فوق أثباج الركاب
حضرنا في نواحيها قصورا مشرفة كأضراس الكلاب

وقال يصف مطاردته للفرس بعد معركة (النمارق) (٥٨) :

لعمري وما عمري عليّ بهين لقد صَبَّحت بالخزي أهل النمارق
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم يجوسونهم ما بين دُرَّتْنا وبارق (٥٩)
قتلناهم ما بين مرج مسلح وبين الهواقي من طريق البدارق

وقدّم الدهاقين (٦٠) الى أبي عبيد آنية فيها أطعمة فارسية فلم يأكل منه شيئا حتى علم أنهم قرَّبوا مثله لأصحابه ، فقال عاصم (٦١) :

صبحنا بالبقسايس رهط كسرى صبوحا (٦٢) ليس من خمر السواد
صبحناهم بكل فتى كمي وأجرد سابع من خيل عاد

فهم يفخرون بأطعمتهم الشهية ، والعربي يفخر بالابطال من الفرسان .

وفي اليوم الاول من أيام القادسية ، خرج عاصم مرتجزا بقوله (٦٣) :

قد علمت بيضاء صفراء اللب مثل اللجين اذ تفشَّاه الذهب
اني أمرؤ لا من يعنيه السبب مثلي على مثلك يغريه العتب

وقال يصف كيف أجاز المسلمون أمان عبد من عبيدهم لأهل

(جنديسابور) (٦٤) بهذه الايات (٦٥) :

(٥٦) الاصابة (٦/٤) .

(٥٧) انظر معجم البلدان (٣/٢٧٦) .

(٥٨) النمارق : موضع قريب من الكوفة ، وانظر هذه الايات في الطبري (٢/٦٢٦) .

(٥٩) درنا وبارق : موضعان قريبان من النمارق القريبة من الكوفة .

(٦٠) الدهاقين : جمع دهقان ، وهو زعيم فلاحي العجم وزعيم الاقليم .

(٦١) الطبري (٢/٦٢٩) .

(٦٢) الصبوح : هو الشرب بالفدأة .

(٦٣) الطبري (٣/٤٨) .

(٦٤) جنديسابور : مدينة بخوستان . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣/١٤٩) .

(٦٥) معجم البلدان (٣/١٥٠) .

لعمرى لقد كانت قرابة (مكنف) (٦٦)
 قرابة صدق ليس فيها تقاطع
 أجارهم من بعد ذلّ وقلّة
 وخوف شديد والبلاد بلاقع
 فجاز جوار العبد بعد اختلافنا
 وردّ أمورا كان فيها تنازع
 الى الركن والوالي المصيب حكومة
 فقال بحق ليس فيه تخالغ

هذه نماذج من شعره تعبر تعبيرا صادقا عن هواه العميق بالحرب
 وخلق الفروسية ، فهو كآخيه القعقاع شاعر الفرسان أو فارس الشعراء ! .

الانسان :

تولى عاصم بعد فتح سجستان ادارة هذه المنطقة الشاسعة وعمل على
 توطيد الامن والنظام فيها ، وذلك لان القادة الفاتحين كانوا يتولون ادارة
 المناطق التي يفتحونها ، ولكن هل بقي طويلا واليا على سجستان أم عاد الى
 البصرة ؟ وما هي اعماله بعد فتح سجستان ؟ ذلك ما لا نعرفه لان المؤرخين
 سكوتوا عنه سكوتا مطبقا .

وقد توفي عاصم سنة تسع عشرة للهجرة (٦٧) (٦٤٠ م) .

لقد كان وفيا غاية الوفاء ، يستأثر بالفرم دون أصحابه ويؤثرهم بالفنم .
 وكان ذكيا المعى الذكاء ، مفاوضا لبقا يؤثر على من يفاوضهم ويضطرهم على
 احترامه وتقديره ، خطيبا بليغا يهز المشاعر ، شاعرا تهزه الحرب فيتغنى بها
 وتستهو به الفروسية فيصفها في شعره وصف العاشق الولهان .

وكان شهما غيورا كريما مضيافا ، مؤمنا ورعا صادق القول والفعل .
 محبا للخير شريفا في قومه في الجاهلية وفي الاسلام .
 لقد سودته مزاياه قبل أن يسوده نسيبه . . . لقد كان رجلا !

(٦٦) مكنف : اسم عبد من عبيد المسلمين ، فقد حاصر المسلمون مدينة جنديسابور ، فلم
 يفتح المسلمون الا ابوابها ففتح ، فأرسل المسلمون : أن ما خبركم ؟ فقالوا : انكم رميمين الينا
 بالامان فقبلناه واقرنا لكم بالجزاء . فسأل المسلمون فيما بينهم فاذا عبد يدعى « مكنف » كان
 اصله من جنديسابور هو الذي كتب لهم الامان . فكتبوا بذلك الى عمر فأمر بامضائه ، فاتصرف
 المسلمون عنهم .

(٦٧) الطبري (٣٢٠ / ٣) وابن الاثير (٣٨ / ٣) وقد ذكر الزركلي في الطبعة الثانية من الاعلام
 (١٤ / ٤) : « انه توفي بعد سنة (١٥ هـ) » ، ووفاته هي في سنة (١٩ هـ) كما وردت في الطبري
 وابن الاثير .

القائد :

كان عاصم شجاعا الى حد البطولة النادرة ، مقداما لا يهمه أوقع على الموت أم وقع الموت عليه ، وكان موضع ثقة قواته ورؤسائه كما كان محبوبا منهم جميعا ، وكان يبادلهم ثقة بثقة وحبا بحب ، وكان سريع القرار صائبه ، يتحمل المسؤولية كاملة ، له نفسية لا تتبدل وشخصية نافذة قوية وماض مشرف مجيد .

وكان يعتمد على سرعة الحركة في معاركه ، ولا يقدم على عمل عسكري الا بموجب خطة واضحة مدروسة ، وكان يطبق مبدأ (المباغتة) بشكل واضح ، كما كان يعمل دائما على رفع معنويات رجاله بمثاله الشخصي وبأقوائه وخطبه ، وكان يحرص على تطبيق مبدأ (التعرض) في حروبه ، فكانت معاركه كلها (تعرضية) ، لذلك فهو مثال للقائد التعرضي الذي لم يدافع أبدا .

لقد كان النصر يسير في ركابه ، وانتصاراته تعود - فيما أرى - الى خمسة عوامل : قابليته الممتازة في وضع الخطط المناسبة ، وشجاعته الشخصية الفائقة ، وسرعة حركته في أثناء المعركة ، وتطبيقه مبدأ (المباغتة) ، وتشبعه بروح التعرض .

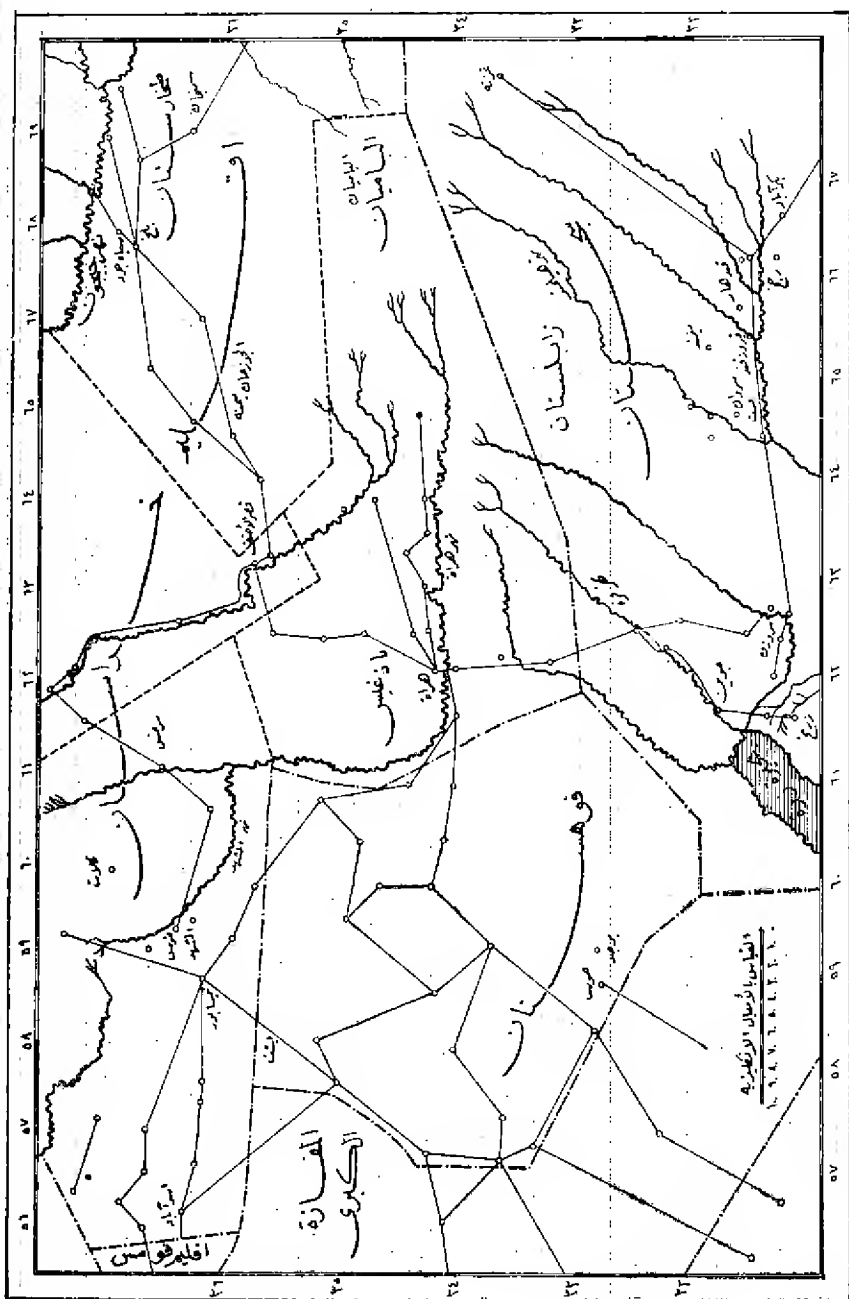
عاصم في التاريخ :

يذكر التاريخ لعاصم موقفه الرائع في القادسية ، واندفاعه الصاعق في عبور دجلة لفتح المدائن ، ويذكر له فتحه لولاية سجستان .

لقد كان لموقفه الرائع في القادسية اثر حاسم في انتصار المسلمين على الفرس في هذه المعركة الحاسمة ، وربما يذكر رجال قلائل من اصحاب الايام حين يذكر عاصم في أيام القادسية عدا اليوم الاول من أيام القادسية ، فقد استأثر عاصم بالفضل الاول في تحطيم هجوم الفيلة الكاسح ، ذلك الهجوم الذي كان متوقعا منه أن يحطم صفوف المسلمين .

اما اندفاعه في عبور نهر دجلة الى المدائن على رأس كتيبة الاهوال ، فأمره عجب كله ؛ ولست أعرف احدا من القادة يشاركه في هذا الفضل العظيم الذي كان من نتائجه فتح المدائن عاصمة كسرى .

ولا تزال منائر سجستان رافعة رؤوسها شامخة ، ولا يزال الاسلام يجمع سكان سجستان عبر القرون ... ترى ! هل تذكره سجستان اليوم ؟ . رضي الله عن القائد البطل ، الصحابي الجليل ، عاصم بن عمرو التميمي .



اقلیم خراسان وقوهستان مع قسم من اقلیم سجستان

قادة فتح كرميان ومكران

- ١ - سهيل بن عدي الخزرجي *
- ٢ - الحكم بن عمير التغلبي

الحكم بن عمر التغلبي^(١)

فتاح مكران^(٢)

اسلامه :

لا نعلم بالضبط متى أسلم الحكم بن عمر التغلبي ولا الفزوات التي شهدوها مع النبي صلى الله عليه وسلم ، اذ لم نجد له ذكرا مع من شهدوا (بدرا) كما لم يرد ذكره في الفزوات الاخرى ، مما يدل على أنه أسلم متأخرا . ولكنه بدون شك كان صحابيا جليلا ، لأنهم لم يكونوا يؤثرون غير الصحابة (٣) - خاصة في أيام عمر بن الخطاب ؛ لهذا نال الحكم شرف الصحبة ولم ينل شرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهاده :

توّج الحكم جهاده الطويل في معارك الفتح بتوليته قيادة جيش من جيوش المسلمين ، واجبه : فتح (مكران) ؛ فقد بعث عمر بن الخطاب لواء (مكران) الى الحكم (٤) ؛ فلما أنجز استحضاراته وأكمل تحشد جيشه تحرك الى هدفه ، فلحق به شهاب بن المخارق فانضم اليه ، وأمدّه سهيل بن عديّ وعبدالله بن عبدالله بن عتبّان بأنفسهما ، فلما وصلوا قريبا من النهر (٥) وجدوا أهل مكران قد نزلوا على شاطئه .

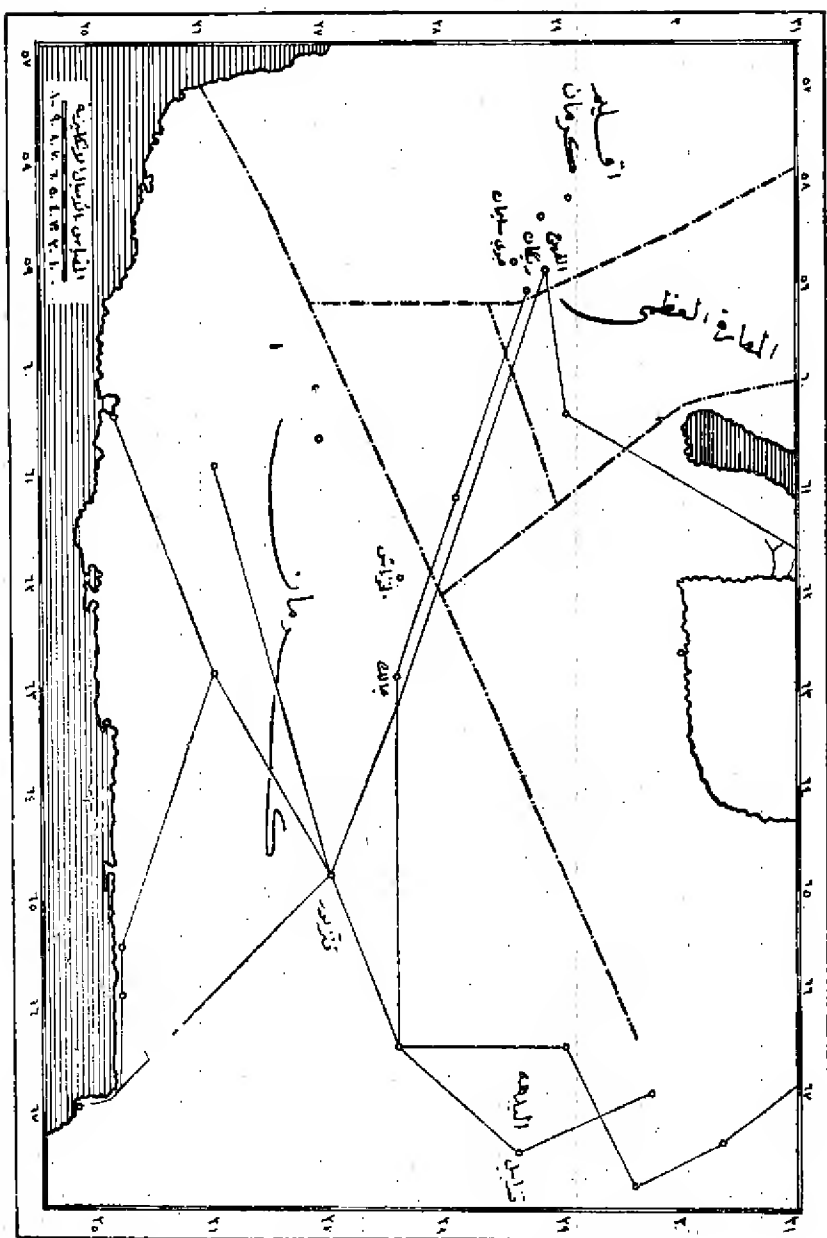
(١) ورد اسمه : الحكم بن عمر التغلبي في الطبري (١٨٩/٣) وابن الانسر (٢١٤/٢) وفي اسماء الصحابة الرواة - ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٢٨٤) . وقد ورد اسمه في الإصابة (٣١/٢) : الحكم بن عمرو التغلبي .

(٢) مكران : ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى ، وهي بين كرمان في غربها وسجستان في شمالها والبحر في جنوبها والهند في شرقها . وهي ناحية واسعة يغلب عليها المفاوز والقطط والضيق . انظر التفاصيل في المسالك والممالك ص (١٠٢) وص (١٠٥) ومعجم البلدان (١٣٠/٨) وآثار البلاد وأخبار العباد ص (٢٧٣) .

(٣) الإصابة (٣٠٩/١)

(٤) الطبري (١٨٩/٣)

(٥) هو نهر مهران ويسمى : شط مهران . انظر المسالك والممالك ص (١٠٦) .



اقليم مكران مع قسم من اقليم سجنستان

وعبر الفرس الى المسلمين ، ونشب القتال بين الطرفين في معركة حامية لم يصمد لها الفرس طويلا ، فاستباح المسلمون معسكرهم وقتلوا منهم عددا كبيرا من المقاتلين ، ثم طاردوهم مطاردة عنيفة استمرت اياما ؛ حتى دخل المسلمون (مكران) وفتحوا ما حولها من المناطق الآهلة (٦) .

الشاعر :

قال الحكم يصف فتح (مكران) (٧) :

لقد شبع الارامل غير فخر	بفيئى جاءهم من مكران
اثاهم بعد مسغبة وجهد	وقد صفر الشتاء من الدخان
فاننى لا يئذم الجيش فعلى	ولا سيفي يئذم ولا سناني
غداة ارتفع الاوباش رفعا	الى السند العريضة والمدان
ومهران لنا فيما اردنا	مطيع غير مسترخي الهوان

وهذا مثال واحد من شعره ، يفخر فيه بفتحه وبشجاعته في صياغة متينة المعنى والمبنى سلسلة مفهومة ، حتى يكاد من يستمع الى هذا الشعر لا يصدق ان قائله عاش في ايام الاسلام الاولى ، يوم كان الشعراء ينظمون بكلمات جاسية صلبة كأنها الصخور تحتاج الى استشارة معاجم اللفظة لفهم معانيها !

الانسان :

كان الحكم ذكيا المعني الذكاء ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أربعة عشر حديثا (٨) . وكان عفيفا صادقا شهما غيورا مضيافا كريما محبا للخير ، كثير التدين ورعا ، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، فعاش فقيرا ومات فقيرا ، وكان بإمكانه ان يكون من ذوي الثراء العريض .

ولا نعلم كيف قضى أيامه الاخيرة وما هي أعماله العامة خلالها ومتى وأين توفي ؛ ولكن ما عرفناه عنه من أعمال جليلة تكفي للاعجاب به قائدا وانسانا .

القائد :

يعتبر الحكم مثالا للقائد المكث الذي لا يخوض معركة ما قبل ان يُعدّ كافة متطلباتها المادية والمعنوية ، فيخوضها بعد ذلك واثقا من النصر الاكيد .

(٦) الطبري (٢٥٧/٣) وابن الاثير (١٧/٣) . وانظر الاصابة (٣١/٢) ومعجم البلدان (١٣٠/٨)

(٧) معجم البلدان (١٣٠/٨) .

(٨) اسماء الصحابة الرواة - ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٢٨٤) .

ان من القادة من يرى ان السرعة من عوامل نجاحه في القتال ، وهؤلاء يرون ان الوقت بجانب العدو دائما ، لانه يتيح ليه انجاز استحضاراته العسكرية ، مما يؤدي الى صعوبة القضاء عليه .

ومن القادة من يرى ان السرعة غير مأمونة العواقب ، وان سبق النظر عن تفاصيل المعركة لا بد له من وقت كاف لحساب كل ما يحتمل وقوعه في القتال من أحداث ؛ ومن هؤلاء القادة : الحكم التغلبي .

والحق ، ان الحكم كان صائبا في التريث قبل الاقدام ، لانه كان حريصا على ارواح رجاله حرصا لا مزيد عليه ، ولان المنطقة التي يقاتل بها حصينة بعيدة عن قواعد المسلمين الامامية ، وما دامت قوات الفرس قد تحصنت في منطقة حصينة تتيسر فيها موانع طبيعية صالحة للدفاع ، فلا بد من تحشيد قوات كافية للتغلب على الفرس بأقل خسائر ممكنة بالارواح .

لقد بذل الحكم قصارى جهده لاحراز النصر في المعركة الحاسمة الاولى التي توخى بها القضاء على قوات العدو ماديا ومعنويا ، فلما نجح في معركته الحاسمة الاولى وكبّد العدو خسائر كبيرة ، سارع في مطاردته لفلوله ففوضى عليها بسرعة وسهولة ويسر ، وانجز فتح كل منطقة (مكران) الواسعة بعد وقت جد قليل من انتصاره في المعركة الاولى .

لذلك يمكن اعتبار استعدادات الحكم لخوض المعركة الحاسمة واحراز النصر على عدوه مثالية ، كما يمكن اعتبار مطاردته السريعة التي جرت بتماس شديد بفلول العدو مثالية أيضا .

لقد كان الحكم يتمتع بمزية سبق النظر ، له شخصية قوية نافذة ، يتحمل المسؤولية ولا يخافها ، يحب رجاله ويحبونه ويشق بهم ويشقون به ، له ماض ناصع مجيد .

الحكم في التاريخ :

سأل عمر بن الخطاب صحار العبيدي عن (مكران) ، فقال : « ارض سهلها جبل وماؤها وشيل وعدوها بطل ... » (٩) الخ . وسأل عثمان بن عفان حكيم بن جبلة عنها ، فقال : « ماؤها وشيل وتمرها دقل ولصها بطل . ان قلّ الجيش فيها ضاعوا ، وان كثروا جاعوا ! » (١٠) ... وهي ذات مدن وقرى كبيرة (١١) ؛ ولكن وصف ولاية (مكران) لا يصور حقيقة

(٩) الطبري (٢٥٧/٣) .

(١٠) معجم البلدان (١٣٢/٨) .

(١١) تاريخ البلاد وأخبار العباد من (٢٧٣) .

سعتها وطبيعة أرضها كما تفعل الخرائط الحديثة .

ان دراسة هذه الخرائط بامعان ، تعطينا فكرة واضحة عن سعة ولاية (مكران) وطبيعة أرضها الصعبة ، مما يزيد من اعجابنا بانتصار الحكم بقواته القليلة بالنسبة الى سعة المنطقة ووعورتها - على القوات الفارسية التي تدافع عن بلادها وتعمل في أرض تعرفها حق المعرفة صالحة للدفاع لتيسر العوارض الطبيعية فيها !

كل ذلك يدل على مزايا قيادة الحكم النادرة وقابلياته الممتازة على قيادة الرجال .

لقد أصبحت (مكران) فيما بعد قاعدة المسلمين الامامية لانطلاقهم لفتح الهند ، فكان فتح (مكران) من عوامل نجاح المسلمين في فتح الهند .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، الحكم بن عمر التغلبي .

اخـسـائـمـة

الفاروق والقائد

١٣ هـ - ٢٣ هـ

٦٣٤ م - ٦٤٣ م

مُسْتَهْل *

« كان اسلام عمر فتحا ، وهجرته نصرا ، وامارته رحمة »

(عبدالله بن مسعود)

اذا كانت اسباب الفتح الاسلامي كثيرة ، فان على رأس تلك الاسباب ، ما كان يتمتع به عمر بن الخطاب رضي الله عنه من سجايا قيادية فذة لا تتكرر في غيره على مرّ السنين والعصور الا نادرا .

هذه السجايا الشخصية لقيادة الفاروق ، كان لها الاثر الحاسم على اندفاع المسلمين شرقا وغربا ، حاملين رايات الاسلام ومبادئه النامية للعالم كله ، ومع ذلك لم يكتب أحد عن أثر قيادته في الفتوح من الناحية (العسكرية الفنية) حتى اليوم !

فما هي تلك السجايا الشخصية التي جعلت عمر بن الخطاب رضي الله عنه (بحق) من أعظم قادة التاريخ على الإطلاق ؟؟

جذور الفتح الاسلامي قبل عمر

١ - الرسول القائد النبي العربي محمد بن عبدالله صلوات الله وتسليمه عليه ، هو ابو الجيش الاسلامي الاول ومؤسسه وقائده ورائده ومنظمه ومسئله ومدرّبه وباعث كيانه ، وموطد أركانه ورأسم أهدافه ومخططها (١) .

لقد كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة من بعثته حتى هجرته توحيدا من أجل الجهاد ، وكانت حياته المباركة بالمدينة المنورة من هجرته اليها حتى التحاقه بالرفيق الاعلى ، جهادا من أجل التوحيد .

وقد قاد الرسول صلى الله عليه وسلم ثمانيا وعشرين غزوة بنفسه خلال سبع سنين بعد هجرته الى المدينة ، فقد خرج الى غزوة (ودّان) (٢)

* انظر كتابنا : الفاروق القائد (١٢٨٤ هـ - ١٩٦٥ م) الطبعة الاولى .

(١) انظر ادوار تطور الجيش الاسلامي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب الرسول القائد (١٠ - ١٢) ، الطبعة الثالثة (١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م)

(٢) ودان : قرية قريبة من (الجحفة) ، وهناك (ودّان) بين ابواء والجحفة ، وهي من الجحفة على مرحلة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٠٥/٨) .

وهي أول غزوة قادها الرسول القائد بنفسه في صفر من السنة الثانية للهجرة ، وكانت (تبوك) آخر غزواته في رجب من السنة التاسعة للهجرة ؛ وقد نشب القتال بين المسلمين الذين بقيادته ، وبين المشركين أو اليهود بتسع غزوات من تلك الغزوات ، بينما فرّ المشركون في تسع عشرة غزوة من تلك الغزوات (٣) .

وكان الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ، على رأس الذين خططوا للفتح الاسلامي ، فهو الذي رسم بنفسه الخطة التمهيدية لفتح ارض الشام (٤) ، حيث أرسل في السنة الثامنة للهجرة (٦٢٩م) زيد بن حارثة الكلبي على رأس حملة تمدها ثلاثة آلاف رجل الى الحدود الشمالية الغربية من بلاد العرب ، وهناك عند (مؤتة) (٥) التقى المسلمون بقوات الروم (٦) . وفي السنة التاسعة للهجرة (٦٣٠م) ، قاد الرسول القائد عليه الصلاة والسلام بنفسه غزوة (تبوك) (٧) ، فأظهر قوة المسلمين وعنادهم الى المدينة (٨) .

وفي السنة الحادية عشرة للهجرة (٦٣٢م) ، أعد النبي صلى الله عليه وسلم جيشا بقيادة أسامة بن زيد لمهاجمة الروم ، غير أن النبي صلى الله عليه وسلم التحق بالرفيق الأعلى في ربيع الاول من تلك السنة (كانون أول ٦٣٢م) قبل حركة جيش أسامة ؛ فترك لخلفائه خطة واضحة المعالم ، وولى وجوههم شطر قبلة عينها لهم . . . وهكذا وقف الرسول القائد بشاقب رايه ، على أن أشد الاخطار التي يمكن أن تحل ببلاد العرب ، وتناوى دعوته انما موطنها ارض الشام حيث الروم وعمالهم الفاسقة ، وقد أثبتت حوادث الفتح الاسلامي في ارض الروم صدق هذه الاشارة ، فكان الروم أشد المحاربين عنادا (٩) .

٢ - فماذا عمل ابو بكر الصديق رضي الله عنه ، لتحقيق اهداف النبي صلى الله عليه وسلم ، وكيف سار قدما لانجازها ؟

(٣) انظر التفاصيل في : الرسول القائد (٤٢٣ - ٤٢٤) .

(٤) ارض الشام : تتألف اليوم من لبنان وسورية والاردن وفلسطين .

(٥) مؤتة : قرية من قرى البلقاء على حدود الشام . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦٠/٨) .

(٦) انظر تفاصيل معركة مؤتة في الرسول القائد (٢٩٥ - ٢٩٩) .

(٧) تبوك : موضع بين وادي القرى والشام ، وهو حصن به عين ونخل . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٦٥/٢) .

(٨) انظر تفاصيل معركة تبوك في : الرسول القائد (٣٨٧ - ٤١٠) .

(٩) الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم (٤١) .

لم يزل ابو بكر الصديق رضي الله عنه ، في كل عمل من أعماله منذ اسلم الى ان تولى الخلافة وفي ايام خلافته مؤسساً لهذا البناء الشامخ الذي كان هو اول من قام عليه بعد بانيه عليه الصلاة والسلام .

بعد بيعة ابي بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة ، كانت بعثة اسامة ابن زيد ، وكانت حروب الردة ، وكانت بعثت فتح العراق والشام ، فقام على هذه المآثر الثلاثة التي لا يقضي حقها من الاكابر كل ما قام بعد ذلك من بناء .

كان النفاق يطلع رأسه في مكة والمدينة ، وكانت القبائل البادية تتسابق الى الردة في انحاء الجزيرة ، وكان جند اسامة نفسه يود لو استبدل به اميراً غيره ، وكان اسامة نفسه يود لو استبدل به اميراً غيره ، وكان اسامة اول من يشك في طاعة القوم اياه ، ويتربص ان يخلفه على البعثة امير سواه !

وهنا تسعف الصديق طبيعة هي أعمق الطبائع فيه ، فيقول وقد خوّفه الخطر على المدينة والجيش يفارقها : « والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو ان الطير تخطفنا ، والسباع من حول المدينة ، ولو ان الكلاب جرت بأرجل امهات المؤمنين ، لأجهزت جيش اسامة » .

وشيئاً ابو بكر الصديق بعثة اسامة ، ثم قال لاسامة : « اصنع ما امرك به رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . ولا تقصرن في شيء من أمر رسول الله » . . .

كانت بعثة اسامة لا تمر بقبيلة يريدون الارتداد ، الا تخوفوا وسكنوا وقالوا فيما بينهم : « لو لم يكن المسلمون على قوة لما خرج من عندهم هؤلاء » .

وعاد جيش اسامة الى المدينة ، بعد ان حطم معنويات المرتدين ، فكان انفاذه أعظم نفعا للمسلمين ، فان العرب قالوا : « لو لم يكن بهم قوة ، لما ارسلوا هذا الجيش » ، فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون ان يفعلوه (١٠) ، وبذلك ربح الجولة الاولى (١١) .

وأقدم ابو بكر الصديق رضي الله عنه على توجيه جيوشه الى المرتدين رافضاً ما عرضه عليه بعضهم من اقامة شعائر الاسلام كلها الا الزكاة ، لان الاسلام كل لا يتجزأ ، وحاربهم على الزكاة حتى أعاد الى شبه الجزيرة العربية الوحدة تحت لواء الاسلام - كما كانت ايام النبي صلى الله عليه وسلم ، وبذلك ربح الجولة الثانية . .

(١٠) ابن الاثير (٢/١٢٨) .

(١١) انظر التفاصيل في الفاروق القائد (٢٣ - ٢٩) وقادة فتح الشام ومصر في ترجمة اسامة بن زيد .

وبانتصاره الباهر في هاتين الجولتين ، أعاد إلى العرب الوحدة والضبط والنظام ، فأصبحوا قوة جبارة وجدت لها متنفسا في الفتح الاسلامي (١٢) .

ففي سنة اثنتي عشرة هجرية ، كانت جيوش خالد بن الوليد (١٣) والمنشئ بن حارثة الشيباني (١٤) تتففل في أنحاء العراق متنقلة من نصر إلى نصر ، حتى وصلت إلى (الفراض) تخوم الشام والعراق والجزيرة (١٥) .

وفي سنة ثلاث عشرة هجرية (٦٣٤م) ، كانت جيوش المسلمين وعلى رأسها خالد بن الوليد وابو عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص وشرحبيل ابن حسنة ويوزيد بن أبي سفيان وخالد بن سعيد بن العاص وعكرمة بن أبي جهل (١٦) يدكون معاقل الروم في أرض الشام وينتصرون في معركة (اليرموك) (١٧) أول معركة حاسمة من معارك الفتح الاسلامي .

في تلك السنة ، مات القائد الاعلى الثاني لجيوش المسلمين بعد ان بدأ بالفتح بداية موفقة منفذا خطة القائد الاعلى الاول محمد بن عبد الله صلوات الله وتسليمه عليه .

فماذا فعل القائد الاعلى الثالث عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتنفيذ خطة الرسول القائد في حمل رسالته السامية الى الشرق والغرب ؟؟

الفتح الاسلامي بقيادة عمر

١ - الفاتح :

كان عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عهد الفتح الاسلامي الذهبي ، فقد حالف النصر اعلام المسلمين فيه ، فامتدت دولتهم حتى جاوزت الافغان الى قرب حدود الصين شرقا ، وإلى الاناضول وبحر قزوين شمالا ، وإلى تونس وما وراءها من افريقية الشمالية غربا ، وإلى بلاد النوبة جنوبا (١٨) .

-
- (١٢) انظر تفاصيل ذلك في الفاروق القائد (٢٥ - ٢٩) .
 - (١٣) انظر ترجمته في قادة فتح العراق والجزيرة (٤٧ - ٢٠٩) .
 - (١٤) انظر ترجمته في قادة فتح العراق والجزيرة (٢٥ - ٤٤) .
 - (١٥) انظر مادة (فراض) في معجم البلدان (٣٥٠/٦) وانظر ابن الاثير (١٥٣/٢) عن فتح الفراض .
 - (١٦) انظر ترجمتهم في كتاب : قادة فتح الشام ومصر .
 - (١٧) انظر ابن الاثير (١٥٤/٢ - ١٦٠) .
 - (١٨) الفاروق عمر (٢٠٠/٢) .

لقد فتح عمر العراق وإيران وأكثر مناطق أرمينية وبلاد الشام بما فيها سورية ولبنان وشرقي الأردن وفلسطين، ومصر وليبيا والنوبة، وخاضت جيوش المسلمين في أيامه ثلاث معارك حاسمة من معارك الفتح الإسلامي : معركة (القادسية) التي فتحت للعرب المسلمين أبواب العراق والاهواز ، ومعركة (بابلون) ، التي فتحت لهم أبواب مصر وليبيا والنوبة ، ومعركة (نهاوند) ، التي فتحت لهم أبواب إيران كلها . . . كل هذا الفتح العظيم ، انجز خلال عشرة أعوام من سنة ثلاث عشرة للهجرة الى سنة ثلاث وعشرين للهجرة ، فقد قبض أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد مفيب الشمس من مساء الاثنين لحدى وعشرين ليلة خلت من شهر جمادى الآخرة للسنة الثالثة عشرة من الهجرة (١٩) ، فتولى عمر الخلافة ، وتوفي ليلة الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين هجرية (٢٠) ، فكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام (٢١) .

هذا النجاح في الفتح ، كان بفضل قيادة عمر الفدة ، تلك القيادة التي امتازت بميزتين ظاهرتين : الأولى ، مقدرته المدهشة على اختيار القادة العامين والقادة المرؤوسين ؛ والثانية ، قابليته الموهوبة والمكتسبة في القيادة العليا والقيادة التعبوية ايضا ، فكيف كان ذلك (٢٢) ؟

٢ - اختيار القادة :

ما هي المزايا التي كان عمر يريد ان تتوفر في القائد الذي يؤمّره على جيش من جيوش المسلمين .

ان يكون صحابيا ، لأنهم كانوا لا يؤمّرون في الفتوح الا الصحابة (٢٣) ، فكان عمر لا يولي الا الصحابة ولا يرضى ابدا ان يعمل صحابي بأمرة غير صحابي (٢٤) .

(١٩) الفاروق عمر (١٩/١) . وفي العمر (١٦/١) ان ابا بكر توفي لثمان بقين من ذي القعدة . اما في شذرات الذهب (٢٤/١) ، فجاء : انه توفي في جمادى الآخرة . وانظر البدء والتاريخ (١٦٧/٥) .

- (٢٠) الطبري (٢٦٥/٣) واليعقوبي (١٣٧/٢) وابن الاثير (٢٠/٣) .
- (٢١) ابن الاثير (٢٠/٣) . وكان حكمه عشر سنين قمرية لا شمسية .
- (٢٢) انظر التفاصيل في الفاروق القائد (٣١-٣٣) .
- (٢٣) الاصابة (٣٠٩/١) و (١٩٤/٢) و (٢٣٥/٤) .
- (٢٤) قادة فتح العراق والجزيرة (٣٥٠) .

وكان عمر يفضل السابقين الاولين من الصحابة على غيرهم ، إلا أن يقصّر بهم عملهم ، فكان يفضل عليهم حينذاك من برز بأعماله من الصحابة (٢٥) .

وكان عمر يفضل أن يكون القائد مكيشا غير متهور ، يعرف الفرص وينتهازها ويعرف كيف ومتى يقاتل ومتى يكف عن القتال (٢٦) . قال عمر لسليط بن قيس (٢٧) : « لولا عجلة فيك لوليتك ، ولكن الحرب زبون لا يصلح لها إلا الرجل المكث (٢٨) » .

وكان عمر رضي الله عنه يريد أن يكون القائد قويا مسيطرا ، ذا شخصية نافذة ، فإذا وجد رجلا أقوى من رجل فضل الأقوى على القوي ؛ فقد استعمل على الشام معاوية بن أبي سفيان وعزل شرحبيل بن حسنة . وقام بعذره في الناس ، فقال : « اني لم أعزله عن سخطة ، ولكنني أريد رجلا أقوى من رجل » (٢٩) . وكان يقول : « اني لا تحرج أن استعمل الرجل وأنا أجد أقوى منه » (٣٠) .

وكان يريد القائد شجاعا راميا ، فحين وجّه سعد بن أبي وقاص (٣١) إلى العراق قائدا عاما ، قال : « انه رجل شجاع رام » (٣٢) .

وكان عمر إذا اجتمع إليه جيش من المسلمين ، أمر عليهم اميرا من اهل العلم والفقّه (٣٣) . وكان عمر لا يرضى أن يؤمّر اهل الوبر على اهل المدر (٣٤) ، فقد قال لعتبة بن غزوان (٣٥) : « من استعملت على اهل البصرة ؟ » فقال : « مجاشع بن مسعود » ، قال : « استعمل رجلا من اهل الوبر على اهل المدر ؟ » (٣٦) .

تلك هي المزايا التي كان عمر يريد توفرها في القائد : ماض مجيد ناصع في الحرب وفي خدمة الاسلام ، له تجربة عملية في الحروب ، مكث غير

-
- (٢٥) انظر التفاصيل في الفاروق القائد (٣٤ - ٣٥) .
(٢٦) ابن الاثير (١٦٦/٢) .
(٢٧) انظر ترجمته في هامش ص (٢١٣) من كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة الفقرة (٢)
(٢٨) البلاذري (٢٥١) .
(٢٩) ابن الاثير (٢١٧/٢) .
(٣٠) طبقات ابن سعد (٣٠٥/٢) .
(٣١) انظر ترجمته في قادة فتح العراق والجزيرة (٢٢١ - ٢٦٨) .
(٣٢) البلاذري (٢٥٥) .
(٣٣) ابن الاثير (١٩/٣) .
(٣٤) الوبر : بفتحين للبعير واحدها : وبرة . والمدر : اهل الحضرم .
(٣٥) انظر ترجمته في قادة فتح العراق والجزيرة (٢٧٧ - ٣٨٦) .
(٣٦) ابن الاثير (١٨٩/٢) .

متهور ، يعرف الفرص ويدرك الوقت والمكان المناسبين لنشوب القتال والكف عنه ، قوي الشخصية ، المسيطر على رجاله ، شجاع رام ، عالم فقيه ، وتلك هي نفس المزايا التي يلاحظها علماء فن الحرب قديما (٣٧) ، وحديثا (٣٨) .
لذلك نجح عمر ونجح قادة عمر في مهمة قيادة الجيوش الإسلامية نجاحا ، كان ولا يزال وسيبقى اعجوبة من اعاجيب تاريخ الحرب (٣٩) .

قيادة عمر

١ - الشورى :

ملاك النظم الحكومية كلها نظام الشورى الذي اقامه عمر على احسن ما يقام عليه في زمانه ، فجمع عنده نخبة من الصحابة للمشاورة والاستفتاء ، وضمن بهم على العمالة في اطراف الدولة تنزيها لاقدارهم وانتفاعا براءهم واعتزازا بتأييدهم له ومعاونتهم اياه ، فقد قيل له : « ما لك لا تولي الاكابر من اصحاب رسول الله عليه السلام ؟! » فقال : « اكره ان ادنسهم بالعمل » (٤٠) .

جعل موسم الحج موسما عاما للمراجعة والمحاسبة واستطلاع الآراء في اقطار الدولة من اقصاها الى اقصاها : يفد فيه الولاة والعمال لعرض حسابهم واخبار ولاياتهم ، ويفد فيه اصحاب المظالم والشكايات لبسط ما يشكيهم ، ويفد فيه الرقباء الذين كان يثبثهم في انحاء البلاد لمراقبة الولاة والعمال .

كان عمر يستشير جميع هؤلاء ويشير عليهم ، ويستمع لهم ويسمعهم ، ويتوخى في جميع ذلك تمحيص الراي وبراء الذمة والخلوص الى التبعة السليمة من العقابيل (٤١) .

لقد كانت الشورى عنده مبدأ لا يحيد عنه للاغراض السلمية والحربية على حد سواء .

علم عمر باجتماع الفرس على (يزدجرد) ، فخرج عمر من المدينة حتى نزل على ماء يدعى (ضرار) فسكر به ، ولا يدري أحد ما يريد : أسير أم

(٣٧) انظر مختصر سياسة الحروب للهريثي (١٧) والاحكام السلطانية للماوردي (٦) .

(٣٨) انظر الرسول القائد (٤٢٧) - (٤٢٩) .

(٣٩) انظر تفاصيل بحث اختيار القادة في الفاروق القائد (٣٣ - ٣٦) .

(٤٠) طبقات ابن سعد (٢/٢٨٣) .

(٤١) عبقرية عمر (١٥٠ - ١٥١) .

يقيم ! واحضر عمر الناس واعلمهم الخبر واستشارهم في المسير الى العراق ، فقال العامة : « سر وبنر بنا معك » . ثم جمع وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرسل الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان قد استخلفه على المدينة ، والى طلحة وكان على المقدمة فرجع ، والى الزبير وعبد الرحمن بن عوف ، وكانا على المجنبتين ، فاستشارهم فاجمعوا على أن يبعث رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرميه بالجنود ، فان كان الذي يشتهي فهو الفتح ، والا أعاد رجلا وبعث آخر ، ففي ذلك غيظ العدو ، فجمع عمر الناس وقال لهم : « اني كنت عزمت على المسير حتى صرفني ذوو الراي منكم ، وقد رايت ان أقيم وأبعث رجلا ، فأشيروا عليّ برجل (٤٢) ؛ وأخيرا استقر الراي على تولية سعد بن أبي وقاص (٤٣) .

وكان عمر لا يوافق على انسياع الجيش الاسلامي في بلاد فارس ، ويتمنى أن يكون بين العرب وبين بلاد العجم جبل من نار ، لا يخلصون منه الى البلاد العربية ، ولا يخلص العرب منه الى بلاد الفرس (٤٤) .

واستشار عمر أهل الراي في الانسياع ، وكان ممن استشارهم الأحنف ابن قيس التميمي والهرمزان ، وأخيرا أذن في الانسياع في بلاد فارس (٤٥) .

لقد كان عمر يؤمن إيمانا عميقا بالشورى ... حتى الخلافة جعلها شورى بين الرجال الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض (٤٦) ، ولم يول رجلا بعينه .

وبلغ من إيمانه بالشورى ، أنه كان يستشير حتى العدو الذي لا يأمنه ، كما فعل في سماع رأي (الهرمزان) في أمر الحرب الفارسية (٤٧) بل كان يدعو حتى الأحداث يستشيرهم لحدة عقولهم (٤٨) .

لقد كان عمر يحسن فن الاستشارة .

(٤٢) ابن الأثير (١٧٢/٢ - ١٧٣) ، وانظر تفاصيل ذلك في : قادة فتح العراق والجزيرة (٢٣١ - ٢٣٢) .

(٤٣) انظر الطبري (٤/٣) ومروج الذهب على هامش ابن الأثير (١١٦/٥) وتاريخ عمر بن الخطاب (٧٦) . وانظر البلاذري (٢٥٥) .

(٤٤) انظر ابن الأثير (٢٠١/٢) .

(٤٥) انظر التفاصيل في الطبري (١٨٤/٣ - ١٨٥) وابن الأثير (٢١٣/٢) .

(٤٦) طبقات ابن سعد (٣٣٦/٣) .

(٤٧) انظر عبقريّة عمر (١٥٢) .

(٤٨) انظر عبقريّة عمر (١٥٢) .

٢ - المعلومات :

كان عمر يحرص على الحصول على المعلومات من الوافدين عليه ومن القادة والامراء وسائر الناس الذين يحضرون الحج ومن منابع المعلومات الاخرى .

كان يطالب قاده دائما ان يطلعوه على تفاصيل المعلومات عن العدو وعن الارض التي يقاتلون عليها . كتب الى سعد بن أبي وقاص قبيل معركة القادسية ، يقول : « اكتب اليّ أين بلغ جمعهم ، ومن يلي مصادمتكم ، فانه قد منعني من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمي بما هجمتم عليه والذي استقر عليه امر عدوكم ؛ فصف لي منازل المسلمين ، والبلد الذي بينكم وبين (المدائن) صفة كاني أنظر اليها ، واجعلني من امركم على الجلية ... » ، فكتب اليه سعد يذكر تفاصيل دقيقة عن طبيعة الارض وعن العدو وقائده (٤٩) .

وكان جواب عمر على رسالة سعد هذه : « جاءني كتابك وفهمته ، فاقم بمكانك حتى ينقض (٥٠) الله لك عدوك ، وأعلم ان لها ما بعدها ؛ فان منحك الله اذارهم فلا تنزع حتى تقتحم عليهم (المدائن) ، فانه خرابها ان شاء الله » (٥١) .

لقد كان عمر يحيط علما بتفاصيل ودقائق المعلومات عن جيوشه وعن جيوش عدوه وعن طبيعة الارض ، فكان لذلك يصدر قراراته العسكرية على هدى وبصيرة .

٣ - الحرص :

كان عمر رضي الله عنه ، يحرص غاية الحرص على مصائر جيوشه ، فقد كان يخشى الله ان يسأله عن كل اهمال يؤدي الى ضياع الارواح ، كما ان تكوينه الطبيعي وخلقه ونفسيته كانت نموذجا رفيعا للحرص على مصائر الناس .

(٤٩) الطبري (١١/٣) .

(٥٠) نفذ الشيء نفذا ونفضا : تحرك في ارتجاف واضطراب . ويقال : نفضوا الى

العدو ، اي نهضوا . انظر المعجم الوسيط (٩٤٥/٢) .

(٥١) الطبري (١٢/٣) .

قال مرة : « فوالله ما استطيع أن أصلي وما استطيع أن أرقد ، واني لأفتح السورة فما أدري في أولها أنا أو في آخرها ... من همّي بالناس ، منذ جاءني هذا الخير » (٥٢) ، أي منذ توليت أمر المسلمين .

وبعث عمر بن الخطاب جرير بن عبدالله البجلي (٥٣) على الجيش ، فسقطت رجل رجل مسلم من البرد ، فبلغ عمر أمره فأرسل إلى جرير : « يا جرير مستمعا ! انه من يسمع يسمع الله به » ، يعني أنك خرجت في البرد ليقل : قد غزا في البرد (٥٤) .

وكتب ابو عبيدة بن الجراح إلى عمر ، فذكر جموعا من الروم وشدة ، فكان يوقظ أحد أصحابه فيقول : « قم فصل ، فاني لأقوم فأصلي وأصطحب فما يأتيني النوم » (٥٥) .

وكان عمر يخلف الغزاة في أهليهم ، فيقوم على أمرهم كله (٥٦) . وكان يقدّر المجاهدين حق قدرهم ويكبر المضحين منهم أعظم الأكابر . قال عبدالله ابن عمر : « بينما الناس يأخذون أعطياتهم بين يدي عمر ، فرفع رأسه فنظر إلى رجل في وجهه ضربة ، فسأله ، فأخبره أن أصابته في غزاة كان فيها ، فقال : « عدوا له ألفا » ، فأعطي الرجل ألف درهم . ثم قال : عدوا له ألفا ، فأعطي ألف درهم أخرى . ثم قال له ذلك أربع مرات ، كل ذلك يعطيه ألف درهم ، فاستحى الرجل من كثرة ما أعطي ، فخرج ! فسأل عمر عنه ، فقيل له : أنا رأينا أنه استحى من كثرة ما أعطيه ، فخرج . فقال عمر : أما والله لو أنه مكث ما زلت أعطيه ما بقي منها درهم : رجل ضرب ضربة في سبيل الله حفرت وجهه » .

وكان عمر حين يتوقع اصطدام جيوشه بالعدو ، يعيش في دوامة من القلق والاضطراب من شدة حرصه على مصائر المسلمين . قال السائب بن الأقرع الثقفي : « ... وقدمت على عمر ، وكان قد قدر الواقعة ، فبات يتململ ويخرج ويتوقع الأخبار ... فخرج عمر من القدر يتوقع الأخبار ، فأتيته فقال : ما وراءك ؟! قللت : خيرا يا أمير المؤمنين ! فتح الله عليك وأعظم الفتح ، واستشهد النعمان بن مقرن ، فقال عمر : أنا لله وأنا إليه راجعون . ثم بكى فنشج حتى بانث فروع كتفيه ... فلما رأيت ذلك وما لقي ، قلت :

(٥٢) تاريخ عمر لابن الجوزي (٥٢) .

(٥٣) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة (٢٢٤ - ٣٣٩) .

(٥٤) تاريخ عمر (٨٨) .

(٥٥) تاريخ عمر (٥٥) .

(٥٦) تاريخ عمر (٤٧) .

يا امير المؤمنين ! ما اصيب بعده رجل تعرف وجهه . فقال : اولئك المستضعفون من المسلمين ، ولكن الذي اكرمهم بالشهادة ، يعرف وجوههم وانسابهم ، وما يصنع اولئك بمعرفة عمر !!؟ » (٥٨) .

لقد كان عمر في حرصه نسيج وحده . . انه كان لا ينام ولا ينيم حرصا على مصائر المسلمين (٥٩) .

٤ - الفطنة وبعد النظر :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد كان يكون في الامم قبلكم محدثون ، فان يكن في امتي منهم احد ، فان عمر بن الخطاب منهم » ، والمحدثون هم الملهمون (٦٠) .

لقد كان عمر يرى الرأي ، فينزل به القرآن ، وما قال الناس في شيء وقال عمر فيه ، الا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر (٦١) .

وكانت له فراسة عجيبة نادرة ، يعتمد عليها ويرى ان : « من لم ينفعه ظنه ، لم تنفعه عينه » ، وتروى له روايات في امر هذه الفراسة ، قد يصدق منها القليل وتتسرب المبالغة الى الكثير ، ولكنها على كلتا الحالتين تنبئنا بحقيقة لا شك فيها ، وهي انه اشتهر بالفراسة وحب التفرس والاستنباط بالنظرة العارضة (٦٢) .

روى سالم بن عبد الله عن ابيه قال : « ما سمعت عمر رضي الله عنه يقول لشيء قط : اني لاظنه كذا ، الا كان كما يظن . بينما عمر جالس اذ مر به رجل جميل ، فقال : لقد اخطأ ظني او ان هذا على دينه في الجاهلية او قد كان كاهنهم في الجاهلية . فقال الرجل : ما رايت كالיום استقبل به رجل مسلم . فقال : اني اعزم عليك الا ما اخبرني ! فقال : كنت كاهنهم في الجاهلية » (٦٣) .

وقد عاشره اناس من الدهاة فخبروه وحذروه ! قال المفيرة بن شعبة (٦٤)

(٥٨) ابن الاثير (٦/٣) وانظر الخراج (٤١) .

(٥٩) انظر تفاصيل حرصه في : الفاروق القائد (٤١ - ٤٧) .

(٦٠) شرح الامام النووي على صحيح الامام مسلم (١٥٠/٥) وفتح الباري بشرح البخاري

(٤٠/٧ - ٤١) .

(٦١) انظر التفاصيل في : الفاروق القائد (٤٧ - ٤٨) .

(٦٢) عبقرية عمر (٢٧) .

(٦٣) تيسر الوصول (٢٦٧/٣) .

(٦٤) انظر ترجمته في : قيادة فتح العراق والجزيرة (٢٨٧ - ٤١١) .

لعمر بن العاص: « أنت كنت تفعل أو توهم عمر شيئا فيلقنه عنك ؟ والله ما رأيت عمر مستخليا بأحد إلا رحمته كائنا من كان ذلك الرجل ! كان عمر والله أعدل من أن يخدع وأفضل من أن يخدع » . ووصف عمر نفسه فقال: « لست بالخب (٦٥) ، ولكن الخب لا يخدعني » (٦٦) .

ولكن أعظم ما يدل على بُعد نظره وحدة ذكائه - فيما أرى - هو : تركه السواد في العراق غير مقسوم ووضع الخراج عليه (٦٧) ، وتركه أرض مصر غير مقسومة (٦٨) أيضا ، لتكون تلك الأرض للمسلمين كافة لا لأفراد منهم . وتدوين الدواوين (٦٩) ، وفكرته المهمة في تقسيم المال ، فقد قال : « لو استقبلت من أمري ما استدبرت ، لأخذت فضول أموال الأغنياء ، فقسمتها على الفقراء المهاجرين » (٧٠) . وكثرة فتوحاته ، وحثه أبا بكر الصديق على جمع القرآن الكريم (٧١) .

تلك انجازات مصيرية خالدة ، كل انجاز منها دليل قاطع على ذكاء خارق وبعد نظر فذ ، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم عن عمر : « ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر » (٧٢) .

٥ - الشجاعة :

قصة اسلام عمر معروفة مشهورة (٧٣) ، وقد فت اسلامه في عضد قريش ، لأن اسلامه عزز المسلمين بمنصر جديد قوي غاية القوة .

وقد اباح باسلامه الى أنقل قريش حديثا ، فاذاعه هذا فورا بين الناس ، فلما علمت قريش باسلامه قاتلته ، وقاتلهم وحده غير هيأب (٧٤) .

وبعد اسلام عمر ظهر الاسلام ودعي اليه علانية ، وجلس المسلمون حول

(٦٥) الخب : الخادع الشاس .

(٦٦) عبقريه عمر (٦٢) وانظر العقد الفريد (٦٨/٢) .

(٦٧) تاريخ عمر (٦٨) والخراج (٣٢ - ٤٦) .

(٦٨) فتوح مصر والمغرب (١٢٢) .

(٦٩) انظر التفاسيل في الخراج (٤٩ - ٥٦) والبلاذري (٢٩٨ و٤٣٥) وابن الاثير (١٩٤-١٩٦) .

(٧٠) المحلى لابن حزم (١٥٨/٦) .

(٧١) كتاب المصاحف للنجستاني (٦) .

(٧٢) الترمذي الكتاب (٤٦) الباب (١٧) . انظر مفتاح كنز السنة (٣٥٧) .

(٧٣) انظر تفاسيل قصة اسلامه في طبقات ابن سعد (٢٦٨/٣) وسيرة ابن هشام

(٣٦٥/١ - ٣٦٦) وتاريخ الخلفاء (٦٤ - ٦٨) والرياض النضرة (٢٤٨/١ - ٢٥٨) وميون الاثر

(١٢١/١ - ١٢٦) والسيرة الحلبية (٣٦٧/١ - ٣٦٨) وابن خلدون (٩/٢) والاستيعاب (١١٤٥/٢) .

(٧٤) انظر تفاسيل ذلك في سيرة ابن هشام (٣٧٠/١) .

البيت حلقاً وطافوا بالبيت وانتصفوا ممن غلظ عليهم ، وردوا عليه بعض ما يأتي به (٧٥) . قال عبد الله بن مسعود : « ما زلنا أعزّة منذ أسلم عمر » ، وقال محمد بن عبيد : « لقد رأيتنا وما نستطيع ان نصلي بالبيت ، حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا نصلي » (٧٦) . وقال عبد الله بن العباس : « أول من جهر بالاسلام عمر بن الخطاب (٧٧) .

وحين أسلم عمر قال : « يا رسول الله ! السنا على الحق ان متنا وان حيينا ؟! » ، قال : « بلى والذي نفسي بيده ! انكم على الحق ان متتم وان حييتم » ، فقال : فقيم الاختفاء ؟! والذي بعثك بالحق لنخرجن » ، فخرج المسلمون في صفين : في احدهما حمزة وفي الآخر عمر ، حتى دخلوا المسجد ، فنظرت قريش الى حمزة والى عمر ، فأصابتهما كآبة لم تصبهم مثلها ، فسمى النبي صلى الله عليه وسلم عمر يومئذ : الفاروق (٧٨) .

وردّ عمر جوار خاله العاص بن هشام ، لانه رأى المسلمين يضربون وهو لا يضرب ، فما زال يضرب ويضرب حتى اظهر الله الاسلام (٧٩) .
وحين اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة الى المدينة المنورة ، هاجر عمر علنا ، فما تبعه احد (٨٠) .

وفي غزوة (بدر) الكبرى ، قتل عمر خاله العاص بن هشام بن المغيرة (٨١) ، وثبت يوم (أحد) ، وفي غزوة (خيبر) ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمن عشرة فقط من اصحابه وآل بيته (٨٢) .

تلك هي نماذج من شجاعته النادرة ، ولكن هل تحتاج شجاعة الفاروق الى دليل (٨٣) ؟

لا عجب بعد ذلك ان يقول عنه عبد الله بن مسعود : « كان اسلام عمر فتحا ، وكانت هجرته نصرا ، وكانت امارته رحمة » (٨٤) .

(٧٥) طبقات ابن سعد (٣/٢٦٩) .

(٧٦) طبقات ابن سعد (٣/٢٧٠) .

(٧٧) تاريخ الخلفاء (٧٨) .

(٧٨) تاريخ عمر (٧) .

(٧٩) تاريخ عمر (٨) .

(٨٠) تاريخ الخلفاء (٧٨) والرياض النضرة (١/٣٥٨) .

(٨١) سيرة ابن هشام (٢/٢٧٧) .

(٨٢) جوامع السيرة لابن حزم (٢٣٨ - ٢٣٩) .

(٨٣) انظر تفاصيل عن شجاعته في كتاب : الفاروق القائد (٥٢ - ٥٨) .

(٨٤) طبقات ابن سعد (٣/٢٧٠) .

٦ - القابلية البدنية :

كان عمر يأخذ باذن الفرس ويأخذ بيده الاخرى اذنه ، ثم ينزو على متن الفرس (٨٥) ، وكان يصارع في سوق (عكاظ) ، وكان ضخما طويلا جسيما (٨٦) ، يسرع في مثيسته (٨٧) ، غليظ القدمين والكفين ، مجبول اللحم (٨٨) ، وكان فارسا ماهرا (٨٩) .

لقد كان عمر مفتول العضل ، قوي الشكيمة ، حاد الطبع ، سريع الغضب (٩٠) ، وكان ماهرا في الفروسية ، مدربا تدريبا ممتازا على استعمال السلاح .

رأى عمر رجلا غليظ البطن ، فقال : « ما هذا ؟! » ، قال : « بركة من الله ! » ، فقال : « بل عذاب » (٩١) . ومن اقواله : « تمعددوا واخشوشوا واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزوا » ، اي تزياوا بزي العرب من معد ابن عدنان (٩٢) .

لقد كان عمر جنديا ممتازا من كافة الوجوه .

٧ - تحمل المسؤولية :

كان عمر يتحمل مسؤوليته كاملة ، ويشعر شعورا عميقا بثقل أعبائها .

كان يتحمل المسؤولية قبل توليه الحكم وبعد ان اصبح اميرا للمؤمنين .

كان يبدي رأيه صريحا حتى للرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل : فقد أبدى رأيه في اتخاذ مقام ابراهيم مصلئ ، وفي أمر الحجاب على نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي اجتماع نسائه على الفيرة ، وفي اسرى بدر ، وفي تحريم الخمر (٩٣) ، كل ذلك يدل على انه كان ذا رأي سديد يتحمل بشجاعة مسؤولية ابدائه ونتائجه .

(٨٥) طبقات ابن سعد (٢٩٣/٣) .

(٨٦) طبقات ابن سعد (٣٢٥/٣) .

(٨٧) طبقات ابن سعد (٣٢٦/٣) .

(٨٨) طبقات ابن سعد (٢٩٠/٣) وانظر المقد الفريد (٦٨/٣) .

(٨٩) طبقات ابن سعد (٣٢٦/٣) .

(٩٠) حياة محمد (١٥٨) .

(٩١) تاريخ عمر (١٤٤) .

(٩٢) عبقرية عمر (٣٥٠) .

(٩٣) انظر تاريخ عمر (١٣ - ١٤) وتاريخ الخلفاء (٨٣ - ٨٥) .

وبعد ان اختار الله رسوله صلى الله عليه وسلم اليه ، اجتمع الانصار في سقيفة بني ساعدة لبايعوا سعد بن عبادة ، فبلغ ذلك ابا بكر الصديق ، فأتاهم ومعه عمر وابو عبيدة بن الجراح . وبعد مناقشات حادة قال عمر لابي بكر : « أبسط يدك ابايعك » ، فبسط يده فبايعه عمر وبايعه الناس (٩٤) . قال عمر : « ... ان مبايعة ابي بكر فلتة ، الا ان الله وقى شرها » (٩٥) .

وتولى ابو بكر الخلافة ، فدعا الناس الى الجهاد في ساحات ارض الشام ، وطلب رأي أهل الرأي في ذلك ، فكان عمر أسبقهم الى اجابته (٩٦) .

وبعد تولي عمر الخلافة : قال : « لو علمت ان احدا من الناس اقوى على هذا الامر مني ، لكنك قد امرته فتضرب عنقي احب الي من ان اليه » (٩٧) . وفي خلافته كان اول من كتب التاريخ الهجري ، وهو اول من جمع القرآن في المصحف ، وهو اول من سن قيام رمضان ، وهو اول من جمع الناس على قيام رمضان وكتب به الى البلدان ، وهو اول من ضرب في الخمر ثمانين ، وهو اول من استقضى القضاة في الامصار ، وهو اول من دون الدواوين (٩٨) وهو اول من منع الصدقات عن المؤلفلة قلوبهم (٩٩) ، واول من امضى الطلاق الثلاث بكلمة واحدة (١٠٠) ، ونهى عن نكاح المتعة ، ودرا الحد بالضرورة ، وقرر مبدأ المساواة امام القضاء (١٠١) ، واجتهد في تفصيل ما لم يرد عنه نص صريح في كتاب الله (١٠٢) .

لقد كان يعرف تماما عظم مسؤولياته وضخامتها حاكما للناس ، عليه حقوق وواجبات لا تحصى .

كان يعسى ليلا ، ففرض عطاء لكل مولود في الاسلام ، وكان لا يفرض الا للفتيم (١٠٣) ، وحمل الزاد على ظهره للجائعين (١٠٤) ، وحرّم السمن واللبن وكل طعام لذيد على نفسه في عام الرمادة حين امحل الناس (١٠٥) ، وداوى

(٩٤) ابن الاثير (١٣٤/٢) .

(٩٥) تاريخ الخلفاء (٤٥) .

(٩٦) انظر التفاصيل في : الفاروق عمر (٨٥/١) .

(٩٧) تاريخ عمر (٤١) .

(٩٨) تاريخ عمر (٤٣) .

(٩٩) الفاروق عمر (٢٨٣/٢) .

(١٠٠) الفاروق عمر (٢٨٤/٢) - ٢٨٥ .

(١٠١) الفاروق عمر (٢٩٤/٢) .

(١٠٢) الفاروق عمر (٢٩٥/٢) .

(١٠٣) انظر قصة عسّه ليلا وفرضه لكل مولود في الاسلام في تاريخ عمر (٤٨ - ٤٩) .

(١٠٤) انظر قصة العائلة الجائعة في تاريخ عمر (٤٩ - ٥٠) .

(١٠٥) انظر قصة ذلك في تاريخ عمر (٥٠ - ٥١) .

أبل الصدقة بنفسه ، فقال له الإحنف بن قيس : « يفر الله لك يا أمير المؤمنين ! فهلا تأمر عبدا من عبيد الصدقة فيكفيك هذا ؟ » ، فقال عمر : « وأي عبد هو أعبد مني ومن الإحنف ؟! انه من ولي امر المسلمين ، فهو عبد المسلمين ، يجب عليه لهم مثل ما يجب على العبد لسيده من النصيحة واداء الامانة » (١٠٦) . قال سالم بن عبد الله : « أن عمر بن الخطاب كان يدخل يده في دبر البعير ويقول : اني خائف ان أسأل عما بك » (١٠٧) .

وخطب عمر مرة فقال : « والذي بعث محمدا بالحق ، لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات ، خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب » (١٠٨) .

انني لا أعرف احدا في تاريخ العالم كله ، حمل مسؤوليته كاملة بهذا الحرص الشديد عدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر الصديق رضي الله عنه ، مثل عمر .

لقد أتعب عمر نفسه ، وأتعب غيره (١٠٩) .

٨ - معرفة مبادئ الحرب :

١ - كان عمر أحد خريجي مدرسة الرسول القائد صلى الله عليه وسلم في ممارسة فنون الحروب ومعاناة أهوالها دفاعا عن حرية نشر الاسلام . كان عمر قبل اسلامه كأي عربي ليس غريبا على ساحات الوغى وأخبار الحروب ، ولكن معلوماته الابتدائية تلك عن المعارك صقلها وهذبها بالممارسة الفعلية وبالتوجيه العملي والنظري لسيد القادة وقائد السادة عليه الصلاة والسلام .

كانت لعمر طبيعة موهوبة للجندي الممتاز ، فاجتمع لديه بعد تجاربه الطويلة للحرب بعد اسلامه ، الطبع الموهوب والعلم المكتسب ، وبذلك أصبح جنديا ممتازا وقائدا ممتازا له مزايا الجندي المثالي والقائد المثالي علما وعملا .

شهد عمر تحت لواء الرسول القائد المشاهد كلها (١١٠) ، وقد ولاه النبي صلى الله عليه وسلم قيادة سرية من المسلمين في شعبان سنة سبع

(١٠٦) تاريخ عمر (٥٢)

(١٠٧) تاريخ عمر (٧٢)

(١٠٨) الطبري (٢٧٣/٣)

(١٠٩) انظر تفاصيل تحمل عمر للمسؤولية في : الفاروق القائد (٥٩ - ٧٢)

(١١٠) اسد الغابة (٥٩/٤)

من 'مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثين رجلا الى (عجُر) (١١١) هوازن ، فخرج وخرج معه دليله من بني هلال ، فكان يسير الليل ويكمن النهار ، فأثنى الخبر هوازن ، فهربوا ، فانصرف عمر راجعا الى المدينة (١١٢) . فلما كان بمحل بينه وبين المدينة ستة اميال ، قال له الدليل : « هل لك في جمع آخر من (خثعم) ؟ » ، فقال عمر : « لم يأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، انما أمرني بقتال هوازن (١١٣) » .

هذه الغزوة تدلنا على ثلاث نتائج عسكرية : الاولى ان عمر أصبح مؤهلا للقيادة ، والا لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قيادة سرية من سرايا المسلمين تتجه الى منطقة بالغة الخطورة والى قبيلة من أقوى القبائل العربية واشدها شكيمة .

والثانية ، ان عمر الذي كان يكمن نهارا ويسير ليلا ، مشبع بمبدأ المباغتة ، اهم مبادئ الحرب على الاطلاق .

والثالثة ، ان عمر ينفذ اوامر قائده الاعلى نصا وروحا ولا يحيد عنها قيد شعرة ، وهذا هو روح الضبط العسكري الذي هو روح الجندية في كل زمان ومكان .

ب - وبعد التحاق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى وتولي ابي بكر الصديق ، كان عمر احد جنود بعث اسامة بن زيد (١١٤) ، وحين اراد ابو بكر انفاذ هذا البعث الى واجبه حسب اوامر النبي صلى الله عليه وسلم ، شيع هذا الجيش ، فقال لقائده اسامة : « ان رأيت ان تعينني بعمر ، فافعل ! » (١١٥) ، فكان عمر بعد ذلك ابرز عضو من اعضاء المجلس الاعلى للقيادة العامة في عهد ابي بكر الصديق .

كان ابو بكر في عهده يستشير عمر في اختيار القادة الذين يوليهم قيادة جيوش المسلمين (١١٦) ، وكان يستشير في تسير الجيوش الى الجهاد (١١٧) ، وكان يستشير عند اعداد الخطط السوقية (الاستراتيجية) لجيوشه ، فكان عمر يعاونه في كل ذلك اعظم المعاونة .

(١١١) عجر : محل بينه وبين مكة اربع ليال بطريق صنعاء يقال له : تربة . انظر السيرة الحلبية (٢١٠/٣) . وفي معجم البلدان (٢٧٤/٢) : ان تربة على مسافة يومين من مكة .

(١١٢) طبقات ابن سعد (١١٧/٢) والسيرة الحلبية (٢١٠/٣)

(١١٣) الطبري (٤٦٢/٢) وابن الاثير (١٢٧/٢)

(١١٤) الطبري (٤٦٢/٢) وابن الاثير (١٢٧/٢)

(١١٥) الطبري (٤٦٢/٢) وابن الاثير (١٢٧/٢)

(١١٦) انظر الطبري (٥٨٦/٢) وابن الاثير (١٥٤/٢)

(١١٧) الفاروق عمر (٨٥/١)

ج - وبعد وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، كان أول ما عمل عمر ان ندب الناس مع المثني بن حارثة الشيباني الى اهل فارس ، وذلك قبل صلاة الفجر من الليلة التي مات بها الصديق أبو بكر . ثم أصبح فبايعه الناس ، فعاد فندب الناس لقتال الفرس . وتتابع الناس على البيعة ثلاثة ايام ، كل يوم يندبهم فلا ينتدب احد الى فارس ، وكان وجه فارس من اكراه الوجوه اليهم وأنقلها عليهم ، لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزهم وقهرهم الامم ، فلما كان اليوم الرابع غاد فندب الناس الى العراق ، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفي (١١٨) ، فأمره على الجيش لانه كان أول الناس انتدابا (١١٩) .

وأمر المثني بن حارثة الشيباني بالتقدم الى ان يقدم عليه اصحابه ، وأمر باستنفار من حسن اسلامه من اهل الردة (١٢٠) ، فكان بعث أبي عبيد أول جيش سيّره عمر (١٢١) .

لقد طبق عمر بذلك مبدأ التحشد .

وكان مما أوصى به عمر أبا عبيد : « انك تقدم على ارض المكر والخديعة والخيانة والجبرية .. تقدم على قوم تجرأوا على الشر فعلموه ، وتناسوا الخير فجهلوه ، فانظر كيف تكون ، فاحرز لسانك ولا تفشينّ سرك ، فان صاحب السر ما يضبطه متحصن ولا يؤتى من وجه يكرهه ، وإذا ضيعه كان بمضيعة » (١٢٢) .

وهذا يدل على ان عمر كان يعرف تفاصيل دقيقة عن الحالة الاجتماعية لعدوه ، لذلك أوصى أبا عبيد بالحدّ واليقظة وكتمان السر .

وندب عمر الناس الى المثني ، وكان فيمن ندب قبيلة (بجيلة) (١٢٣) ، فدعاهم الى غزو العراق (١٢٤) ، وكتب الى اهل الردة فلم يأتاه احد الا رمى به المثني (١٢٥) .

(١١٨) انظر ترجمة أبي عبيد بن مسعود الثقفي في : فتح العراق والجزيرة (٢١٢-٢٢٠).

(١١٩) الطبري (٢/٦٣١) وابن الاثير (٢/١٦٦) وتاريخ عمر (٦٧).

(١٢٠) ابن الاثير (٢/١٦٦).

(١٢١) ابن الاثير (٢/١٦٦).

(١٢٢) ابن الاثير (٢/١٦٨).

(١٢٣) انظر جمهرة انساب العرب (٢٨٧ - ٣٩٠).

(١٢٤) البلاذري (٢٥٣) وانظر الطبري (٢/٦٤٦).

(١٢٥) ابن الاثير (٢/١٦٩).

لقد طبق عمر في ذلك مبادئ من مبادئ الحرب المهمة : مبدأ التحشد، وذلك بحشد أكبر عدد من القوات في ربوع العراق ، ومبدأ (توخي الهدف) ، وذلك بالاصرار على فتح العراق مهما يكلفه الامر ومهما تكن الظروف والاحوال .

وقبل معركة (القادسية) حشد عمر لسعد بن ابي وقاص كل ما استطاع حشده من طاقات مادية ومعنوية ، فلم يدع عمر ذا رأي ولا شرف ولا خطيبا ولا شاعرا، ولا وجيها من وجوه الناس، الا سيّره الى سعد (١٢٦) .

وكتب عمر الى سعد تعليمات تفصيلية عن : وجوب قتال المسلمين الفرس في مناطق حدود الارض العربية على ادنى حجر من ارض العرب ، ولا يقاتلهم في عقر دارهم (١٢٧) حتى يسهل على المسلمين الانسحاب بسهولة في حالة اندحارهم . وكتب الى سعد عن ضرورة التمسك بالمثل الاسلامية العليا، وعن التفرق بالمسلمين في المسير ، وعن ضرورة ادامة الجنود اسلحتهم والاعتناء بخيولهم ، وعن الاساليب التعبوية من اذكاء العيون الى اخراج الطلائع ومقارز الاستطلاع ، وعن ضرورة الصبر على الجلال ، وعن اتخاذ التدابير الامينة للمحافظة على قواته من مباغطة العدو لها ، وعن ضرورة معرفة طبيعة العدو الذي يقاتله وطبيعة الارض التي يقاتل عليها عدوه .. الخ (١٢٨) .

ان اجراءات عمر قبل معركة القادسية ، تمثل ذروة تطبيق مبدأ (التحشد) ، كما ان وصيته لسعد بالقتال على حدود بلاد العرب تطبيق لمبدأ (الامن) ومبدأ (المرونة) (١٢٩) .

اما وصيته سعدا ورجاله بتقوى الله وطاعته ، والابتعاد عن المعاصي، فتمثل اسما غاية لتطبيق مبدأ (ادامة المعنويات) .

اما وصايا سعد عن الحذر واليقظة، والمسير، والاستراحة الاسبوعية، وادامة سلاح الجيش وخبوله ، والمحافظة على اهل الذمة ، واذكاء العيون واختيارهم ، واتخاذ التدابير التعبوية للامن ، والحصول على المعلومات عن العدو وعن ارض المعركة ، والحذر من مباغطة العدو لجيشه ، والحزم ... الخ فدلّل على معرفة عمر لتفاصيل دقائق التعبئة الصغرى، واهتمامه الشديد بتطبيق مبدأ (الامور الادارية) ومبدأ (الاقتصاد بالمجهود) .

(١٢٦) ابن الاثير (١٧٣/٢ - ١٧٤)

(١٢٧) انظر التفاصيل في : الفاروق القائد (٧٨)

(١٢٨) انظر التفاصيل في : الفاروق القائد (٧٩ - ٨٠)

(١٢٩) الفاروق القائد (٨٠) .

وبعد فتح (انطاكية) من أرض الشام ، كتب عمر الى ابي عبيدة بن الجراح : «رتب بانطاكية جماعة من المسلمين ، وأجعل بها مرابطة، ولا تحبس عنهم العطاء» (١٣٠) ، وهذا تطبيق عملي لمبدأ (الامن) .

ولما فرغ سعد من امر (القادسية) ، أقام بها بعد الفتح شهرين ، وكتب عمر فيما يفعل ، فكتب اليه عمر بالمسير الى (المدائن) ، وان يخلّف الناس والعيال بـ (العتيق) (١٣١) ، وان يجعل معهم جندا كثيفا ، وان يشركهم في كل مفنم ما داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم (١٣٢) . وفي هذه الاوامر المختصرة طبق عمر مبدأ (اختيار المقصد وادامته) ومبدأ (التعرض) ، ومبدأ (تحشيد القوة) ومبدأ (الاقتصاد بالمجهود) ومبدأ (الامن) ومبدأ (ادامة المعنويات) ، ومبدأ (الامور الادارية) . ولا أعلم رسالة قليلة الكلمات كثيرة الفائدة مثل هذه الرسالة الموجزة .

لقد كان عمر جنديا ممتازا وقائدا مجربا ، يعرف تفاصيل التسمية الصفري ، ويتحلى بمزية الضبط المتين ، ويعرف مزايا رجاله ، ويوليهم المناصب استنادا الى تلك المزايا فقط ، ويطبق جميع مبادئ الحرب المعروفة بشكل مثالي وبكل حرص في الحرب .

لقد كان قائدا فذا لا يتكرر على تعاقب الايام والعصور الا نادرا ... وقد لا يتكرر أبدا (١٣٣) .

٩ - اعداد الخطط السوقية (الاستراتيجية) :

١ - الخطط السوقية ، هي الخطط التي يعدّها القائد الاعلى لادارة الحرب في (ساحة الحرب) (١٣٤) كلها ، ويكون لهذه الخطط السوقية تأثير على نتائج الحرب في مختلف (ساحات الحركات) (١٣٥) و(الجبهات) (١٣٦) و(مناطق الحركات) (١٣٧) .

(١٣٠) ابن الاثير (١٩٢/٢)

(١٣١) العتيق : قرية كانت بين اذربيجان وبغداد استولت عليها دجلة وخربتها . انظر مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع (٢٣٥/٢) الطبعة الاولى ، ولم أجد للعتيق ذكرا في معجم البلدان . وارى انها في موضع قريب من القادسية ، لان النساء والعيال يجب ان يكونوا في منطقة آمنة بعيدة عن ساحة المعركة .

(١٣٢) ابن الاثير (١٩٦/٢)

(١٣٣) انظر التفاصيل في : الفاروق القائد (٧٢ - ٨٤)

(١٣٤) ساحة الحرب : جميع البلاد التي يحتمل ان يتقابل فيها الفريقان المتخاصمان في البر والبحر .

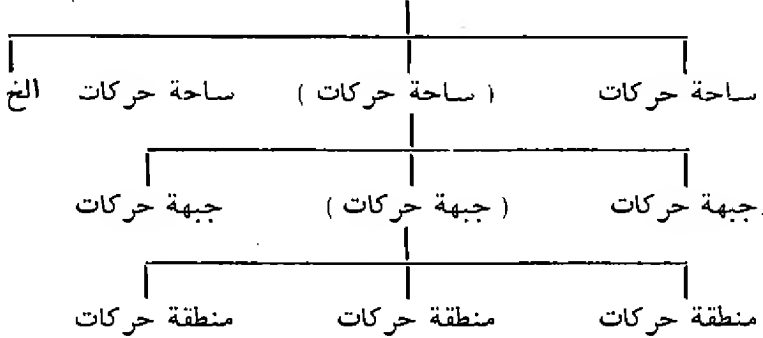
(١٣٥) ساحة الحركات : هي الساحة التي يتمكن احد الخصمين من القتال فيها .

(١٣٦) الجبهة : هي عدة مناطق حركات داخلية في حدود جغرافية معينة .

(١٣٧) منطقة الحركات : هي قسم من ساحة الحركات .

تفصيل

ساحة الحرب



كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، هو القائد الاعلى في ايام خلافته، فكان - لذلك - المسؤول الاول عن اعداد الخطط السوقية ، ويشمل ذلك اعداد هذه الخطط من الناحية العسكرية ، واصدار الوصايا أو الاوامر لتنفيذها ، وامداد جيوشه بالامدادات من الرجال والمعدات لادامة الحرب ، وتزويد تلك الجيوش بالامور الادارية ، ومراقبة وصول تلك المواد الادارية الى جيوشه ، والعمل على رفع معنويات رجاله في ساحة الحرب وفي كل مكان ، واختيار القادة العامين والقادة الرؤوسين القادرين على تنفيذ اوامره ووصاياه نصا وروحا ...

لقد انجز عمر كل واجباته هذه قائدا اعلى بشكل يدعو الى التقدير العميق والاعجاب الشديد ، فكان عهده عهدا ذهبيا للفتح الاسلامي العظيم .

ب - كان دستوره في الحرب ان يضع الاسس العامة، ويعهد في تنفيذها الى ذوي خبرة وامانة ، ولا يتخلى عن تبعته العظمى في مصائر الحرب كل التخلي اعتمادا على القائد وحده ، اذ ليس القائد هو المسؤول الوحيد عن المصير .

فاذا رأى القائد العام رأيا وخالفه عمر في رايه ، أعانه بالمدد والمثورة على الاخذ بالرأي الذي دعاه اليه ، وابطل معاذيره بتوضيح الامر واعاناته عليه .

لقد كان الى جانب السهر على الميادين عامة ، لا يقل يد القائد فيما يحسن ان تنطلق فيه ، فاذا تجاوز الامر سياسة الحرب العامة من فتح الميادين وفك الحصار ، فمن حق القائد عنده ان يختار لنفسه ولا ينتقل الرجوع اليه ، وان يجري في ادارة المعركة على الوجه الذي تمليه عليه ضرورة

ج - ان التاريخ ليذكر لنا نماذج حية رائعة عن خطط عمر السوقية التي أصدرها الى قاداته : وأمر جازمة صريحة ، ووصايا حاسمة واضحة .

بعد معركة (اليرموك) في ارض الشام ، استخلف ابو عبيدة بن الجراح على اليرموك بشير بن كعب الحميري ، وسار حتى نزل ب (الصنقر) (١٣٩) ، فأناه الخبر ، ان الروم وحلفاءهم المنهزمين اجتمعوا ب (فحل) (١٤٠) . وأتاه الخبر ايضا بأن المدد قد أتى اهل دمشق من حمص ، فكتب الى عمر في ذلك ، فأجابته : بأن يبدأ بدمشق فانها حصن الشام وبيت ملكهم ، ويشغل اهل (فحل) بخيل تكون بازائهم ، وإذا فتح دمشق سار الى (فحل) ، فإذا فتحت عليهم سار هو وخالد بن الوليد الى حمص وترك شرحبيل بن حسنة وعمر بن العاص بالاردن وفلسطين (١٤١) .

تلك هي الخطة السوقية لعمر التي بموجبه فتحت ارض الشام (سورية والاردن ولبنان وفلسطين) ، ومنها يتضح ان عمر بدأ ب (هدف الحركات الخطير) (١٤٢) وهو مدينة دمشق عاصمة البلاد ، وبعد فتحها تتوجه الجيوش الى الاهداف الثانوية . ولكي يحرم الروم وحلفاءهم من تعاون قواتهم في مختلف مناطقها عند محاولة فتح دمشق ، امر عمر ابا عبيدة ابن الجراح بتخصيص قوات من الفرسان لمشاغلتهم .

لقد ادى تطبيق هذه الخطة السوقية البارعة الى فتح ارض الشام بسهولة ويسر .

وقبل معركة (القادسية) الحاسمة امر عمر ابا عبيدة بن الجراح، ان يصرف جند العراق الى العراق - وهم الذين شهدوا معركة (اليرموك) والذين جاءوا من العراق الى الشام مع خالد بن الوليد - وامرهم بالحث الى سعد بن ابي وقاص (١٤٣) ، وذلك لحشد اكبر قوة ممكنة في الزمان والمكان المناسبين ، فكان لحضور هؤلاء معركة (القادسية) اثر كبير في انتصار المسلمين في هذه المعركة .

(١٣٨) غبقرية عمر (١٥٥ - ١٥٦)

(١٣٩) الصفر : موضع بين دمشق والجولان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٧/٥)

(١٤٠) فحل : اسم موضع بالشام . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٤٠/٦) .

(١٤١) ابن الاثير (١٦٤/٢)

(١٤٢) هدف الحركات الخطير : هو الهدف الذي متى ما تم الاستيلاء عليه تنتهي الحرب ،

او ان العدو يضطر الى قبول الصلح ، وتؤلف عواصم البلاد هدف الحركات الخطير .

(١٤٣) الطبري (٦٢٧/٢) .

وكتب الى سعد بن ابي وقاص بعد اختياره لحرب فارس : « اذا انتهيت الى (القادسية) ، وهو منزل رغيب خصيب ، دونه قناطر وانهار صمتعة ، فتكون مسالحك (١٤٤) على انقابها (١٤٥) ، ويكون الناس بين الحجر والمدر على حافات المدر والجراع (١٤٦) بينها ، ثم الزم مكائك فلا ترحه ، فانك اذا احسوك (١٤٧) انفصتهم ورموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدهم وجدتهم ، فان انتم صبرتم لعلوكم واحتسبتم لقتاله وقويتهم الامانة ، رجوت ان تنصروا عليهم ، ثم لا يجتمع لكم مثلهم ابدا ، الا ان يجتمعوا وليست معهم قلوبهم . وان تكن الاخرى ، كان الحجر في ادباركم فانصرفتم من ادنى مدرة من ارضهم الى ادنى حجر من ارضكم ، ثم كنتم عليها اجراً وبها أعلم ، وكانوا عنها اجبن وبها اجهل ، حتى يأتي الله بالفتح » (١٤٨) .

انها خطة سوقية فذة مضمونة النجاح في حالتي النصر والاندحار .

وفي سنة سبع عشرة هجرية (٦٣٨ م) قصد الروم ابا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين بـ (حمص) ، فأشار خالد بن الوليد بالمانجزة ، وأشار آخرون بالتحصين ومكاتبه عمر ، فأطاعهم ابو عبيدة وكتب الى عمر بذلك . وكان عمر قد اتخذ في كل مصر من امصار المسلمين المهمة خيولا على قدره من فضول اموال المسلمين ، عدة للحوادث الطارئة ، فكان بالكوفة من الخيول اربعة آلاف فرس ، وكان القيّم عليها سلمان بن ربيعة الباهلي (١٤٩) ونفر من اهل الكوفة ، فلما سمع عمر بقصد الروم لأبي عبيدة بن الجراح في حمص ، كتب الى سعد بن ابي وقاص : « اندب الناس مع القعقاع بن عمرو (١٥٠) وسرّحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي الى حمص ، فان ابا عبيدة قد احيط به ، وتقدم اليهم في الجند والحث » ، وكتب اليه ايضا : « سرّح سهيل بن عدي (١٥١) الى (الجزيرة) في الجند ، وليأت (الرقّة) ، فان اهل (الجزيرة) هم الذين استشاروا الروم على اهل (حمص) ، وسرّح عبد الله

-
- (١٤٤) السالح : جبع مسلحة ، وهي الحامية الامامية او المركز الذي تقيم فيه قوة عسكرية ، وهي كالمخفر في الاصطلاحات الحديثة .
- (١٤٥) انقاب : جمع نقب ، وهو الطريق في الجبل ، وهما تعني الطرق التقريبية للمدو الى قوات المسلمين .
- (١٤٦) الجراع : جمع أجرع ، وهي الارض ذات الحزونة تشاكل الرمل . انظر المعجم الوسيط (١١٨/١) .
- (١٤٧) حن الشيء حنا : استأصله ، وحشّوهم : استأصلوهم قتلا .
- (١٤٨) عبقريه عمر (١٥٤) .
- (١٤٩) ترد ترجمته في : قادة فتح المشرق .
- (١٥٠) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٠١ - ٣٢٣)
- (١٥١) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة (٤٣٦ - ٤٤١)

ابن عبدالله بن عتبان (١٥٢) الى (نصيبين) ثم ليقصد (حرّان) و (الرها) ،
وسرح الوليد بن عقبة (١٥٣) على عرب (الجزيرة) من ربيعة وتنوخ، وسرح
عياض بن غنم (١٥٤) ، فان كان قتال فقد جعلت امرهم جميعا الى عياض
ابن غنم « (١٥٥) . ولما بلغ أهل الجزيرة الذين اعانوا الروم على أهل حمص
خبر زحف جيوش المسلمين الى بلادهم تفرقوا الى بلادهم وفارقوا الروم ،
فخرج ابو عبيدة الى الروم وقاتلهم ، ففتح الله على المسلمين (١٥٦) .

لقد كانت خطة عمر السوقية هذه خطة رائعة حقا .

وعندما اطمأن عمر الى انتصار جنده في معركة (نهاوند) الحاسمة ،
امر ابا موسى الاشعري ان يسير من البصرة الى منقطع ذمة البصرة فيكون
هناك حتى ياتيئه امره ، ودفع لواء خراسان الى الاحنف بن قيس ، ولواء
(أردشير خره) الى مجاشع بن مسعود السلمي ، ولواء (اصطخر) الى
عثمان بن أبي العاص الثقفي ، ولواء (فسا) و (دارا بجرد) الى سارية بن زعيم
الكناني ، ولواء (كرمان) الى سهيل بن عدي ، ولواء (سجستان) الى عاصم
ابن عمرو التميمي ، ولواء (مكران) الى الحكم بن عمير الثقفي ، وأمدهم عمر
بنفر من أهل الكوفة في جموع (١٥٧) . . . فكانت هذه الخطة السوقية لعمر
هي القاضية على مقاومات الفرس في بلادهم وتطهير ارض فارس من كل
مقاومة ، لأن قوات الفرس المتفرقة لم تجتمع لتكون قوة ضاربة ، اذ شغل
المسلمون كل قسم منها في منطقته فحاولوا دون تعاونها .

وفي فتح مصر اشفق عمر على جيش عمرو بن العاص ، فبعث الزبير بن
العوام (١٥٨) في اثني عشر ألفا (١٥٩) ، وبذلك استطاع عمرو فتح ارض
وادي النيل .

هذه بعض خطط عمر السوقية للفتح : خطة لفتح العراق ، وخطة لفتح
ارض الشام ، وخطة لفتح بلاد فارس ، وخطة لفتح مصر ذلك الفتح الذي
امتد من مصر الى ليبيا وارض النوبة .

(١٥٢) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة (٤٤٢ - ٤٤٨)

(١٥٣) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة (٤٤٩ - ٤٦٨)

(١٥٤) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة (٤٢٥ - ٤٣٥)

(١٥٥) الطبري (١٥٤/٣) وابن الاثير (٢٠٥/٢)

(١٥٦) الطبري (١٥٤/٣)

(١٥٧) ابن الاثير (٢١٤/٢)

(١٥٨) انظر ترجمته في : قادة فتح الشام ومصر .

(١٥٩) فتوح مصر والمغرب (٩٢) وانظر كتاب الولاة والقضاة (٨)

وتلك امثلة فذة من خططه السوقية للفتح (١٦٠) .

د - واذا كانت خطط عمر السوقية قد كتب لها النجاح فلانه بناها على اسس قوية : اجتماعية وسياسية واقتصادية .

لقد حرم ابو بكر الصديق رضي الله عنه المرتدين من مشاركة المجاهدين في شرف الجهاد من اجل حماية حرية نشر الاسلام ، فقد كتب الى خالد بن الوليد وعياض بن غنم : « استنفروا من قاتل اهل الردة ومن ثبت على الاسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يغزّون احد ارتدّ » ، حتى ارى رأيي » ، فلم يشهد الايام في عهد ابي بكر مرتد (١٦١) .

اما عمر ، فقد استفتح خلافته بقوله : « انه لقبيح بالعرب ان يملك بعضهم بعضا ، وقد وسع الله عز وجل وفتح الاعاجم » ، واستشار في فداء سبايا العرب في الجاهلية والاسلام الامراة ولدت لسيدها ، وجعل فداء كل انسان سبعة ابعة وستة ابعة الا حنيفة وكندة ، فانه خفف عنهم لقتل رجالهم ، فاتبع النساء بكل مكان ، وفدوهن (١٦٢) . كما امر عمر باستنفار من حسن اسلامه من اهل الردة (١٦٣) ، ونذب اهل الردة فأقبلوا سراعا من كل اوب ، فرمى بهم الشام والعراق (١٦٤) .

لقد كان عمر يرى ان العرب هم مادة الاسلام ، وانهم هم مادة الفتح الاسلامي قادة وجنودا ، فلا بد من استنفار كل قادر على حمل السلاح منهم لحمل الرسالة الخالدة الى العالم . لذلك استمال قلوب العرب بكل ذلك ، واراد ان يشعروا كل الشعور بعزتهم وكرامتهم ، وبذلك استطاع تطبيق مبدا (التحشد) على العرب كافة وبعثهم الى ساحات القتال جيوشا ومددا .

هـ - وكانت الوحدة السياسية لبلاد العرب ، بعض ما شغل به عمر في خلافة ابي بكر الصديق ، فلما استخلف كان تثبيت هذه الوحدة وتوطيد دعائمها اول ما اتجه اليه همه . وقد هداه تفكيره الى ان هذه الوحدة لن تكون سليمة الا ان تصفو من كل شائبة ، وذلك بأن يكون الجنس العربي كله متحدا في موطنه وعقيدته كاتحاده في لفته . لذلك كان من اول ما استفتح به عهده ان اجلى نصارى (نجران) عن شبه الجزيرة ، وعوضهم عن ارضهم

(١٦٠) انظر التفاصيل في : الفاروق القائد (٨٥ - ٩٨)

(١٦١) الطبري (٥٥٠/٢) و(٥٥٤/٢)

(١٦٢) الطبري (٥٤٩/٢) وابن الاثير (١٤٧/٢)

(١٦٣) ابن الاثير (١٦٦/٢)

(١٦٤) الطبري (٦٢٤/٢)

مثلها في العراق ارضا كأرضهم ب (نجران) ، وان تحسن معاملتهم (١٦٥) ، كذلك فعل بمن بقي من اليهود ب (خيبر) او ب (فدك) : أجلاهم عن ارضهم الى الشام ، وعوضهم عنها بمال يعادل قيمتها ، ولم يشيء الى احد منهم . بذلك خلصت شبه الجزيرة العربية من كل عقيدة الا الاسلام ، فتوطدت فيها قواعد الوحدة التي قصد اليها امير المؤمنين .

لقد استند عمر في اجلاء اليهود والنصارى الى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « لا يجتمع ببلاد العرب دينان » ، وان عمر خافهم على المسلمين (١٦٦) ، وان نصارى (نجران) بعد ان استخلف عمر اصابوا الربا وكثروا فخافهم على الاسلام فأجلاهم (١٦٧) .

ولكن لا يكفي لتثبيت دعائم الوحدة في بلاد العرب الا يبقى بها دين غير الاسلام ، اذا بقي من الفوارق بين اهلها من العرب ما يجعلهم يشعرون بان بعضهم اكثر حرية من بعض او اوفر كرامة من بعض . وقد بقيت بعض الفوارق بينهم بسبب الردة والحروب التي قضت عليها ، فلا بد من القضاء على هذه الفوارق ، فأمر عمر باشرارك المرتدين بالجهاد ، كما أمر برد السبي من العرب الى عشائرهم ورد حريتهم اليهم (١٦٨) .

و - وشرع عمر بتنظيم الناحية الاقتصادية في الدولة ، فأمر بتدوين البدواوين (١٦٩) ، ومن نتائج ذلك ، ان كل جندي يقاتل في الجبهات المختلفة اصبح له عطاء مضمون يجعله قرير البال على اهله وذويه في مدينته او في صحرائه ، وهذا له تأثير معنوي كبير عليه ، لان الجندي الذي لا يطمئن كل الاطمئنان الى الحالة المعاشية لاهله لا يقاتل كما ينبغي .

ولكن لا بد للجيش من موارد ثابتة لتدعيم الامور الادارية لهم في ايام الفتح وبعده ، لذلك ابنى عمر ان يقسم ارض السواد في العراق على الفاتحين ، كما ابنى ان يقسم ارض مصر ، وكتب الى عمرو : « لا تقسمها وذوهم يكون خراجا وفيئنا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم » (١٧٠) . وبذلك اصبح خراج الاراضي وجزية الرؤوس وما كان بمعناها ، موارد ثابتة للدولة تصرف على عمارة الدين والمصالح العامة ، ومنها رواتب الولاة والقضاة واهل الفتوى من العلماء ، وعلى الجيش واصلاح الطرق وعمارة المساجد والرباطات

(١٦٥) الخراج (٨٧ - ٨٨)

(١٦٦) الخراج (٨٧)

(١٦٧) البلاذري (٧٧)

(١٦٨) انظر الفاروق عمر (٢٠٤/٢ - ٢٠٥)

(١٦٩) انظر التفاصيل في : الفاروق القائد (١٠٣ - ١٠٩)

(١٧٠) فتح مصر والمغرب (١٢٤)

للجهاد والقناطر والجسور وسد الثغور واصلاح الانهار العامة (١٧١) .

وكان عمل عمر هذا ، كما يقول الامام ابو يوسف في الخراج : « والذي رأى عمر من الامتناع من قسمة الارضين بين من افتتحها ، عندما عرفه الله ما كان في كتابه من بيان ذلك ، توفيقا من الله كان له فيما صنع وفيه الخيرة لجميع المسلمين ، وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته عموم النفع لجماعتهم ، لان هذا لو لم يكن موقوفا على الناس في الاعطيات والارزاق لم تشحن الثغور ولم تقو الجيوش على السير في الجهاد ، ولما امن رجوع اهل الكفر الى مدنها اذا خلت من المقاتلة والمرزقة (١٧٢) .

ز - ولم تقف همة عمر على تأمين ركوب المقاتلين ورواتبهم وتأمين الارض المفتوحة لتكون رصيذا لا ينضب لرواتب الجيوش وتسليحهم وتنقلهم ، بل ذهبت همة عمر الى ابعد من ذلك : تأمين السكن لهم .

ففي سنة سبع عشرة للهجرة (٦٣٨ م) امر ببناء (الكوفة) و (البصرة) . كما اختط عرفجة بن هرثمة البارقى (١٧٣) مدينة (الموصل) ، وكان بها الحصن وبيع النصارى ومنازل لهم قليلة عند تلك البيع ، فانزل عرفجة العرب منازلهم واختط لهم ثم بنى المسجد الجامع (١٧٤) .

كما أن عرفجة نزل (حديثة الموصل) (١٧٥) وكانت قرية فيها بيعتان ، فحصرها واختطها قبل الموصل الحدياء (١٧٦) .

وبنى ابو مدلاج التميمي (حديثة الفرات) (١٧٧) في أيام عمر : وكان عمر قد بعثه على رأس جيش يستقري ما فوق الفرات (١٧٨) .

واختط عمر (الفسطاط) في مصر وأسكنها المسلمين (١٧٩) .

(١٧١) انظر اشتراكية الاسلام للسباعي (٢٠٨) الطبعة الثانية ، وانظر النزعة الاشتراكية في الاسلام (١٨٧) .

(١٧٢) الخراج (٣١ - ٣٢) وانظر ما جاء عن ذلك في : الفاروق القائد (١٠٩ - ١١٢) .

(١٧٣) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة (٤١٥ - ٤٢٢) .

(١٧٤) البلاذري (٣٢٧) ومعجم البلدان (٢٣٤/٣) .

(١٧٥) حديثة الموصل : بلدة كانت على دجلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الاعلى .

انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٣٤/٣) والمشارك وضعها (١٢٣) .

(١٧٦) معجم البلدان (٢٣٤/٣) .

(١٧٧) مدينة حديثة الفرات : مدينة على فراسخ من الانبار ، وبها قلعة حصينة في وسط الفرات والماء محيط بها . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٣٥/٣) والمشارك وضعها (١٢٣) .

(١٧٨) معجم البلدان (٢٣٥/٣) .

(١٧٩) فتح مصر والمغرب (١٣٣ - ١٣٤) ومعجم البلدان (٢٧٩/٦ - ٣٨٤) والمسالك والممالك لابن خرداذبة (٨٤) واحسن التقاسيم (١٩٧) ، وانظر زبدة كشف الممالك (٣٠) والبلدان لابن الفقيه (٥٩) .

وبنى معاوية بن أبي سفيان في عهد عمر مدينة (جبلة) (١٨٠) ، وكانت حصنا للروم جلوا عنه عند فتح المسلمين (حمص) ، وشحنها معاوية بالرجال ، وبني حصنا خارجا عن الحصن الرومي ، وسكن المسلمون هذه المدينة (١٨١) .

وبنى عثمان بن أبي العاص (توج) (١٨٢) في ايران ، وبني المساجد وجعلها دارا للمسلمين ، واسكنها (عبد القيس) وغيرهم ، وذلك في أيام عمر بن الخطاب (١٨٣) .

وكانت هذه المدن الجديدة ، قواعد متقدمة للفتح ، ومعسكرات كبرى للجيوش الاسلامية ، ومواطن للمسلمين استقروا فيها وعوائلهم وذووهم .

ج - وذهب عمر الى مدى ابعد من ذلك في الحرص على راحة المجاهدين وامورهم كافة ، فقد كتب الى تحبس الجيوش بعيدة عن عوائلهم اكثر من أربعة اشهر (١٨٤) .

بل كان عمر يخلف الفزاة في اهلهم (١٨٥) .

ذلك هو عمر بن الخطاب امير المؤمنين والقائد الاعلى للجيش الاسلامي ، يعد الخطط السوقية لجيوشه ، ويسهر على تنفيذ تلك الخطط ، ويحشد اكبر عدد ممكن من الرجال قبل خوض المعارك ليضمن لهم النصر ، ويمد جيوشه بالامدادات المتعاقبة ، ويوحّد العرب في شبه الجزيرة العربية ليضمن الى سلامة قاعدته الامينة ، ويؤمن العطاء ، ويضمن السكن للجنود ولعوائلهم ، ولا يترك الجنود بعيدين عن اهلهم اكثر من أربعة اشهر حفاظا على معنوياتهم ومعنويات عوائلهم ، ويخلف الفزاة في اهلهم ... ولست اعرف قائدا اعلى كانت القيادة العليا بمحض مهامه فعل مثل ما فعل عمر في سبيل جيوشه مابدا ومعنويا .

لقد طبق عمر : الحرب الاجماعية (١٨٦) قبل أربعة عشر قرنا ، فلا يزعم أحد ان الامان كان اول من طبقوها في الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) .

(١٨٠) جبلة : قلعة مشهورة بساحل الشام من اعمال حلب قرب اللاذقية . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥٣/٣) .

(١٨١) انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥٣/٣) والمشارك وضعها (٩٥ - ٩٦) .

(١٨٢) توج : مدينة بفارس قرب كازرون . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤٢٦/٢) .

(١٨٣) معجم البلدان (٤٢٦/٢) .

(١٨٤) تاريخ الخلفاء (٩٦) ، وهناك رواية ان مدة بقاء المجاهد لا تزيد عن ستة اشهر .

(١٨٥) تاريخ عمر (٤٧) .

(١٨٦) الحرب الاجماعية : او الحرب الاعتصابية ، من التعابير العسكرية الحديثة ، ومعناها : حشد الامة ومراقبتها المادية والمعنوية للحرب . انظر الامة في الحرب للمشير لودندروف

لقد وضع المسلمون : (الضمان الاجتماعي) للجنود قبل أن تحلم به اوروبية وأمريكا بأربعة عشر قرنا ، فلا يقولن قائل : أن من مزايا بعض الدول الحديثة في أوروبا وأمريكا ، هو ضمان الرواتب للجنود ولأسرهم في حياتهم وبعد موتهم ، وضمان سكناتهم وراحتهم في كل أرض يحتلونها ، فقد كان نصيب المسلمين من كل ذلك في عهد عمر أوفر نصيب (١٨٧) .

ان اعمال عمر العسكرية يمكن أن تكون مثلاً أعلى لكل قائد أعلى ، ويمكن أن تكون أعماله دروساً في الكليات العسكرية وكليات الأركان في كل مكان . انها أروع ما سجله التاريخ العسكري في صفحاته للامم كافة ، وستبقى نموذجاً أعلى يحتذى كل قائد في أية أمة بكل زمان ومكان (١٨٨) .

١٠ - حرب عادلة :

الحرب في الاسلام حرب عادلة من دون شك ، والشواهد على ذلك ما جاء في القرآن الكريم وفي السنة النبوية (١٨٩) ، وما طبقه الرسول القائد عملياً في الحرب (١٩٠) .

ان تعاليم الحرب في الاسلام تحتم : الوفاء بالعهود ، وتحريم الغدر والخيانة في الظاهر والخفاء ، واحترام حقوق الإنسان ، وتكريم الناس والدعوة الى الاخاء الشامل ، واعتبار الفضيلة والتقوى اساس العلاقات الدولية في الحرب والسلم ، والرحمة في الحرب ، والعدالة المطلقة والمعاملة بالمثل (١٩١) ؛ وافساح الطريق للدعوة الجديدة ، ومنع الفتنة في الدين ، وقرار السلام (١٩٢) .

تلك هي بعض تعاليم الحرب في الاسلام ، فكيف وضعها عمر موضع التنفيذ ؟

كان مما أوصى به سعدا بعد تعيينه قائداً عاماً في العراق : « ... فانظر الامر الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه ، فانه الامر » (١٩٣) وحين علم سعد باجتماع الجيوش الفارسية كتب الى عمر ، فكتب اليه عمر بأن يرسل وفداً مفاوضاً الى كسرى (يزدجرد) . وذهب الوفد ، وكان من

(١٨٧) انظر مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد الرابع الجزء الثاني ص (٦٥٠)

(١٨٨) انظر التفاصيل في : الفاروق القائد (٨٥ - ١١٩)

(١٨٩) انظر : القتال في الاسلام ، في كتاب : الرسول القائد (٢٧ - ٤٦)

(١٩٠) انظر الرسول القائد (٤٢١ - ٤٨٣)

(١٩١) انظر كتاب : آثار الحرب في الفقه الاسلامي (١٢٥ - ١٣١)

(١٩٢) الفن الحربي في صدر الاسلام (٧٠ - ٧٢)

(١٩٣) انظر نص الوصية في الطبري (٥٠٤/٣) وابن الأثير (١٧٣/٢)

بين أعضائه النعمان بن مقرن المزني ، فكان مما قاله لكسرى : « ... فنحن ندعوكم الى ديننا ، وهو دين حسن الحسن وقبَّح القبيح كله ، فان ايستم ، فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه : الجزية ، فان ايستم فالمناجزة ، فان اجبتم الى ديننا خلّفنا فيكم كتاب الله وأقمنا على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم ، وان بذلتُم الجزية قبلنا ومنعناكم ، والا قاتلناكم » ... وبعد نقاش بين الجانبين عاد الوفد الى سعد ، وقد اشتد ذلك على الملك وجلسائه (١٩٤) .

وهكذا لم يدخر عمر وسعاً لتجنب ويلات الحرب .

وبعد معركة (جلولاء) (١٩٥) بعث سعد بالآخماس الى عمر . وقدم الخمس على عمر فقال : « والله لا يجنّه سقف حتى أقسمه » . وأصبح الصباح وجاء عمر وكشف عن المال ، فلما نظر الى ياقوته وزبرجده وجوهره بكى ، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : « ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ ! فوالله ان هذا لموطن شكر » فقال عمر : « والله ما ذاك يبكيني ، وبالله ما اعطى الله هذا قوما الا تحاسدوا وتباغضوا ، ولا تحاسدوا الا ألقى الله بينهم بأسهم » (١٩٦) .

ان عمر لم يكن ينظر الى الحرب كوسيلة لجمع الفنائم والمال ، بل انه رأى ببصيرته النافذة اثر الفنى السيء على النفوس ، فهو يفشي بين الناس العداوة ، وهو يشيع بينهم الترف ، ولن يكون بعد العداوة والتصرف الا التزدي والانهيار .

وسأل عمر (الهرمزان) حين قدم عليه مع وفد : « لعل المسلمين يؤذون أهل الذمة ، فلهذا ينتقصون بكم ؟ » ، فقالوا : « ما نعلم الا وفاء » (١٩٧) . وكتب عمر الى النعمان بن مقرن قبل معركة (نهاوند) : « اذا لقيتم العدو فلا تفروا ، واذا غنمتم فلا تغلوا » (١٩٨) .

وكتب عمر الى سعد بن أبي وقاص : « ... فان لآعب أحد منكم احدا من العجم بأمان أو قرقه (١٩٩) بأشارة أو بلسان ، كان لا يدري الاعجمي ما

(١٩٤) ابن الاثير (١٧٥/٢ - ١٧٦)

(١٩٥) جلولاء : موضع على نهر دبالى ، بينها وبين خاتقين سبعة فراسخ ، بين يعقوبا

وخاتقين . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٢٥/٣)

(١٩٦) ابن الاثير (٢٠٢/٢)

(١٩٧) ابن الاثير (٢١٢/٢ - ٢١٣)

(١٩٨) الخراج (٤٠) . والعل : الخيانة .

(١٩٩) قرق قرقا : كذب وخط .

كلّمه به وكان عندهم أمانا ، فأجروا له ذلك مجرى الامان ، واياكم والضحك ،
والوفاء الوفاء ، فان الخطأ بالوفاء بقية ، وان الخطأ بالفدر الهلكة ، وفيها
وهنكم وقوة عدوكم وذهاب ربحكم واقبال ربحهم ، واعلموا اني احذركم ان
تكونوا شيئا على المسلمين وسببا لتوهينهم » (٢٠٠) .

وهكذا يأمر عمر بامضاء الامان ، حتى ولو كان بشارة عابرة ... وبأمر
بالوفاء ويحث عليه ، ويعتبر حتى الخطأ في الوفاء كرامة وفضيلة ، والخطأ
بالفدر هلكة ومهانة .

وكان عمر يقول عند عقد الالوية لقادته : « ولا تعتدوا ان الله
لا يحب المعتدين ، ولا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تمثلوا عند القدرة ، ولا تسرفوا
عند الظهور (٢٠١) ، ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا ، وتوقّوا قتلهم اذا
التقى الزحفان وعند شن الغارات » (٢٠٢) .

وحاصر المسلمون (جنديسابور) بالاهواز سنة سبع عشرة هجرية ،
فأقاموا عليها يقاتلون أهلها ، فلم يفجأ المسلمين ألا وقد فتحت ابوابها وخرج
أهلها ، فسألهم المسلمون فقالوا : « رميتم بالامان ، فقبلنا وأقررنا بالجزية » .
وسأل المسلمون فإذا عبد يدعى (مكثفا) كان أصله من (جنديسابور) هو
الذي رمى اليهم بالامان ، فقال المسلمون : « هو عبد ! » ؛ فقال أهل المدينة :
« لا نعرف العبد من الحر ، وقد قبلنا الجزية ومنا بدلنا ! فان شئتم
فاغدروا » ؛ فكتب المسلمون الى عمر فأجاز أمانهم ، فأمّنوهم وانصرفوا
عنهم (٢٠٣) .

انه أجاز امان عبد ، تصرف من تلقاء نفسه متحيزا الى أهل مدينته
بدون علم المسلمين قادة وجنودا ... ومع ذلك أجاز عمر أمانه !!
ان عمر كان يخوض غمار حرب عادلة ، لها بواعث معروفة ولها اهداف
معلومة ، لذلك كانت حربه حربا انسانية بكل ما في الانسانية من معان ! .

١١ - الثقة المتبادلة :

أ - كان عمر موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم به منذ أسلم عمر
حتى التحق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى .

(٢٠٠) الطبري (١٢/٣)

(٢٠١) الظهور : الغلبة . من قولهم : ظهر على عدوه ، أي غلبه .

(٢٠٢) العقد الفريد (١/٦٦)

(٢٠٣) ابن الاثير (٢/٢١٤)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما طلعت الشمس ولا غربت على رجل خير من عمر » (٢٠٤) . وقال : « ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه » (٢٠٥) . وقال عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما : « هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ، إلا النبيين والمرسلين » (٢٠٦) . واستأذن عمر النبي صلى الله عليه وسلم بالعمرة فقال : « يا أخي ! لا تنسانا من دعائك » (٢٠٧) .

ذلك مبلغ ثقة النبي صلى الله عليه وسلم بعمر .

ب - أما ثقة أبي بكر بعمر ، فقد كان عمر ساعده الايمن ووزيره الاول ومستشاره الاقدم وصديقه الحميم .

حين أنفذ أبو بكر الصديق جيش أسامة بن زيد قال لأسامة : « ان رأيت ان تعينني بعمر ، فافعل » ، فأذن أسامة لعمر بالبقاء الى جانب أبي بكر (٢٠٨) . وكان عمر على القضاء طيلة عهد أبي بكر الصديق ، وقد مكث سنته لا يأتيه رجلان (٢٠٩) .

ولما ثقل أبو بكر وحضرته الوفاة ، استخلف عمر ، فدخل عليه من يقول : « ماذا تقول لربك اذا قدمت عليه غدا ، وقد استخلفت علينا ابن الخطاب ؟ » فقال أبو بكر : « اجلسوني ! أبالله ترهبوني ؟! أقول : استخلفت عليهم خيرهم » (٢١٠) .

ج - أما ثقة الناس بعمر ، فقد ذكر عبدالله بن عباس قال : « انني لواقف في قوم يدعون الله لعمر بن الخطاب وقد وضع على سريره ، اذا رجع من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول : « يرحمك الله ! ان كنت لأرجو أن يجعلك مع صاحبك ، لاني كثيرا ما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كنت وأبو بكر وعمر ، وفعلت وأبو بكر وعمر ، وانطلقت وأبو بكر وعمر ، فان كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما . فالتفت فاذا هو علي بن أبي طالب » (٢١١) .

(٢٠٤) تيسر الوصول (٢٦٦/٣) وقد أخرجه الترمذي .

(٢٠٥) تيسر الوصول (٢٦٦/٣ - ٢٦٧)

(٢٠٦) أخرجه الترمذي ، انظر تيسر الوصول (٢٦٨/٣ - ٢٦٩)

(٢٠٧) تاريخ عمر (١٦)

(٢٠٨) ابن الأثير (١٢٧/٢)

(٢٠٩) ابن الأثير (١٦١/٢)

(٢١٠) طبقات ابن سعد (٢٧٤/٣)

(٢١١) فتح الباري شرح البخاري (٣٢/٧)

وقال علي بن أبي طالب : « ما خلّفت أحدا أحبّ إليّ أن القى الله بمثل عمله منك » ... الحديث (٢١٢) ، وهو يقصد عمر .

وقالت أم أيمن يوم أصيب عمر : « اليوم وهن الاسلام » . وقال طارق بن شهاب : « كان رأي عمر كيقين رجل » . وقال عبد الرحمن بن غنم يوم مات عمر : « اليوم أصبح الاسلام موليا ! ما رجل بأرض فلا يطلبه العدو فأتاه آت فقال له : 'خذ' حذرَكَ بأشد فرارا من الاسلام اليوم » (٢١٣) .

وجاء عبدالله بن سلام وقد صلّي على عمر فقال : « والله لئن كنتم سيقتموني بالصلاة عليه لا تسبقوني بالثناء عليه . نعم أخو الاسلام كنت يا عمر ، جوادا بالحق ، بخيلا بالباطل ، ترضى حين الرضى ، وتغضب حين الغضب ، عفيف الطرف ، طيب الظرف ، لم تكن مداحا ولا مفتنابا » (٢١٤) .

وقال عبدالله بن مسعود : « كان عمر حصنا حصينا للاسلام يدخلون فيه ولا يخرجون منه ، فلما مات عمر انثلم الحصن ، فالناس يخرجون من الاسلام » (٢١٥) .

وقال حذيفة بن اليمان : « ما يحبس البلاء عنكم فراسخ الموت في عنق رجل كتب الله عليه أن يموت » ، يعني : عمر (٢١٦) .

لقد أجمع الناس على غزارة علمه والمعية فهمه وزهده وتواضعه ورفقه بالمسلمين ، وأنصافه ووقوفه مع الحق وتعظيمه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة متابعته له واهتمامه بمصالح المسلمين ، وإكرامه أهل الفضل والخير ، ومحاسنه أكثر من أن تستقصى (٢١٧) ، سيرته خير من علانيته (٢١٨) خير الناس وأقواهم عليهم (٢١٩) .

د - أما ثقة عمر بنفسه ، فقد خطب يوما فقال : « ليعلم من ولي هذا الأمر من بعدي ، أن سيرده عنه القريب والبعيد . اني لاقاتل الناس عن نفسي قتالا ، ولو علمت أن أحدا من الناس أقوى عليه مني ، لكنك أقدم فتضرب عنقي أحب الي من أن إليه » (٢٢٠) .

(٢١٢) فتح الباري بشرح البخاري (٣٩/٧)

(٢١٣) طبقات ابن سعد (٣٦٩/٣)

(٢١٤) طبقات ابن سعد (٣٦٩/٣)

(٢١٥) طبقات ابن سعد (٣٧١/٣)

(٢١٦) طبقات ابن سعد (٣٧٣/٣)

(٢١٧) القم الاول من تهذيب الاسماء واللغات (٥/٢)

(٢١٨) القم الاول من تهذيب الاسماء واللغات (١١/٢)

(٢١٩) القم الاول من تهذيب الاسماء واللغات (١٢/٢)

(٢٢٠) طبقات ابن سعد (٢٧٥/٣)

وخطب يوما فقال : « يا أيها الناس ! اني قد وليت عليكم ، ولولا رجاء أن اكون خيركم لكم وأقواكم عليكم واشدكم استظلالا بما ينوب من مهم أموركم ، ما توليت ذلك منكم (٢٢١) .

وكان اذا قيل له : اتق الله ، فرح وشكر قائله ، وكان يقول : « رحم الله من أهدى الي عيوبي » (٢٢٢)

لقد كان عمر يثق بنفسه ، ويعرف قيمتها ، ويعتمد على شمائلها ، لا على المظاهر الزائفة والدعاوى الفارغة .

هـ - بل أن عمر كان موضع ثقة حتى أعدائه ، فقد حضر أبو عبيدة ابن الجراح حصر بيت المقدس ، فطلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل الشام ، وأن يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب ؛ فكتب أبو عبيدة الى عمر بذلك ، فسار عن المدينة المنورة واستخلف عليها علي بن أبي طالب (٢٢٣) .

١٢ - الحبة المتبادلة :

كان عمر يحب رؤساءه ويحب مرؤوسيه ، ويبادلونه حبا يحب .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه : « أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، فقال : متى الساعة ؟ قال : وماذا أعددت لها ؟ قال : لا شيء الا أني أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . فقال : أنت مع من أحببت . قال أنس : فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : أنت مع من أحببت . قال أنس : فانا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر ، وأرجو أن اكون معهم بحبي إياهم وأن لم أعمل بمثل أعمالهم » (٢٢٤) .

وقال أنس بن مالك : « كان صالحو السلف يعلمون اولادهم حب أبي بكر وعمر كما يعلمونهم السورة من القرآن » (٢٢٥) .

وقال أبو بكر الصديق : « ما على ظهر الارض أحب الي من عمر » (٢٢٦)

وعن أبي وائل قال : « قدم علينا عبدالله بن مسعود فنعى الينا عمر ، فلم أر يوما أكثر باكيا ولا حزينا منه » (٢٢٧) .

(٢٢١) الطبري (٢٨٢/٣) . والموجود في كتب اللغة : اضطلعا لا استظلالا .

(٢٢٢) الرياض النضرة (٦٥/٢)

(٢٢٣) الطبري (١٠٤/٣) وأبن الاثير (١٩٣/٢)

(٢٢٤) فتح الباري بشرح البخاري (٤٠/٧)

(٢٢٥) تاريخ عمر (١٧٩)

(٢٢٦) تاريخ الخلفاء (٨١)

(٢٢٧) تاريخ عمر (٨١)

١٢ - الشخصية النافذة :

كان عمر شخصية قوية في قريش قبل اسلامه ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك : بأبي جهل او بعمر بن الخطاب » ، فكان احبهم الى الله عمر (٢٢٨) .

ولما اسلم عمر ظهر الاسلام ودعي اليه علانية ، فما زال المسلمون اعزة منذ اسلم عمر (٢٢٩) ، وقد قاتل المشركين بمكة حتى تركوا المسلمين يصلثون بالبيت العتيق (٢٣٠) .

وهاجر عمر علنا ، قال علي بن ابي طالب : « ما علمت احدا هاجر الا سخطيا الا عمر بن الخطاب ... » (٢٣١) .

لقد كان مهيبا ، قال سعد بن ابي وقاص : « استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه ، عالية اصواتهن ؛ فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ؛ فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب ! فقال عمر : فأنت يا رسول الله أحق ان يهجن : ثم قال عمر : أي عدوات أنفسهن ! اتبهنني ولا تهجن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلن : نعم ، أنت اغلظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجأ الا سلك فجأ غير فجعك » (٢٣٢) .

وكلّم نفر من المسلمين عبد الرحمن بن عوف فقالوا : « كلّم عمر ابن الخطاب ، فانه قد أخشانا ، حتى والله ما نستطيع ان نديم اليه ابصارنا » . وذكر عبد الرحمن ذلك لعمر ، فقال : « او قد قالوا ذلك ؟ والله لقد لنت حتى تخوّفت الله في ذلك ، ولقد اشتدّت عليهم حتى خفت الله في ذلك . وأيم الله ، لانا أشد منهم فرقا من الله منهم مني » (٢٣٣) .

ولقي رجل من قريش عمر فقال : « لن لنا فقد ملأت قلوبنا مهابة ! » ،

(٢٢٨) تيسير الوصول (٢٦٦/٣) وطبقات ابن سعد (٢٦٧/٣)

(٢٢٩) طبقات ابن سعد (٢٧٠/٣)

(٢٣٠) طبقات ابن سعد (٢٧٠/٣)

(٢٣١) تاريخ الخلفاء (٧٨)

(٢٣٢) فتح الباري شرح البخاري (٢٧/٧ - ٣٨) وشرح النووي على مسلم (١٤٩/٥ - ١٥٠)

(٢٣٣) تاريخ عمر (١٠٠)

فقال : « اني ذلك ظلم ؟! » فقال : « لا ! » ، قال : « فرادني الله في صدوركم مهابة » (٢٣٤) .

وعن عبدالله بن العباس قال : « مكثت سنة وانا اريد ان اسأل عمر بن الخطاب عن آية ، فلا أستطيع ان أسأله هبة » (٢٣٥) .

لقد فرضت سجايا عمر الفذة شخصيته على النفوس : ذكي لامع الذكاء ، وعامل حكيم ، وقوي في الحق ، وزاهد في الدنيا ، وحريص على مصائر الناس ، لا يخشى في الله لومة لائم ، يملأ منصبه ولا يملؤه منصبه !

١٤ - الماضي الناصع المجيد :

ابو عمر هو الخطاب بن نفيل من بني عدي ، وينسب الى عدي فيقال : العدوي (٢٣٦) . واهله حنثمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومي (٢٣٧) ؛ ويكنى عمر : أبا حفص (٢٣٨) .

وبنو عدي بطن من عشرة أبطن من قريش ، انتهى اليها الشرف قبل الاسلام (٢٣٩) ، وكانت الى عمر السفارة في الجاهلية (٢٤٠) ، فكانت قريش اذا وقعت الحرب بينهم أو بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيرا ، واذا نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر ، بعثوه منافرا أو مفاخرا (٢٤١) .

كان بعد اسلامه يدعى : الفاروق ، لانه أعلن الاسلام ونادى به والناس يخفونه ، ففرق بين الحق والباطل ؛ وكان المسلمون تسعة وثلاثين رجلا وامراة بمكة ، فكمثلهم عمر أربعين (٢٤٢) .

كان عمر كريم الأب والام ، يجتمع نسبه مع الرسول صلى الله عليه وسلم في الجد السابع من جهة ابيه (٢٤٣) ، ويجتمع معه من جهة أمه في

(٢٣٤) تاريخ عمر (١٠٠)

(٢٣٥) تاريخ عمر (١٥٥)

(٢٣٦) المعارف (١٧٩)

(٢٣٧) الاستيعاب (١١٤٤/٣) وفيه : ان من ذكر ان حنثمة بنت هاشم بن المغيرة فمب

مخطيء . وانظر القسم الاول من : تهذيب الاسماء واللغات (٣/٢)

(٢٣٨) الاستيعاب (١١٤٤/٣)

(٢٣٩) سيرة ابن هشام (١٤٣/١)

(٢٤٠) الاصابة (٢٧٩/٤)

(٢٤١) تاريخ الخلفاء (٧٤) وبلوغ الارب (١٥٠/١)

(٢٤٢) المعارف (١٨١)

(٢٤٣) اسد الغابة (٥٢/٤) وجمهرة انساب العرب (١٥٠)

الجد السادس (٢٤٤) .

ولد بمكة قبل حرب الفجار الاعظم (٢٤٥) ، وفي رواية أخرى أنه ولد بعد الرسول صلى الله عليه وسلم بثلاث عشرة سنة ، أي في سنة (٢٤٦) (٥٨٨م) .

شدّ أزر الإسلام في أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان وزيره ومستشاره المقرب ، وكان من المهاجرين الاولين وممن صلى الى القبلتين وشهد سائر المشاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وثبت في (أحد) ويوم (حنين) . أعز الله به الإسلام ، وبماه النبي صلى الله عليه وسلم : عبقرية ومحدثاً وسراج أهل الجنة وفاروقاً ، وقد بشره بالجنة (٢٤٧) .

والى عمر يرجع الفضل في تولية أبي بكر الصديق الخلافة ، وحسم النزاع الذي أوشك أن يتفاقم بين المهاجرين والانصار على إثر التحاق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى .

وكان عمر الوزير الاول لأبي بكر الصديق ، وساعده الايمن في حرب الردة وفي حروب الفتح .

وكان عمر في أيام خلافته ، أول من وضع النظام السياسي للدولة الإسلامية ونظّم ادارتها ، وكانت سياسته ترمي الى تماسك بلاد العرب ، وادخال القبائل بعضها في بعض لتكون أمة واحدة هي الأمة العربية (٢٤٨) المسلمة .

ولما اتسعت الدولة الإسلامية في عهده ، قسّم البلاد أقساماً ادارية كبيرة ، ليسهل حكمها والاشراف على موارد ثروتها ، وعيّن لهذه الولايات عمالاً او ولاة لادارتها .

وفي عهده توطدت دعائم الإسلام ، واتسعت رقعة دولته ، فمهد بذلك السبيل لامتداد نفوذ الإسلام من الصين شرقاً الى أعماق أوربة غرباً الى حدود سيبيريا شمالاً الى المحيط جنوباً .

لقد كان لعمر ماضٍ مجيد في كل ادوار حياته : مرؤوساً ورئيساً ، محكوماً وحاكماً ، قاضياً ومشرعاً ، ادارياً وقائداً ، في السر والعلانية ، في الحرب والسلم ، في الناس وفي اهله ... في كل عمل من أعماله الخاصة والعامة .

(٢٤٤) اسد الغابة (٥٢/٤) وجمهرة الساب العرب (١٤٤)

(٢٤٥) اسد الغابة (٥٢/٤) . وانظر تفاصيل حرب الفجار في أيام العرب قبل الإسلام

(٣٢٢ - ٣٢٣)

(٢٤٦) انظر : زعماء الإسلام (٢٥)

(٢٤٧) الرياض النضرة (٣/٢)

(٢٤٨) زعماء الإسلام (٢٣)

عمر في التاريخ

كان عمر يقول : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، فإنه أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ... تزينوا للعرض الأكبر » (٢٤٩) .

وكتب إلى أبي موسى الأشعري بالبصرة : « أما بعد . فإن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته ، وإن أشقى الرعاة عند الله عز وجل من شقيت به رعيته ، وإياك أن ترتع فيرتع عمالك فيكون مثلك عند الله عز وجل مثل البهيمة نظرت إلى خضرة في الأرض فرعت فيها تبغي بذلك السمن ، وإنما حثفها في سمنها ، والسلام عليك » (٢٥٠) .

« لم أر عبقريا يفري فريه » (٢٥١) ، كلمة قالها النبي صلى الله عليه وسلم في عمر رضي الله عنه ، وهي كلمة لا يقولها إلا عظيم عظماء ، خلق لسياسة الأمم وقيادة الرجال (٢٥٢) .

لقد أتعب الخلفاء من بعده حقا ، وقد مضت القرون ولم تلد النساء مثله ، ولا أراها ستلد مثل عمر .

انه كان أعظم فاتح في تاريخ الإسلام دون منازع ، وكان إسلامه حداً فاصلاً بين عهدين للإسلام : عهد الدعوة سرا قبل إسلامه ، وعهد الدعوة جهراً بعد إسلامه .

وله أعمال خالدة أكثر من أن يحصرها العد . ومع ذلك قال وهو على فراش الموت : « ليتني أخرج منها كفافاً لا أجر ولا وزر » (٢٥٣) .

رضي الله عن القائد الفاتح ، الفارس الفوار ، البطل الكرار ، القوي الأمين ، القاضي العادل ، الحاكم العبقرى ، الفقيه المحدث ، العالم العامل ، الذكي اللمعي ، النابغة العبقرى ، التقى النقي ، الخليفة الورع ، المجتهد المشرع ، الفاروق عمر بن الخطاب العدوي القرشي .

(٢٤٩) صفة الصفوة (١/١٠٩)

(٢٥٠) حبة الأولياء (١/٥٠)

(٢٥١) فتح الباري بشرح البخاري (٣٦/٧) وشرح النووي على مسلم (٥/١٤٧) . وعبقرى

القوم سيدهم وكبيرهم وتوبيهم . وبفري فريه : أي يعمل عمله .

(٢٥٢) عبقرية عمر (١٠)

(٢٥٣) طبقات ابن سعد (٣/٣٥١) .

الْخِصَامَةُ

هذا هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه : كَوْن (قوة) هائلة ، وأقام
(وحدة) رصينة ، وأسس (دولة) عظيمة ، وأنشأ (حضارة) خالدة ،
وحمل (رسالة) واجبة الاداء للعالم .

انه مثل أعلى للحاكمين حتى يهتدوا بهديه ، ويسلكوا طريقه ، فذلك
(وحده) سيؤدي بهم الى نفس النتائج التي حققها لامته وللعالم كله .

وهو مثل أعلى للمحكومين ، حتى يعرفوا كيف يكون الحاكم الصالح
الذي يعمل لبلاده (حقاً) ويرفع شأنها بين الامم .

ان صلاح الرعية لا يكون الا بصلاح الراعي ، فليصلح الراعي نفسه
اولاً ، وحينذاك ستصلح الرعية انفسها حتماً .

لقد اصلح عمر ما بينه وبين الله ، فأصلح الناس ما بينهم وبين الله
وما بينهم وبين عمر : اخلص في عمله فأخلصوا ، وعفّ فعفّوا ، وكفّ
فكفّوا ، وعدل فعدلوا ، ونسي نفسه في سبيل مصالحهم فنسوا انفسهم في
سبيل بلدهم وامتهم وفي سبيل الله .

فلينظر الرعاة كيف يحكمون بهدي من دينهم وتاريخهم ليربحوا
ويستريحوا ، فكفى تجارب وكفى محاولات .

فهل من سميع مجيب ، أم على قلوب اقفالها ؟!

والحمد لله الذي يسّر لي التفرغ لبعث تاريخ حياة قادة الفتح
الاسلامي ، فله وحده الفضل والمنّة ، وصلى الله على سيد القادات وقائد
السادات ، مؤسس الجيش الاسلامي الاول ، ومخطط الفتح الاسلامي
الاول ، وعلى آله وصحبه اجمعين .

المُصْطَلِحَاتُ الجُغْرَافِيَّةُ وَالْعَشِيْكَرِيَّةُ

تفسير مصطلحات الألفاظ الجغرافية والعسكرية

١ - الفاية

جاءت بعض الألفاظ الجغرافية والعسكرية في هذا الكتاب ، وفي غيره من أجزاء : قادة الفتح الاسلامي .

وهذه هي معانيها ، لكي لا تضطر على تفسيرها في كل موضع ترد فيه حذرا من الاطالة اذا فرناها في كل تلك المواضع .

٢ - الجغرافية

البريد :

فيه خلاف : ذهب قوم الى انه بالبادية اثني عشر ميلا ، وبالشام وخراسان ستة أميال .

والبريد : الرسول ، وابراذه ارساله . وكل ما بين المنزلين بريد (١) .

الفرسخ :

١ - الفرسخ = ثلاثة أميال .

٢ - الميل = أربعة آلاف ذراع .

٣ - الذراع = أربعة وعشرون اصبعاً .

٤ - الاصبع = ست حبات شعير بطون بعضها الى بعض (٢) .

الاقليم :

جمعها : اقاليم ، وهي كلمة عربية ، سمي اقليماً لأنه مقلوم من الارض التي تناخمه ، أي مقطوع ، ومنه : قلّمت ظفري ، وبه سمي القلم ، لأنه مقلوم ، أي مقطوع .

وللأمم في هيئة الاقليم وصفاتها اصطلاحات أربع :

(١) انظر معجم البلدان (١/٣٤ - ٣٥) .

(٢) انظر معجم البلدان (٢/٣٥ - ٣٦) .

الاول : اصطلاح العامة وجمهور الامة ، وهو الجاري على السنة الناس دائما ، وهو أن يسموا كل ناحية مشتملة على عدة مدن وقرى اقليما ، نحو الصين وخراسان والعراق والشام ومصر وأفريقية ونحو ذلك ، فالأقاليم على هذا كثيرة لا تحصى .

والثاني : لأهل الاندلس خاصة ، فانهم يسمون كل قرية كبيرة جامعة اقليما ، وربما لا يعرف هذا الاصطلاح الا خواصهم . فاذا قال الاندلسي : انا من اقليم كذا ، فانما يعني بلدة أورستاقا بعينه .

والثالث : للفرس قديما ، فقد قسموا المعمورة الى سبعة أقاليم ، كل اقليم سبعمائة فرسخ في مثلها .

والرابع : وعليه اعتماد أهل الرياضة والحكمة والتنجيم ، وهو عندهم يمتد من الشرق الى الغرب ، وقسموا الأرض الى سبعة أقاليم (٣) .

الكورة :

اسم فارسي بحت ، وهو كل صقع يشتمل على عدة قرى ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها ذلك اسم الكورة كقولهم : دارا بجرذ مدينة بفارس لها عمل واسع يسمى ذلك العمل ، بجملته كورة دارا بجرذ ؛ ونحو نهر الملك : فانه نهر عظيم مخرجه من الفرات ويصب في دجلة عليه نحو ثلاثمائة قرية ، ويقال لذلك جميعه : كورة نهر الملك (٤) الخ .

المخلاف :

اكثر ما يقع في كلام أهل اليمن ، وقد يقع في كلام غيرهم على جهة التبع لهم والانتقال لهم ، وهو واحد مخاليف اليمن وهي كورها . ولكل مخلاف اسم يعرف به ، وهو قبيلة من قبائل اليمن أقامت به وعمرته فقلب عليه اسمها . ومخلاف البلد سلطانه (٥) .

الاستان :

كلمة فارسية ، والاستان والكورة واحد ، جمعها : أساتين . كانت رقعة فارس خمسة أساتين ، أحدها استان دارا بجرذ ، ثم ينقسم الاستان

(٣) انظر معجم البلدان (١/ ٢٤ - ٣٢)

(٤) معجم البلدان (١/ ٣٦) .

(٥) معجم البلدان (١/ ٣٦ - ٣٧)

الى الرستاق ، وينقسم الرستاق الى الطاسيج ، وينقسم كل طسوج الى عدة من القرى ، مثال ذلك : (اصطرخ) استان من آساتين فارس ، و (يزد) رستاق من رساتيق اصطرخ ، و (نائين) وقرى معها طسوج من طساسيج رستاق يزد ، و (نياستانه) قرية من قرى طسوج (نائين) . و (شهرستان) و (طبرستان) و (خوزستان) مأخوذة من الاستان ، فحَقَّف بحذف الالف (٦) .

والاستان هو (اللواء) في التقسيمات الادارية في العراق والمحافظة في الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية السورية .

الرستاق :

كل موضع فيه مزارع وقرى ولا يقال ذلك للمدن ، وهو اخص من الكورة والاستان (٧) (قضاء في المصطلح الحديث)

الطسوج :

هو اخص واقل من الكورة والرستاق والاستان (٨) (ناحية في المصطلح الحديث) .

الجند :

يرد ذلك في قولهم : جند قنسرين ، وجند فلسطين ، وجند حمص : وجند دمشق ، وجند الاردن ، فهي خمسة اجناد وكلها بالشام ، ولم يستعمل ذلك في غير ارض الشام . وهي كتعبير كورة في فارس (٩) .

اباذ :

يكثر مجيئه في أسماء بلدان وقرى ورساتيق كقولهم : أسد آباز ، ورستم آباز ، فأسد رجل و آباز اسم العمارة بالفارسية ، فمعناه : عمارة أسد وعمارة رستم (١٠) .

(٦) معجم البلدان (٣٧/١) ، أقول : استان أو الكورة هو اللواء ، والرستاق هو القضاء ، والطسوج هو الناحية ، في المصطلحات الادارية المعمول بها في العراق .

(٧) معجم البلدان (٣٧/١ - ٣٨) .

(٨) معجم البلدان (٣٨/١) .

(٩) معجم البلدان (٣٨/١) .

(١٠) معجم البلدان (٣٨/١) .

السكة :

هي الطريق المسلوكة التي تمرّ فيها القوافل من بلد الى آخر . فاذا قيل : من بلد كذا الى بلد كذا سكة ، انما يعنون الطريق ، واذا قيل : من بغداد الى الموصل خمسة سكّ ، فيعنون ان القاصد من بغداد الى الموصل يمكنه ان ياتيها من خمس طرق (١١) .

المصر :

يرد بقولهم : مصّرت مدينة كذا في زمن كذا ، وقولهم : مدينة كذا مصرت الامصار (١٢) .

٣ - العسكرية

الصلح :

يرد في قولنا - مثلاً - فتح بلد كذا صلحا أو عنوة ، ومعنى الصلح من الصلاح ، وهو ضد الفساد ، والصلح في هذه المواضع ضد الخلف . ومعناه : ان المسلمين كانوا اذا نزلوا على حصن أو مدينة وخافهم أهله فخرجوا الى المسلمين وبذلوا لهم عن ناحيتهم مالا أو خراجاً أو وظيفة يوظفونها عليهم ويؤدونها في كل عام على رؤوسهم وأرضهم أو مالا يعجلونه لهم ، أي أنها لم تفتح عن غلبة (١٣) .

السلم :

السلم الصلح ، والسلم بالتحريك ، هو الاستسلام والقاء المقادة الى ارادة المسلمين ، فكانه والصلح متقاربان .

والسلم من السلامة ، أي أنه اذا اتفق الطرفان واصطلحا سلم بعضهم من بعض (١٤) .

(١١) معجم البلدان (٣٨/١) .

(١٢) معجم البلدان (٣٩/١) .

(١٣) معجم البلدان (٤٠/١) .

(١٤) معجم البلدان (٤٠/١) .

العنوة :

نقول : فتح بلد كذا عنوة ، وهو ضد الصلح . والعنوة : أخذ الشيء بالغلبة (١٥) .

الحرب :

الحرب صراع مسلح بين دولتين أو بين فريقين من الدول ، ويكون الغرض منه الدفاع عن حقوق ومصالح الدول المحاربة . فالحرب لا تكون الا بين الدول ، اما النضال المسلح الذي قد يقع بين بعض الجماعات داخل دولة ما ، أو الذي تقوم به جماعة من الافراد ضد دولة اجنبية فلا يعتبر حرباً ولا شأن للقانون الدولي العام به ، بل هو يخضع لاحكام القانون الجنائي للدولة التي يحدث فيها . كذلك لا يعتبر حرباً بالمعنى الدولي ، النضال المسلح الذي يقوم به اقليم تائر في وجه حكومة الدولة التي يتبعها او الذي تقوم به احدى الدول الاعضاء في دولة تعاهدية ضد الحكومة المركزية (١٦) .

الجهاد :

الجهاد في اللغة : بذل الجهد وهو الوسع والطاقة ، أو المبالغة في العمل من الجهد . والجهاد مصدر جاهدت العدو جهادا اذا قاتلته قتالا .

والجهاد : است فراغ الوسع في مقاتلة العدو .

والجهاد ثلاثة أنواع : مجاهدة العدو الظاهر ، ومجاهدة الشيطان ، ومجاهدة النفس .

والجهاد غلب في عرف الشرع على جهاد الكفار ، وهو دعوتهم الى الدين الحق وقتالهم ان لم يقبلوا ، أو هو بذل الوسع والطاقة في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال واللسان (١٧) .

(١٥) معجم البلدان (٤٠/١) .

(١٦) آثار الحرب في الفقه الاسلامي (٢٥) .

(١٧) نفس المصدر (٢١ - ٢٢) .

الجزية :

الجزية هي الضريبة التي توضع على الرؤوس (١٨) ، واسمها مشتق من الجزاء ، والاصل فيها قوله تعالى : (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (١٩) .

والجزية لا تجب الا على الرجال الاحرار العقلاء من اهل الدمة : اليهود والنصارى والمجوس والصائبة (٢٠) ، ولا تؤخذ من المسكين الذي يتصدق عليه ولا من مقعد ولا من اعمى لا حرفة له ، ولا من المترهين واهل الصوامع ان لم يكونوا ذوي يسار (٢١) .

الخراج :

هو ما حصل من ريع الارض او كرائها او اجرة غلام ونحوها ، ويختص غالباً بضريبة الارض (٢٢) .

الفيء :

الفيء هو خراج الارض (٢٢) ، والفيء اسم لما غلب المسلمون عليه من بلاد العدو قسراً بالقتال وجعل موقفاً عليهم (٢٣) . والفيء هو أرض العنة (٢٤) .

الفنيمة :

الفنيمة ، ما غنم من اموال المشركين من الاراضي والاموال (٢٥) . وانها الاموال التي اخذت من المشركين بالقتال (٢٦) .

(١٨) الماوردي (١٤٢) .

(١٩) سورة التوبة (٩ : ٢٩) . انظر تفسيرها في ابن كثير (١٤٤/٤) والبغوي

(١٤٤/٤ - ١٤٧) والكشاف للزمخشري (٣٠/٢) والبيضاوي (٦٥/٣) .

(٢٠) الماوردي (١٤٤) والخراج (١٤٥) .

(٢١) الخراج (١٤٦) والامم للشافعي (٩٧/٤-٩٨) وقادة فتح العراق والجزيرة (٤٧٨-٤٧٩) .

(٢٢) اثار الحرب في الفقه الاسلامي (٥٣٥) .

(٢٣) الخراج (٢٨) .

(٢٤) الخراج في الدولة الاسلامية (١٠٩ - ١١٠) .

(٢٥) معجم البلدان (٤٣/١) .

(٢٦) الخراج في الدولة الاسلامية (١١٠) .

الصدقة :

هي زكاة اموال المسلمين من الذهب والورق والابل والبقر والغنم والحب والتمر (٢٧) .

الخمس :

الخمس هو خمس غنائم اهل الحرب ، ويكون حكمه الى الامام ان رأى ان يجعله فيمن سمى الله جعله ، وان رأى ان الافضل للمسلمين ان يضعه في بيت مالهم لنائبة تنوبهم ومصلحة تعين لهم مثل سد ثغر واعداد سلاح وخيل وارضاق ... الخ (٢٨) .

مبادئ الحرب :

هي الجوهر الذي ينشئ في القائد (السجية) الصحيحة في تصرفاته في الحرب ، وهي العنصر الذي يتكوّن منه مسلك القائد في أعماله بصورة طبيعية وغير متكلفة (٢٩) ، وهذه المبادئ هي :

١ - اختيار المقصد وادامته :

في كل حركة حربية من اللازم اختيار المقصد وتعريفه بوضوح . ان المقصد النهائي هو تحطيم ارادة العدو على القتال . يجب ان توجه كل صفحة من الحرب وكل صفحة منفردة نحو هذا المقصد الاعلى ، ولكن لكل منها له مقصد محدود يجب ان يعرف بوضوح (٣٠) .

٢ - التعرّض :

هو الهجوم على العدو لسحقه ، ولا يتم الحصول على النصر الا بالتعرّض وحده (٣١) .

(٢٧) معجم البلدان (١/٤٣) .

(٢٨) معجم البلدان (١/٤٤) .

(٢٩) الرسول القائد (٣١٢) .

(٣٠) الرسول القائد (٣١٢) .

(٣١) الرسول القائد (٣١٣) .

٣ - المباغتة :

المباغتة أقوى العوامل وأبعدها اثرا في الحرب ، وتأثيرها المعنوي عظيم جدا ، وتأثيرها من الناحية النفسية يكمن فيما تحدثه من شلل متوقع في تفكير القائد الخصم (٣٢) .

والمباغتة القيام بحركة عسكرية لا يتوقعها العدو في الزمان والمكان والأسلوب . أي أن تقوم بحركة في وقت لا يتوقعه العدو ، أو في مكان لا يتوقعه ، أو بأسلوب لا يتوقعه سواء كان ذلك بسلاح جديد أو بخطة عسكرية مبتكرة .

٤ - تحشيد القوة :

هو حشد أعظم قوة أدبية وبدنية ومادية واستخدامها في المكان والزمان الجازمين (٣٣) .

٥ - الاقتصاد بالمجهود :

هو استخدام اصفر القوات للامن أو لتحويل انتباه العدو الى محل آخر ، أو صدّ قوة معادية اكبر منها مع بلوغ الغاية المتوخاة .

ان الاقتصاد بالمجهود يدلّ على الاستخدام المتوازن للقوى ، والتصرف الحكيم بجميع المواد لغرض الحصول على التحشد المؤثر في الزمان والمكان الحاسمين (٣٤) .

٦ - الامن :

هو توفير الحماية للقوة ولمواصلاتها لوقايتها من المباغتة ، ومنع العدو من الحصول على المعلومات (٣٥) .

٧ - المرونة :

هي قوة الحركة وقوة العمل السريع في الحركة والقرارات والخطط (٣٦) .

• (٣٢) الرسول القائد (٣١٤) .

• (٣٣) الرسول القائد (٣١٦) .

• (٣٤) الرسول القائد (٣١٧) .

• (٣٥) الرسول القائد (٣١٨) .

• (٣٦) الرسول القائد (٣١٩) .

٨ - التعاون :

هو توحيد جهود الصنوف كافة والقطعات لبلوغ الفرض المطلوب وهو النصر (٣٧) .

٩ - ادامة المعنويات :

المحافظة على المعنويات العالية والعمل على استمراريتها .

١٠ - الامور الادارية :

هي ادامة القطعات بالسلاح والعتاد والقضايا الصحية والنقلية والرواتب والسكن والتجهيزات والارزاق ... الخ .

الحياد :

هو الحالة القانونية التي توجد فيها النولة التي لا تشتبك في حرب قائمة ، وتستبقى علاقاتها السلمية مع الطرفين المتحاربين .

الهدنة :

اتفاق بين الطرفين المتحاربين بوقف القتال مدة يتفق عليها فيما بينهما، والهدنة اما هدنة عامة او هدنة محلية او جزئية . فالهدنة العامة يسري فيها وقف القتال على جميع القوات المتحاربة ويشمل جميع مناطق القتال . والهدنة المحلية او الجزئية ، هي التي يقتصر وقف القتال فيها على بعض القوات المتحاربة دون بعضها الآخر .

الحصار :

الاحاطة بقرية او بلد سواء كانت محصنة او غير محصنة ، مدافعا عنها او غير مدافع ، لمنع الدخول والخروج منها ، حتى تضطر على التسليم .

المباداة :

تعبير يقصد به من الناحية العسكرية السابق بالعمل لاجبار العدو على تبديل خطته .

(٣٧) الرسول القائد (٣٢٠) .

القاعدة :

هي المنطقة التي يستند اليها الجيش قبل شروعه بالحركات . والقاعدة نوعان : قاعدة الحركات وقاعدة التموين ، وتتوحدان على الاغلب ويندر ان تكونا منفصلتين .

خطوط المواصلات :

هي الخطوط التي تربط الجيش بقاعدته .

الضبط :

اصطلاح عسكري يقصد به ، الحالة النفسية التي تساعد الفرد على عمل واجبه باعتبار أنه ملزم بأدائه سواء كان مراقبا او غير مراقب . او القدرة على حبس بعض الانفعالات غير الاعتيادية كالخوف والفضب والجوع ... الخ . وانجاز العمل المطلوب بحرص وامانة في الحالات الصعبة . وهو اطاعة الاوامر نصا وروحا عن طيبة خاطر وبأمانة واخلاص .

التعبية والسوق :

- ١ - التعبية هي الاعمال العسكرية في المعركة .
 - ٢ - السوق (ستراتييجي) ، هو الاستفادة من المعارك للحصول على الغرض من الحرب .
 - ٣ - ذلك هو تعريف (السوق) و (التعبية) بصورة موجزة للفاية تعطي (فكرة) للمدنيين فقط ، اذ ان لكل من هذين الاصطلاحين تعريفات كثيرة طويلة تستغرق كثيرا من كتب فن الحرب .
- ومن ذلك يتضح ان (السوق) يعني نتائج الحرب كلها ، بينما التعبية تعني نتائج معركة واحدة محلية (٣٨) .

المصادر والمراجع

المصادر

القرآن والتفسير ومعاجم القرآن

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) - الامام الطبري - مطبعة البابي الحلبي بمصر .
- ٣ - تفسير ابن كثير - الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير - مطبعة المنار بمصر - ١٣٤٧ هـ .
- ٤ - تفسير البغوي - الامام البغوي - مطبعة المنار بمصر - ١٣٤٧ هـ - مطبوع في القسم الادنى من صفحات تفسير ابن كثير .
- ٥ - تفسير الكشاف - الامام أبو القاسم جاد الله محمود بن عمر الزمخشري - مطبعة بولاق - مصر - ١٣١٩ هـ - الطبعة الثانية .
- ٦ - تفسير البياضوي (أنوار التنزيل) - الامام البياضوي - مطبعة دار الكتب العربية الكبرى - مصر - ١٣٣٠ هـ .
- ٧ - تفسير المنار - السيد محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا - مطبعة المنار - مصر - ١٣٢٥ هـ - الطبعة الاولى .
- ٨ و ٩ - تفسير الجلالين - جلال الدين محمد بن أحمد المحلي و جلال الدين السيوطي - مطبعة حجازي - القاهرة - مطبوع على هامش القرآن الكريم .
- ١٠ - في ظلال القرآن - سيد قطب - مطبعة دار احياء الكتب العربية - مصر - الطبعة الثانية .
- ١١ - تفسير القرآن الكريم - الشيخ محمود شلتوت - مطبعة دار القلم - مصر - ١٣٧٩ هـ - الطبعة الثانية .
- ١٢ - التفسير الواضح - محمد محمود حجازي - مطبعة دار الكتاب العربي - مصر - ١٣٧٣ هـ - الطبعة الثانية .
- ١٣ - التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن - حنفي أحمد - دار المعارف - مصر - ١٩٦٠ م .
- ١٤ - تفسير سورة النور - أبو الاعلى المودودي - دار الفكر - دمشق - ١٣٧٩ هـ .
- ١٥ - فضائل القرآن - الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير -

- مطبعة المنار - مصر - ١٣٤٧ هـ - في نهاية الجزء الثامن من تفسير ابن كثير .
- ١٦ - القرآن والقتال - الشيخ محمود شلتوت - مطبعة دار الكتاب العربي - مصر - ١٩٥١ م .
- ١٧ - تفصيل آيات القرآن الكريم - وضعه بالفرنسية جول لابوم وترجمه محمد فؤاد عبد الباقي - مطبعة عيسى البابي الحلبي - مصر - ١٣٤٣ هـ - الطبعة الاولى .
- ١٨ - دليل الحيران في الكشف عن آي القرآن - ناظم صالح - المطبعة الحميدية - مصر - ١٣٢٢ هـ .
- ١٩ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي - مطبعة دار الكتب المصرية - ١٣٦٤ هـ .
- ٢٠ - المرشد الى آيات القرآن الكريم وكلماته - محمد فارس بركات - المطبعة الهاشمية - دمشق - ١٣٧٧ هـ .
- ٢١ - كلمات القرآن (تفسير وبيان) - الشيخ حسين محمد مخلوف - دار الكتاب العربي - مصر - ١٣٧٧ هـ - الطبعة الثانية .
- ٢٢ - كتاب المصاحف - الحافظ السجستاني - المطبعة الرحمانية - مصر - ١٣٥٥ هـ .

الحديث الشريف

- ٢٣ - فتح الباري بشرح البخاري - الامام ابن حجر العسقلاني - مطبعة بولاق بمصر - ١٣٠١ هـ .
- ٢٤ - التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح - الحسين بن المبارك - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - ١٣٤٧ هـ .
- ٢٥ - شرح النووي على مسلم - الامام النووي - المطبعة الكستلية - مصر - ١٢٨٣ هـ .
- ٢٦ - مسند الامام احمد بن حنبل - الامام احمد بن حنبل - المطبعة الميمنية - مصر - ١٣١٣ هـ .
- ٢٧ - سنن ابن ماجه - الامام ابن ماجه - المطبعة العلمية - مصر - ١٣١٣ هـ .
- ٢٨ - سنن الترمذي - الامام الترمذي - مطبعة بولاق - مصر - ١٢٩٢ هـ .
- ٢٩ - المنتقى من أخبار المصطفى - عبد السلام بن تيمية الحراني - مطبعة حجازي - مصر - ١٣٥١ هـ - الطبعة الاولى .
- ٣٠ - تيسير الوصول - ابن الربيع الشيباني - المطبعة السلفية - مصر - ١٣٤٦ هـ .

- ٣١ - مفتاح كنوز السنة - وضعه بالانكليزية الدكتور فنسنت وترجمه محمد فؤاد عبد الباقي - مطبعة مصر - مصر - ١٣٥٢ هـ .

الفقه وعلوم الدين

- ٣٢ - الأم - الامام الشافعي - مطبعة بولاق - مصر - ١٣٢٢ هـ - الطبعة الاولى .
 ٣٣ - الخراج - الامام ابو يوسف - المطبعة السلفية - مصر - ١٣٤٦ هـ
 ٣٤ - الخراج - قدامة بن جعفر البغدادي - اعادت مكتبة المثنى ببغداد طبعه - ١٩٦٣ م .
 ٣٥ - المحلى - ابن حزم الاندلسي - المطبعة المنيرية - مصر - ١٣٥٠ هـ .
 ٣٦ - زاد المعاد في هدي خير العباد - ابن القيم الجوزية - مطبعة البابي الحلبي - ١٣٦٩ هـ .
 ٣٧ - كتاب الجهاد وكتاب الجزية وأحكام المحاربين من كتاب اختلاف الفقهاء - محمد بن جرير الطبري - مطبعة ليدن - ١٩٣٣ م .
 ٣٨ - سفرة الزاد لسفرة الجهاد - أبو الثناء شهاب الدين الالوسي - مطبعة دار السلام - بغداد ١٣٣٣ هـ .
 ٣٩ - الاحكام السلطانية - الماوردي - مطبعة مصطفى الحلبي - ١٩٦٤ هـ .

السيرة

- ٤٠ - سيرة النبي صلى الله عليه وسلم - أبو محمد عبد الملك بن هشام - مطبعة حجازي - القاهرة - ١٣٥٦ هـ .
 ٤١ - عيون الأثر - ابن سيد الناس - مطبعة القدسي ومطبعة السعادة - مصر - ١٣٥٦ هـ .
 ٤٢ - جوامع السيرة - ابن حزم الاندلسي - مطبعة دار المعارف - مصر .
 ٤٣ - السيرة الحلبية - علي الحلبي الشافعي - مطبعة مصطفى محمد - مصر .
 ٤٤ - مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم - الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد عبد الوهاب - المطبعة السلفية - مصر - ١٣٧٩ هـ
 ٤٥ - الطبقات الكبرى - ابن سعد - مطبعة دار بيروت وصادر - بيروت - ١٣٧٦ هـ .
 ٤٦ - الاصابة في تمييز الصحابة - الامام أحمد بن علي الكنابي العسقلاني - مطبعة دار السعادة - مصر - ١٣٢٣ هـ .

- ٤٧ - أسد الغابة في معرفة الصحابة - عز الدين ابن الاثير - المطبعة
الاسلامية - طهران - ١٣٧٧ هـ .
- ٤٨ - الاستيعاب في معرفة الاصحاب - ابن عبد البر - مطبعة نهضة
مصر - القاهرة .
- ٤٩ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال - الامام الذهبي - مطبعة السعادة -
مصر - ١٣٢٥ هـ .
- ٥٠ - أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا -
ابن حزم الاندلسي - ملحق بجوامع السيرة - مطبعة دار المعارف -
مصر .
- ٥١ - أسماء الصحابة الرواة - ابن حزم الاندلسي - ملحق بجوامع السيرة -
مطبعة دار المعارف - مصر .
- ٥٢ - المعارف - ابن قتيبة - مطبعة دار الكتب المصرية - مصر - ١٩٦٠ م .
- ٥٣ - تهذيب ابن عساكر - المطبعة العربية - دمشق - ١٣٥١ هـ .
- ٥٤ - تهذيب التهذيب - الامام ابن حجر العسقلاني - مطبعة حيدر آباد
الدكن - الهند - ١٣٢٦ هـ .
- ٥٥ - صفة الصفوة - الامام ابن الجوزي - مطبعة حيدر آباد الدكن -
الهند - ١٣٥٥ هـ .
- ٥٦ - خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال - صفى الدين احمد
الخرجي - المطبعة الخيرية - مصر - ١٣٢٢ هـ .
- ٥٧ - الرياض النضرة في مناقب العشرة - ابو جعفر احمد الشهر بالمحب
الطبري - مطبعة دار التأليف - مصر - ١٣٧٣ هـ .
- ٥٨ - حلية الاولياء وطبقات الاصفياء - الحافظ الاصبهاني - مطبعة
السعادة - مصر - ١٣٥١ هـ .
- ٥٩ - تهذيب الاسماء واللفات - الامام النووي - المطبعة المنيرية - مصر .
- ٦٠ - الولاة والقضاة - ابو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري - مطبعة
الآباء اليسوعيين - بيروت - ١٩٠٨ م .
- ٦١ - الوزراء والكتاب - ابو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشيارى -
مطبعة حنفي - مصر - ١٣٥٧ - الطبعة الاولى .
- ٦٢ - ذيل المذيل - الامام الطبري - المطبعة الحسينية - مصر - طبع في
آخر تاريخ الطبري .
- ٦٣ - تجريد أسماء الصحابة - عز الدين ابن الاثير - مطبعة دائرة المعارف
النظامية - حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣١٥ هـ - الطبعة الاولى .
- ٦٤ - وفيات الاعيان - ابن خلكان - مطبعة السعادة - مصر - ١٣٦٧ هـ -
الطبعة الاولى .

- ٦٥ - الحلة السراء - أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الإبار - الشركة العربية للطباعة والنشر - مصر - ١٩٦٣ م .
- ٦٦ - سير أعلام النبلاء - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - دار المعارف - مصر - ١٩٦٢ م .
- ٦٧ - طبقات الشعراء - ابن المعتز - دار المعارف - مصر .
- ٦٨ - تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) - الإمام محمد بن جرير الطبري - مطبعة الاستقامة - مصر - ١٣٤٧ هـ .
- ٦٩ - تاريخ ابن الأثير (الكامل) - عز الدين بن الأثير - مطبعة ذات التحرير - مصر - ١٣٠٣ هـ .
- ٧٠ - مروج الذهب - المسعودي - مطبعة ذات التحرير - مصر - ١٣٠٣ هـ - طبع على هامش ابن الأثير .
- ٧١ - البلاذري (فتوح البلدان) - أبو الحسن البلاذري - مطبعة السعادة - مصر - ١٩٥٩ م .
- ٧٢ - فتوح الشام - الواقدي - مطبعة دار العهد الجديد - مصر - ١٣٧٣ م .
- ٧٣ - تاريخ أبي الفدا (المختصر من أخبار البشر) - أبو الفدا - المطبعة الحسينية - مصر - ١٣٢٥ هـ .
- ٧٤ - تاريخ اليعقوبي - أحمد بن يعقوب - مطبعة الفري - النجف - ١٣٥٨ هـ .
- ٧٥ - تاريخ ابن خلدون - ابن خلدون - مطبعة بولاق - مصر - ١٢٨٤ هـ .
- ٧٦ - مقدمة ابن خلدون - ابن خلدون - مطبعة مصطفى محمد - مصر .
- ٧٧ - تاريخ عمر بن الخطاب - ابن الجوزي - مطبعة محمد علي صبيح - مصر .
- ٧٨ - البداية والنهاية - عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير - مطبعة السعادة - مصر .
- ٧٩ - شذرات الذهب - ابن العماد الحنبلي - مطبعة القدس - مصر - ١٣٥٠ هـ .
- ٨٠ - دول الاسلام - شمس الدين الذهبي - مطبعة حيدر آباد الدكن - الهند .
- ٨١ - تاريخ الاسلام - شمس الدين الذهبي - مطبعة السعادة - مصر .
- ٨٢ - البدء والتاريخ - المنسوب لابن البلخي وهو لطهر بن طاهر المقدسي - طبع بباريس - ١٩١٦ م .
- ٨٣ - العبر في خبر من غبر - الحافظ الذهبي - مطابع حكومة الكويت - الكويت - ١٩٦٠ م .

- ٨٤ - تاريخ الخلفاء - الامام السيوطي - المطبعة المنيرية - مصر - ١٣٥١ هـ
- ٨٥ - فتوح مصر والمغرب - ابن عبد الحكم - مطابع لجنة البيان العربي - مصر .
- ٨٦ - تاريخ الخميس - حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري - مطبعة عثمان عبد الرزاق - مصر - ١٣٠٢ هـ - مصر - الطبعة الاولى .
- ٨٧ - ذكر أخبار اصبهان - مطبعة لندن - ١٩٣١ .
- ٨٨ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - بن تغري بردي الاتاكي - مطبعة دار الكتب المصرية - مصر - ١٣٤٨ هـ .
- ٨٩ - الامامة والسياسة - ابن قتيبة الدينوري - مطبعة البابي الحلبي - مصر - ١٣٧٧ هـ .
- ٩٠ - الاستقصا لدول المغرب الاقصا - ابو العباس احمد بن خالد الناصري - مطبعة دار الكتاب العربي - الدار البيضاء في المغرب - ١٩٥٤ .
- ٩١ - ايران في عهد الساسانيين - كرستنسن - ترجمة الدكتور يحيى الخشاب - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٥٧ م .

الجغرافية

- ٩٢ - المسالك والممالك - الاصطخري - مطبعة دار القلم - القاهرة - ١٣٨١ هـ .
- ٩٣ - المسالك والممالك - ابن خرداذبة - أعادت طبعه مكتبة المثنى ببغداد - ١٩٦٣ م .
- ٩٤ - معجم البلدان - ياقوت الحموي - مطبعة دار السعادة - مصر - ١٣٢٣ هـ .
- ٩٥ - المشترك وضعاً والمفترق صقماً - ياقوت الحموي - طبع سنة ١٨٤٦ م وأعادت طبعه مكتبة المثنى ببغداد سنة ١٩٦٣ م .
- ٩٦ - آثار البلاد وأخبار العباد - زكريا القزويني - مطبعة دار صادر ودار بيروت - بيروت - ١٣٨٠ هـ .
- ٩٧ - تقويم البلدان - أبو الفدا - مطبعة باريس بدار الطباعة السلطانية - باريس - ١٨٤٠ هـ .
- ٩٨ - أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم - المقدسي المعروف بالبشاري - مطبعة بريل - لندن - ١٩٠٦ م .
- ٩٩ - زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك - غرض الدين خليل بن شاهين الظاهري - مطبعة الجمهورية - باريس - ١٨٩٤ م .

- ١٠٠ - البلدان - أبو بكر أحمد بن إبراهيم الهمداني المعروف بابن الفقيه - مطبعة بريل - لندن - ١٨٩١ م .
- ١٠١ - البلدان - أحمد بن يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي - مطبعة بريل - لندن - ١٨٩١ م .
- ١٠٢ - زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك - طبع باريس - ١٨٩٢
- ١٠٣ - مرآة الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع .
- ١٠٤ - صفة المغرب - أحمد بن يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي - مطبعة بريل - لندن .
- ١٠٥ - أطلس العالم الاسلامي - هاري هازار - مطبعة مصر - القاهرة .
- ١٠٦ - بلدان الخلافة الشرقية - لسترنج - ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد - مطبوعات المجمع العلمي العراقي - بغداد .

الانساب

- ١٠٧ - جمهرة انساب العرب - ابن حزم الاندلسي - مطبعة دار القلم - القاهرة - ١٣٨٢ هـ .
- ١٠٨ - نسب قریش - المصعب الزبيري - دار الطباعة - مصر - ١٩٥٧ م .
- ١٠٩ - انساب الاشراف - البلاذري - مطبعة دار المعارف - مصر .
- ١١٠ - الانساب المتفقة - ابن القيسراني - مطبعة بريل - لندن - أعادت طبعه مكتبة المشى ببغداد - ١٩٦٣ م .
- ١١١ - نهاية الارب في معرفة انساب العرب - أبو العباس أحمد القلقشندي - تحقيق إبراهيم الاياري - الشركة العربية للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٥٩ - الطبعة الاولى .

الادب

- ١١٢ - العقد الفريد - ابن عبد ربه - المطبعة الازهرية - مصر - ١٣٤٦ هـ .
- ١١٣ - الكامل - أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالبرد - مطبعة محمد علي صبيح - مصر - ١٣٤٧ هـ .
- ١١٤ - رغبة الأمل في شرح كتاب الكامل - سيد علي المرصفي - مطبعة النهضة - مصر - ١٣٤٦ هـ .
- ١١٥ - عيون الاخبار - ابن قتيبة - مطبعة دار الكتب - مصر - ١٣٤٣ هـ .
- ١١٦ - البيان والتبيين - الجاحظ - مطبعة الاستقامة - القاهرة - ١٣٧٥ هـ - الطبعة الرابعة .
- ١١٧ - الاغاني - الاصبهاني - دار الفكر - بيروت .

- ١١٨ - خزانة الادب ولب لباب لسان العرب - عبد القادر بن عمر البغدادي
 ١١٩ - بلوغ الارب - محمود شكري الالوسي - مطابع دار الكتاب العربي -
 مصر - الطبعة الثالثة .
 ١٢٠ - الغرباء - يوسف محمد البلوي - المطبعة الوهبية - مصر - ١٢٨٧ هـ

المعجم

- ١٢١ - لسان العرب - ابن منظور - مطبعة بولاق - مصر - ١٣٠١ هـ .
 ١٢٢ - ترتيب القاموس المحيط - طاهر احمد الزاوي - مطبعة الرسالة -
 مصر - ١٩٥٩ م .
 ١٢٣ - تاج العروس .
 ١٢٤ - مختار الصحاح - محمد بن ابي بكر الرازي - المطبعة الاميرية -
 القاهرة - ١٣٣٤ هـ - الطبعة الخامسة .
 ١٢٥ - المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بمصر - مطبعة مصر - مصر -
 ١٣٨٠ هـ .

متفرقة

- ١٢٦ - رحلة ابن جبير - محمد بن احمد بن جبير - مطبعة حنفي - مصر -
 ١٣٥٦ هـ .
 ١٢٧ - الاصنام - ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي - المطبعة
 الاميرية - القاهرة - ١٣٣٢ هـ .
 ١٢٨ - مختصر سياسة الحروب - الهرثمي - مطبعة مصر - القاهرة -
 ١٩٦٤ م .
 ١٢٩ - حلية الفرسان وشعار الشجعان - علي بن عبد الرحمن بن هذيل
 الاندلسي - دار المعارف - مصر - ١٩٥١ .
 ١٣٠ - نواذر المخطوطات - تحقيق عبد السلام هارون - المجموعة الثانية -
 مطبعة السعادة - مصر - ١٣٧١ هـ .

المراجع

التاريخ والسير

- ١ - الفتوحات الاسلامية - زيني دحلان - مطبعة مصطفى محمد - مصر - ١٣٥٤ هـ .
- ٢ - فجر الاسلام - أحمد أمين .
- ٣ - أيام العرب في الجاهلية - محمد أحمد جاد المولى ورفقاؤه .
- ٤ - الخلفاء الراشدون - عبد الوهاب النجار - الطبعة الثانية - ١٩٦٠ .
- ٥ - أخبار عمر - علي الطنطاوي وأخوه - مطابع دار الفكر - دمشق - ١٣٧٩ هـ - الطبعة الاولى .
- ٦ - أيام العرب في الاسلام - محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي .
- ٧ - الاعلام - خير الدين الزركلي - الطبعة الثانية .
- ٨ - حياة محمد - محمد حسين هيكل - الطبعة الخامسة - ١٩٥٢ م .
- ٩ - الصديق أبو بكر - محمد حسين هيكل - مطبعة مصر - القاهرة - ١٣٧٧ هـ .
- ١٠ - في منزل الوحي - محمد حسين هيكل - الطبعة الاولى .
- ١١ - عبقرية الصديق - عباس محمود العقاد - مطبعة المعارف - مصر - ١٩٤٣ م .
- ١٢ - عبقرية عمر - عباس محمود العقاد - ١٣٧٩ هـ - الطبعة السادسة .
- ١٣ - عبقرية خالد - عباس محمود العقاد - مطابع دار الهلال - مصر .
- ١٤ - زعماء الاسلام - حسن إبراهيم حسن - المطبعة النموذجية - مصر - ١٩٥٣ م - الطبعة الاولى .
- ١٥ - الشخصيات البارزة التاريخية - أحمد فريد رفاعي - مطبعة المعارف - مصر - ١٣٥٢ هـ - الطبعة الاولى .
- ١٦ - الشيخان - طه حسين - مطابع دار المعارف - مصر - ١٩٦٠ م .
- ١٧ - عثمان - طه حسين - مطابع دار المعارف - مصر - الطبعة الاولى .
- ١٨ - علي وبنوه - طه حسين - مطابع دار المعارف - مصر - الطبعة الاولى .
- ١٩ - شهداء الاسلام في عهد النبوة - علي سامي النشار - الطبعة الاولى - مصر .
- ٢٠ - الامبراطورية الاسلامية - محمد حسين هيكل - مصر - الطبعة الاولى .

- ٢١ - خريجو مدرسة محمد - إبراهيم الواعظ - بغداد - الطبعة الاولى .
 ٢٢ - عمر بن الخطاب - محمد صبيح - دار القاهرة - مصر - ١٩٥٨ م .
 ٢٣ - غزوة أحد - محمد أحمد باشميل - مطبعة دار الكتب - بيروت -
 ١٣٨٥ هـ - الطبعة الثانية .
 ٢٤ - الرسول القائد - محمود شيت خطاب - مطبعة دار القلم - القاهرة -
 ١٣٨٤ هـ - الطبعة الثالثة .
 ٢٥ - قادة فتح العراق والجزيرة - مطبعة دار القلم - القاهرة -
 ١٣٨٣ هـ - الطبعة الاولى .
 ٢٦ - قادة فتح الشام ومصر - محمود شيت خطاب - بيروت - ١٣٨٥ هـ -
 الطبعة الاولى .
 ٢٧ - الفاروق القائد - محمود شيت خطاب - مطبعة العاني - بغداد -
 ١٣٨٤ هـ - الطبعة الاولى .

الكتب الاسلامية

- ٢٨ - الجهاد في الاسلام - حامد مصطفى - مطبعة المعارف - بغداد -
 الطبعة الاولى .
 ٢٩ - الجهاد في الاسلام - محمد شديد - مؤسسة المطبوعات الحديثة -
 مصر - الطبعة الاولى .
 ٣٠ - نظم الحرب في الاسلام - جمال الدين عياد - القاهرة - الطبعة الاولى .
 ٣١ - شريعة الحرب في الاسلام - محمد المعراوي - طبعة علي الرونيو .
 ٣٢ - نظام السلم والحرب في الاسلام - مصطفى السباعي - مطابع دار
 الكشف - بيروت .
 ٣٣ - الفن الحربي في صدر الإسلام - عبد الرؤوف عون - مطابع دار
 المعارف - مصر .
 ٣٤ - آثار الحرب في الفقه الاسلامي - وهبة الزحيلي - مطابع دار الفكر -
 دمشق - ١٣٨٢ هـ .
 ٣٥ - الخراج في الدولة الاسلامية - محمد ضياء الدين الريس - مطبعة
 نهضة مصر - القاهرة - الطبعة الاولى .
 ٣٦ - الاسلام والسلام العالمي - سيد قطب - مطبعة الاعتماد - مصر -
 الطبعة الثانية .
 ٣٧ - الجزية والاسلام - دانييل دينيت - الطبعة الاولى .
 ٣٨ - الشرع الدولي في الاسلام - نجيب الارمنازي - الطبعة الاولى .
 ٣٩ - السلام والحرب في الاسلام - محمد فرج - مصر - الطبعة الاولى .
 ٤٠ - الجندية - واقع ومثال - امين الخولي - دار المعرفة - مصر - ١٩٦٠

- ٤١ - القادة الرسل - أمين الخولي - مصر - الطبعة الاولى .
- ٤٢ - منهاج الحكم في الاسلام - محمد اسد - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الاولى .
- ٤٣ - النظريات السياسية الاسلامية - محمد ضياء الدين الريس - مطبعة لجنة البيان العربي - مصر - ١٩٥٢ م - الطبعة الاولى .
- ٤٤ - الاسلام عقيدة وشريعة - محمود شلتوت - مطبعة دار القلم - مصر .
- ٤٥ - من توجهات الاسلام - محمود شلتوت - مطبعة الازهر - مصر .
- ٤٦ - حقائق الاسلام وأباطيل خصومه - عباس محمود العقاد - مطبعة مصر - مصر - ١٣٧٦ هـ .
- ٤٧ - اشتراكية الاسلام - مصطفى السباعي - دار المطبوعات العربية - دمشق - الطبعة الثانية .
- ٤٨ - نظرات في كتاب اشتراكية الاسلام - محمد الحامد - مطبعة العلم - دمشق - ١٣٨٢ هـ .
- ٤٩ - النزعة الاشتراكية في الاسلام - انور الخطيب - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الاولى .
- ٥٠ - مبادئ الاسلام - ابو الاعلى المودودي - المطبعة الهاشمية - دمشق - ١٣٧٣ هـ .
- ٥١ - الاشتراكية في الاسلام - طه المدور - الطبعة الاولى .
- المودودي - دار الفكر - دمشق .
- ٥٢ - نظرية الاسلام وهدية في السياسة والقانون والدستور - ابو الاعلى
- ٥٣ - الادارة الاسلامية في عز العرب - محمد كرد علي - مطبعة مصر - القاهرة - ١٩٣٤ م .
- ٥٤ - السياسة الشرعية - ابن تيمية .

قوانين وحضارة

- ٥٥ - التشريع الجنائي الاسلامي - عبد القادر عودة - مصر - الطبعة الاولى .
- ٥٦ - قانون الحرب والحياد - سامي جنيئة - مصر - الطبعة الاولى .
- ٥٧ - مبادئ القانون الدولي العام - محمد حافظ غانم - مصر - الطبعة الاولى .
- ٥٨ - الحضارة العربية - ي. هل - سلسلة الالف كتاب - الطبعة الاولى - مصر .
- ٥٩ - حضارة الاسلام - جوستاف - جروينباوم - مصر - الطبعة الاولى .

عسكرية

- ٦٠ - الجغرافية العسكرية - طه الهاشمي - بغداد - الطبعة الاولى .
- ٦١ - القضايا الادارية في الميدان - محمود شيت خطاب - بغداد - مطبعة الجيش - الطبعة الاولى .
- ٦٢ - الامة في الحرب - المثير فون لوندروف - مطبعة الشعب - بغداد - ١٩٥٦ م .
- ٦٣ - نظمات الخدمة السفيرية - كتاب رسمي - مطبعة الجيش - بغداد .
- ٦٤ - ادارة الحرب - كتاب رسمي - مطبعة الجيش - بغداد .
- ٦٥ - فوج مشاة في المعركة - كتاب رسمي - مطبعة الجيش - بغداد .
- ٦٦ - الفرقة في المعركة - كتاب رسمي - مطبعة الجيش - بغداد .
- ٦٧ - محاضرات كلية الاركمان العراقية - محاضرات رسمية - بغداد .
- ٦٨ - محاضرات دورة الاقدمين في انكلترا - محاضرات رسمية - انكلترا .

مجلات

- ٦٩ - مجلة مجلس الدولة الصادرة سنة ١٩٦٠ م في مقال : ميثاق الامم والشعوب في الاسلام - مصر .
- ٧٠ - مجلة الرسالة المصرية - المعدادان (٤٩٣ و ٤٩٥) - مقالان عن التلبائي - عباس محمود العقاد - القاهرة .
- ٧١ - مجلة المجمع العلمي العراقي - الجزء (٢) المجلد الرابع - مقال عن جيش المسلمين في عهد بني امية - محمود شيت خطاب - المجمع العلمي العراقي - بغداد .
- ٧٢ - مجلة المجمع العلمي العراقي - المجلد الخامس - مقال : القتال في الاسلام - محمود شيت خطاب - المجمع العلمي العراقي - بغداد .
- ٧٣ - المجلة المصرية للقانون الدولي - المجلد الخامس - ١٩٤٩ م - مقال القانون الدولي العام في الاسلام - محمد عبدالله دراز - القاهرة .
- ٧٤ - المجلة المصرية للقانون الدولي - المجلد الرابع عشر - ١٩٥٨ م - مقال : نظرية الحرب في الاسلام - محمد أبو زهرة - القاهرة .

المصادر الاجنبية

- 75 - The spirit of Islam - By Sayed Amir Ali.
- 76 - Life of Mahomet - By Sir William Muire.
- 77 - Mohammad - By Margaliouth
- 78 - Quran and war - By Maulvi Sadr-ud-Din.
- 79 - War and religion - By Muhammad Marmaduke Pickthal.
- 80 - The Battafielde of the Prophet Muhammad - By Muhammad Hamidullah.
- 81 - Encyclopedia Brilannica.
- 82 - Chamber's Encyclopedia
- 83 - Islam's contribution to the peace of the world - By A. Haque.

الفهارس

- ١ - الاعلام .
- ٢ - الاماكن .
- ٣ - الخرائط .
- ٤ - الموضوعات العامة .

الأعلام

(١)

- ابراهيم بن أبي موسى الاشعري : ١٨٠ .
- أبرويز (مرزبان زرنج) : ١٦٧ .
- ابن حوقل : ٢٠ - ٤٥ .
- ابن سعد (محمد بن سعد صاحب الطبقات الكبرى) : ١١٨ .
- ابن النديم (صاحب الفهرست) : ٣٨ .
- ابن المديني : ١٨٥ .
- أبو بكر الصديق : ٩٠ - ٩٧ هـ - ٩٩ - ١٠٠ - ١١٤ - ١١٦ - ١٢٣ -
- ١٣٢ - ١٣٤ - ١٣٧ - ١٤٢ - ١٨١ - ١٩٦ - ١٩٨ - ٢٣٣ هـ -
- ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٧ - ٢٧١ - ٢٨٠ - ٣٠٢ -
- ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣٢٥ -
- ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٧ .
- أبو جهل (عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي) : ٣٣٥ .
- أبو دجاجة (سماك بن خرشة) : ٢٠٦ .
- أبو ذر الغفاري : ٢٣٥ .
- أبو سيرة بن أبي رهم العامري : ٨٢ - ١٠٢ - ١٣٥ - ١٥٢ - ١٥٥ - ١٥٦ -
- ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٨١ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٥٢ .
- أبو سفيان بن حرب : ١١٠ - ٢٥٠ .
- أبو عامر الاشعري (عبيد بن سليم) : ١٧٩ .
- أبو عبيدة بن الجراح : ٩١ - ١١٣ - ١٨١ - ٣٠٤ - ٣١٠ - ٣١٤ -
- ٣٢٠ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٣٥ .
- أبو عبيد بن مسعود الثقفي : ١٢٥ - ١٣٨ - ١٤٢ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٧ -
- ٣١٨ .
- أبو العلاء المعري : ٣٢ هـ .
- أبو مدلاج التميمي : ٣٢٧ .
- أبو موسى الاشعري : ٨٣ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١١٢ - ١١٤ - ١٢٠ - ١٢٢ -
- ١٣١ - ١٣٥ - ١٤٩ - ١٥٧ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٩ - ١٧٨ -
- ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ -
- ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ٢٠٩ - ٢٢٩ -
- ٢٢٠ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٤٠ - ٢٥٧ هـ - ٢٦٦ - ٣٢٤ - ٣٣٨ .

- أبو هريرة (الصحابي) : ٢٥٠ .
 أبو وائل (شقيق بن سلمة) : ٣٣٤ .
 أبو يوسف (الامام يعقوب بن ابراهيم صاحب أبي حنيفة) : ٣٢٧ .
 أبي بن كعب : ١٨٦ - ٢٦٣ .
 أحمد حسن الزيات : ٢٧٤ هـ .
 الاحنف بن قيس التميمي : ٨٤ - ١٥٣ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٦٨ - ٢١٥ -
 ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ -
 ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ -
 ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ -
 ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٣٠٨ - ٣١٥ - ٣٢٤ .
 الاخطل بن قرط الباهلي : ٢١٧ .
 أذر بن نرسي بن هرمزد الثاني : ٥٢ .
 أذين (قائد الفرس في معركة ماسبذان) : ٩٣ .
 آرثر كرسنتسن : ١١ - ١٢ هـ .
 اردشير بن بابك : ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٣٠ - ٣٤ - ٣٨ - ٤٠ -
 ٤٦ - ٥١ - ٥٤ - ٦٤ - ٦٧ - ١٣٧ هـ - ١٦٥ هـ .
 اردشير الثالث بن شيروية (قباد الثاني) : ٦٠ .
 اردشير الثاني بن هرمزد الثاني : ٥٣ .
 اردوان (آخر ملوك الاشكانيين) : ٥١ .
 آزر ميدخت (أخت بوران بنت كسرى أبرويز) : ٦١ .
 أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي : ١٠٠ - ١٣١ هـ - ١٥٥ - ١٩٦ - ٣٠٢ -
 ٣٣٢ - ٣١٥ - ٣٠٣ .
 اسفنديار (أمير اذربيجان وأخو رستم قائد الفرس في القادسية) : ١٢٥ -
 ٢٠٦ .
 الاسكندر المقدوني (الكبير) : ١٣ - ٤٦ .
 الاسود بن ربيعة (المقترّب) : ١٥٨ - ١٦١ .
 الاسود العنسي : ١٨٠ .
 أسيد بن أبي اياس بن زعيم الكناني : ٢٧٣ هـ .
 أسيد بن المتشمس التميمي : ٢٣٩ .
 الاشعث بن قيس : ١٠٠ هـ - ١٠٣ - ١٢٤ هـ .
 الاقرع بن حابس التميمي : ٢٢٧ .
 اكيدر بن عبد الملك : ٢٨٠ .
 أم أيمن (أم اسامة بن زيد) : ٣٣٤ .
 أم جميل (التي حمت في الجاهلية ضرار بن الخطاب) : ٩٣ .
 أم غيلان : ٩٢ .

- أم كلثوم بنت سهل بن عمرو : ١٥٥ .
- أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب : ١٧٥ .
- أنس بن مالك : ١٥٧ - ٢٢٠ - ٣٢٤ .
- أنوشروان (كسرى الاول) : ٤٤ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ -
- ٦٢ - ٦٦ - ٦٧ - ٧٠ - ٧٢ - ٧٧ .
- أهورا مزدا (إله الخير للزردشت) : ٣٢ - ٣٣ .
- أوس بن عوف الثقفي : ٢٦٢ هـ .
- أوغسطين (سانت أوغسطين) : ٤١ .

(ب)

- بابك بن ساسان : ١٦ - ٥١ .
- بحر بن الاحنف بن قيس التميمي : ٢١٨ .
- البخاري (الامام المحدث) : ٢٥٥ .
- بختنصر (ملك بابل) : ١٥ .
- البراء بن عازب الانصاري : ٨٣ - ٨٧ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ -
- ١٣٤ .
- برزويه : ٧٧ .
- برة بنت عبدالمطلب بن هاشم : ١٥٩ .
- برون (الاستاذ) : ٣٩ .
- برويز (كسرى) : ٦٠ - ٦٧ .
- بشر بن كعب الحميري : ٣٢٢ .
- بكير بن عبدالله الليثي : ٨٤ - ١١٢ - ٢٠٣ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ -
- ٢٠٨ - ٢١٠ - ٢١١ .
- بلاش بن يزددجرد الثاني : ٥٤ - ٥٥ .
- بلال بن رباح الحبشي : ٢٦٢ .
- بهرام الثاني بن بهرام الاول بن سابور : ٥١ .
- بهرام الثالث بن بهرام الثاني : ٥٢ .
- بهرام جوبين (القائد الذي ثار على هرمزد الرابع) : ٥٩ .
- بهرام الاول بن سابور : ٤٠ - ٤١ - ٥١ - ٦٧ .
- بهرام الرابع بن سابور الثاني : ٥٣ .
- بهرام الخامس بن يزددجرد الاول : ٥٣ - ٥٤ - ٦٣ .
- بوران بنت كسرى أبرويز : ٦٠ .
- بيروزان (قائد هرمز) : ٦١ .
- البيروني : ٣٥ هـ - ٣٧ هـ .

(ث)

- ثابت بن وقش الانصاري : ١٠٨ .
- الثعالبي : ٤٣ .

(ج)

- جابر الاسدي : ٢٨٢ هـ .
- الجارود بن المولى العبدى : ٢٥١ .
- الجاحظ : ٦٧ .
- جاكسن (الاستاذ) : ٣١ .
- جاماسب بن فيروز : ٥٥ .
- جرير بن عبدالله البجلي : ٨٢ - ٨٧ - ١٢٤ هـ - ١٢٥ هـ - ٣١٠ .
- جزء بن معاوية التميمي : ٨٢ - ١٣٥ - ١٤٠ - ١٤٤ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ .
- جعفر بن أبي طالب : ١٧٩ .
- جوتجهر (ملك اصطخر) : ١٦ .

(ح)

- حبة بنت عمرو بن قرط (الباهلية) (ام الاحنف بن قيس) : ٢١٧ .
- حبيب بن مسلمة : ٢١٠ - ٢١١ .
- الحجاج بن يوسف الثقفي : ١٠٣ هـ - ٢٦٧ .
- حجر بن عدي الكندي : ١٧١ .
- حذيفة بن أسيد الفغاري : ٢٠٩ - ٢١١ .
- حذيفة بن اليمان العبسي : ٨٣ - ٨٧ - ١٠٥ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٩ - ١٢٤ - ١٣٢ هـ - ١٥٦ - ١٨٢ هـ - ١٩٧ - ٣٣٤ .
- حرب بن أمية : ٢٤٩ .
- حرقوص بن زهير السعدي التميمي : ٨٢ - ١٣٥ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤٤ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ .
- حرملة بن مريطة التميمي : ٨٢ - ١٣٥ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٧ - ١٤٩ .
- حسل بن جابر (اليمان) : ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ .
- الحسن البصري : ١٦٨ - ١٧١ - ١٨٥ - ٢٣٥ - ٢٤٠ .
- الحسن بن علي بن أبي طالب : ١٨٤ .
- الحكم بن أبي العاص الثقفي : ٨٤ - ٢٤٧ - ٢٥٧ هـ - ٢٦٥ - ٢٧٠ - ٢٧٢ .

- الحكم بن عمرو بن وهب الثقفي : ٢٦٢ هـ .
- الحكم بن عمير الثقفي : ٨٥ - ٢٩١ - ٢٩٣ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٣٢٤ .
- حكيم بن جبلة : ٢٩٦ .
- حمال بن مالك الاسدي : ٢٨٣ .
- حمزة بن عبد المطلب : ٣١١ .
- حنتمة بنت هاشم بن المغيرة (أم عمر بن الخطاب) : ٣٣٦ .
- حنظلة بن زيد الخيل : ١٣١ .

(خ)

- خالد بن سعيد بن العاص : ٣٠٤ .
- خالد بن صفوان : ٢٣٢ .
- خالد بن الوليد : ٩ - ٩١ - ٩٨ هـ - ١٠٧ - ١٢٣ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٤٢ - ١٩٦ - ١٩٨ - ٢٢٧ هـ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٣٠٤ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٥ .
- الخطاب بن مرداس الفهري : ٨٩ .
- الخطاب بن نفيل المدوي : ٣٣٦ .
- الخوارزمي : ٢٨ .

(د)

- دارا الاول : ١٢ - ٤٦ .
- دروج اهرمن (اله الشر للزردشت) : ٣٢ .
- دريد بن الصمة : ١٧٩ هـ .
- دينار (أمير ماه دينار) : ١٠٨ هـ .
- الدينوري : ٤٢ .

(ر)

- الرباب بنت كعب الانصارية (أم حذيفة بن اليمان) : ١٠٩ .
- ربيع بن عامر التميمي : ٢٢٣ .
- الربيع بن زياد الحارثي : ٨٣ - ١٣٥ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ٢٨٦ هـ .
- الربيل الاسدي : ٢٨٣ .
- رزبان صول بن رزبان (ملك جرجان) : ١٩٧ .
- رستم (قائد الفرس في القادسية) : ٤٨ - ٦١ - ٧٨ - ١٠١ .

(ز)

الزبير بن العوام : ١٥٠ - ١٥١ هـ - ١٥٥ - ١٧٥ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٣٢٤ -

زر بن عبد الله القيمي : ٨٣ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ -

زردشت : ١٤ - ١٥ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٦ - ٥٠ - ٦٤ - ٧٨ -

زياد بن ابي سفيان : ١٥٣ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ٢٣١ - ٢٤٣ - ٢٦٧ -

زيد بن ثابت الانصاري : ١٨٥ -

زيد بن حارثة الكلبي : ٣٠٢ -

زيد بن الخطاب : ٩٠ هـ .

الزبيني (ابو الفرخان) امير الري : ١٢٥ - ١٢٦ -

(س)

السائب بن الاقرع الثقفي : ٨٣ - ٨٧ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ - ٣١٠ -

سابور الاول بن اردشير : ٢٣ - ٣٠ - ٣٨ - ٤٠ - ٥١ -

سابور بن بابك : ١٦ - ٥١ - ٦٧ -

سابور الثالث بن سابور الثاني : ٥٣ -

سابور الثاني بن هرمزد الثاني : ٥٢ - ٥٣ -

سابور بن يزدجرد الاول : ٥٣ .

سارية بن زعيم الكناني : ٨٤ - ٢٤٧ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٣٢٤ -

ساسان (ابو الساسانيين) : ١٦ - ٥١ -

سالم بن عبد الله : ٣١١ - ٣١٥ -

سراقة بن عمرو ذو النور : ٨٤ - ٢٠٣ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ -

٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ -

سعد بن ابي وقاص : ١١ - ٦١ - ٧٨ - ٩١ - ٩٤ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ -

١٠٣ - ١٠٧ - ١١١ - ١١٤ - ١١٥ - ١٢٣ - ١٣٨ - ١٤٣ - ١٤٩ -

١٥٦ - ١٨٥ - ١٩٧ - ١٩٨ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٢٩ - ٢٥٢ - ٢٥٣ -

٢٥٤ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٣٠٦ - ٣٠٩ - ٣١٨ -

٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣٥ -

سعد بن عباد : ٣١٤ -

سعد بن عميلة : ١٠١ -

سعيد بن حذيفة بن اليمان : ١٠٩ - ١١٥ -

سعيد بن العاص : ١١٤ - ١٧٨ - ١٩٨ هـ
 سلمان بن ربيعة الباهلي : ٢١٠ هـ - ٢١١ - ٣٢٣
 سلمان الفارسي : ١٣ هـ - ٣٤ - ١١٤ - ١١٥
 سلمة بن ثابت بن وقش : ١٠٩
 سلمة بن سلامة بن وقش : ١٥٥
 سلمة بن عبد الاسد المخزومي : ١٥٩
 سلمة بن عدي : ١٥٧
 سلمة بن قيس الاشجعي : ٨٢ - ١٣٥ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٦ - ١٧٧
 سلمى بن القين التميمي : ٨٢ - ١٣٥ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠ -
 ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٩
 سليط بن قيس : ٣٠٦
 سمالك بن خرشة الانصاري : ٢٠٦ - ٢٠٧
 سمالك بن مخرمة : ١٩٧
 سنان بن مقرن المزني : ٩٧
 سهيل بن عدي الخزرجي : ٨٤ - ١٢٠ - ٢٩١ - ٢٩٣ - ٣٢٣ - ٣٢٤
 سويد بن مقرن المزني : ٨٤ - ٩٧ - ٩٩ - ١٢٧ - ١٩٣ - ١٩٥ - ١٩٦ -
 ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١
 سياوخش بن مهران (ملك الري) : ١٢٦

(ش)

شرحبيل بن حسنة : ٢٢٧ هـ - ٣٠٤ - ٣٠٦ - ٣٢٢
 شرحبيل بن غيلاب : ٢٦٢ هـ
 الشعبي (عامر بن شراحيل) : ١٨٥
 الشماخ (الشاعر) : ٢٠٨ هـ
 شهاب بن المخارق : ٢٩٣
 الشهرستاني (أبو الفتح عبد الكريم) : ٣٢ هـ - ٣٤ .
 شهریار بن كسرى الثاني : ٦٠
 شهریار (ملك باب الابواب) : ٢١٠
 شمرين (عشيقه كسرى الثاني) : ٦٠

(ص)

صحار العبدی : ٢٩٦
 الاصطخري (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري) : ٤٥ .
 الصعبة بنت الحضرمي : ٢٥٠

صعصعة بن معاوية التميمي : ٢١٧
صفوان بن حذيفة بن اليمان : ١٠٩ - ١١٥
صفوان بن المعطل السلمي : ٢٦٥
صفوان بن اليمان : ١٠٩

(ض)

الضحالك (الملك الفارسي الظالم) : ٤٨ .
ضرار بن الازور : ٩٠ هـ
ضرار بن الخطاب الفهري : ٨٢ - ٨٧ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤
٩٥ - ١٨٢ هـ
ضرار بن مقرن المزني : ٩٨

(ط)

طارق بن شهاب : ٣٣٣
الطبري (محمد بن جرير) : ٢٠ - ٤٢
طلحة بن عبيد الله : ١٥٠ - ١٥١ هـ - ١٧٥ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٥٠
طليحة بن خويلد الاسدي : ١٠٣ - ١٠٤

(ظ)

ظبية بنت وهب بن عك (ام ابي موسى الاشعري) : ١٧٨

(ع)

عائشة ام المؤمنين : ٢٢٨ - ٢٣٠ - ٢٥٩
عازب الانصاري (ابو البراء) : ١٣٢
العاص بن هشام بن المغيرة : ٣١٣
عاصم بن عمرو التميمي : ٨٥ - ١٥٦ - ١٥٨ - ٢١٩ - ٢٧٧ - ٢٧٩ -
٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨
٢٨٩ - ٣٢٤
عامر الحضرمي : ٢٤٩ هـ
العباس بن عبد المطلب : ٢٣٥ هـ
عباس محمود العقاد : ٢٧٤ هـ
عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي : ١١٢ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١
عبد الرحمن بن سمرة : ١٦٨
عبد الرحمن بن عوف : ٩١ - ٣٣٠ - ٣٣٥

عبد الرحمن بن غنم : ٣٣٤
 عبد الله بن سلام : ٣٣٤
 عبد الله بن عامر : ١٦٦ - ١٦٧ - ١٨٧ - ٢٢٦ - ٢٢٧ هـ - ٢٣٩ - ٢٥٧
 ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٨٦ هـ
 عبد الله بن العباس : ١١٨ - ١٢١ - ٣١٣ - ٣٢٣ - ٣٣٦
 عبدالله بن عبدالله بن عتبان الانصاري : ٨٣ - ٨٧ - ١٢٠ - ١٢٣ - ١٨١ هـ
 ١٨٢ - ٢٩٣ - ٣٢٣
 عبد الله بن عماد الحضرمي (والد العلاء الحضرمي) : ٢٤٩
 عبد الله بن عمر بن الخطاب : ١٣١ - ١٨٥ - ٣١٠
 عبد الله بن مسعود : ٩٧ - ١١٤ - ١٨٦ - ١٩٥ - ٢٣٥ هـ - ٣٠١ - ٣١٣
 ٣٣٤
 عبد الله بن مقرن المزني : ٩٧ - ٩٩ - ١٩٦
 عبدالله بن وهب الراسبي : ٩١
 عبد الوهاب عزام (الدكتور) : ١١
 عبد يا ليل : ٢٦٢ هـ
 عبيد الله بن زياد : ٢٤٣ - ٢٤٤
 عبيد الله بن عثمان التيمي : ٢٥٠
 عتبة بن غزوان : ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٧ - ١٥٢ -
 ١٥٦ - ٢١٩ - ٢٢٠ هـ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٦ - ٢٥٨ - ٣٠٦
 عتبة بن فرقد السلمي : ٨٤ - ١١٢ - ٢٠٣ - ٢٠٦ - ٢٠٧
 عتبة بن النحاس : ١٩٧
 عثمان بن ابي العاص الثقفي : ٨٤ - ١٢١ - ١٨٢ - ٢٤٧ - ٢٥٧ هـ -
 ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠
 ٢٧١ - ٢٧٢ - ٣٢٤ - ٣٢٨
 عثمان بن عفان : ١١٢ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١٢١ - ١٢٨ -
 ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٣ - ١٥٩ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ -
 ١٩٨ هـ - ٢١٨ - ٢٢٧ هـ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣٥ - ٢٤٥
 ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٧١ - ٢٨٦ هـ - ٢٩٦
 عرفة بن هرثة البارقى : ١٥٦ - ٢١٩ - ٢٥٤ هـ - ٣٢٧
 عروة بن الزبير : ٢٣٥
 عروة بن زيد الخيل : ١٢٥ - ١٢٦
 عقيل بن مقرن المزني : ٩٧
 عكرمة بن ابي جهل : ٩٠ هـ - ٣٠٤
 العلاء بن الحضرمي : ٨٢ - ١٥٧ - ٢١٩ - ٢٤٧ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ -
 ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٨٥

علي بن ابي طالب : ١٠٢ - ١٠٩ - ١١٥ - ١٢١ - ١٣٢ - ١٥٠ - ١٥١
 - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٧١ هـ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ٢٢٨
 ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣٥ - ٢٣٧ - ٢٤٣ - ٢٥٥ - ٣٠٨ - ٣٣٣ - ٣٣٤
 ٢٣٥

عمار بن ياسر : ١١١ - ١٨٢ - ١٨٤ - ١٨٦ .
 عمارة بن شهاب : ١٨٦
 عمر بن ثابت بن وقش الانصاري : ١٠٨ هـ

عمر بن الخطاب : ٧ - ٣١ - ٨٢ - ٨٩ - ٩٠ هـ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ -
 ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٥ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ -
 ١١٦ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٣ - ١٢٤ -
 ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٨ - ١٣٢ - ١٣٤ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤٣ -
 ١٤٤ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٦ -
 ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ -
 ١٦٦ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ -
 ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٨ - ١٩٧ - ١٩٨ -
 ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ -
 ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢٣ - ٢٢٤ -
 ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٨ - ٢٣٠ - ٢٣٥ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٤٠ -
 ٢٤٢ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٥١ هـ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٦ -
 ٢٥٩ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٧٠ - ٢٧١ -
 ٢٧٣ - ٢٧٤ هـ - ٢٨٦ - ٢٨٨ هـ - ٢٩٣ - ٢٩٦ - ٢٩٩ - ٣٠١ -
 ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ -
 ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ -
 ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ -
 ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ -
 ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩

عمرو بن ثابت بن وقش الانصاري : ١٠٨ هـ
 عمرو بن حريث الخزومي : ١٢٠ .
 عمرو بن الحضرمي : ٢٤٩ .

عمرو بن العاص : ١٨٥ - ١٨٧ - ٢٣٠ - ٣٠٤ - ٣١٢ - ٣٢٢ - ٣٢٤ -
 ٣٢٦ .

عمرو بن عبد ود : ٩٠ هـ

عمرو بن معدي كرب : ١٠٠ هـ - ٢٥٩

عنتر بن شداد العبسي : ٢١٧ .

- عياض بن غنم : ١٨١ - ٢٦٥ - ٣٢٤ - ٣٢٥ .
- عيسى بن مريم (عليه السلام) : ٣٩ - ٤٠ .

(غ)

- غالب الوائلي : ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٧ .
- غيلان بن أم غيلان : ٩٢ .

(ف)

- فاتك (أبو ماني) : ٣٨ .
- الفارقليط : ٣٩ .
- فاطمة بنت اليمان (اخت حذيفة) : ١٠٩ .
- فرات بن حيان : ١٠٠ هـ .
- فرخان شهر براز (قائد كسرى برويز) : ٦٠ .
- الفردوسي : ٤٣ - ٤٨ - ٥٤ .
- الفيرزان : ١٠٢ - ١٢٣ .
- فيروز بن اردشير : ٤٠ .
- فيروز الثاني : ٦١ .
- فيروز بن يزدجرد الثاني : ٥٤ .

(ق)

- قباذ بن فيروز : ٤٣ - ٤٥ - ٥٥ - ٥٦ .
- قباذ الثاني (شيرويه) بن كسرى الثاني : ٦٠ .
- قتيبة بن مسلم الباهلي : ١٦٨ .
- القعقاع بن عمرو التميمي : ٨٢ - ٨٧ - ١٠٤ - ١١٢ - ١٢٣ - ١٨٣ - ٢٨٠ - ٢٨٣ - ٣٢٣ .
- القلقشندي (أبو العباس احمد) : ٣٤ .
- قيس بن عاصم المنقري : ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(ك)

- كاروس (امبراطور الروم) : ٥١ .
- كسرى الاول : ٥٣ - ٥٤ .
- كسرى الثاني (برويز المظفر) بن هرمزد الرابع : ٥٩ - ٦٠ .
- كسرى الثالث بن الامير قباذ : ٦٠ .
- كسرى الرابع : ٦١ .

- كشتاسب بن لهراسب : ٦٤ .
 كليب بن وائل : ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٧ .
 كورش : ١٢ .

(ج)

ليلى بنت اليمان (أخت حذيفة) : ١٠٩ .

(م)

- ماني بن فاتك : ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٦ - ٥١ - ٧٨ .
 المتشمس بن معاوية التميمي : ٢١٧ - ٢١٩ .
 المثنى بن حارثة الشيباني : ١٠٠ هـ - ١٣٧ - ١٤٢ - ٢٢٣ هـ - ٢٣٣ هـ .
 ٢٨٠ - ٢٨١ - ٣٠٤ - ٣١٨ .
 مجاشع بن مسعود السلمي : ٨٤ - ١٥٦ هـ - ٢٤٧ - ٢٥٥ - ٢٥٦ -
 ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٣٠٦ - ٣٢٤ .
 مجالد بن مسعود السلمي : ٢٥٥ .
 محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ١١ - ٨٠ - ٩٠ - ٩٣ -
 ٩٨ - ١٠٠ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ -
 ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨ - ١٢٣ - ١٢٩ -
 ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٤ - ١٣٧ - ١٤٢ - ١٤٧ - ١٥٠ -
 ١٥٥ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٥ - ١٦٩ - ١٧١ هـ -
 ١٧٣ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨٤ -
 ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ -
 ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠١ - ٢٠٥ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٨ - ٢١٩ -
 ٢٢٧ هـ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٣ - ٢٣٧ هـ - ٢٣٨ - ٢٤٠ -
 ٢٤١ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ -
 ٢٥٩ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ -
 ٢٧١ - ٢٧٣ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٩٣ - ٢٩٥ - ٣٠١ - ٣٠٢ -
 ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٨ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ -
 ٣١٦ - ٣١٧ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٩ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ -
 ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ .
 محمد حسين هيكال (الدكتور) : ٢٠٧ هـ - ٢٦٦ هـ - ٢٧٤ هـ .
 محمد بن عبيد : ٣١٣ .
 مدعور بن عدي المجلي : ١٣٧ - ١٤٢ .
 مردان شاه بن كسرى الثاني : ٦٠ .
 مرضي بن مقرن المزني : ٩٧ - ٢١٠ هـ .

- مزدك : ٤٢ - ٤٣ - ٤٥ - ٤٦ - ٥٥ - ٥٦ - ٧٨ .
- المسعودي (ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي) : ٢٠ - ٣٤ .
- مسلم (الامام المحدث) : ١٩٩ - ٢٥٥ .
- مسيلمة الكذاب : ٢١٩ .
- مصعب بن الزبير : ١٣٣ - ٢٣١ .
- المضارب المجلي : ٩١ .
- معاذ بن جبل : ١١٣ - ١٨٠ - ١٨٦ .
- معاوية بن أبي سفيان : ١٢١ - ١٥٣ - ١٦٨ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٨٥ -
- ١٨٧ - ١٩٧ هـ - ٢١٧ - ٢٣٠ - ٢٣٥ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٤٢ -
- ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٦٨ - ٣٠٦ - ٣٢٨ .
- معاوية بن حصين التميمي : ٢١٧ .
- معتل بن مقرن المزني : ٩٧ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ .
- المعني بن حارثة الشيباني : ١٠٠ هـ
- المغيرة بن شعبة الثقفي : ٧٨ - ٧٩ - ٨٣ - ١٠٠ هـ - ١٠٣ - ١٢٤ هـ -
- ١٣١ - ١٥٦ - ١٦٨ - ١٨١ - ٢٤٧ - ٢٥٦ - ٢٥٨ - ٢٦٣ -
- ٣١١ .
- المقداد بن الاسود الكندي : ١١٤ .
- مقرن المزني : ٩٧ - ١٢٧ .
- مكنف (العبد من جندسابور) : ١٥٨ - ١٦٢ - ٢٨٨ - ٣٣١ .
- مليكة (ام السائب بن الاقرع الثقفي) : ١١٨ .
- المنذر بن ساوى العبدي : ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٤ .
- المنذر بن عقبة الانصاري : ١٥٥ .
- المنذر بن عمرو بن النعمان بن مقرن المزني : ١٢٦ .
- المنذر بن النعمان : ٥٣ .
- المهاجر بن زياد الحارثي : ١٦٥ - ١٦٦ .
- مهرشاه بن اردشير : ٤٠ .
- موتا (امير الديلم) : ١٢٥ - ١٢٧ - ١٢٨ .
- موريس (امبراطور الروم) : ٥٩ .
- ميترا (اسم اله) : ٣٦ .
- ميمون الحضرمي : ٢٤٩ .
- مينوي : ٤٤ هـ .

(ن)

- النجاشي (ملك الحبشة) : ١٧٩ .
- نرسي بن سابور الاول : ٥٢ .

نرسي بن يزجرد الاول : ٥٣ .

النعمان الثالث (ملك الحيرة) : ٧٠ .

النعمان بن مقرن المزني : ٨٢ - ٨٧ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ -

١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١١١ - ١١٢ -

١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٨ - ١٤٠ - ١٤٤ -

١٤٩ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٦٢ - ١٨٢ - ١٩٥ - ١٩٧ - ١٩٨ -

٢٠١ - ٢٥٧ - ٣١٠ - ٣٣٠ .

نعيم بن مسعود الغطفاني : ١٣٨ - ١٤٣ .

نعيم بن مقرن المزني : ٨٣ - ٨٧ - ٩٧ - ١٠٤ - ١١٢ - ١٢٣ - ١٢٤ -

١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٨ - ١٤٣ - ١٩٧ -

٢٠١ .

نمير بن خرشة الثقفي : ٢٦٢ هـ .

نوفل بن عبدالله : ٩٠ هـ .

نولدكه : ٤٥ .

نيزك طرخان (ملك الترك) : ١٦٨ .

(هـ)

هاشم بن عتبة بن ابي وقاص : ٩١ - ٢٢٣ .

هيرة بن ابي وهب : ٩٠ هـ .

الهذيل الاسدي : ٩١ .

هرقل : ٦٠ .

الهرمان : ٦١ - ٩١ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤٢ -

١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٢ - ١٥٧ - ٢٢٠ -

٢٢١ - ٣٠٨ - ٣٣٠ .

هرمزد الاول بن سابور : ٥١ .

هرمزد الثاني بن نرسي : ٥٢ .

هرمزد الثالث بن يزجرد الثاني : ٥٤ .

هرمزد الرابع كسرى انوشروان : ٥٩ - ٧٠ .

هرمزد الخامس : ٦١ .

هشام بن عبد الملك : ٢٣٢ .

هلال بن يساف : ١٩٩ .

هند بن عمرو الجملي : ١٩٧ .

هوك (الاستاذ) : ٣٤ .

(و)

الوليد بن عقبة بن أبي معيط : ٣٢٤ .

(ي)

يحيى الخشاب (الدكتور) : ١١ - ١٢ هـ - ٤٤ هـ .

يرفأ (مولى عمر بن الخطاب) : ١٧٥ - ١٧٦ .

يزدجرد الاول : ٥٣ - ٦٧ .

يزدجرد الثاني بن بهرام الخامس : ٥٤ - ٦٣ .

يزدجرد بن الامير شهريار (آخر الساسانيين) : ٦١ - ٦٢ - ١٠٠ -

١٠١ - ١٠٢ - ١١٩ - ١٤٩ - ١٥٦ - ٢٢١ - ٢٢٣ - ٢٢٤ -

٢٢٥ - ٢٥٨ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٩ - ٣٠٧ - ٣٢٩ - ٣٣٠ .

يزيد بن أبي سفيان : ٣٠٤ .

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان : ٢٤٢ .

الأماكن

(١)

- الابرق : ١٩٦ .
- الابطح : ٢٤٩ .
- الابلة : ١٣٧ - ١٤٢ - ٢٥٦ .
- أبهر : ٨٣ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٤ .
- الابواء : ٣٠١ هـ .
- أبو الخطيب (مدينة) : ١٣٧ هـ - ٢٥٦ هـ .
- أجنادين : ٩٤ .
- أحد : ٨٩ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٥٥ - ٣١٣ - ٣٣٧ .
- الاحساء : ٢٤٩ هـ .
- أذربيجان : ١٢ هـ - ١٧ - ٢٣ - ٢٥ - ٢٩ - ٣٠ هـ - ٣٢ - ٤٢ هـ - ٥٨ - ٦٠ - ٦٢ - ٨٤ - ١١٢ - ١٢٥ - ١٢٧ - ١٣٠ هـ - ١٦٨ - ٢٠٣ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢١٠ هـ - ٢١١ هـ - ٢٦٢ هـ - ٣٢٠ هـ .
- أذرح : ١٨٥ .
- أربل (أربيل) : ١٥ .
- أرجان : ٨٣ - ١٨٢ - ٢٦٧ .
- أرجيش : ٢٦٢ هـ .
- أردشير خرّ : ٨٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٦٠ - ٢٦٥ - ٣٢٤ .
- أردلان : ١٢ هـ .
- أردبيل : ٢٠٥ هـ .
- أريوجان : ٨٩ هـ .
- أرمينية : ١٧ - ٢٥ - ٢٩ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٦٠ - ٦٢ - ١١٢ - ٢٠٨ - ٢١٠ هـ - ٢١١ - ٢١٣ - ٢٦٢ - ٢٦٥ - ٢٦٩ - ٣٠٥ .
- أرمية : ٢٠٥ هـ .
- أرن : ١٧٠ هـ .
- أسد آباد : ٢٤٥ .
- أسفنديار : ١٠٥ .
- الاسكندرية : ٥٩ .
- آسيا الصغرى : ١٢ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ٢٦ - ٥٩ - ٦٠ - ٦٤ - ١١٨ - ١٦٤ هـ - ٢٥٧ .

آسيا، الوسطى: ۱۵ .

أصبهان (أصفهان): ۱۷ - ۲۹ - ۳۲ هـ - ۵۱ - ۶۲ - ۸۳ - ۱۰۵ هـ -

۱۰۷ هـ - ۱۲۰ - ۱۲۱ - ۱۴۰ - ۱۴۱ - ۱۴۴ - ۱۴۵ - ۱۶۲ -

۱۶۶ هـ - ۱۷۸ - ۱۸۲ - ۲۱۷ هـ - ۲۲۱ - ۲۶۲ هـ .

اصطخر: ۱۶ - ۱۸ - ۳۴ - ۴۲ - ۵۱ - ۶۱ - ۶۲ - ۸۴ - ۱۶۶ هـ -

۲۵۲ - ۲۶۵ - ۲۶۶ - ۲۷۰ - ۲۷۱ - ۳۲۴ - ۳۴۵ .

افريقية: ۳۰۴ - ۳۴۴ .

أفغانستان: ۱۶۴ هـ - ۲۱۷ هـ - ۳۰۴ .

ألمانيا: ۲۱۰ هـ .

أمريكا: ۳۲۸ .

آمل: ۲۹ هـ - ۱۹۵ هـ .

الأنبار: ۲۲۷ هـ - ۲۸۰ .

الاندلس: ۳۴۴ .

أنطاكية: ۵۸ - ۵۹ - ۳۰۲ .

الاناضول: ۳۰۴ .

الاهواز: (خوزستان - عربستان): ۱۷ - ۲۸ - ۸۲ - ۸۳ - ۹۷ هـ - ۱۰۱ -

۱۰۳ - ۱۰۷ - ۱۱۸ - ۱۲۰ - ۱۲۳ - ۱۳۱ هـ - ۱۳۵ - ۱۳۷ هـ -

۱۳۸ - ۱۳۹ - ۱۴۰ - ۱۴۱ - ۱۴۳ - ۱۴۴ - ۱۴۵ - ۱۴۷ هـ -

۱۴۸ - ۱۴۹ - ۱۵۰ - ۱۵۲ - ۱۵۳ - ۱۵۵ - ۱۵۶ - ۱۵۷ -

۱۶۰ - ۱۶۱ هـ - ۱۶۲ - ۱۶۳ - ۱۶۴ - ۱۶۵ - ۱۶۶ هـ - ۱۷۲ -

۱۷۳ - ۱۷۴ - ۱۷۷ - ۱۷۸ - ۱۸۱ - ۲۱۹ - ۲۲۰ هـ - ۲۵۶ -

۲۵۷ - ۲۶۰ - ۲۶۲ هـ - ۲۸۰ هـ - ۲۸۷ هـ - ۳۰۵ - ۳۳۱ -

۳۴۵ .

أوربة: ۴۱ - ۳۲۹ - ۳۳۷ .

أوطاس (وادي): ۱۷۹ .

إيران: ۱ - ۳ - ۹ - ۱۱ - ۱۲ - ۱۳ - ۱۷ هـ - ۱۸ - ۲۱ - ۲۶ -

۲۷ - ۲۸ - ۳۰ - ۳۶ - ۳۸ - ۴۱ - ۵۰ - ۵۱ - ۵۲ - ۵۲ -

۵۴ - ۵۶ - ۵۸ - ۵۹ - ۶۱ - ۸۹ - ۹۲ هـ - ۱۱۷ هـ - ۲۵۶ -

۲۶۰ - ۳۰۱ - ۳۰۵ - ۳۲۸ .

(ب)

بئر ميمون: ۲۴۹ .

باب الابواب (دربند): ۱۷ هـ - ۵۸ - ۸۴ - ۹۷ هـ - ۱۱۲ - ۲۰۷ -

۲۰۸ - ۲۰۹ - ۲۱۰ - ۲۱۱ - ۲۱۲ - ۲۱۳ - ۲۵۷ .

بابل: ١٥ - ١٧ - ١٨ - ٣٨ - ٤٠ - ٤١ .

باجنيس: ٢٦٢ هـ .

بابلون: ٣٠٥ .

البحر الاحمر: ٢٦ .

البحر العربي: ١٨ هـ - ٢٦٢ هـ .

البحرين: ٢٩ - ٨٢ - ١٥٦ - ١٦٩ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ -

٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨ -

٢٧٠ - ٢٧١ .

بدر: ٨٦ - ١٠٩ - ١١٠ - ١٣١ - ١٥٥ - ١٥٨ - ٢٥٠ - ٢٧٢ - ٢٩٣ -

٣١٣ .

برذعة: ١٧ هـ .

بركاوان (جزيرة) : ٨٤ - ٢٦٢ - ٢٦٦ - ٢٧٠ - ٢٧١ .

بيزنطة: ٥٩ - ٦٠ .

بسطام: ٨٤ - ١٩٥ - ١٩٧ .

البصرة: ١٧ هـ - ٩٢ هـ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٦ - ١١٢ - ١١٤ -

١١٦ - ١١٨ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٨ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ -

١٤٠ - ١٤٣ - ١٤٧ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٦ -

١٥٧ - ١٥٩ - ١٦٢ - ١٦٤ هـ - ١٦٥ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٤ -

١٧٨ هـ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٩٦ هـ -

١٩٩ - ٢٠٦ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢٤ - ٢٦٠ - ٢٦٦ - ٢٦٧ -

٢٦٨ - ٢٧١ - ٢٧٥ - ٢٧٩ هـ - ٢٨١ هـ - ٢٨٥ - ٢٨٦ -

٢٨٨ - ٣٠٦ - ٣٢٤ - ٣٢٧ - ٣٢٨ .

بعقوبا: ٢٨٥ هـ - ٣٣٠ هـ .

بغ (بفشور) : ٢٢٦ .

بغداد: ١٣ هـ - ٩٢ هـ - ٢٨٠ هـ - ٢٨٥ - ٣٢٠ هـ - ٣٤٦ .

بلاد ما بين النهرين: ١٨ - ٣٩ .

بلخ: ١٨ - ٣٢ - ١٦٨ - ٢١٧ هـ - ٢٢١ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ -

٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٣٩ .

البلقاء: ١٨٥ هـ - ٣٠٢ هـ .

البويب: ٢٨١ .

بيت المقدس: ٥٩ - ٦١ .

بيروت: ٣ .

بيروذ: ٨٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٩ .

بيمند (ميمند) : ٢٥٨ .

(ت)

- نيريز : ٤٣ - ٢٠٥ هـ .
تبوك : ١٥٢ - ٢٦٢ - ٢٧٩ - ٣٠٢ .
تركستان : ٢٠٨ - ٢١٣ - ٢٢٥ هـ .
ترمد : ٢٢٧ هـ .
تستر : (ششتر او شوشتر) : ٨٢ - ١٠١ - ١٠٢ هـ - ١٣١ - ١٤٠ -
١٤١ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٥ - ١٥٧ - ١٦١ -
١٨١ - ١٨٢ - ٢٢٠ .
تفليس : ١٧ هـ - ٢١١ .
تكرت : ١٧ هـ - ٢٨٥ .
توج : ٨٤ - ٢٥٥ هـ - ٢٥٧ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦٦ - ٢٧٠ - ٢٧١ -
٣٢٨ .
تونس : ٣٠٤ .
تياس : ٢٥٣ .
تيرى (نهر وبلد) : ٨٢ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٥ -
١٦٥ - ١٦٦ .

(ث)

- الثوية : ١٨٨ - ٢٣١ .

(ج)

- الجبال (ولاية) : ١٧ هـ - ٥٤ هـ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٧ - ٩٢ هـ - ٩٦ -
١٠٨ هـ - ١١٢ - ١١٨ هـ - ١٢٠ - ١٢٣ هـ - ١٣٠ هـ - ١٤٠ -
١٤٤ - ٢٢١ .
جبل سنجار : ٥٢ هـ .
جبلة : ٣٢٨ .
الجحفة : ٣٠١ هـ .
جران : ١٨ هـ - ٨٤ - ٩٦ - ١٢٧ - ١٩٥ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ .
جرميدان : ٢٠٦ .
الجزيرة : ١٥ - ٥١ - ٥٢ - ٥٨ - ١١١ - ١٨١ - ١٨٣ - ٢١٠ - ٣٠٤ -
٣٢٣ - ٣٢٤ .
الجزيرة العربية (شبه الجزيرة العربية) : ٧٩ - ١٠٠ - ١٩٦ - ٢٠٠ -
٢١٩ - ٢٥١ - ٢٦٤ - ٣٠٣ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٨ .
الجمرانة : ٢٥٠ .

- الجلحاء: ٢٢٨ .
 جلولاء: ٩١ - ٩٢ هـ - ٢٢١ - ٢٨٥ - ٣٣٠ .
 جنديسابور: ٨٢ - ٨٣ - ٨٩ هـ - ١٥٥ - ١٥٨ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ -
 ١٧٨ هـ - ٢٨٧ - ٣٣١ .
 جور: ٢٦٥ هـ - ٢٦٦ - ٢٨٠ .
 الجوزجان: ٢٢٦ .
 الجولان: ٣٢٢ هـ .
 جيرفت: ٢٥٨ .
 جيلان: ٨٣ - ٨٤ - ٩٦ - ١٣٠ - ١٣٢ - ١٣٤ - ١٩٥ - ١٩٨ .

(ح)

- الحبشة: ١٥٥ - ١٦٠ - ١٧٩ .
 الحجاز: ١٨٥ هـ - ٢٥٣ هـ .
 الحديدية: ٢٠٩ هـ .
 حديثة الفرات: ٣٢٧ .
 حديثة الموصل: ٣٢٧ .
 حران: ٣٢٤ .
 حلب: ٣٢٨ هـ .
 الحضر: ١٧ .
 حضرموت: ١٨٠ - ٢٤٩ .
 الحفير: ١٩٦ - ٢٢٨ .
 حلوان: ٨٢ - ٨٩ هـ - ٩٢ - ١١٨ هـ - ١٣٩ هـ - ١٧٨ هـ - ٢٠٦ .
 حمص: ١١٤ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٨ .
 حنين: ١٤٧ - ١٥٠ - ١٧٩ - ٣١٣ - ٣٣٧ .
 الحيرة: ١٧ - ٢٨ - ٥٣ - ٥٨ - ٦١ - ٩٠ - ٩٨ - ١٩٦ - ٢٠٦ -
 ٢٧٩ - ٢٨٧ .

(خ)

- خانقين: ٩٢ هـ - ٢٨٥ - ٣٣٠ هـ .
 خراسان: ١٨ - ٢٩ هـ - ٥٨ - ٦٠ - ٦٢ - ٨٤ - ١٢٥ - ١٤٩ هـ -
 ١٥٦ هـ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ -
 ١٩٥ هـ - ٢١٥ - ٢١٧ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٣ - ٢٢٥ هـ - ٢٢٦ -
 ٢٢٧ هـ - ٢٢٨ - ٢٣٠ - ٢٤١ - ٢٤٥ - ٢٥٨ - ٢٦٢ هـ -
 ٢٨٦ - ٢٩٠ - ٣٢٤ - ٣٤٣ - ٣٤٤ .

- الخزر (بحر) ٥٨ هـ - ٧٠ - ١١٢ هـ - ١٣٠ هـ - ٢٠٧ هـ - ٢٠٩ هـ .
 خسرو سابور (مدينة) : ١٠٣ .
 خلاط : ١٧ هـ .
 الخليج العربي : ١٦ - ١٧ هـ - ٥١ - ١٨٣ هـ - ٢٤٩ هـ - ٢٥٤ هـ -
 ٢٦٦ - ٢٧٠ هـ - ٢٧١ .
 الخندق (خندق المدينة المنورة) : ٩٠ - ٩٨ - ١١٠ - ١٢٣ - ١٣٠ -
 ١٣١ - ١٣٣ - ١٥٥ - ١٩٥ .
 خوارزم : ١٨ - ٢٣٩ .
 خوى : ٢٠٥ هـ .
 خيبر : ١٧٩ - ٣٢٦ .

(د)

- دارابجرد : ١٦ - ٥١ - ٨٤ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٦ - ٣٢٤ - ٣٤٤ .
 دارين (جزيرة) : ٨٢ - ٢٤٩ - ٢٥١ .
 دامغان : ١٣ .
 دبا : ١١١ .
 دجلة : ١٣ هـ - ١٧ هـ - ٥٢ - ٦٠ - ١٠٣ هـ - ١١١ هـ - ١١٢ هـ -
 ١٩٨ - ٢٠٦ - ٢٨٥ - ٢٨٩ - ٣٢٠ هـ - ٣٤٤ .
 دجيل : ١٣٩ - ١٤٣ .
 درتا : ٢٨٧ .
 دستي الرازي : ١٣١ .
 دستي همدان : ١٣١ هـ - ٢٠٦ هـ .
 دستميسان : ١٣٨ - ١٤٢ - ١٤٣ .
 دلت : ١٣٨ - ١٤٣ .
 دمشق : ٥٩ - ١١٤ - ٢٨٠ هـ - ٣٢٢ .
 دنهاوند : ١٢٧ - ١٢٩ .
 دهستان : ١٩٧ .
 الدهناء : ٢٥١ - ٢٥٤ .
 دورق (سرق) : ٨٢ - ١٤٨ - ١٥٢ - ١٥٤ .
 دوشنت : ١٦٧ .
 دومة الجندل : ٢٨٠ .
 ديالي (نهر) : ٣٣ هـ .
 الدينور : ٨٣ - ١٠٨ - ١١٢ - ١٢٠ - ١٧٨ - ١٨٢ .

(د)

- ذات عرق : ١٠٠ هـ .
- ذو الحسا (ذوحسا) : ٩٩ - ١٩٦ .
- ذو القصة : ١٠٠ - ١٩٦ .

(ر)

- رام هرمز : ٨٢ - ٩٧ - ١٠١ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٧ - ١٦١ .
- الربذة : ١٠٠ - ١٩٦ - ٢٥٩ .
- رد : ٨٩ هـ .
- رستم آباد : ٣٤٥ .
- الركة : ١٩٧ هـ - ٣٢٣ .
- رمع : ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٩ .
- الرها : ٥٩ - ٣٢٣ .
- روما : ٥١ - ٥٢ - ٥٣ .
- رومة (بئر) : ٢٢٩ .
- الري : ١٣ هـ - ٤٢ هـ - ٥٤ - ٦٢ - ٨٣ - ١١٢ - ١٢١ - ١٢٤ -
- ١٢٦ - ١٢٧ - ١٣٠ هـ - ١٣١ هـ - ١٣٢ هـ - ١٩٧ - ١٩٨ -
- ٢٠٦ - ٢٢١ .

(ز)

- زالق : ١٦٦ - ١٦٧ .
- زبيد : ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٩ .
- زرنج : ١٦٧ - ١٦٨ هـ - ٢٨٦ .
- زنجان : ٨٣ - ١٣٠ - ١٣٢ .

(س)

- ساباط : ٢٨١ .
- سابور : ٨٤ - ١٨٣ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٦٠ - ٢٦٧ .
- سامراء : ٩٢ هـ .
- سجستان : ١٨ - ٢٩ هـ - ٨٥ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٧ هـ - ١٦٨ -
- ١٦٩ - ١٧٢ - ٢١٧ هـ - ٢٥٨ - ٢٧٧ - ٢٧٩ - ٢٨٦ - ٢٨٨ -
- ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩٣ هـ - ٢٩٤ - ٣٢٤ .
- سرخس : ٢٩ - ٤٢ هـ .
- سلماس : ٢٠٥ هـ .

- سلمان بالك (المدائن) : ١٣ هـ .
 سلوقية : ٦٠ .
 سمرقند : ٢٢١ هـ - ٢٢٥ هـ .
 سناروذ : ١٦٧ .
 سنجار : ٥٢ - ٥٣ .
 السند : ١٨ هـ - ١٦٤ هـ - ٢٦٢ - ٢٦٧ - ٢٦٩ - ٢٩٥ .
 سورية : ٢٦ - ٢٧ - ٣٠٢ هـ - ٣٠٥ - ٣٢٢ .
 السوس (شوش) : ٨٢ - ١٠٢ - ١٥٥ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٦٥ - ١٧٨ - ١٨١ .
 سوق الاهواز (مدينة) : ٨٢ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٧ - ٢١٧ هـ .
 سيبيريا : ٢١٣ - ٣٣٧ .
 سیراف : ١٨٣ - ٢٧٦ هـ .
 السيوان : ٨٩ هـ - ١٧٨ هـ - ١٨٢ .
 سينيز : ١٨٣ - ٢٧٦ هـ .

(ش)

- الشام : ١٥ - ٢٦ - ٩١ - ١٣١ - ١٨١ - ١٨٣ - ١٨٥ هـ - ٢٢٣ - ٢٣٧ - ٢٤١ - ٢٤٣ - ٢٦٤ - ٢٨٠ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ .
 : ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣١٤ - ٣٢٠ - ٣٢٢ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ .
 الشربة : ٩٩ هـ - ١٩٦ هـ .
 شرقي الاردن : ١٨٥ هـ - ٣٠٢ هـ - ٣٠٥ - ٣٢٢ .
 شرواذ : ١٦٧ .
 شفافة : ٢٨٠ هـ .
 شمشاط : ٢٦٢ هـ .
 شهرزور : ١٠٨ هـ - ١٧٨ هـ .
 شهرستان : ٢٥٥ هـ - ٣٤٥ .
 شيراز : ٣٤ هـ - ١٨٢ - ٢٦٦ هـ - ٢٦٧ - ٢٧٣ هـ .
 الشيرجان : ٢٥٨ .
 شيروان : ١٢٠ .
 شيز : ٣٠ .

(ص)

- الصفانيان : ٢٧ .
 الصفد : ٢٢١ .

- الصفير: ٣٢٢ .
 صفين: ١٠٩ - ١١٥ - ١٣٢ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٧١ هـ - ٢٠٦ هـ -
 ٢٣٠ .
 الصيمرة: ٨٣ - ١١٨ - ١٢٠ - ١٣٩ هـ - ٢٢٥ .
 الصين: ٢٦ - ٤٠ - ٦٢ - ٧٠ - ١٣٧ هـ - ٢٢١ - ٢٥٦ هـ - ٢٧٦ -
 ٣٠٤ - ٣٣٧ .

(ض)

- ضرار: ٣٠٧ .

(ط)

- الطائف: ٩٨ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٧٠ .
 طاق كسرى او ايوان كسرى (في المدائن): ٦١ - ٩١ .
 الطالقان: ٢٢٧ .
 طبرستان: ٢٩ - ٨٤ - ١٢٧ - ١٩٣ - ١٩٥ - ١٩٨ .
 الطبسين (الطبس): ٢٢١ - ٢٢٦ .
 طخارستان: ٢٢٣ - ٢٢٦ .
 طوس: ٢٩ - ٦٢ .
 الطيب: ١٦٤ .

(ع)

- العتيق: ٣٢٠ .
 عجز: ٣١٧ .
 عدن: ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٩ .
 العراق: ١٢ هـ - ٢٥ - ٥٨ - ٧٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ هـ - ١٠٧ -
 ١٢٣ - ١٢٩ - ١٣١ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ هـ - ١٤٠ - ١٤٢ -
 ١٥٦ - ١٦١ - ١٦٤ هـ - ١٦٥ - ١٧٨ هـ - ١٩٦ - ٢٠٠ - ٢٠١ -
 ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢١٧ هـ - ٢٢٣ - ٢٣١ - ٢٣٨ - ٢٤٣ - ٢٤٤ -
 ٢٤٩ - ٢٥٤ - ٢٥٦ - ٢٦٤ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ هـ - ٢٨٦ -
 ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٨ - ٣١١ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٢ -
 ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٩ - ٣٤٤ - ٣٤٥ هـ .
 عكاظ: ٣١٣ .

- عمّان (في الاردن): ١٨٥ هـ .

عُثْمَان (فِي الْخَلِيجِ الْعَرَبِي) : ١٧ - ٨٤ - ١١١ هـ - ٢٤٩ هـ - ٢٦٢ هـ -
 ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٧٠ - ٢٧١ هـ .
 عَيْن التَّمَر : ٢٨٠ هـ .

(غ)

الْقَرِيَيْن : ٩٠ هـ .
 غَزَنَة : ٢٥٧ هـ .
 الْفَرِيَة : ١٨ هـ - ٢٢٧ هـ .
 فَضَى شَجَر : ٢٥٧ هـ .

(ف)

فَارَس : ١ - ٣ - ١٢ - ١٥ - ١٦ - ١٧ هـ - ١٨ - ٢٠ - ٢٢ - ٢٣ -
 ٢٥ - ٢٦ - ٢٩ - ٣١ - ٣٢ - ٣٤ هـ - ٤١ - ٤٢ - ٦٢ - ٧٩ -
 ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٧ - ١١٤ - ١٢٦ -
 ١٢٧ - ١٣١ - ١٤٠ - ١٤٤ - ١٤٩ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٦١ -
 ١٦٢ - ١٦٤ هـ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٧٨ هـ - ١٨٢ - ١٨٣ -
 ١٩٨ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٦ - ٢٠٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ -
 ٢٢٣ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٤١ - ٢٤٧ - ٢٤٩ - ٢٥١ هـ - ٢٥٢ -
 ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ هـ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٦٢ - ٢٦٥ - ٢٦٦ -
 ٢٦٧ هـ - ٢٦٩ - ٢٧٠ هـ - ٢٧١ - ٢٧٣ هـ - ٢٧٤ - ٢٨٥ -
 ٢٨٦ - ٣٠٨ - ٣١٨ - ٣٢٢ - ٣٢٤ - ٣٢٨ هـ - ٣٤٤ - ٣٤٥ هـ .

الْفَارِيَاب : ٢٢٧ هـ .

فَحْل : ٣٢٢ هـ .

فَدَك : ٣٢٦ هـ .

الْفَرَات : ١٧ - ١١١ هـ - ١٦٩ - ١٩٨ - ٢٦٠ - ٢٦٢ هـ - ٢٨١ هـ -
 ٣١٦ - ٣٢٧ - ٣٤٤ هـ .

الْفَرَاض : ٣٠٤ هـ .

فَرَسَاي : ٢١٠ هـ .

فَرِغَانَة : ٢٢٥ هـ .

فَرَنْسَا : ٤١ هـ .

فَسَا : ٨٤ - ٢٦٧ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٣٢٤ هـ .

الْفَسْطَاط : ٣٢٧ هـ .

فَلَسْطِين : ١٩٦ - ٣٠٢ هـ - ٣٠٥ - ٣٢٢ هـ .

الْفَلُوجَة : ٢٨٠ هـ .

الْفَهْرَج : ١٦٦ هـ .

(ق)

- قاشان: ١٧٨ - ١٨٣ - ٢١٧ - ٢٢٠ .
 القادسية: ٤٨ - ٦١ - ٧٨ - ٩١ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٧ - ١١١ - ١٢٣ -
 ١٧١ هـ - ١٩٧ - ٢٠٦ - ٢٥٢ - ٢٧٩ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٤ -
 ٢٨٧ - ٢٨٩ - ٣٠٥ - ٣٠٩ - ٣١٨ - ٣٢٠ - ٣٢٢ - ٣٢٣ .
 قالقلا: ٢٦٢ هـ .
 القاهرة: ١٢ هـ .
 القدس (انظر بيت المقدس) .
 قرميسين: ٨٢ - ١٠٨ هـ - ١٢٠ هـ - ١٧٨ هـ .
 قرنين: ١٦٧ .
 قزوین: ٨٣ - ١٢٥ هـ - ١٢٧ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٤ - ٣٠٤ .
 القفص: ٢٥٨ .
 قم: ١٧٨ - ١٨٣ - ٢١٧ - ٢٢٠ .
 قهستان: ١٧ هـ - ١٦٨ - ٢٢٦ - ٢٩٠ .
 قومس: ١٣ هـ - ١٨ هـ - ٨٤ - ٩٦ - ١٢٧ - ١٣٢ - ١٩٥ - ١٩٧ -
 ١٩٨ .

(ك)

- كابل: ٢٥٧ - ٢٥٨ .
 كازرون: ٢٥٧ هـ - ٣٢٨ هـ .
 كردستان: ١٢ هـ .
 كركويه: ١٦٦ .
 کرمان: ١٦ - ١٨ هـ - ٢٩ - ٤٥ - ٥١ - ٨٤ - ٩٤ - ١٢١ -
 ١٦٤ هـ - ١٦٦ - ٢١٧ هـ - ٢٢١ - ٢٥٥ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ -
 ٢٦٢ هـ - ٢٩١ - ٢٩٣ هـ - ٣٢٤ .
 کسکر: ١٠٣ - ٢٣١ - ٢٨٠ - ٢٨١ هـ - ٢٨٦ - ٢٨٧ هـ .
 کوبنهاکن: ١١ .
 الکوفة: ١٧ هـ - ٩١ - ٩٢ هـ - ٩٧ هـ - ١٠١ - ١٠٣ - ١٠٦ -
 ١١١ - ١١٢ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ -
 ١٢٣ - ١٢٨ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٩ - ١٤٣ - ١٤٩ -
 ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٦ - ١٥٩ - ١٦٨ - ١٧٦ - ١٨٢ - ١٨٣ -
 ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٩٩ - ٢٠٦ هـ - ٢٠٩ هـ -
 ٢٢١ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٣٧ - ٢٧٥ - ٢٨٠ هـ - ٣٢٣ - ٣٢٤ -
 ٣٢٧ .

(ل)

- اللاذقية : ٣٢٨ هـ
اللان : ٢١١ .
لبنان : ٣٠٢ هـ - ٣٠٥ .
ليبيا : ٣٠٥ - ٣٢٤ .

(م)

- مازندران : ٩٦ .
ماسبدان : ٨٢ - ٨٧ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ١٢٠ هـ - ١٧٨ - ١٨٢ .
المدائن : ١١ - ١٣ - ١٥ - ١٧ - ١٨ - ٤١ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ -
٥٤ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٥ - ٩١ - ١٠٠ - ١٠١ - ١١١ -
١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١٢١ - ١٢٦ - ١٩٧ - ٢٠٦ - ٢٨١ هـ -
٢٨٤ - ٢٨٩ - ٣٠٩ - ٣٢٠ .
المدينة : ٩٩ - ١٠٠ - ١٠٢ - ١٠٥ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ١١٩ -
١٢٣ - ١٣٠ - ١٣٣ - ١٥٠ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٦٠ - ١٦٩ -
١٧٩ - ١٨٠ - ١٨٣ - ١٩٦ هـ - ٢٢٨ - ٢٤٠ - ٢٥٥ - ٢٦٢ -
٢٦٤ - ٢٧٠ - ٢٧٤ هـ - ٢٨٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ -
٣٠٧ - ٣١٣ - ٣١٧ - ٣٣٤ .
المدار : ١٩٦ - ١٩٨ - ٢٧٩ .
مراغة : ٢٠٥ هـ .
مرج القلعة : ٢٥٧ .
مزند : ٢٠٥ هـ .
مرو : ٢٩ - ٦٢ - ١٠١ - ١٤٩ - ١٥٦ - ١٦٤ هـ - ٢١٧ - ٢٢١ -
٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ .
المريسع : ٢٦٥ هـ .
مصر : ٢٦ - ٦٠ - ٣٠٥ - ٣١١ - ٣٢٤ - ٣٢٦ - ٣٢٨ - ٣٤٤ .
مكران : ١٦ هـ - ١٨ هـ - ٨٥ - ١٦٤ - ١٦٥ هـ - ٢٩١ - ٢٩٣ -
٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٣٢٤ .
مكة : ٩٠ - ٩١ - ٩٨ - ١٠٥ - ١٥٥ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٧٩ - ١٩٦ هـ -
٢٢٨ هـ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥٥ - ٢٥٦ هـ - ٢٦٤ - ٢٧٣ -
٣٠١ - ٣٠٣ - ٣٦٧ .
الملتان : ١٨ هـ - ١٦٤ هـ .
الملك (نهر) : ٣٤٤ .
منادر : ٨٢ - ٨٣ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ -
١٤٥ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ .

- ٢٤٩ : منى
- مهران (شط) : ٢٩٣ هـ - ٢٩٥ .
- مهرجان قذق : ٨٣ - ١١٨ - ١٢٠ - ١٣٩ - ١٤٣ .
- مؤتة : ٣٠٢ .
- الموصل : ١٧ هـ - ٥٢ هـ - ٢٠٦ - ٢٨٥ - ٣٢٧ - ٣٤٦ .
- موقان : ٨٤ - ٢٠٥ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢١١ .
- ميديا : ١٢ هـ - ١٥ - ١٧ - ٢٢ - ٢٣ - ٣١ .
- ميسان : ١٧ - ٣٨ - ٤٠ - ٥١ - ١٣٨ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٩٦ هـ -
- ٢٧٩ هـ - ٢٨٠ هـ - ٢٨١ .

(ن)

- ٣٤٥ : نائين
- ناشروذ : ١٦٧ .
- نجد : ١٠٠ هـ - ١٩٦ هـ .
- نجران : ٣٢٥ - ٣٢٦ .
- النجف : ١٧ هـ .
- نخلة : ٢٤٩ .
- نصيبين : ٢٦ - ٥٢ - ٥٣ - ١١١ - ١٨١ - ٣٢٤ .
- النمارق : ٢٨٧ .
- نهاوند (ماه دينار) : ٦١ - ٨٢ - ٨٣ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ -
- ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١١١ - ١١٢ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٣ -
- ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٩ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٤ - ١٥٨ - ١٦٢ -
- ١٨٢ - ١٩٧ - ٢٢٠ - ٢٢٣ هـ - ٢٢٦ هـ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٦٠ -
- ٢٦٥ - ٢٨٦ - ٣٠٥ - ٣٢٤ - ٣٣٠ .
- النهروان : ١٠٣ هـ - ١٥٠ .
- النوبة : ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٢٤ .
- نوق : ١٦٧ .
- نيسابور : ١٣ - ٢٩ - ٣٤ هـ - ٤٢ - ٦٢ - ١٦٤ هـ - ١٦٨ هـ -
- ٢١٧ هـ - ٢٢١ هـ - ٢٢٣ - ٢٢٦ هـ .
- نيستانه : ٣٤٥ .
- نيشك : ١٦٧ هـ .
- النيل : ٣٢٤ .

(ه)

- هجر : ٢٤٩ هـ - ٢٧٠ هـ .
مراة : ٢٩ - ١٦٤ هـ - ١٦٨ هـ - ٢١٧ هـ - ٢٢١ هـ - ٢٢٦ هـ - ٢٧٩ هـ - ٢٩٧ .
همدان : ١٧ - ٣٨ - ٦٢ - ٨٢ - ٨٣ - ١٠٢ هـ - ١٠٥ هـ - ١٠٨ هـ - ١١١ هـ - ١١٢ هـ - ١١٨ هـ - ١٢٣ هـ - ١٢٤ هـ - ١٢٥ هـ - ١٢٦ هـ - ١٢٩ هـ - ١٣٠ هـ - ١٣١ هـ - ١٣٩ هـ - ١٤٠ هـ - ١٧٨ هـ - ١٩٧ هـ - ٢٠٦ هـ - ٢٥٧ هـ - ٢٨٦ هـ .
الهند : ١٨ هـ - ٣٨ هـ - ٤٠ هـ - ١٦٤ هـ - ٢١٧ هـ - ٢٤٩ هـ - ٢٩٣ هـ .
الهندمند : ١٦٧ - ٢٥٧ هـ .
هيسون : ١٦٧ .

(و)

- وابق : ١٨٧ .
واج روذ : ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ .
وادي القرى : ٣٠٢ هـ .
واسط : ٩٢ هـ - ١٠٣ هـ - ١٦٤ هـ - ١٩٦ هـ - ٢٧٩ هـ - ٢٨١ هـ .
ودان : ٣٠١ .
وراء النهر (نهر جيحون) : ١٨ هـ .
الولجة : ١٩٦ .

(ي)

- اليرموك : ٩١ - ١٣٧ هـ - ٢٢٣ هـ - ٣٠٤ هـ - ٣٠٥ هـ - ٣٢٢ .
يزد : ٣٤ - ٣٤٥ .
اليمامة : ٩٠ - ٩٣ - ٢٢٧ هـ - ٢٥٣ هـ .
اليمن : ٥٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ - ٢٦٤ - ٣٤٤ .

الخَرَائِطُ

الصفحة	الخريطة	التسلسل
٨١	اقليم آسية الجنوبية الغربية	١
٩٦	اقليما الجبال وجيلان مع اقليم مازندران وقومس وجرجان	٢
٢٢٢	اقليما فارس وكرمان	٣
٢٦٠	اقليما خراسان وقوهستان مع قسم من اقليم سجستان	٤
٢٩٤	اقليم مكران مع قسم من اقليم سجستان	٥

المَوْضُوعَات

الصفحة

٥

٧

افتتاح الكتاب

الاهداء

المقدمة

٨٠-٩

ايران في عهد الساسانيين

١١

مستهل

١٦-١٢

قبل الساسانيين :

(١) النظام الاجتماعي والسياسي - ١٢ ، (٢) العقائد الدينية - ١٦

٣٠-١٦

ايام الساسانيين :

(١) قيام الدولة الساسانية - ١٦ ، (٢) تنظيم الدولة - ١٨ ،

(٣) الادارة المركزية ٢١ ، (٤) رئيس الوزراء - ٢١ ، (ب) رجال

الدين - ٢٢ ، (ج) - المالية - ٢٤ ، (د) الصناعة والتجارة

والمواصلات - ٢٦ ، (هـ) الجيش - ٢٧ ، (و) - الكتاب

وموظفو الادارة المركزية - ٢٧ ، (ز) ادارة الاقاليم - ٢٩

٣٨-٣٠

الزردشتية دين الدولة

٤٦-٣٨

المانوية والمزدكية :

(١) ماني والمانوية - ٣٨ ، (٢) مزدك والمزدكية - ٤٢ ، (٣) اثر الدين

على الفرس - ٤٥

٥٠-٤٦

الجيش

٧١-٥١

الملوك

٧٧-٧١

الشعب

٨٠-٧٨

الخاتمة

قادة فتح بلاد فارس في عهد عمر بن الخطاب

٨٥-٨٢

رضي الله عنه

١٣٤-٨٧

قادة فتح الجبل

٩٥-٨٩

ضرار بن الخطاب الفهري (فاتح ماسبدان) :

نسبه وايامه في الجاهلية - ٨٩ ، اسلامه - ٩٠ ، جهاده - ٩٠ ،

الشاعر - ٩٢ ، الانسان - ٩٣ ، القائد - ٩٤ ، ضرار في

التاريخ - ٩٥ .

النعمان بن مقرن المزني (فاتح رامهرمز وشهيد معركة فتح الفتوح) :
٩٧-١٠٧

بيت مقرن - ٩٧ ، اسلامه - ٩٨ ، جهاده - ٩٩ ، الانسان -
١٠٥ ، القائد - ١٠٦ ، النعمان في التاريخ - ١٠٧ .

حذيفة بن اليمان العبسي (فاتح ماه والدينور وصاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم) :
١٠٨-١١٧

اهله - ١٠٨ ، مع النبي - ١٠٩ ، جهاده - ١١١ ، الانسان -
١١٣ ، القائد - ١١٦ ، حذيفة في التاريخ - ١١٦ .

السائب بن الاقرع الثقفي (فاتح مهرجان قذق والصيمرة) :
١١٨-١٢٢
اسلامه - ١١٨ ، جهاده - ١١٨ : (١) قبل الفتح - ١١٨ ،
(٢) الفاتح - ١٢٠ ، الانسان - ١٢١ ، القائد - ١٢٢ ،
السائب في التاريخ - ١٢٢ .

نعيم بن مقرن المزني (فاتح منطقتي همذان والري) :
١٢٣-١٢٩
اسلامه - ١٢٣ ، جهاده - ١٢٣ : (١) قبل الفتح - ١٢٣ ،
(٢) الفاتح - ١٢٤ ، الانسان - ١٢٧ ، القائد - ١٢٨ ، نعيم
في التاريخ - ١٢٩ .

البراء بن عازب الانصاري (فاتح أبهر وقزوين وجيلان وزنجان) :
١٣٠-١٣٤
اسلامه - ١٣٠ ، جهاده - ١٣١ ، الانسان - ١٣٢ ، القائد -
١٣٣ ، البراء في التاريخ - ١٣٤ .

١٣٥-١٩١ قادة فتح الاهواز

حرملة بن مريطة التميمي (فاتح مناذر ونهر تيرى) :
١٣٧-١٤١
الصحابي - ١٣٧ ، جهاده - ١٣٧ ، الانسان - ١٤٠ ، القائد -
١٤٠ ، حرملة في التاريخ - ١٤١ .

سلمى بن القين التميمي (فاتح مناذر ونهر تيرى) :
١٤٢-١٤٦
الصحابي - ١٤٢ ، جهاده - ١٤٢ ، الانسان - ١٤٤ ، القائد -
١٤٥ ، سلمى في التاريخ - ١٤٦ .

حرقوص بن زهير التميمي السعدي (فاتح سوق الاهواز) :
١٤٧-١٥١
الصحابي - ١٤٧ ، جهاده - ١٤٧ ، الانسان - ١٤٩ ، القائد -
١٥١ ، حرقوص في التاريخ - ١٥١ .

جزء بن معاوية التميمي (فاتح مدينة دورق) :
١٥٢-١٥٤
الصحابي - ١٥٢ ، جهاده - ١٥٢ ، الانسان - ١٥٣ ، القائد -
١٥٣ ، جزء في التاريخ - ١٥٣ .

ابو سبرة بن ابي رهم القرشي العامري (فاتح تستر والسوس
وجنديسابور) : ١٥٥-١٦٠

الصحابي - ١٥٥ ، جهاده - ١٥٥ : (١) قبل الفتح - ١٥٥ ،
(٢) الفاتح - ١٥٦ ، الانسان - ١٥٨ ، القائد - ١٥٩ ،
ابو سبرة في التاريخ - ١٦٠ .

زر بن عبد الله الفقيمي (فاتح جنديسابور) : ١٦١-١٦٣
الصحابي - ١٦١ ، جهاده - ١٦١ ، الانسان - ١٦٢ ، القائد -
١٦٣ ، زر في التاريخ - ١٦٣ .

الربيع بن زياد الحارثي (فاتح بيروذ ومناذر ، وفاتح سجستان
وخراسان ثانية) : ١٦٤-١٧٢
الصحابي - ١٦٤ ، جهاده - ١٦٥ ، الانسان - ١٦٩ ، القائد -
١٧٢ ، الربيع في التاريخ - ١٧٢ .

سلمة بن قيس الاشجعي (فاتح جبال الاكراد في الاهواز) : ١٧٣-١٧٧
الصحابي - ١٧٣ ، جهاده - ١٧٣ ، الانسان - ١٧٤ ، القائد -
١٧٧ ، سلمة في التاريخ - ١٧٧ .

ابو موسى الاشعري (فاتح الاهواز والسوس واصبهان والدينور
وماسبذان وقم وقاشان) : ١٧٨-١٩١
مع النبي - ١٧٨ ، جهاده - ١٨٠ ، الانسان - ١٨٣ ، القائد -
١٨٩ ، ابو موسى في التاريخ - ١٩٠ .

١٩٣-٢٠١ قادة فتح طبرستان

سويد بن مقرن المزني (فاتح قومس وبسطام وجرجان
وطبرستان وجبل جيلان) : ١٩٥-٢٠١
اسلامه - ١٩٥ ، جهاده - ١٩٦ : (١) قبل الفتح - ١٩٦ ،
(٢) الفاتح - ١٩٧ ، الانسان - ١٩٨ ، القائد - ١٩٩ ، سويد
في التاريخ - ٢٠١ .

٢٠٣-٢١٣ قادة فتح آذربيجان

بكير بن عبد الله الليثي (فاتح شمالي آذربيجان وموقان) : ٢٠٥-٢٠٨
اسلامه - ٢٠٥ ، جهاده - ٢٠٥ ، الانسان - ٢٠٧ ، القائد -
٢٠٨ ، بكير في التاريخ - ٢٠٨ .

سراقة ذو النور بن عمرو (فاتح باب الابواب) : ٢٠٩-٢١٣
اسلامه - ٢٠٩ ، جهاده - ٢٠٩ ، الشاعر - ٢١١ ، الانسان -
٢١٢ ، القائد - ٢١٢ ، سراقة في التاريخ - ٢١٣ .

٢٤٦-٢١٥

قيادة فتح خراسان

الاحنف بن قيس التميمي (فاتح قاشان وخراسان) : ٢٤٦-٢١٧

نسبه واهله - ٢١٧ ، اسلامه - ٢١٨ ، جهاده - ٢١٩ :
(١) قبل الفتح - ٢١٩ ، (٢) الفاتح - ٢٢٠ ، (٣) استعادة
فتح خراسان - ٢٢٦ ، الانسان - ٢٢٨ : (١) حياته - ٢٢٨ ،
(٢) مزاياه - ٢٣٢ : (١) مزاياه العامة - ٢٣٢ ، (ب) حلمه
- ٢٣٣ ، (ج) عقله - ٢٣٤ ، (د) علمه - ٢٣٥ ، (هـ) حكمته
- ٢٣٦ ، (و) بلاغته - ٢٣٦ ، (ز) دهاؤه - ٢٣٧ ، (ح) اثاره
- ٢٣٨ ، (ط) امانته - ٢٣٩ ، (ي) اناته - ٢٣٩ ، (ك) ورعه
- ٢٤٠ ، (ل) شخصيته - ٢٤٢ ؛ القائد - ٢٤٤ ، الاحنف في
التاريخ - ٢٤٦ .

٢٧٦-٢٤٧

قيادة فتح فارس

العلاء بن الحضرمي (فاتح البحرين وجزيرة دارين واول من هاجم
فارس) : ٢٤٩-٢٥٤

اهله - ٢٤٩ ، اسلامه - ٢٥٠ ، جهاده - ٢٥١ : (١) في حرب
الردة - ٢٥١ ، (٢) بعد الردة - ٢٥٢ ؛ الانسان - ٢٥٢ ،
القائد - ٢٥٣ ، العلاء في التاريخ - ٢٥٤ .

مجاشع بن مسعود السلمي (فاتح لواء اردشير خره وسابور
وفاتح كرمان ثانياً) : ٢٦١-٢٥٥

اسلامه - ٢٥٥ ، جهاده - ٢٥٦ : (١) في العراق - ٢٥٦ ،
(٢) في ايران - ٢٥٦ ؛ الانسان - ٢٥٨ ، القائد - ٢٦٠ ،
مجاشع في التاريخ - ٢٦١ .

عثمان بن ابي العاص الثقفي (فاتح ارمينية الرابعة وجزيرة
بركاوان وبلاد فارس ، واول من هاجم السند) : ٢٦٦-٢٦٩

اسلامه - ٢٦٢ ، جهاده - ٢٦٤ : (١) قبل الفتح - ٢٦٤ ،
(٢) الفاتح - ٢٦٥ : (١) فتح ارمينية الرابعة - ٢٦٥ ، (ب) فتح
بلاد فارس - ٢٦٥ ؛ الانسان - ٢٦٧ ، القائد - ٢٦٨ ، عثمان
في التاريخ - ٢٦٩ .

الحكم بن ابي العاص الثقفي (فاتح جزيرة بركاوان وتوج ، وفاتح
اصطخر ثانياً) : ٢٧٢-٢٧٠

الصحابي - ٢٧٠ ، المجاهد - ٢٧٠ ، الانسان - ٢٧١ ،
القائد - ٢٧١ ، الحكم في التاريخ - ٢٧٢ .

سارية بن زعيم الكناني (فاتح فسا ودارابجرد) :
 ٢٧٦-٢٧٣ : ٢٧٣ ، جهاده - ٢٧٣ ، الانسان - ٢٧٤ ، القائد -
 ٢٧٥ ، سارية في التاريخ - ٢٧٦ .

٢٨٩-٢٧٧ قيادة فتح سجستان

عاصم بن عمرو التميمي (فاتح سجستان) :
 ٢٨٩-٢٧٩ : ٢٧٩ ، جهاده - ٢٧٩ ، (١) قبل القادسية - ٢٧٩ ،
 (٢) في القادسية - ٢٨١ ، (٣) في فتح المدائن - ٢٨٤ ، (٤) في
 البصرة وفارس - ٢٨٥ ، الفاتح - ٢٨٦ ، الشاعر - ٢٨٧ ،
 الانسان - ٢٨٨ ، القائد - ٢٨٩ ، عاصم في التاريخ - ٢٨٩ .

٢٩٧-٢٩١ قادة فتح كرمان ومكران

الحكم بن عمر التغلبي (فاتح مكران) :
 ٢٩٧-٢٩٣ : ٢٩٣ ، جهاده - ٢٩٣ ، الشاعر - ٢٩٥ ، الانسان -
 ٢٩٥ ، القائد - ٢٩٥ ، الحكم في التاريخ - ٢٩٦ .

الخاتمة

٢٩٩-٢٣٩ الفاروق القائد

٣٠١

مستهل

٣٠٤-٣٠١ جذور الفتح الاسلامي قبل عمر

٣٠٧-٣٠٤ الفتح الاسلامي بقيادة عمر :

(١) الفاتح - ٣٠٤ ، (٢) اختيار القادة - ٣٠٥ .

٣٣٧-٣٠٧ قيادة عمر :

(١) الشورى - ٣٠٧ ، (٢) المعلومات - ٣٠٩ ، (٣) الحرص

- ٣٠٩ ، (٤) الفطنة وبعد النظر - ٣١١ ، (٥) الشجاعة -

٣١٢ ، (٦) القابلية البدنية - ٣١٤ ، (٧) تحمل المسؤولية -

٣١٤ ، (٨) معرفة مبادئ الحرب - ٣١٦ ، (٩) اعداد الخطط

السوقية (الاستراتيجية) - ٣٢٠ : (أ) معنى الخطط السوقية

- ٣٢٠ ، (ب) دستور قيادة عمر - ٣٢١ ، (ج) نماذج من

خططه السوقية - ٣٢٢ ، (د) أسس خطط عمر السوقية -

- ٣٢٥ ، (هـ) الوحدة السياسية لبلاد العرب تحت لواء

الاسلام ، (و) تنظيم الناحية الاقتصادية ٣٢٦ ، (ز) تأمين
السكن للمجاهدين في عهد عمر - (ح) عمر يطبق الحرب
الاجماعية - ٣٢٨ ؛ (١٠) حرب عادلة - ٣٢٩ ، (١١) الثقة
المتبادلة - ٣٣١ ، (١٢) الحجة المتبادلة - ٣٣٤ ، (١٣)
الشخصية النافذة ٣٣٥، (١٤) الماضي الناصع المجيد - ٣٣٦ .

٣٣٨

عمر في التاريخ

٣٣٩

الخاتمة

٣٥٢-٣٤١

المصطلحات الجغرافية والعسكرية

(١) الفاية - ٣٤٣ ؛

(٢) الجغرافية - ٣٤٣ : الفرسخ - ٣٤٣ ، الاقليم -
٣٤٣ ، الكورة - ٣٤٤ ، المخلاف - ٣٤٤ ، الاستان
- ٣٣٤ ، الرستاق - ٣٤٥ ، الطسوج - ٣٤٥ ، الجند -
٣٤٥ ، اباذ - ٣٤٥ ، السكة - ٣٤٦ ، المر - ٣٤٦ .

(٣) العسكرية - ٣٤٦ : الصلح - ٣٤٦ ، السلم - ٣٤٦ ، العنوة
٣٤٦ ، الحرب - ٣٤٧ ، الجهاد - ٣٤٧ ، الجزية - ٣٤٨ ،
الخراج - ٣٤٨ ، الفيء - ٣٤٨ ، الفنيمة - ٣٤٨ ، الصدقة
- ٣٤٩ ، الخمس - ٣٤٩ ؛ مبادئ الحرب - ٣٤٩ : اختيار
المقصد وادامته - ٣٤٩ ، التعرض - ٣٤٩ ، المباغتة - ٣٥٠ ،
تحشيد القوة - ٣٥٠ ، الاقتصاد بالمجهود - ٣٥٠ ، الامن
- ٣٥٠ ، المرونة - ٣٥٠ ، التعاون - ٣٥١ ، ادامة المعنويات
- ٣٥١ ، الامور الادارية - ٣٥١ ، الحياد - ٣٥١ ، الحصار
- ٣٥١ ، المباداة - ٣٥١ ، القاعدة - ٣٥٢ ، خطوط المواصلات
- ٣٥٢ ، الضبط - ٣٥٢ ، التعبئة والسوق - ٣٥٢ .

٣٦٦-٣٥٣

المصادر والمراجع

٣٥٥

المصادر

٣٦٣

المراجع

٤٠٥-٣٦٧

الفهارس

٣٦٩

٣٨٤

٣٩٨

٣٩٩

الاعلام
الاماكن
الخرائط
الموضوعات

٤٠٧-٤٠٦

آثار المؤلف



آثار المؤلف

الكتب العسكرية :

- ١ - القضايا الادارية في الميدان - مطبعة الجيش - بغداد ١٩٥٢
- ٢ - التدريب الفردي ليلا - مطبعة شفيق - بغداد - ١٩٥٤

كتب التاريخ الاسلامي الصادرة :

- ٣ - الرسول القائد - الطبعة الاولى - بغداد - ١٩٥٨
- الطبعة الثانية - بيروت - ١٩٦٢
- الطبعة الثالثة - دار القلم - القاهرة - ١٩٦٤
- ٤ - قادة فتح العراق والجزيرة - دار القلم - القاهرة - ١٩٦٤
- ٥ - قادة فتح بلاد فارس - دار الفتح - بيروت - ١٩٦٥
- ٦ - الفاروق القائد - مطبعة العاني - بغداد - ١٩٦٥
- ٧ - المهلب بن ابي صفرة الازدي - مطبعة العاني - بغداد - ١٩٦٤
- ٨ - الاحنف بن قيس التميمي - مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد - ١٩٦٥
- ٩ - قتيبة بن مسلم الباهلي - مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد - ١٩٦٥

١٠ - مقالات وبحوث في :

- ا - مجلة المجمع العلمي العراقي .
- ب - مجلة المجمع العلمي في الشام .
- ج - مجلة الرسالة المصرية .
- د - المجلة العسكرية العراقية .
- هـ - مجلة « المسلمون » .
- و - مجلة الحج في الحجاز .
- ز - مجلة التمدن الاسلامي في دمشق .

كتب التاريخ الاسلامي التي ستصدر تباعا :

- ١١ - قادة فتح الشام ومصر - يصدر قريبا عن دار الفتح - بيروت
- ١٢ - قادة فتح المغرب (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب)
ويصدر قريبا .
- ١٣ - قادة فتح المشرق .
- ١٤ - قادة فتح الاندلس والبحار .
- ١٥ - قادة فتح اوروبا .
- ١٦ - الصديق القائد .
- ١٧ - الامام القائد .
- ١٨ - القادة الراشدون .
- ١٩ - الفتح الاسلامي .
- ٢٠ - الحرب والسلام في الاسلام .
- ٢١ - قادة النبي .
- ٢٢ - سفراء النبي .
- ٢٣ - شهداء الاسلام في عهد النبي .
- ٢٤ - كرامة العلماء .

كتب لغوية :

- ٢٥ - المصطلحات العسكرية في الآثار الجاهلية .
- ٢٦ - المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم .
- ٢٧ - المصطلحات العسكرية في الحديث الشريف .
- ٢٨ - المصطلحات العسكرية في مصادر التاريخ الاسلامي .
- ٢٩ - المصطلحات العسكرية في الادب العربي بعد الاسلام .
- ٣٠ - المصطلحات الحضارية في القرآن الكريم .

تاريخ العرب :

- ٣١ - المشير فون رونشتند - مترجم عن الانكليزية .

قريباً

الكتاب الثالث

قادة فتح الشمل ومصر

يصدر عن

دار الفتح - بيروت

عنوان المؤلف
الاعظمية - بغداد
الجمهورية العراقية

دار الفتح
للطباعة والنشر

بيروت - ص. ب. ٤٢٩٥ - بناية الاعازارية
الجديدة أ- ٤ الطابق الرابع - رفعت ١٠
تلفون : ٢٥٣.٩٧